التَّعلِيقَاتُ الجَلِيَّةُ

عَلَى

العَقِيدَةِ السَّفَّارِينِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ م

رقم الإيداع: ٢١٢٢١/ ٢٠٠٨

الترقيم الدولي: 978-977-791-093-9

دار الآثار للنشر والتوزيع

العنوان: شارع البيطار - خلف جامع الأزهر الشريف - القاهرة

ت: 0020225125184

E.MAIL: TAREK-TTTT@HOTMAIL.COM
TAREK_XPPP@YAHOO.COM

التعليقات الجلية

على

العقيدة السفارينية

للعلامة الشيخ

محمد بن أحمد بن سالم السفاريني

المتوفى سنة ١١٨٨ هـ

شرح

الدكتورة/ عزة بنت محمد

(أم تميم)

الجزء الأول

دار الآثار
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد، فهذا شرحى لنظم العقيدة السفارينية الموسومة بـ «الدرة المضية فى عقد الفرقة المرضية» للإمام محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، المتوفى عام ١١٨٨ هـ، وقد قمت بشرح هذا النظم فى أكثر من معهد من معاهد العلوم الشرعية للنساء فوجد - بفضل الله تعالى - قبولًا عند الأخوات، فبدا لى تصنيف كتاب يشرح هذا المتن، ووسمته بـ «التعليقات الجلية على العقيدة السفارينية» ليعم النفع على الجميع - رجالًا ونساءً - مع العلم أن هذا العمل قد سبقنى إليه طائفة من العلماء، منهم من اختصر الشرح، ومنهم من أسهب، ومنهم دون ذلك.

وقد قمت بعمل أبحاث عن بعض المسائل – التي لم يتعرض إليها من سبقني من العلماء فى شروحهم لهذه العقيدة – على سبيل المثال لا الحصر: مبحث فى إثبات أن الأسماء والصفات ليس فيه مجاز، ومبحث عن الدار الآخرة، وعلامات الساعة وكذا عالم الملائكة، وعالم الجن، وغيرها من المسائل التى ذكرها من اعتنى بشرح هذه العقيدة على وجه الإجمال.

وأنا أعلم أن أمثالى عالة – بلا شك – على هؤلاء الأكابر، غير أنى أطمع – كعادتى – فى فضل الله وكرمه وإحسانه أن يتقبل منى جهد المقل بقبول حسن.

هذا، ولا يخفى أن الإمام السفارينى رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد جمع فى هذا النظم اعتقاد أهل السنة والجماعة، وكان للعلماء بعض المآخذ على بعض ما ذكره فى نظمه هذا، فقمت ببيان ذلك فى ثنايا الشرح مع ذكر الراجح من أقوالهم.

وقد قسم الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ نظمه إلى مقدمة وستة أبواب ثم خاتمة، فاتبعته على هذا التقسيم للتيسير.

وختامًا: أسأل الله العلى العظيم الكريم المنان، الرحمن الرحيم، أسأله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يتقبل منى هذا العمل ويجعل كل ما كتبت وسطرت خالصًا له وحده، وأن يضع له القبول عند المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، إنه شكور ودود، رؤف بعباده قريب مجيب دعوة من دعاه.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أم تميم

عزة بنت محمد رشاد بن حسن شاهين

٩ جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ

٧ مارس ٢٠١٧م

ترجمة العلامة السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ترجمة العلامة

محمد بن أحمد بن سالم السفاريني

اسمه ومولده:

هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني(١) النابلسي الحنبلي، أبو العون، شمس الدين، محدث وفقيه أصولي، ومؤرخ، ولد بسفارين من قرى نابلس ونشأ بها، ثم رحل إلى دمشق، وولد بمدينة نابلس ودفن بالتربة الشمالية فيها.

مولده: ولد الإمام العلامة فريد عصره وأوانه، بقرية سفارين من قرى نابلس سنة أربع عشرة ومائة وألف، ونشأ بها، وقرأ القرآن في سنة ألف ومائة وإحدى وثلاثين هجرية في نابلس.

نشأته وطلبه للعلم وشيوخه:

قرأ القرآن في سنة ألف ومائة وإحدى وثلاثين في نابلس، واشتغل بالعلم قليلًا وارتحل إلى دمشق سنة ألف ومائة وثلاث وثلاثين، ومكث بها قدر خمس سنوات، فقرأ بها على الشيخ عبد القادر التغلبي «دليل الطالب»

---

(١) نسبة إلى سفارين: بفتح أوله وثانيه مع تشديده وألف وراء وياء ونون ذُكِر أنها تحريف «سفرين»، بمعنى «أسفار وكتب»، ذكرتها المصادر الإفرنجية (saffir) وقرية سفارين تقع في الجنوب الشرقي من طولكرم وعلى بعد ٢٠كم عنها. (انظر بلادنا فلسطين، الديار النابلسية ٣/ ١٢١-ط٢/ ١٩٨٨م).
وسفارين : كجبارين: قرية من أعمال نابلس. (انظر تاج العروس للزبيدي (١٢/ ٤٧)، تحقيق مصطفى حجازي. طبع في الكويت-١٩٧٣م).

للشيخ مرعي الحنبلي من أوله إلى آخره قراءة تحقيق، و«الإقناع» للشيخ موسى الحجازي، وحضره في الجامع الصغير السيوطي بين العشاءين وغيره مما كان يقرأ عليه في سائر أنواع العلوم، وذاكره في عدة مباحث من شرحه على «الدليل»، فمنها ما رجع عنها ومنها ما لم يرجع لوجود الأصول التي نقلها منها، وكان يكرمه ويقدمه على غيره وأجازه بما في ضمن ثبته الذي خرجه له الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزي في سنة (خمس وثلاثين)، وعلى الشيخ عبد الغني النابلسي «الأربعين النووية» و«ثلاثيات البخاري»، والإمام أحمد، وحضر دروسًا في تفسير «القاضي»، وأجازه عمومًا بسائر ما يجوز له وبمصنفاته كلها، وكتب له إجازة مطولة وذكر فيها مصنفاته. وعلى الشيخ عبد الرحمن المجلد (ثلاثيات البخاري)، وحضر دروسه العامة وأجازه، وعلى الشيخ عبد السلام بن محمد الكاملي بعض كتب الحديث وشيئًا من رسائل إخوان الصفا، وعلى ملا إلياس الكوراني كتب المعقول، وعلى الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني «الصحيح» بطرقه مع مراجعة شروحه الموجودة في كل رجب وشعبان ورمضان من كل سنة مدة إقامته بدمشق، و«ثلاثيات البخاري» وبعض «ثلاثيات أحمد» وشيئًا من «الجامع الكبير» وبعضًا من كتاب «الإحياء» مع مراجعة تخريج أحاديثه للزين العراقي و«الأندلسية» في العروض مع مطالعة بعض شروحها، وبعضًا من «شرح شذور الذهب» و«شرح رسالة الوضع» مع حاشيته التي ألفها و«حاشية ملا إلياس»،

وأجازه بكل ذلك وبما يجوز له روايته، وعلى الشيخ أحمد بن علي المنيني شرح «جمع الجوامع» للمحلي، وشرح «الكافية» لملا جامي، وشرح «القطر» للفاكهي، وحضر دروسه للصحيح، وشرحه على منظومة «الخصائص الصغرى» للسيوطي، وقد أجازه بكل ذلك إجازة مطولة كتبها بخطه وعلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزي بعضًا من شرح «ألفية العراقي» لزكريا وأول «سنن أبي داود»، وعلى قريبه الشيخ أحمد الغزي غالب الصحيح بالجامع الأموي بحضرة جملة من كبار شيوخ المذاهب الأربعة، وعلى الشيخ مصطفى بن سوار أول «صحيح ا لبخاري» وبعض «ثلاثيات أحمد»، وحج سنة ثمان وأربعين بعد الألف الهجرية، فسمع بالمدينة على الشيخ محمد حياة المسلسل بالأولية وأوائل الكتب الستة، وتفقه على شيخ المذهب مصطفى بن عبد الحق اللبدي، وطه بن أحمد اللبدي، ومصطفى بن يوسف الكرمي، وعبد الرحيم الكرمي، والشيخ المعمر السيد هاشم الحنبلي والشيخ محمد السلقيني وغيرهم، ومن شيوخه الشيخ محمد الخليلي، سمع عليه أشياء والشيخ عبد الله البصروي سمع عليه ثلاثيات أحمد مع المقابلة بالأصل المصحح والشيخ محمد الدقاق أدركه بالمدينة وقرأ عليه أشياء، واجتمع بالسيد مصطفى البكري فلازمه وقرأ عليه مصنفاته، وأجازه بماله وكتب له بذلك، وله شيوخ أخر غير ما ذكرت وله مؤلفات منها شرح «عمدة الأحكام» للحافظ عبد الغني في مجلدين، وشرح «ثلاثيات أحمد» في مجلد ضخم، وشرحه نونية

الصرصري الحنبلي وسماه «معارج الأنوار في سيرة المختار»[(١)].

صفاته وثناء العلماء عليه:

لقد أثنى على العلامة السفاريني كثير من العلماء الذين عاصروه بالذات، وأثنى عليه من لم يعاصره والسبب في ذلك هو تتلمذهم على كتبه ومؤلفاته وممن أثنى عليه من معاصريه المرادي فقال عنه الشيخ الإمام الحبر البحر النحرير الكامل الهمام الأوحد العلامة والعالم العامل الفهامة صاحب التآليف الكثيرة والتصانيف الشهيرة: فقد كان غرة عصره وشامة مِصْره لم يظهر في بلاده مثله، وكان يُدعى للملمات ويُقصد في المهمات ذا رأي صائب وفهم ثاقب جسورًا على ردع الظالمين وزجر المفترين إذا رأى منكرًا أخذته رعدة وعلا صوته من شدة الحدة، وإذا سكن غيظه وبرد قيظه يقطر رقة ولطافة وحلاوة وظرافة، وله الباع الطويل في علم التاريخ وحفظ وقائع الملوك والأمراء والعلماء والأدباء وما وقع في الأزمان السالفة وكان يحفظ من أشعار العرب العرباء والمولدين شيئًا كثيرًا[(٢)].

ووصفه الجبرتي وصفًا جميلًا فقال: «كان شيخًا ذا شيبة منورة مهيبًا جميل الشكل ناصرًا للسنة قامعًا للبدعة قوالًا بالحق مقبلًا على شأنه مداومًا على قيام الليل في المسجد ملازمًا على نشر علوم الحديث مُجدًّا في

---

(١) انظر عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي. (١/ ٤٦٨-٤٧٠).

(٢) انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر-(ج٤).

أهله، ولا زال يُملي ويفيد ويجيز من سنة ثمان وأربعين إلى أن توفي»[(١)].

وقد أجاد في وصفه أيضًا صاحب «السحب الوابلة» حتى نستطيع أن نقول بأنه انفرد من بين من وصفه ممن ترجم له من العلماء فقال عنه: «كان إمامًا متقنًا جليل القدر وظهرت له كرامات عظيمة وكان حسن التقرير والتحرير لطيف الإشارة بليغ العبارة حسن الجمع والتآليف لطيف الترتيب والترصيف زينة أهل عصره ونقاوة أهل مصره صوامًا قوامًا وِرْدُه كل ليلة ستون ركعة وكان متين الديانة لا تأخذه في الله لومة لائم؛ محبًّا للسلف وآثارهم بحيث أنه إذا ذكروا عنده لم يملك عينيه من البكاء، وتخرج له وانتفع به خلق كثير من النجديين والشاميين وغيرهم»[(٢)].

وقال عنه في موضع ذكره لاجتهاده وشغفه بالعلم: «... برع في فنون العلم وجمع الأمانة والفقه والديانة والصيانة وفنون العلم والصدق وحسن السمت والخلق والتعبد وطول الصمت عما لا يعنى وكان محمود السيرة، نافذ الكلمة رفيع المنزلة عند الخاص والعام سخي النفس كريمًا بما يملك مهابًا معظمًا عليه أنوار العلم بأدبه، وصنف تصانيف جليلة في كل فن»[(٣)].

ووصفه أيضًا بـ«الإمام المحدث البارع الزاهد».

---

(١) انظر: عجائب الآثار للجبرتي (ص٣١)- طبعة بولاق.

(٢) انظر: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة للإمام العلامة الشيخ محمد بن عبد الله النجدي (٢٩٥م)-ط١- (ص٣٤٢).

(٣) نفس المصدر السابق (ص٣٤١).

ووصفه الشطي: «بالشيخ الإمام الحبر البحر الهمام العالم العامل والنحرير الكامل العلامة المحقق والفهامة المدقق صاحب التآليف الكثيرة والتصانيف الشهيرة بهجة الفقهاء والمحدثين شمس الدنيا والدين خاتمة الحنابلة في الديار النابلسية صاحب الفيوضات الإلهية والعلوم اللدنية عمدة المتأخرين حجة الناظرين في الفروع على الأصول الجامع بين المعقول والمنقول مطرز أردية الفتاوى بتحرير التحرير مرجل هامات المباحث والتقرير سيد أهل التحقيق على التحقيق وسعد أرباب التدقيق بنظرة التدقيق»[(١)].

ووصفه المحدث الكتاني بقوله: «هو الإمام محدث الشام وأَثَرِيِّهِ مُسْنِدِ عصره وشامته» ... ونقل عن صاحب النفس اليماني قوله عن الشيخ بأنه «مسند الشام الحافظ الكبير»، وحلاه مفتي الحنابلة بمكة الشمس محمد ابن حميد الشركسي المكي في طبقات الحنابلة المسماة «بالسحب الوابلة» بالمسند الحافظ المتقن، وحلاه أبو الفيض الزبيدي في معجمه المختص بشيخنا الإمام المحدث البارع الزاهد، وقال فيه: «كان ناصرًا للسنة قامعًا للبدعة قوالًا بالحق مقبلًا على شأنه ملازمًا لنشر علوم الحديث محبًّا في أهله»، وقال فيه في «ألفية السند» له: مسند عصره الإمام المعتلي.

---

(١) انظر: مختصر طبقات الحنابلة، جمع واختصار الشيخ: جميل أفندي الشطي (ص١٢٧-١٢٨)، طبع في دمشق مطبعة الترقي ١٣٣٩هـ.

الأثـــري الزاهـــد الـــسجادا بعلمـــه قـــد رفـــع العمـــادا

وقال الحافظ الزبيدي عنه أيضًا في إجازته لحفيد المترجم عبد الرحمن ابن يوسف بن محمد السفاريني:

وجـــده محمـــد بـــن أحمـــدا شيخ الحديث قد هدى وسدَّدا

قـــد كـــان عمـــر الله في نـــابلس بقيـــة الأخيـــار عـــالي الـــنفس

أوحـــد مـــن كانـــت لـــه العنايـــة في حفـظ هـذا الفـن فـوق الغايـة

وقال عنه الحافظ أبو الفيض الزبيدي وهو ممن تتلمذوا عليه: «ولم يخلف بعده مثله».

وقد علق على ثبته الكتاني فقال: «وله ثبت ألفه لما استجازه من دمشق العلامة شاكر العقاد، قال في عقود اللآلئ: فأجازه وأرسل إليه كراسة جعلها كالثبت له، وذكر فيها بعض مشايخه وأسانيده ومروياته وبعض المسلسلات وسنده في الصحيحين والمسانيد وغير ذلك؛ إجازة مطولة جامعة شافية مشتملة على الأسانيد العالية والمرويات الغالية» اهـ.

وقال الحافظ الزبيدي في ترجمته من «المعجم المختص»: كتبت إليه أستخيره فكتب إليّ إجازة حافلة في عدة كراريس حشاها بالفوائد والغرائب، وكان وصول هذه الإجازة في عام ١١٧٩هـ، ثم كاتبته ثانيًا عام ١١٨٢هـ، وأرسلت إليه الاستدعاء باسم جماعة من الأصحاب منهم المرحوم عبد الخالق بن خليل والسيد محمد البخاري وجماعة من أهل

زبيد، فاجتهد وحرر إجازة حسنة حشاها بفوائد غريبة في كراريس»[(١)].

مؤلفاته:

ألف العلامة الشيخ السفاريني العديد من المؤلفات والشروح وذكر أنها نحو ثلاثين مؤلفًا منها:

- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، وهي منظومة في عقيدة أهل السنة بتكليف من علماء نجد.
- شرح ثلاثيات أحمد في مجلد ضخم.
- شرح نونية الصرصري سماها (معارج الأنوار السنية في سيرة النبي المختار ﷺ) في مجلدين.
- تحبير الوفا في سيرة المصطفى.
- البحور الزاخرة في علوم الآخرة.
- كشف اللثام في شرح عمدة الأحكام.
- نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار.
- الجواب المحرر في الكشف عن حال الخضر والإسكندر.
- عرف الزرنب في شرح السيدة زينب.
- القول العلي في شرح أثر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

---

(١) انظر فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، (٢/ ١٠٢٢-١٠٠٥) للشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني باعتناء د.إحسان عباس-بيروت: دار الغرب الإسلامي.

- نظم الخصائص الواقعة فيه أيضًا.

- الدر المنظم في فضل شهر الله المحرم.

- قرع السياط في قمع أهل اللواط.

- المنح الغرامية في شرح منظومة ابن فرح اللامية.

- التحقيق في بطلان التلفيق.

- لواقح الأفكار السنية في شرح منظومة الإمام أبي بكر بن أبي داود الحائية (مجلد).

- تحفة النساك في فضل السواك.

- الدرر المضية في عقد أهل الفرق المرضية وشرحها المسمى سواطع الآثار الأثرية بشرح منظومتنا المسماة سابقًا.

- تناضل العمال بشرح حديث فضائل الأعمال.

- الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات.

- رسالة في بيان الثلاث والسبعين فرقة والكلام عنها.

- اللمعة في فضائل الجمعة.

- الأجوبة النجدية عن الأسئلة النجدية.

- الأجوبة الوهبية عن الأسئلة الزعبية.

- شرح على دليل الطالب، (لم يكمل).

- تعزية اللبيب بأحب حبيب.

- نظم الدر المنثور في الحكم والأمثال والمأثور في العقيدة.

- فرق الإسلام.

- فتاوى، وأما الفتاوى التي كتب عليها الكراس والأقل والأكثر فكثيرة لو جمعت لبلغت مجلدات وله من الأشعار وفي المراسلات والغزليات والوعظيات والمرثيات شيء كثير. وذكر كثيرًا من هذه المؤلفات وأماكن وجودها الزركلي في الأعلام[١].

(١) انظر الأعلام للزركلي (٦ / ١٤).

متن العقيدة السفارينية

الموسومة

بـ «الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية»

أحمر أسود (٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - الْحَمْــدُ للهِ الْقَــدِيمِ الْبَــاقِي مُقَـــدِّرِ الآجَـــالِ وَالأَرْزَاقِ[(١)]

٢ - حَــيٌّ عَلِـيمٌ قَــادِرٌ مَوْجُــودُ قَامَــتْ بِــهِ الأَشْــيَاءُ وَالْوُجُــودُ

٣ - دَلَّـتْ عَلَـى وُجُـودِهِ الْحَـوَادِثُ سُــبْحَانَهُ فَهْــوَ الحَكِــيمُ الْــوَارِثُ

٤ - ثُـمَّ الـصَّلاَةُ والـسَّلاَمُ سَـرْمَدَا عَلَـى النَّبِـيِّ الْمُـصْطَفَى كَنْـزِ الْهُـدَى

٥ - وَآلِــهِ وَصَــحْبِهِ الأَبْــرار مَعَــادِنِ التقْــوَى مَــعَ الأَسْــرارِ

٦ - وَبَعْــدُ فــاعْلَمْ أَنَّ كُــلَّ الْعِلْـمِ كــالْفَرْعِ لِلتَّوْحِيـدِ فاسْـمَعْ نَظْمِـي

٧ - لأَنَّــهُ العِلْــمُ الَّــذِي لاَ يَنْبَغِــي لِعَاقِــل لِفَهْمِــهِ لَــمْ يَبْتَغِــي

٨ - فَــيعْلَمُ الْوَاجِــبَ وَالْمُحَــالاَ كَجَــائِزٍ فِــي حَقِّــهِ تَعَــالى

٩ - وَصَــارَ مِــنْ عَــادَةِ أَهْـلِ الْعِلْـمِ أَنْ يَعْتَنُــوا فِــي سَــبْرِ ذَا بِــالنَّظْمِ

١٠ - لأَنَّــهُ يَــسْهُلُ لِلْحِفْــظِ كَمَــا يَـرُوقُ لِلـسَّمْعِ وَيـشفي مِـنْ ظَمـا

١١ - فَمِـنْ هُنَـا نَظَمْـتُ لِـي عَقِيـدَة أُرْجُـــوزَةً وَجِيـــزَةً مُفِيـــدَة

١٢ - نَظَمْتُهَــا فِــي سِـلْكِهَا مُقَدِّمَـة وَسِــتُّ أَبْــوَابٍ كَــذَاكَ خَاتِمَــة

١٣ - وَسَــمْتُهَا بِالــدُّرَّةِ الْمُــضِيَّة فِــي عَقْـدِ أَهْـلِ الْفِرْقَـةِ الْمَرْضِـيَّة

---

(١) في بعض النسخ «مسبب الأسباب والأرزاق»، وبعض الكلمات التي وردت في النظم تختلف من نسخة إلى أخرى.

١٤ - عَلَى اعْتِقَادِ ذِي السَّدَادِ الحَنْبَلِيّ إِمَامِ أَهْلِ الْحَقِّ ذِي الْقَدْرِ الْعَلِيّ

١٥ - حَبْرُ المَلاَ فَرْدُ العُلاَ الرَّبَّانِي رَبُّ الْحِجَا ماحِي الدُّجَى الشَّيْبَانِي

١٦ - فَإِنَّهُ إِمَامُ أَهْلِ الأَثَرِ فَمَنْ نَحَا مَنْحَاهُ فَهْوَ الأَثَرِي

١٧ - سَقَى ضَرِيحًا صوبُ الرِّضى والعَفْوِ والغُفْرانِ ما نَجْمٌ أَضَا

١٨ - وَحَلَّهُ وَسَائِرُ الأئِمَّةْ مَنَازِلَ الرِّضْوانِ أعْلَى الْجَنَّةْ

مقدمة

في ترجيح مذهب السلف على مذهب الخلف (١)

والفرقة الناجية على سائر الفرق

١٩ - اعْلَـمْ هُـدِيتَ أَنَّـهُ جَـاءَ الْخَبَـرْ عَـنِ النَّبِـيِّ الْمُقْتَفَـى خَيْـرِ الْبَـشَرْ
٢٠ - بِـأَنَّ ذِي الأُمَّــةِ سَـوْفَ تَفْتَـرِقْ بِـضْعًا وَسَـبْعِينَ اعْتِقَـادًا وَالْمُحِـقُّ
٢١ - مَـا كَـانَ فِي نَهْـجِ النَّبِـيِّ الْمُـصْطَفَى وَصَـحْبِهِ مِـنْ غَيْـرِ زَيْـغٍ وجَفَـا
٢٢ - ولَـيسَ هـذا الـنَّصُّ جَزْمًـا يُعْتَبَـر فِي فِرْقَـةٍ إلّا عَلَـى أهْـلِ الأَثَـر
٢٣ - فَـأَثْبَتُوا النُّـصُوصَ بِالتَّنْزِيـهِ مِـنْ غَيْـرِ تَعْطِيـلٍ وَلا تَـشْبِيهِ
٢٤ - فَكُـلُّ مَـا جَـاءَ مِـنَ الآيَـاتِ أَوْ صـحّ فِـي الأَخْبَـارِ عَـنْ ثِقَـاتِ
٢٥ - مِـنَ الأَحَادِيـثِ نُمِـرُّهُ كمَـا قَـد جَـاءَ فاسْمَعْ مِنْ نِظَامِي وَاعْلَمَا
٢٦ - وَلا نَـرُدُّ ذَاكَ بِـالعُقُولِ لِقَـوْلِ مُفْتَـرٍ بِـهِ جَهُـولِ
٢٧ - فَعَقْـدُنَا الإِثْبَـاتُ يَـا خَلِيلِـي مِـنْ غَيْـرِ تَعطِيـلٍ وَلَا تمثِيـلِ
٢٨ - وَكُـلُّ مَـنْ أَوَّلَ فِـي الـصِّفَاتِ كَذَاتِـهِ مِـنْ غَيـرِ مَـا إِثْبَـاتِ
٢٩ - فَقَـدْ تَعَـدَّى وَاسْـتَطَالَ واجْتَـرَى وَخَـاضَ فِـي بَحْـرِ الهَـلَاكِ وَافْتَـرى

---

(١) في بعض النسخ مقدمة في ترجيح مذهب السلف على سائر المذاهب.

٣٠ - أَلَمْ تَرَ اخْتِلاَفَ أَصْحَابِ النَّظَرِ فِيهِ وَحُسْنَ مَا نَحَاهُ ذُو الأَثَرِ

٣١ - فَإِنَّهُمْ قَدِ اقْتَدَوْا بِالمُصْطَفَى وَصَحْبِهِ فَاقْنَعْ بِهَذَا وَكَفَى

الباب الأول
في معرفة الله تعالى

٣٢ - أَوَّلُ وَاجِـبٍ عَلَـى العَبِيـدِ مَعْرِفَـةُ الإِلَـهِ بالتَّسْدِيدِ

٣٣ - بأَنَّـهُ وَاحِـدٌ لا نَظِيـرُ لَـهُ وَلا شِـبْهٌ وَلا وَزِيـرُ

٣٤ - صِـفَاتِهِ كذَاتِـهِ قَديمَـة أَسْـمَاؤُه ثَابتَـةٌ عَظِيمَـة

٣٥ - لَكِنَّهَـا فِـي الْحـقِّ تَوْقِيفِيَّـة لَنَـا بِـذا أَدِلَّـةٌ وَفِيَّـة

٣٦ - لَـهُ الْحَيـاةُ وَالكَـلامُ والْبَـصَرْ سَـمْعٌ إِرَادَةٌ وَعِلْـمٌ وَاقْتَـدَرْ

٣٧ - بِقُـدْرَةٍ تَعَلَّقَـتْ بِمُمْكِـنِ كَـذَا إِرَادَةٌ فَـعِ واسْـتَبِنِ

٣٨ -وَالعِلْـمُ والْكَـلامُ قَـدْ تَعَلَّقَـا بِكُـلِّ شَـيْءٍ يَـا خَلِيلـي مُطْلَقَـا

٣٩ - وَسَـمْعُهُ سُـبْحَانَهُ كَالْبَـصَرِ بِكُـلِّ مَـسْمُوعٍ وَكُـلِّ مُبْـصَرِ

٤٠ - وَأَنَّ مَـا جَـاءَ مـع جِبْرِيـلِ مِـنْ مُحْكَـمِ القُـرْآنِ والتَّنْزِيـلِ

٤١ - كَلامُـهُ سُـبْحَانَهُ قَـدِيمُ أَعْيَـا الـوَرَى بـالنَّصِّ يَـا عَلِـيمُ

٤٢ - وليسَ في طوْقِ الورَى من أصلِهِ أَنْ يـستطيعوا سُـورةً مـنْ مِثلِـهِ

٤٣ - وَلَـيْسَ ربُّنَـا بِجَـوْهَرٍ وَلا عَـرَضٍ ولا جِـسْمٍ تَعَـالى ذُو الْعُلـى

٤٤ - سُـبْحَانَهُ قَـدِ اسْـتَوَى كَمَـا وَرَدْ مِـنْ غَيْـرِ كَيْـفٍ قَـدْ تَعَـالَى أَنْ يُحَـدْ

٤٥ - فَـلاَ يُحِـيطُ عِلْمُنَـا بِذَاتِـهِ كَـذَاكَ لا يَنْفَـكُّ عَـنْ صِـفَاتِهِ
٤٦ - فَكُـلُّ مَـا قَـدْ جَـاءَ فِـي الـدَّلِيلِ فَثَابِـتٌ مِـنْ غَيْـرِ مَـا تَمْثِيـلِ
٤٧ - مِـنْ رَحْمَـةٍ وَنَحْوِهـا كَوَجْهِـهِ وَيَـدِهِ وَكـلِّ مَـا مِـنْ نَهْجِـهِ
٤٨ - وَعَيْنِـه وَصِـفَةُ النُّـزُولِ وَخَلْقُـهُ فَاحْـذَرْ مِـنَ النُّـزولِ
٤٩ - فَسائِرُ الـصِّفاتِ والأَفْعَـالِ قَدِيمَـةٌ للهِ ذِي الجَـلَالِ
٥٠ - لَكِـنْ بِـلَا كَيْـفٍ وَلَا تَمثِيـلِ رغمًـا لأَهـلِ الزَّيـغِ وَالتَّعطِيـلِ
٥١ - فَمرهَـا كَمَـا أَتَـتْ في الـذِّكرِ مِـنْ غيـرِ تَأوِيـلٍ وَغيـرِ فِكْـرِ
٥٢ - وَيَسْتَحِيلُ الْجهلُ وَالعَجْزُ كَمَا قَـد اسْتَحَالَ الْمَـوتُ حَقًّـا وَالْعَمَى
٥٣ - فَكُـلُّ نَقْـصٍ قَـد تَعَـالَى اللهُ عَنْـهُ فَيَـا بُـشْرَى لِمَـنْ وَالَاهُ
٥٤ - وكـلُّ مـا يُطلـبُ فِيـهِ الجـزم فَمنـعُ تقليـدٍ بِـذاكَ حـتمُ
٥٥ - لأنـهُ لا يُكْتفـى بـالظَّنِّ لِـذِي الْحِجَـا فِي قَـوْلِ أهـلِ الفـنِّ
٥٦ - وقِيلَ: يَكفي الجزمُ إجمَاعًا بما يُطلـبُ فِيـهِ عنـدِ بَعـضِ العُلَمَـا
٥٧ - فالجـازِمُون مـنْ عـوامِّ البـشَرْ فمُـسلمونَ عنـدَ أهـلِ الأثـرْ

الباب الثاني

في الأفعال المخلوقة

٥٨ - وَسَائِرُ الأَشْياء غيرَ الذاتِ وَغيرَ ما الأسماء والصِّفَاتِ

٥٩ - مَخْلوقة لربِّنَا من العَدَمْ وَضلَّ منْ أثنى عَليهَا بالقِدَمْ

٦٠ - وربّنَا يخلُقُ باخْتِيَارْ مِنْ غيرِ حاجة ولا اضْطِرَارْ

٦١ - لكنَّهُ لا يخلُقُ الخلْقَ سُدَى كما أتَى في النصِّ فاتبع الهُدَى

٦٢ - أفعالُنا مخلوقةٌ للهِ لكنَّها كسبٌ لنا يَا لَاهِي

٦٣ - وكلُّ ما يفعَلُه العِبادُ منْ طاعةٍ أو ضدِّها مُرادُ

٦٤ - لِرَبِّنا من غيرِ ما اضطِرَارِ منهُ لنَا، فافْهَمْ ولا تمارِ

٦٥ - وَجَازَ للمَولَى يُعذبُ الْوَرَى مِنْ غَيرِ مَا ذَنْبٍ وَلَا جُرم جَرَى

٦٦ - فَكُلُّ مَا مِنْهُ تَعَالَى يَجمُلُ لأَنَّهُ عَنْ فِعلِهِ لَا يُسألُ

٦٧ - فَإِنْ يُثبْ فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلِه وَإِن يُعذِّبْ فَبمَحضِ عَدلِهِ

٦٨ - فَلَمْ يَجِبْ عَلَيهِ فِعلُ الأَصلَحِ وَلا الصَّلاحِ وَيحَ مَنْ لَم يُفْلِحِ

٦٩ - فَكُلُّ مَن شَاءَ هدَاهُ يَهتَدِي وَإِن يُرد ضَلَالَ عَبدٍ يَعتَدِي

٧٠- والرزقُ ما ينفعُ من حلالِ أو ضدِّه فحُلْ عن المُحالِ

٧١- لأنــــهُ رازقُ كُـــلِّ الخَلْـــقِ ولـــيسَ مخلـــوقٌ بغيـــر رزقِ

٧٢- ومـن يَمُـتْ بقتلـهِ مـن البـشرِ أو غيـــره فبالقـــضاءِ والقَـــدَرِ

٧٣- ولم يَفُتْ منْ رزقهِ ولا الأجَلِ شـيءٌ فـدَعْ أهـلَ الـضَّلالِ والخَطَـلِ

الباب الثالث

في الأحكام

٧٤- وواجــبٌ علــى العبــادِ طُــرًّا ... أن يَعْبُــــدوهُ طَاعَـــةً وبِـــرًّا

٧٥- ويفْعَلُـوا الفِعْـلَ الـذي بـه أَمَـرَ ... حَتمًـا ويتْرُكـوا الـذي عَنْـهُ زَجَـر

فصل

في الكلام عن القضاء والقدر

٧٦- وكـــلُّ مـــا قـــدّرَ أو قـــضاهُ ... فواقــــعٌ حَتمًـــا كمـــا قَـــضاهُ

٧٧- وليس واجبًا على العبد الرِّضا ... بكُـلِّ مَقْـضيٍّ ولكـن بالقـضا

٧٨- لأنَّـــه مـــن فعْلـــه تعـــالى ... وذاك مـــن فِعْـــل الـــذي تقَـــالى

فصل

في الكلام على الذنوب ومتعلقاتها

٧٩- ويفـــسُقُ المـــذنبُ بـــالكبيرة ... كـــذا إذا أَصَـــرَّ بالـــصغيرة

٨٠- لا يخـرجُ المـرءُ مـن الإيمـان ... بموبقـــات الـــذنب والعـــصيان

٨١- وواجـــبٌ عليـــه أن يتُوبـــا ... مـن كُـل مـا جَـرّ عليـه حُوبَـا

٨٢- ويقبلُ المولَى بمحض الفضلِ ... مـن غيـر عبـدٍ كـافرٍ منفـصلِ

٨٣- مـا لـم يتُـب مـن كُفـرِه بـضدِّهِ ... فيرتجـعْ عـن شِـرْكهِ وصـدِّه

٨٤- ومَن يَمُتْ ولم يَتُب من الخَطَا فــأمره مُفَــوّضٌ لــذِي العَطَــا

٨٥- فَـإن يَـشَأ يَعـفُ وَإن شَـاءَ انْـتقَمْ وَإِن يَــشَأ أَعطَــى وَأَجــزَل الــنِّعَمْ

فصل

في ذكر مَن قيل بعدم قبول إسلامه من طوائف الملحدين

٨٦- وقيلَ في (الدُّروزِ) وَ(الزَّنادِقَهْ) وســائِرِ (الطَّوائِــفِ الْمُنافِقَــهْ)

٨٧- وَكُــلُّ (داعٍ لابتِــداعٍ) يُقتَــلُ كَمَــن تكَــرَّرْ نَكثُــهُ لا يُقبَــلُ

٨٨- لأنَّــهُ لَــم يُبْــدِ مِــن إِيْمانِــهِ إلاَّ الَّــــذي أَذاعَ مِــــن لِــــسانِهِ

٨٩- كمُلحــدٍ وسَــاحِرٍ وَسَــاحِرَة وَهُــم عَلَــى نِيَّــاتِهم في الآخِــرَة

٩٠- قُلْتُ وإن دلـت دلائـلُ الهُـدَى كَمَــا جَــرَى لِلْعَيْلَبُــونيِّ اهْتَــدَى

٩١- فإنَّــه أذاعَ مِــنْ أَسْــرَارهم مَـا كَـان فيـه الهَتْـكُ عَـنْ أَسْـتَارِهم

٩٢- وكـان للـدِّين القـويمِ ناصـرًا فَــصَار منَّــا باطنًــا وظــاهرًا

٩٣- فكُـلُّ زِنْـديق وكُـلُّ مـارِق وجَاحِــد ومُلحــد مُنــافق

٩٤- إذا اسْـتَبَانَ نُـصحُه للـدِّين فإنَّــه يُقبَــل عَــن يَقِــين

فصل

في الكلام عن الإيمان

٩٥- إيمانُنـا قـولٌ وقـصدٌ وعمـلٌ تزيــدُه التقــوى ويــنقص بالزَّلَــلْ

٩٦- ونحـــنُ في إيمانِنَــا نَــسْتَثْنِي   مــن غيــر شــكٍّ فَاسْــتَمِعْ واسْــتَبِنِ

٩٧- نُتـابع الأخيـارَ مِـن أهـلِ الأثـرْ   ونَقْتَفــى الآثــارَ لا أَهْــلَ الأَشَــرْ

٩٨- ولا تَقُــل إيمانُنــا مخلــوقُ   ولا قـــديمٌ هكـــذا مطلـــوقُ

٩٩- فإنـــه يـــشملُ للـــصلاةِ   ونحوِهــا مــن ســائرِ الطاعــات

١٠٠- ففعلُنا نحوَ الركوع مُحدَثُ   وكـــلُّ قـــرآنٍ قـــديمٌ فـــابحثوا

١٠١- ووكَّــلَ الله مــن الكــرامِ   اثْنـــين حـــافظينِ للأنـــامِ

١٠٢- فيكتبـانِ كـلَّ أفعـالِ الـوَرَى   كَمَـا أَتَـى في الـنَّصِّ مـن غيـرِ امْتِـرَا

الباب الرابع
ذكر البرزخ والقبور، وأشراط الساعة، والحشر والنشور

١٠٣- وكُـلُّ مـا صـحَّ مـنَ الأخبـارِ   أو جــاءَ في التَّنْزيــلِ والآثــارِ
١٠٤- مِـن فِتنَـةِ البَـرزَخِ والقُبـورِ   ومَــا أَتَــى في ذَا مِــنَ الأمــورِ
١٠٥- وأنَّ أرواحَ الـوَرَى لَـم تُعْـدَمِ   مَــعْ كَوْنِهــا مَخلوقَــةً فاسْــتَفهِمِ
١٠٦- فكُلُّ ما عَنْ سَيِّدِ الْخَلقِ وَرَد   مِـنْ أمـرِ هـذا البـابِ حـقٌّ لا يُـرد

فصل
في أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ومجيئها

١٠٧- وَمَا أَتَى في النَّصِّ مِنْ أَشرَاطِ   فكلُّــهُ حَــقٌّ بــلَا شِــطاطِ
١٠٨- مِنهَا الإمَامُ الخَاتَمُ الفَصيحُ   مُحمَّــدُ الْمَهــدِيُّ وَالمَســيحُ
١٠٩- وَأَنَّــه يَقتُــلُ الــدَّجَّال   ببَــابِ لُــدٍّ خَــلِّ عَــن جِــدالِ
١١٠- وَأَمْرُ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ اثْبِتِ   فإِنَّــهُ حَــقٌّ كَهَــدْمِ الكَعْبَــةِ
١١١- وَأَن مِنْهَــا آيَــةُ الــدُّخانِ   وَأَنــهُ يُــذهَبُ بالْقُــرْآنِ
١١٢- طُلُوعُ شَمسِ الْأُفقِ مِن دَبورِ   كــذَاتِ أَجيَــادٍ عَلَــى الْمَشْهُورِ
١١٣- وَآخِـرُ الْآيَـاتِ حَـشْرُ النَّـارِ   كَمَــا أَتَــى فِــي مُحكَـمِ الْأَخْبَـارِ
١١٤- فَكُلُّهَـا صَـحَّت بِهَـا الْأَخْبَـارُ   وَسطَّــرَتْ آثارَهَــا الأخيــارُ

فصل
في أمر المعاد

١١٥- واجـزِمْ بـأمرِ البَعـثِ والنُّشورِ والحـشرِ جَزمـًا بعـدَ نفـخِ الـصُّورِ

١١٦- كـذا وُقـوفُ الخلـقِ للحِساب والـصُّحفِ والْميـزانِ للثَّـوابِ

١١٧-كَذا الصِّراطُ ثم حَوضُ المُصطفى فَيـا هَنَـا لمـن بـهِ نَـالَ الـشِّفا

١١٨- عنـه يُـذَادُ المُفتـري كمـا وَرَدْ ومـن نَحَـا سُـبُلَ الـسلامةِ لـم يُـرَد

١١٩- فَكُنْ مطيعًا واقْفُ أهْلَ الطاعة في الحَـوْضِ والكـوثرِ والـشَّفَاعَة

١٢٠- فإنهـا ثابتـةٌ للمُـصطفى كغيـره مـن كُـلِّ أربـاب الوَفـا

١٢١- مـن عـالمٍ كالرُّسـلِ والأبـرارِ سـوى التـي خـصَّت بـذي الأنـوَار

١٢٢- وكـلُّ إنـسان وكـل جِنَّـةِ في دار نـار أو نعـيمِ جَنَّـةِ

١٢٣- هُما مصيرُ الخلق من كلِّ الورى فالنـارُ دارُ مـن تَعـدى وافتـرى

١٢٤- ومَـن عَـصى بِذَنبِـهِ لَـم يَخْلُـدِ وإنْ دَخَلَهـا يـا بَـوارَ الْمُعتَـدِي

١٢٥- وجَنَّـةُ النَّعـيمِ لِلأبـرارِ مَـصونَةٌ عَـن سـائِرِ الكُفَّـارِ

١٢٦- واجـزِمْ بِـأَنَّ النَّـارَ كالْجَنَّةِ فِـي وُجُودِهـا وأَنَّهـا لَـم تَتْلَـفِ

١٢٧- فنَـسألُ اللهَ النَّعـيمَ والنَّظَـر لِرَبِّنـا مِـن غَيْـرِ مـا شَـيْنٍ غَبَـر

١٢٨ - فإنَّــــهُ يُنظَـــرُ بِالأبــــصارِ كَمــا أتــى فِــي الــنَّصِّ والأخبــارِ

١٢٩ - لأنَّــهُ سُــبحانَهُ لَــم يُحجَــبِ إلَّا عَـــن الكـــافِرِ والْمُكَـــذِّبِ

الباب الخامس
في ذكر النبوة ومتعلقاتها

١٣٠ – ومـن عَظِـيمِ منَّـةِ الـسلامِ ولطفـــــهِ بـــــسائر الأنــــامِ
١٣١ – أن أرشَـد الخلق إلى الوصولِ مبينًـــا للحــــقِّ بالرســـولِ
١٣٢ – وشــرطُ مــن أُكــرمَ بــالنبوةِ حريـــــةٌ ذكـــــورةٌ كقـــوةٍ
١٣٣ – ولا تُنــالَ رتبـــةُ النبـــوةِ بالكـــسبِ والتهـــذيبِ والفتـــوة
١٣٤ – لكنها فضلٌ من المولى الأجلْ لمـن يَـشا مـن خلقـهِ إلـى الأجـلْ
١٣٥ – ولـم تـزل فيمـا مـضى الأنبـاءُ مـــن فـــضلهِ تـــأتي لمـــن يـــشاء
١٣٦ – حتى أتى بالخاتم الذي ختم بـــه وأعلانـــا علـــى كـــلّ الأمـــم

فصل
في التنبيه على بعض خصائصه وهي كثيرة جدًّا

١٣٧ – وخـــصَّه بـــذاكَ كالمقـــامِ وبعثـــــهِ لـــــسائرِ الأنـــــامِ
١٣٨ – ومَعجـزِ القـرآنِ كـالمعراجِ حقًّـــا بـــلا مَـــيْنٍ ولا اعوجـــاجِ
١٣٩ – فكـم حبـاه ربُّـهُ وفـضَّلَه وخــــصَّهُ ســـــبحانهُ وخوَّلَــــه

فصل
في التنبيه على بعض معجزاته ﷺ

١٤٠ – ومعجــزات خــاتم الأنبيــاء كثيـــرة تجـــلُّ عـــن إحـــصاءِ

١٤١ - منها كـلامُ الله معجـزُ الـورى   كـذا انـشقاقُ البـدر مـن غيـر امتـرا

فصل

في ذكر فضيلة نبينا وأُولي العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين

١٤٢ - وأفضلُ العالَمِ مِن غَيرِ امتِرا   نَبِيِّنَا الْمَبعوثُ فِي أمِّ القُرى

١٤٣ - وبَعدَهُ الأفضَلُ أهلُ العَزمِ   فالرُّسْلُ ثُمَّ الأنْبِيا بِالْجَزمِ

فصل

فيما يجب للأنبياء وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم

١٤٤ - وإنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنهُمْ سَلِمْ   مِن كُلِّ ما نَقصٍ ومِن كُفرٍ عُصِمْ

١٤٥ - كذاكَ مِن إفكٍ ومِن خِيانَةِ   لِوَصفِهِم بالصِّدقِ والأمانَةِ

١٤٦ - وجائزٌ في حقِّ كُلِ الرُّسْلِ   النَّومُ والنِّكاحُ مثلَ الأكْلِ

فصل

في ذكر الصحابة الكرام

١٤٧ - وليسَ في الأُمَّةِ بالتَّحقيقِ   في الفَضلِ والمعروفِ كالصِّدِّيقِ

١٤٨ - وبعدَهُ الفاروقُ مِن غيرِ افتِرا   وبعدَهُ عُثمانُ فاترُكِ الْمِرا

١٤٩ - وبعدُ فالفَضلُ حَقيقًا فاسْمَعِ   مِنِّيْ نِظامِي للبَطِينِ الأنزَعِ

١٥٠ - مُجَدِّلِ الأبطالِ ماضي العَزمِ   مُفَرِّجِ الأوجالِ وافِي الْحَزمِ

١٥١ - وَافِي النَّدَى مُبْدِي الهُدَى مُردِي العِدَىٰ   مُجلِي الصَّدَى يا وَيلَ مَنْ فِيهِ اعْتَدَى

١٥٢- فحُبُّهُ كَحُبِّهِم حَتماً وَجب ... ومَنْ تَعَدَّى أو قَلَى فَقد كَذَب

١٥٣- وبعدُ فالأفضَلُ باقي العَشَرَهْ ... فأهلُ بَدرٍ ثُمَّ أهلُ الشَّجَرَهْ

١٥٤- وقيلَ أهلُ أُحُدٍ الْمُقَدَّمَه ... والأوّلَ أوْلَى للنُّصوصِ الْمُحكَمَه

١٥٥- وَعائِشَهْ فِي العِلمِ مَعْ خديجَه ... فِي السَّبْقِ فافهَم نُكْتَةَ النَّتِيجَهْ

فصل

في ذكر الصحابة الكرام وبيان مزاياهم على غيرهم والتعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل وتقبيح من آذاهم

١٥٦- وَلَيْسَ فِي الأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ ... فِي الفَضْلِ وَالمَعْرُوفِ وَالإِصَابَةِ

١٥٧- فَإِنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا الْمُخْتَارَ ... وَعَايَنُوا الأَسْرَارَ وَالأَنْوَارَ

١٥٨- وَجَاهَدُوا فِي اللهِ حَتَّى بَانَا ... دِينُ الهُدَى وَقَدْ سَمَا الأَدْيَانَا

١٥٩- وَقَدْ أَتَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ ... مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي لِلغَلِيلِ

١٦٠- وَفِي الأَحَادِيثِ وَفِي الآثَارِ ... وَفِي كَلامِ القَوْمِ وَالأَشْعَارِ

١٦١- مَا قَدْ رَبَا مِنْ أَنْ يُحِيطَ نَظْمِي ... عَنْ بَعْضِهِ فَاقْنَعْ وَخُذْ عَنْ عِلْمِي

١٦٢- وَاحْذَرْ مِنَ الخَوْضِ الَّذِي قَدْ يُزْرِي ... بِفَضْلِهِمْ مِمَّا جَرَى لَوْ تَدْرِي

١٦٣- فَإِنَّهُ عَنِ اجْتِهَادٍ قَدْ صَدَرْ ... فَاسْلَمْ أَذَلَّ اللهُ مَنْ لَهُمْ هَجَرْ

١٦٤- وَبَعْدَهُمْ فَالتَّابِعُونَ أَحْرَى ... بِالفَضْلِ ثُمَّ تَابِعُوهُمْ طُرَّا

فصل

في ذكر كرامات الأولياء وإثباتها

١٦٥ - وَكُلُّ خَارِقٍ أَتَى عَنْ صَالِحِ ... مِنْ تَابِعٍ لِشَرْعِنَا وَنَاصِحِ

١٦٦ - فَإِنَّهَا مِنَ الكَرَامَاتِ الَّتِي ... بِهَا نَقُولُ فَاقْفُ لِلأَدِلَّةِ

١٦٧ - وَمَنْ نَفَاهَا مِنْ ذَوِي الضَّلالِ ... فَقَدْ أَتَى فِي ذَاكَ بِالمُحَالِ

١٦٨ - لِأَنَّهَا شَهِيرَةٌ وَلَمْ تَزَلْ ... فِي كُلِّ عَصْرٍ يَا شَقَا أَهْلِ الزَّلَلْ

فصل

في المفاضلة بين البشر والملائكة

١٦٩ - وَعِنْدَنَا تَفْضِيلُ أَعْيَانِ البَشَرْ ... عَلَى مَلاكِ رَبِّنَا كَمَا اشْتُهِرْ

١٧٠ - قَالَ وَمَنْ قَالَ سِوَى هَذَا افترى ... وَقَدْ تَعَدَّى فِي المَقَالِ وَاجْتَرَا

الباب السادس
في ذكر الإمامة ومتعلقاتها

١٧١- وَلا غِنَــى لأُمَّــةِ الإِسْــلامِ فِــي كُــلِّ عَــصْرٍ كَــانَ عَــنْ إِمَــامِ
١٧٢- يَـذُبُّ عَنْهَـا كُـلَّ ذِي جُحُـودِ وَيَعْتَنِــي بِــالغَزْوِ وَالحُــدُودِ
١٧٣- وَفِعْـلُ مَعْـرُوفٍ وَتَـرْكُ نُكْـرِ وَنَــصْرُ مَظْلُــومٍ وَقَمْــعُ كُفْــرِ
١٧٤- وَأَخْـذُ مَـالِ الفَـيْءِ وَالخَـرَاجِ وَنَحْــوُهُ وَالــصَّرْفُ فِــي مِنْهَــاجِ
١٧٥- وَنَـصْبُهُ بِـالنَّصِّ وَالإِجْمَـاعِ وَقَهْــرُهُ فَحُــلَّ عَــنِ الخِــدَاعِ
١٧٦- وَشَـرْطُهُ الإِسْـلامُ وَالحُرِّيَّـةْ عَدَالَــةٌ سَــمْعٌ مَــعَ الدِّرِيَّــةْ
١٧٧- وَأَنْ يَكُـونَ مِـنْ قُـرَيْشٍ عَالِمًـا مُكَلَّفًــا ذَا خِبْــرَةٍ وَحَاكِمًــا
١٧٨- فَكُـنْ مُطِيعًـا أَمْـرَهُ فِيمَـا أَمَـرْ مَــا لَــمْ يَكُــنْ مُنْكَــرًا فَيُحْـذَرْ

فصل
في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١٧٩- وَاعْلَمْ بِأَنَّ الأَمْـرَ وَالنَّهْـيَ مَعَـا فَرْضَـا كِفَايَـةٍ عَلَـى مَـنْ قَـدْ وَعَـى
١٨٠- وَإِنْ يَكُــنْ ذَا وَاحِـدًا تَعَيَّنَـا عَلَيْــهِ لَكِــنْ شَــرْطُهُ أَنْ يَأْمَنَــا
١٨١- فَاصْـبِرْ وَزِلْ بِاليَـدِ وَاللِّسَـانِ لِمُنْكَــرٍ وَاحْــذَرْ مِــنَ النُّقْــصَانِ
١٨٢- وَمَنْ نَهَى عَمَّا لَهُ قَدِ ارْتَكَبْ فَقَـدْ أَتَــى بِمَـا يَقْتَـضِي العَجَـبْ
١٨٣- فَلَــوْ بَــدَا بِنَفْـسِهِ فَـذَادَهَا عَــنْ غَيِّهَــا لَكَــانَ قَــدْ أَفَادَهَــا

الخاتمة

١٨٤ - مَـدَارِكُ العُلُـومِ فِـي العِيَـانِ ... مَحْصُـورَةٌ فِـي الحَـدِّ وَالبُرْهَـانِ

١٨٥ - وَقَالَ قَوْمٌ عِنْدَ أَصْحَابِ النَّظَرِ ... حُسْنٌ وَإِخْبَارٌ صَحِيحٍ وَالنَّظَرِ

١٨٦ - فَالحَدُّ وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ عِلْمٍ ... وَصْفٌ مُحِيطٌ كَاشِفٌ فَافْتَهِمُ

١٨٧ - وَشَرْطُهُ طَرْدٌ وَعَكْسٌ وَهُوَ إِنْ ... أَنْبَا عَنِ الذَّوَاتِ فَالتَّامَّ اسْتَبِنْ

١٨٨ - وَإِنْ يَكُنْ بِالجِنْسِ ثُمَّ الخَاصَّةْ ... فَذَاكَ رَسْمٌ فَافْهَمِ المَخَاصَّةْ

١٨٩ - وَكُلُّ مَعْلُومٍ بِحِسٍّ وَحِجَا ... فَنُكْرُهُ جَهْلٌ قَبِيحٌ فِي الهِجَا

١٩٠ - فَإِنْ يَقُمْ بِنَفْسِهِ فَجَوْهَرٌ ... أَوْ لا فَذَاكَ عَرَضٌ مُفْتَقِرٌ

١٩١ - وَالجِسْمُ مَا أُلِّفَ مِنْ جُزْأَيْنِ ... فَصَاعِدًا فَاتْرُكْ حَدِيثَ المَيْنِ

١٩٢ - وَمُسْتَحِيلُ الذَّاتِ غَيْرُ مُمْكِنِ ... وَضِدُّهُ مَا جَازَ فَاسْمَعْ زُكَنِي

١٩٣ - وَالضِّدُّ وَالخِلافُ وَالنَّقْضُ ... وَالمِثْلُ وَالغَيْرَانِ مُسْتَفِيضُ

١٩٤ - وَكُلُّ هَذَا عِلْمُهُ مُحَقَّقْ ... فَلَمْ نُطِلْ بِهِ وَلَمْ نُنَمِّقْ

١٩٥ - وَالحَمْدُ للهِ عَلَى التَّوْفِيقِ ... لِمَنْهَجِ الحَقِّ عَلَى التَّحْقِيقِ

١٩٦ - مُسَلِّمًا لِمُقْتَضَى الحَدِيثِ ... وَالنَّصِّ فِي القَدِيمِ وَالحَدِيثِ

١٩٧ - لا أَعْتَنِي بِقَوْلِ غَيْرِ السَّلَفِ ... مُوَافِقًا أَئِمَّتِي وَسَلَفِي

١٩٨ - وَلَسْتُ فِي قَوْلِي بِذَا مُقَلِّدَا ... إِلَّا النَّبِيَّ المُصْطَفَى مُبْدِي الهُدَى

١٩٩- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا قَطْرٌ نَزَلْ وَمَا تَعَالَى ذِكْرُهُ مِنَ الأَزَلْ
٢٠٠- وَمَا انْجَلَى بِهَدْيِهِ الدَّيْجُورْ وَرَاقَتِ الأَوْقَاتُ وَالدُّهُورْ
٢٠١- وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلِ الوَفَا مَعَادِنِ التَّقْوَى وَيَنْبُوعِ الصَّفَا
٢٠٢- وَتَابعٍ وَتَابِعٍ لِلتَّابِعِ خَيْرِ الوَرَى حَقًّا بِنَصِّ الشَّارِعِ
٢٠٣- وَرَحْمَةُ اللهِ مَعَ الرُّضْوَانِ وَالبِرِّ وَالتَّكْرِيمِ وَالإِحْسَانِ
٢٠٤- نُهْدِي مَعَ التَّبْجِيلِ وَالإِنْعَامِ مِنِّي لِمَثْوَى عِصْمَةِ الإِسْلامِ
٢٠٥- أئِمَّةِ الدِّينِ هُداةِ الأُمَّةِ أهلِ التُّقَى مِنْ سائِرِ الأَئِمَّةِ
٢٠٦- لا سِيَّما أَحْمَدُ والنُّعمانُ ومالِكٌ مُحَمَّدُ الصِّنوانُ
٢٠٧-من لازم لكل أَرْبَاب الْعَمَل تَقْلِيدُ حَبْرٍ مِنْهُم فاسْمَعْ تُخَلْ
٢٠٨- وَمَنْ نَحَا لِسُبْلِهِمْ مِنَ الوَرَى مَا دَارَتِ الأَفْلاكُ أَوْ نَجْمٌ سَرَى
٢٠٩- هَدِيَّةٌ مِنِّي لأَرْبَابِ السَّلَفِ مُجَانِبًا لِلخَوْضِ مِنْ أَهْلِ الخَلَفِ
٢١٠- خُذْهَا هُدِيتَ وَاقْتَفِ نِظَامِي تَفُزْ بِمَا أَمَّلْتَ وَالسَّلامِ

أحمر أسود (٤٢)

ثناء صاحب النظم على الله تعالى ورسوله، وثناؤه على الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ - الْحَمْـــدُ للهِ الْقَــدِيم الْبَــاقي مُقَــــدِّر الآجَـــــالِ وَالأَرْزاقِ

الشرح

معنى الحمد في كلام العَرب: الثناءُ الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد، فهو سُبحانه يستحق الحمد بأجمعه؛ إذ له الأسماء الحسنى والصفات العلا...[1].

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الحمدُ يتضمن مدحَ المحمود بصفات كماله ونُعوت جلاله مع محبته والرضا عنه، والخضوع له، فلا يكونُ حامدًا مَن جَحَد صفات المحمود، ولا مَن أعرض عن محبته والخضوع له، ولهذا كان الحمدُ كله لله[2].

الفرق بين الحمد والشكر:

الحمدُ: أعم من الشكر من جهة المتعلق، لأنَّ مُتعلقه الفواضل، والفضائل، فيكون على المحاسن والإحسان، أما الشكر فيكون على الإحسان فقط، فهو أخص من الحمد من جهة المتعلق.

قال الكفوي رَحِمَهُ اللَّهُ: الفضائلُ: هي المزايا غير المتعدية، والفواضل: هي المزايا المتعدية... والمرادُ بالمتعدية التعلق، كالإنعام، أي إعطاء النعمة وإيصالها إلى الغير، لا الانتقال[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٤٨).

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ٤٢).

(٣) الكليات للكفوي (ص: ٥٧٦).

فالفواضل: الصفاتُ المتعدية، كالكرم.

والفضائل: الصفاتُ اللازمة، كالجمال وجودة الذهن ونحو ذلك، فالحمد أخص من جهة المورد، لأنَّ مورده اللسان والجنان فقط، والشكر[1] أعم من جهة المورد، لأنَّ مورده اللسان والجنان والأركان...

والشكر أخص من جهة المتعلق؛ لأنَّ مُتعلقه الصفات الفواضل فقط، قاله ابن مانع.

ويرى بعض العلماء أن الحمد والشكر شيء واحد، ومن هؤلاء العلماء ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد اعترض على هذا القول ابن كثير وغيره.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان، كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المُحَجَّبا[2]

وقوله «لله»:

واللام تكون للإضافة، وتكون للاستحقاق، يقال: أكْل للدابة، والدار لزيد، فاللام هنا بمعنى الاستحقاق، كأنه يقول: المستحق للحمد هو الله تعالى.

وإن شئنا قلنا: إنها للاستحقاق؛ لأنَّ الله تعالى مُستحِقٌّ للحَمد،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ١٣٣-١٣٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٢).

وللاختصاص؛ لأنّ المحامد كلها لا تكونُ إلا لله وحده فقط[١].

وقوله: «القديم»:

القديم في اللغة: يُطلق على الموجود الذي لا يكونُ وجوده من غيره، وهو القديم بالذات[٢]، ويطلق القديم على الموجود الذي ليس وجودُهُ مسبوقًا بالعدم[٣].

فالقديم: هو المتقدِّم على غيره مُطلقًا، فقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد].

ومن أدعية رَسُول الله ﷺ: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»[٤].

و«شيء»: نكرة في سياق النفي؛ فتعم كل شيء، فهو قبل كُل شيء مُطلقًا بلا تقييد، فتشمل كل ما هو غير الله سبحانه وتعالى، يعني من جميع المخلوقات، فهو سبحانه أول بلا مبتدأ وآخر بلا مُنتهى.

هل القديمُ من أسماء الله تعالى؟

القديمُ ليس من أسماء الله جل في علاه، وذلك لأمور نذكرها:

---

(١) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (١/ ٣٥-٣٦).

(٢) القديم بالذات والصفات، لأنّ المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة وأشباه هؤلاء حينما يُطلقون القدم يُريدون به قدم الذات، وأما قدم الصفات فهذا فيه تفصيل عندهم. انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/ ٢٧٥).

(٣) التعريفات للجرجاني (٢٢٢). وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٢٦٩).

(٤) أخرجه مُسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الأول: أنَّ أسماءَ الله تعالى توقيفية، لا مجالَ للعقل فيها، أي لا مجالَ للاجتهاد، فعقولُ البشر قاصرة وعاجزة عن معرفة أسمائه سُبحانه وتعالى، فلا نُثبتُ اسمًا لله إلا بنص من الكتاب أو السنة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء]، وقال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

وهذا اعتقادُ أهل السنة والجماعة قاطبة.

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولما كانت معرفة أسمائه توقيفية لا تُعْلم إلا من طريق الوحي والسنة، ولم يكن لنا التصرف فيها بما لم يهتد إليه مبلغ علمنا ومنتهى عقولنا؛ نُهينا عن إطلاق ما لم يرد به توقيف[(١)].

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ما يُطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي... فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيرًا بمرادف محض، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم.. فله من صفات الإدراكات: العليم الخبير، دون العاقل الفقيه، والسميع البصير، دون السامع والباصر والناظر... وكذلك الكريم، دون السخي، والخالق البارئ المصور، دون الفاعل الصانع المشكل، والعفو، دون الصفوح الساتر، وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسه

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ٤٧٩).

منها أكملها وأحسنها، ولا يقوم غيره مقامه[١].

الثاني: أسماءُ الله تعالى كلها حُسْنى، كما وصَفها الله تعالى في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠] والقديمُ ليس بحَسَن من كُل وجه.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: سَمَّى الله سُبحانه أسماءه بالحسْنى؛ لأنها في الأسماع والقلوب، فإنها تدُل على توحيده وكرمه وجُوده ورحمته وإفضاله[٢].

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وكذلك أسماء الرب تعالى كلها أسماء مدح، فلو كانت ألفاظًا مجردة لا مَعاني لها تدُلّ على المدح، وقد وصفها الله سبحانه بأنها حُسنى كلها.. وذكر الآية، ثم قال: فهي لم تكن حُسنى لمجرد اللفظ، بل لدلالتها على أوصاف الكمال[٣].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ **في نونيته:**

أسماؤُه أوصافُ مدح كلُّها مشتقة قد حُمِّلت لمعان[٤]

أما القديم: فليس بحسَن من كل وجه، فقد قال تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩﴾ [يس].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: والعرجون القديم هو عذق النخلة الذي يلتوي

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٤٧-١٥٢) باختصار.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣١٠).

(٣) بدائع التفسير (٢/ ٣١٧).

(٤) شرح النونية لجمع من العلماء (٢/ ٢٥١).

إذا تقدم به العهد، ولا شك أنه حادث وليس أزليًّا، والحدوث نقص، وأسماء الله تعالى كلها حسنى، لا تحتمل النقص بأي وجه. فتبين بذلك أن تسمية الله بالقديم لا تجوز بدليل عقلي وبدليل سمعي، وساق الأدلة كما ذكرنا.. إلى أن قال: إذًا تسمية الله بالقديم مما يؤخذ على المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

تنبيه:

١- يجوز أنْ يُطلق على الله تعالى: «القديم» من باب الإخبار عنه سبحانه، إذا احتيج لذلك.

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعامة النظار يُطلقون ما لا نصَّ في إطلاقه ولا إجماع، كلفظ القديم والذات(٢) ونحو ذلك، ومن الناس من يَفصل بين الأسماء التي يُدعى بها، وبين ما يُخبر به عنه للحاجة، فهو سبحانه إنما يُدعى بالأسماء الحسنى، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه، مثل أنْ يُقال: ليس هو قديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك، فقيل في تحقيق الإثبات بل هو -سبحانه- قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل ليس بشيء، فقيل: بل هو شيء، فهذا سائغ، وإن كان لا يُدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح، كقول القائل: يا شيء إذا كان هذا لفظًا يعم كل موجود،

---

(١) شرح السفارينية (ص: ٦٩-٧٠).

(٢) لفظ «الذات» جاء في حديث أبي هُريرة الذي أخرجه البخاري (٣٣٥٧)، ومُسلم (٢٣٧١) وفيه: «**لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل**».

وكذلك لفظ «ذات وموجود» ونحو ذلك[(١)].

٢- إذا جاز إطلاقُ اسم القديم على الله تعالى من باب تحقيق الإثبات فلا بد من توضيح، فنقول كما قال صاحبُ الطحاوية: «قديمٌ بلا ابتداء». أي: أنَّ صفات الله تعالى قائمة بذاته، وهي قديمة، احترازًا من قول المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة ومَن وافقهم أنَّ القدمَ قدمُ الذات، أما الصفات فلهم فيها تفصيل، وهذا مخالفٌ لإجماع أهل السنة.

وقوله: «الباقي»:

ذكر الناظمُ «الباقي» على أنه من أسماء الله تعالى. وحُجة من عَدّ «الباقي» من أسماء الله الحسنى: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن].

قال الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل معنى الباقي: الدائمُ الموصوفُ بالبقاء الذي لا يستولي عليه الفناء، وليست صفة بقائه ودوامه كبقاء الجنة والنار، وذلك أنّ بقاءه أبدي أزلي، وبقاءُ الجنة والنار أبدي غير أزلي، فالأزلي ما لم يزل، والأبدي ما لا يزالُ، والجنة والنار كائنتان بعد أنْ لم تكونا[(٢)].

هل «الباقي» من أسماء الله تعالى؟

للعُلماء مناهج ساروا عليها في جمع أسماء الله الحسنى، وهذا بابٌ يحتاج إلى شرح طويل، وقد بسطتُ المسألة في موضع آخر[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/ ٣٠١).

(٢) الحجة في بيان المحجة (ص: ٤٤).

(٣) راجع إن شئت: كتابي «الدرر البهية» باب: توحيد أسماء الله تعالى.

وقد ذهب فريقٌ من العُلماء الذين اعتنوا بجمع أسماء الله الحسنى إلى أنَّ «الباقي» من أسماء الله تعالى، منهم: جعفر الصادق، الخطَّابي، ابن مَنده، الحليمي، البيهقي، الأصبهاني، ابن العربي، القرطبي، وغيرهم[(١)]، فأخذوا اسم «الباقي» بالاشتقاق من قوله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن].

ومن العُلماء من قال: إنه ليس اسمًا لله تعالى، وإنما هو صفةٌ من صفاته، ومنهم ابن الوزير، وابن حجر العسقلاني، وابن عُثيمين، وغيرهم[(٢)].

وقوله: «مُقدرِ الآجالِ والأرزاقِ»:

مُقدِّر: أي جَاعلٌ لها قدرًا معلومًا.

الآجال: جمع أجَل، والأجلُ: المدةُ المضرُوبةُ للشيءِ، قال تعالى: ﴿وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى﴾ [غافر: ٦٧]، ويُقال: دَينه مُؤجلٌ، وقد أجلتُهُ: جَعَلتُ له أجَلًا، ويُقال للمُدة المضروبة لحياة الإنسان: أجَل، فيُقال: دنا أجلُهُ،

---

(١) راجع على الترتيب جمع هؤلاء العلماء لأسماء الله تعالى- جمع جعفر الصادق ذكره الحافظ في الفتح (١١/ ٢١٧)، شأن الدعاء للخطابي (٨٤-١٨٠)، التوحيد لابن منده (١٣٣-٢٤٠)، المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ١٨٨-٢٠٩)، والأسماء والصفات للبيهقي (ص: ٢٣ - ١١٨)، والحجة في بيان المحجة للأصبهاني (ص: ٣٧)، وأحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٧٠-٣٨٢)، وشرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١/ ٦١) وما بعدها.

(٢) راجع على الترتيب جمع هؤلاء العلماء لأسماء الله الحسنى: جمع ابن الوزير في إيثار الحق على الخلق (ص: ١٧١-١٧٢)، وجمع ابن حجر العسقلاني كما في فتح الباري (١١/ ٢١٩)، وجمع ابن عثيمين في القواعد المثلى (ص: ٢١).

عبارة عن دُنُوِّ الموت، وأصله: استيفاء الأجَل، أي مُدة الحياة[١].

فكُل إنسان أجَله مُقدَّرٌ. قال سُبْحانه: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يونس].

الأرزاق: جمعُ رزق، وهو: ما ينتفع به الإنسان في حياته، فهو عَطاءٌ من الله سبحانه، فالمالُ رزقٌ، والطعامُ والشرابُ رزقٌ، والسكنُ والزوجة، فالرزقُ من الله سبحانه، قال جَلّ في عُلاه: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ [الملك: ٢١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات] وهذا لا يُنافي الأخْذَ بالأسباب لجلب الرزق، فالاعتمادُ على الأسباب شركٌ، وتركُ الأسباب قَدْحٌ في الشَّرع، كما قال العُلماءُ، فلا بُد من الاثنين معًا. والله سُبحانه يرزقُ العبادَ بمقتضى حِكْمته، فمن العبادِ مَن يُصلحه المالُ، ومنهم مَن يُصلحه الفقرُ، فهو سُبحانه العليمُ الخبير الحكيم.

---

(١) المفردات للأصفهاني (ص: ١٣).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢ - حَـــيٌّ عَلِـــيمٌ قَـــادِرٌ مَوْجُـــودُ   قَامَـــتْ بِـــهِ الأَشْـــيَاءُ وَالْوُجُـــودُ

الشرح

قوله «حيّ»:

الحيّ: من أسماء الله الحسنى التي اتفق جميعُ العُلماء الذين اعتنوا بجمع الأسماء على أنه من أسماء الله تعالى، وقد جاء في قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي قوله: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**»[١].

قال الخطَّابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض شرحه اسم الله «الحي»:

هو الذي لم يزل موجودًا، وبالحياةِ موصوفًا، لم تحدُث له الحياةُ بعد موتٍ، ولا يعترضه الموتُ بعد الحياة، وسائرُ الأحياء يَعتَورُهم الموتُ أو العَدَمُ في أحَد طرفي الحياة أو فيهما معًا، و﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨][٢].

قوله «عليم»:

العليمُ: من أسماء الله الحسنى، وقد اتفق العُلماءُ على أنه اسْمٌ لله جَلّ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) شأن الدعاء (ص: ١٥٤).

في عُلاه، فهو سُبحانه يعلم السرَّ وأخفَى، ويعلمُ ما كان وما هو كائنٌ وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكونُ، والعلم صفة من صفاته سبحانه(١).

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التحريم]، وقال سُبحانه: ﴿ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٣﴾ [لقمان]، وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾ [النساء]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ [يس]، وقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٩٧﴾ [المائدة]، وقال: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه]، وقال: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٦١].

وفي الصحيحين عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ الخضر قال لموسى عليهما السلام: «**إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لاَ أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللهُ لاَ تَعْلَمُهُ**»(٢).

قال الخطّابي رَحِمَهُ اللَّهُ: هو العالمُ بالسرائرِ والخفياتِ التي لا يُدركُها عِلمُ الخلق.. والآدميون- وإنْ كانوا يوصفون بالعلم- فإنَّ ذلك ينصرفُ منهم إلى نوع من المعلومات دون نوع، وقد يُوجَدُ ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضُهمُ الآفاتُ، فيخلُفُ علمهم الجهل، ويعقب ذكرهمُ النسيان، وقد تجدُ الواحدَ منهم عالمًا بالفقه غير عالم بالنحو، وعالمًا بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلمُ الله – سبحانه- علمُ حقيقةٍ

---

(١) وسيأتي بيان ذلك في معرض الكلام عن صفات الله تعالى.
(٢) أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

وكمالٍ، ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾ [الطلاق]، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٨﴾ [الجن][١].

وقوله «قادرٌ»:

القدرة: صفةٌ من صفات الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ [البقرة].

والقادر: من أسماء الله تعالى عند جماهير العُلماء، وقد وَرَدَ مُقيدًا في قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وسيأتي شرح معنى الاسم قريبًا بإذن الله.

الفرق بين القدرة والقوة:

والقدرة: إظهارُ الشيء من غير سَبب ظاهر، ذكره الحَرَّالِي.

وقال ابنُ الكَحَّال: الصفة التي يتمكن بها الحي من الفعل وتركه بالإرادة[٢].

والقوة: القوة تُستعمَل في معنى القدْرَة، نحو قوله: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣] ويُستعمَل ذلك في البدن تارة، وفي القلب أخرى، وفي المعاونة من خارج تارة، وفي القدْرَة الإلهية تارة.

ففي البدن، نحو قوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥] فالقوة ههنا قوة البدن، بدلالة أنه رغب عن القوة الخارجة، فقال: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥].

---

(١) شأن الدعاء (ص: ١٢٣).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٦٨).

وفي القلب، نحو قوله: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مريم: ١٢] أي بقوة القلب.

وفي المعاونة من خارج، نحو قوله: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾ [هود: ٨٠] قيل معناه: أتقوّى به من الجند، وما أتقوّى به من المال، ونحو قوله: ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ [النمل: ٣٣].

وفي القدرة الإلهية، نحو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾ [الحديد][1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات].

قوله «موجود»:

الموجود: ليس من أسماء الله ولا صفاته، ولكن يجوز أن يُستعمل اللفظ من باب الإخبار عن الله[2]، كما سبق بيان ذلك عند الكلام عن لفظ «القديم». فلا شك أن الله سبحانه موجود، فوجوده لا يسبقه عدم ولا يلحقه فناء.

وقوله: «قامت به الأشياءُ والوجودُ»:

اعلم أنَّ كُلَّ شيءٍ في الكون قائمٌ بقُدْرته سبحانه وتعالى، ومشيئته، فهو سبحانه وتعالى القائمُ بنفسه المقيمُ لغيره، فكُلُّ ما في الكون محتاجٌ إليه،

---

(١) المفردات للأصفهاني (٤٦٢-٤٦٣) باختصار.

(٢) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسائر صفاته كمال، وهذا الموجود الواجب بنفسه، وهذه الصفات لازمة لذاته، وذاته مستلزمة لها - منهاج السنة (٢/ ١٧٠)، وانظر: التدمرية (ص: ٦٢٥)، ومجموع الفتاوى (٦/ ١٤٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته؛ كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه - بدائع الفوائد (١/ ١٤٦).

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا بد أن نعتقد أنه موجود، وحق قائم بنفسه - شرح الطحاوية (ص: ٥١).

وهو الغني عن الخلق، وهذا معنى القيوم، فجميعُ الأشياء قامت بإيجاده وإعداده وإمداده.

قال ابنُ أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: فاعلم أنَّ أسبابَ الخير ثلاثة:

الإيجاد، والإعداد، والإمداد.

فإيجادُ هذا الخير، وهو إلى الله، وكذلك إعدادهُ وإمدادُه، فإذا لم يحدث فيه إعدادٌ ولا إمدادٌ حَصل فيه الشرُّ بسبب هذا العَدَمِ الذي ليس إلى الفاعل، وإنما إليه ضدَّه... فإيجاده خيرٌ، والشرُّ وقع من عدم إمداده.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: فكما أنه لا موجودَ إلا بإيجاده؛ فلا هدايةَ إلا بتعليمه، وذلك كُله من الأدلةِ على كَمال قُدْرته، وثبوت وحدانيته، وتحقيق ربوبيته، سبحانه وتعالى[(١)].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٤٣٢، ٤٢٤) باختصار.

قال صاحب النظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣ - دَلَّتْ عَلَى وُجُودِهِ الْحَوَادِثُ سُبْحَانَهُ فَهْوَ الحَكِيمُ الْوَارِثُ

الشرح

الحوادث: جمعُ حادث. والحدوثُ: كونُ الشيء بعد أن لم يكن - عَرَضًا[١] كان ذلك أو جوهرًا - وإحداثه إيجاده[٢].

فأراد المؤلفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنْ يستدل على وجُود الله عز وجل بإيجاد الحوادث، ولكنَّ الأدلة على وجود الله تعالى ليست قاصرة على إيجاد الحوادث، وإنما هي كثيرة، منها:-

أولاً: الأدلة السمعية:

مَن تأمل في مخلوقات الله تعالى علم أنّ لها خالقًا ولا بُد، فكل ما في الكون يدلُ على الواحد الأحد، فالآيات الكونية من أعظم الدلائل على وجود الله عز وجل، وقد دعا اللهُ سبحانه في كتابه العزيز إلى عبادةِ النظر والتأمل والتفكر في مخلوقاته، حتى يتبين لهم عظمة الخالق، فيزداد الذين آمنوا إيمانًا، وتقام الحجة على الجاحدِ والمعاند.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ

(١) العَرضُ: ما لا يكونُ له ثباتٌ، ومنه استعار المتكلمون العَرَضَ لما لا ثبات له إلا بالجوهر كاللون والطعم - المفردات (٣٦٤).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن (١٢١) مادة (حدث).

بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة].

وقال سبحانه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس].

وقال جل وعلا: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم].

قال الله سبحانه: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات] ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ [الطارق] قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن

تُبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الواقعة].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية].

ثانيًا: الأدلة العقلية:

قال الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور].

العقلُ الصريح لا يشك أنَّ كُلّ حادث لا بُد له من مُحْدثٍ، وكُلُّ الحوادث الذي أحدثها هو الله جَل في علاه.

قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتأمل هذا البرهان الباهر، بهذا اللفظ الوجيز الظاهر. فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلًا، يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب

أحمر أسود (٦٢)

بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه، إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه. فلا بد من أحد ثلاثة أمور:

إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره، من أدل دليل على أن مدبره إله واحد، وملك واحد، ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه(١).

قال أبو نواس:

تأمل في نباتِ الأرضِ وانظر ... إلى آثار مَا صَنعَ المليكُ

عيونٌ من لجين شَاخصات ... بأحداقٍ هي الذهبُ السبيكُ

عَلى قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

وسئل الأعرابي: ما الدليل على وجود الرب تبارك وتعالى؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟!

وسئل الشافعي عن وجود الصانع فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد

---

(١) شرح الطحاوية (ص: ٣٦).

تأكله الدود فيخرج منه الإبرسيم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الظباء فيخرج منه المسك وهو شيء واحد.

وقال ابن المعتز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فيَـا عَجَبًـا كيـفَ يُعْـصى الإلـــهُ أمْ كَيـفَ يجحَـدُهُ الجَاحِـدُ؟

وفي كُـلِّ شـيءٍ لَـه آيـةٌ تَـدُلُ علـى أنَّـهُ الوَاحِـدُ[1]

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: سَل المعطِّل الجاحد: ما تقولُ في دُولاب[2] دائر على نهرٍ قد أُحكمت آلاته، وأُحكم تركيبه، وقدرت أدواته أحسن تقدير وأبلغه بحيث لا يرى الناظرُ فيه خللًا في مادتهِ ولا في صورتهِ، وقد جُعل على حَديقة عظيمة فيها من كل أنواع الثمار والزرع يسقيها حاجتها، وفي تلك الحديقة مَن يلم شعثها ويحسن مراعاتها وتعهدها والقيام بجميع مصالحها فلا يختل منها شيء، ولا تتلف ثمارها، ثم يُقسم قيمتها عند الجذاذ على سائر المخارج.. أترى هذا اتفاقًا بلا صانع، ولا مختار، ولا مدبر؟؟...

ثم تأمّل الممْسك للسموات والأرض الحافظ لهما أن تزولا أو تقعا أو يتعطل بعض ما فيها، أفترى مَنْ الممْسك لذلك؟....[3].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣١١-٣١٢) بتقديم وتأخير.

(٢) الدُّولاب: هو ما يُديره الحيوان- الكليات للكفوي (ص: ٣٧٦).

الدولاب: بالضم ويُفتح: شكلٌ كالناعورة يُسقَى به الماء- القاموس المحيط (ص: ٧٦).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥) وما بعدها باختصار.

ثالثًا: دلالة الفطرة:

الفطرةُ السليمة التي لم تنحرف، تُقر بوجُود رب العالمين الواحد الأحد. قال جلّ ثناؤه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠].

وقد أخْرَج البخاري ومُسلم في صحيحيهما من حَديث أبي هُرَيْرَة أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**».

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠][١].

إذًا: الدليلُ على وجُود الله تعالى ليس الحوادث فقط، ولكن الأدلة السمعية والعقلية، وأدلة الفطرة، فكُلُّ ما في الكون يدلُّ على وجُود الله جل في علاه.

وقوله: «سبحانهُ فهو الحكيمُ الوارثُ»:

سُبحان: اسمُ عَلَم لمعنى البراءة، والتنزيه، بمنزلة عُثمان وعُمران، قاله ابن جني[٢].

والتسبيحُ: التنزيه، وسُبحان الله: معناه: تنزيهًا لله من الصاحبة والولد. وقيل: تنزيه الله تعالى عن كُل ما لا ينبغي له أنْ يُوصَف به[٣]. انتهى.

فالواجبُ على العبد أنْ يُنزه الله تعالى تنزيهًا مُطلقًا عن كل ما لا يليق

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٩) ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) لسان العرب (٤/ ٤٦٦).

(٣) المصدر السابق.

به، فيُنزهه عن اتخاذ الولد والصاحبة والشريك، وعن جميع خَلقه، فهو سُبحانه الخالق قبل الخلق، وكان ولم يكُن شَيءٌ، فكيف يحتاجُ إلى مَن كان عدمًا؟

فنزِّهْه عن مُماثلةِ أحَدٍ من خَلقه، فليس كمثله شيءٌ، لا في أسمائه ولا صفاته ولا أفعاله، وسيأتي تفصيل ذلك في مَوضعه بإذن الله تعالى.

وقوله: «الحكيم»:

الحاء، والكاف، والميم، أصل واحدٌ: وهو المنع، وأوله المنع من الظلم[١].

والحكمة في اللغة: ما أحاط بحنكي الفرس، سُمِّيت بذلك لأنها تمنعه من الجري الشديد، وتُذلل الدابة لراكبها حتى تمنعها الجِمَاح، ومنه اشتقاقُ الحكمة؛ لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل.

وأحكم الأمرَ: أي أتقنه، فاستحكم، ومنعه من الفساد، أو منعه من الخروج عما يريد[٢].

ومعنى الحكمة اصطلاحًا: إصابةُ الحق بالعلم والعَقل.

فالحكمةُ من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات.

والحُكمُ أعمُّ من الحكمة، فكُلُّ حِكمة حُكم، وليسَ كُلُّ حُكْمٍ حكمة[٣].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٩١) مادة (حكم).

(٢) انظر لسان العرب (٢/ ٥٤٠-٥٤٣).

(٣) المفردات للأصفهاني (١٤١).

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الحكمةُ: فِعلُ ما ينبغي، على الوجْه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي[1].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: الحكمةُ عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به، والصدّ عن اتباع الهوى والباطل. والحكيمُ: مَن له ذلك[2].

والحكيمُ: اسمٌ من أسماء الله تعالى الحسنى، قال جَلّ ذكره: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر].

وقيل الحكمة نوعان: غائية، وصورية.

أما الغائية: فهي بمعنى أنَّ الشيء إنما كان لغاية حميدة.

والصورية: بمعنى أنَّ كونَ الشيء على هذه الصورة المعينة لحكمة، فإذا تدبرت الصلاة وكَونها على هذا الوجْه، قيام، ثم ركوع، ثم قيام.. وكذلك الغاية منها أيضًا حكمة، فالغايةُ منها الثواب والأجر عند الله.

وهكذا أيضًا المخلوقات، فكونُ الشمس بهذا الحجم، وبهذه الحرارة، وبهذا الارتفاع هذه صورية، وهذا مُناسبٌ للحكمة تمامًا، ثم الثمرات الناتجة عن الشمس غايته.

ولكن هل الحكمة معلومة للخلق؟

والجواب: أنَّ الحكمة قد تكون معلومة، وقد تكون غير معلومة، لكن كونها غير معلومة لا يعني أنها معدومة، بل إنها موجودة، لكن لقصورنا أو

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٧٩).

(٢) شرح مسلم للنووي (٢/ ٣٣).

تقصيرنا لم نصل إليها.

الأحكام التعبدية:

الأحكامُ الشرعية إذا لم يعلم العلماء حكمتها سمّوها بالأحكام التعبدية، ولهذا لو قال قائل: ما الحكمة في أن تكون صلاة الظهر أربعًا دون ثمان؟ قلنا: الحكمة تعبدية ليس للعقل فيها مجال.

الأحكامُ المعقولة المعنى:

فهم يقولون: إنْ علمت حكمة الحُكم فهو حُكمٌ معقولُ المعنى، مع ما فيه من التعبد لله، وإن لم تُعلم فهو حكم تعبدي ليس لنا أمامه إلا التعبد.

وأيهما أقوى في التعبد، الامتثال للحكم التعبدي، أو للحكم المعقول المعنى؟

الأولُ أبلغ في التذلل، فكونك تقبل الحُكم وإن لم تعرف حكمته، هذا أبلغ؛ لأنَّ كونَ الإنسان لا يقبلُ إلا إذا علم حكمته فيه نوعٌ من الشرك، وهو عبادة الهوى، وأنه إذا وافق الشيء هواه وأدرَك حكمته قبله، واطمأن إليه، ورضي به، وإنْ لم يكن صار عنده فيه تردد»[(١)].

ومن العلماء الذين عدوه من أسماء الله الحسنى: جعفر الصادق، سفيان بن عيينة، الخطابي، الحليمي، البيهقي، الأصفهاني، ابن العربي، ابن الوزير، ابن حجر العسقلاني، ابن عثيمين، وغيرهم[(٢)].

---

(١) شرح هذه العقيدة لابن عثيمين (٤٨، ٤٩).

(٢) راجع حاشية (ص: ٥٢-٥٣) من الكتاب.

قال المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤ - ثُـمَّ الـصَّلاَةُ والـسَّلاَمُ سَـرْمَدَا   عَلَـى النَّبِـيِّ المُـصْطَفَى كَنْـزِ الْهُـدَى

الشرح

بعد أنْ فرغ صاحبُ النظم من حمد الله والثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، صلّى وسلّم على نبينا ﷺ امتثالًا لأمر الله.

فالله سُبحانه وتعالى وملائكته يُصلون على النبي، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالصلاة عليه، قال جَلّ ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

معنى الصلاة من الله: للعُلماء قولان في معنى الصلاة من الله تعالى:-

الأول: أنّ الصلاةَ من الله: ثناؤُهُ عليه عند الملائكة.

الثاني: أنّ الصلاةَ من الله تعالى: الرحمة.

والقولُ الأول هو الراجح، لقول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة: ١٥٧] و«واو» العطف تقتضي المغايَرَة، كما هو معلومٌ عند أهل اللغة.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أبو العالية: صلاةُ الله تعالى: ثناؤُهُ عليه عند الملائكة، وصلاةُ الملائكة: الدعاء.

قال ابنُ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (يُصَلُّونَ يُبرِّكُونَ)، هكذا علَّقه البخاري[1].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال غيرُ واحدٍ من أهْل العلم: صلاةُ الرب:

---

(١) والأثران أخرجهما البخاري تعليقًا، كتاب التفسير، قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قبل حديث (٤٧٩٧).

الرحمةُ، وصلاة الملائكة: الاستغفار[(١)].

والمقصودُ من هذه الآية: أنَّ الله سُبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه ﷺ عنده في الملأ الأعلى، بأنه يُثني عليه عند الملائكة المقربين، وأنَّ الملائكة تُصلي عليه، ثم أمرَ تعالى أهلَ العالم السفليَّ بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناءُ عليه من أهل العالمين، العلويَّ والسفليَّ معًا.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والصلاة من الله بمعنى الرحمة باطلٌ من ثلاثة أوجه:-

أحدها: أنَّ الله تعالى غاير بينهما في قوله: ﴿عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة: ١٥٧].

الثاني: أنَّ سُؤالَ الرحمة شُرّع لكل مُسلم، والصلاةُ تختص بالنبي ﷺ وهي حَق له ولآله؛ ولهذا مَنع كثيرٌ من العلماء الصلاة على مُعين غيره، ولم يُمنَع أحدٌ من الترحم على معين.

الثالث: أنَّ الرحمة عامة، وَسِعَت كُلَّ شيءٍ، وصلاته خاصة بخواص عباده[(٢)].

قال ابنُ جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: الصلاةُ في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء[(٣)]. انتهى.

ودَليلُ ذلك: قولُ الله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٩٠).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٥).

(٣) جامع البيان (١٢/ ٥٣).

وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي: ادع لهم، كما قال أهل التفسير.

إذًا الصلاة على النبي ﷺ من العباد دعاءٌ له، فإذا قلت: اللهم صل على محمد؛ يعني: اللهم أثن عليه في الملأ الأعلى عند الملائكة.

كيفية الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

جاءت عدة أحاديث تحث على الصلاة على النبي ﷺ وكيفية الصلاة عليه، نذكر منها:

عن كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فقَدْ عَرفناهُ فَكَيْفَ الصَّلَاةُ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: قوله ﷺ: «**وَالسَّلَامُ كَمَا عَلِمْتُمْ**» معناه: قد أمركم الله تعالى بالصلاة والسلام عليّ، فأما الصلاة فهذه صفتُها، وأما السلام فكما علمتم في التشهد، وهو قولهم: (**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النبيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُه**)(٢).

وجاءت صيغ أُخَر للصلاةِ على النبي ﷺ غير هذه الصيغة.

مسألة: كيف طلب النبي ﷺ له من الصلاة مثل ما لإبراهيم عليه السلام، وهو أفضل منه؟

قوله ﷺ: «**كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**» مشكلة، جاء في الرد عليها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٠) ومسلم (٤٠٦).

(٢) مسلم بشرح النووي (٢/ ٣٦٢).

تأويلات أمَّاتُها عشرة، ذكرها ابن العربي[(١)].

وأجـوَد منها ما ذكر ابن أبي العز، قال: وقد أجاب العلماء بأجوبة عديدة، يضيق هذا المكان عن بسطها.

وأحسنُها: أنَّ آلَ إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلُهم، فإذا طلبَ للنبي ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء، حصل لآلِ محمدٍ ما يليق بهم، فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادةُ التي للأنبياء وفيهم إبراهيم لمحمد صلى الله عليهما وسلم، فيحصل له المزيَّة ما لم يحصل لغيره.

وأحسنُ من هذا: أنَّ النبي محمدًا ﷺ من آل إبراهيم، فيكونُ قولنا: «**كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ**» مُتناولًا الصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم، بل هو مُتناول لإبراهيم أيضًا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران] فإبراهيم وعمران دخلا في آل إبراهيم وآل عمران...[(٢)].

هل يجوز الصلاة على غير الأنبياء؟

أجمَع العُلماءُ على جواز الصلاة على غير الأنبياء على سبيل التبعيةِ، لحديث أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيّ، وفيه أنهم قالوا: يا رَسُولَ الله، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ،**

---

(١) راجع: أحكام القرآن (٣/ ٦٧٩-٦٨٠).

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٢٧٦)، وانظر جلاء الأفهام لابن القيم (ص:١٥٦-١٧٠) فإنه مهم.

كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(١).

وتنازع العُلماءُ في الصلاة على غير الأنبياء استقلالًا، فذهب الأكثرون إلى الكراهة، قالوا: هذا النوع مأخُوذ من التوقيف واستعمال السلف، ولم يُنقل استعمالهم ذلك، بل خصوا به الأنبياء. وهذا مذهبُ مالك والشافعي(٢) وأبو حنيفة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وغيرهم.

وقال آخرون: يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة عليهم استقلالًا، وحُجتهم قول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قال: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ»، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ(٣) أَبِي أَوْفَى(٤)»». وهذا مذهب أحمد وجماعة(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٩) ومسلم (٤٠٧).

(٢) أصحابُ الشافعي لهم ثلاثة أوجه: أنه مَنعُ تحريم، أو كراهة تنزيه، أو من باب ترك الأوْلى، وليس بمكروه، حكاها النووي في الأذكار – غذاء الألباب للسفاريني (١/ ٢٤).

(٣) قوله: «**على آل أبي أوفي**»: يُريد أبا أوفى نفسه، لأنّ الآلَ يُطلق على ذاتِ الشيء، كقوله في قصة أبي مُوسى: «**لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود**».
وقيل: لا يُقال ذلك إلا في حَق الرجُل الجليل القدْر. فتح الباري (٣/ ٤٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٩٧) ومسلم (١٠٧٨).

(٥) انظر: شرح مُسلم للنووي (٢/ ٣٦٣)، والفتح (٣/ ٤٢٣)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٥٩٤)، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (١/ ٢٣-٢٤).

الترغيبُ في الصلاة على النبي ﷺ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بها عَشْرًا**»(١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَا منكم مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»(٢).

وعن عَبدِ الله بن مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**»(٣).

الأوقات التي يُستحَبُّ فيها الصلاة على النبي ﷺ:

١- عند الدعاء:

لحديث فَضَالَةَ بْن عُبَيْدٍ رضي الله عنه قال: سَمع رَسُولُ الله ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمجد الله ولَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، فقال رَسُولُ الله ﷺ: «**عَجِلَ هَذَا**»، ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ**»(٤).

٢- في التشهد:

من المواضع التي أمرنا أن نصلي فيها على نبينا ﷺ: التشهد، مع اختلاف العُلماء في حُكم الصلاة عليه في التشهد الأخير، هل هي واجبة أم مُستحبة؟ وهذا النزاع محله كتب الفقه.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٣٤).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٤١).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١٨)، وأبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٦، ٣٤٧٧) وغيرهم.

٣- بعد النداء للصلاة:

لحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قال: إنه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»(١).

٤- الصلاة عليه ﷺ في صلاة الجنازة:

فإنَّ السُّنة أنْ يَقرأ في التكبيرةِ الأولى فاتحةَ الكتابِ، وفي الثانيةِ أنْ يُصلي على النبي ﷺ، وفي الثالثةِ يَدعو للميت، وفي الرابعة يَقولُ: (**اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ**)(٢) قاله ابن كثير(٣).

عنْ أبي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ: أَنَّهُ أَخْبَرَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ السُّنَّةَ فِي الصَّلاةِ عَلَى الْجِنَازَةِ أَنْ يُكَبِّرَ الإِمَامُ، ثُمَّ يَقْرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الأُولَى سِرًّا فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيُخْلِصُ الدُّعَاءَ لِلْجِنَازَةِ فِي التَّكْبِيرَاتِ، لا يَقْرَأُ فِي شَيْءٍ مِنْهُنَّ، ثُمَّ يُسَلِّمُ سِرًّا فِي نَفْسِهِ(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤).

(٢) رواه أبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٢٤)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وأحمد (٢/ ٣٦٧)، وقال الألباني في أحكام الجنائز (١٥٩): إسناده موقوف صحيح جدًّا.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٩٣).

(٤) أخرجه الشافعي في الأم (١/ ٢٣٩-٢٤٠)، والحاكم (١/ ٣٦٠)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٩، ٤٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٨٦٨)، والطبراني في مسند الشاميين (٣٠٠٠)، وصححه الألباني في الإرواء (٧٣٤).

٥- الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة:

عن أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثقفيّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»(١).

وعَنْ أَنَس قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»(٢).

٦- عند دخول المسجد والخروج منه:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»(٣).

عَن فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قال: «اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٨) وأبو داود (١٠٤٧) وابن أبي شيبة (٢/ ٥١٦)، وابن ماجه (١٠٨٥)، والدارمي (١/ ٣٦٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٢٧).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٩٩٤)، وفضائل الأوقات (٢٧٧)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٠٧)، وصحيح الجامع (١٢٠٩).

(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٠)، وابن ماجه (٧٧٣)، وابن خزيمة (٤٥٢، ٢٧٠٦)، والحاكم (١/ ٢٠٧)، والبيهقي (٢/ ٤٤٢)، وابن حبان (٢٠٤٧، ٢٠٥٠)، وصحيح الجامع (٥١٤).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٨٢، ٢٨٣)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٣٨) =

الترهيب من ترك الصلاة على رسول الله ﷺ عند سماع اسمه:

عَنْ عَليّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنه قَالَ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[(١)].

وعَنْ أبي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[(٢)].

قوله: «والسَّلام»

المعنى في اللغة: سلم: السَّلْمُ والسلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة، قال: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء] متعرٍ من الدَّغل[(٣)]، فهذا في الباطن. وقال تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١] فهذا في الظاهر. وقد سَلِمَ يَسْلَمُ سلامةً وسلامًا وسَلَّمهُ الله، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ [الأنفال: ٤٣]، قال: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾ [الحجر] أي: سلامة[(٤)].

=
و(١٠/ ٤٠٥)، والترمذي (٣١٤)، وابن ماجه (٧٧١)، وأبو يعلى (٦٨٢٢، ٦٨٢٣)، والبغوي في شرح السنة (٤٨١) وغيرهم. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٧١٤، ٤٧١٦).

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، وأحمد (١/ ٢٠١)، وصححه الألباني في الإرواء (٥)، وصحيح الجامع (٥٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٤)، وابن حبان (٩٠٨)، والحاكم (١/ ٥٤٩)، والبغوي في شرح السنة (٦٨٩)، وصححه الألباني في الإرواء (٦)، والمشكاة (٩٢٧)، وصحيح الجامع (٣٥١٠).

(٣) الدغل: الريبة والوشاية.

(٤) المفردات للراغب (ص: ٢٦٣) مادة (سلم).

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: حقيقةُ هذه اللفظة.. البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب، وعلى هذا المعنى تدور تصاريفها [(١)].

وقد أحسن المؤلف إذ جمع بين الصلاة والسلام علي النبي ﷺ إمتثالًا لقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قال النووي: إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم، فلا يقتصر على أحدهما، فلا يقل: «صلى الله عليه فقط»، ولا «عليه السلام» فقط، وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب]، فالأولى أن يقال: صلى الله عليه وسلم تسليمًا[(٢)].

ما الحكمة في تأكيد السلام على النبي ﷺ دون الصلاة عليه؟

قال جَلّ ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

ما الحكمةُ في تأكيد الأمر بالسلام على النبي ﷺ بالمصدر دون الصلاة عليه في قوله: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾؟

فجوابه: أنَّ التأكيدَ واقعٌ على الصلاة والسلام، وإنْ اختلفت جهة التأكيد، فإنه سُبحانه أخبر في أوَّل الآية بصلاته عليه وصلاة ملائكته عليه مُؤكدًا لهذا الإخبار بحرف «إن» مخبرًا عن الملائكة بصيغة الجمْع

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١١٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٩٥).

المضاف إليه، وهذا يُفيدُ العُمومَ والاستغراق.

فإذا استشعرت النفوسُ أنّ شأنه ﷺ عند الله وعند الملائكة هذا الشأن بادرت إلى الصلاة عليه، وإنْ لم تُؤمَر بها، بل يَكفي تنبيهُها والإشارةُ إليها بأدنى إشارة، فإذا أمرت بها لم تحتج إلى تأكيد الأمر، بل إذا جاء مُطلقُ الأمر بادَرَت وسارَعت إلى مُوافقة الله وملائكته في الصلاة عليه- صلوات الله وسلامه عليه- فلم يحتج إلى تأكيد الفعل بالمصدر.

ولما خلا السلام عن هذا المعنى، وجاء في حيز الأمر دون الخبر حَسُنَ تأكيده بالمصدر؛ ليدل على تحقيق المعنى وتثبيته.

ويقوم تأكيدُ الفعل مقام تكريره، كما حَصل في التكرير في الصلاة خبرًا وطلبًا؛ فكذلك حصل التكرير في السلام فعلًا ومصدرًا، فتأمله؛ فإنه بديعٌ جدًّا... والله أعلم(١).

نُكتة بديعة:

ما الحكمةُ من إفراد السلام والرحمة، وجمع البركة؟

الجوابُ: أنَّ السلامَ إما مصدر محض، فهو شيء واحد، فلا معنى لجمعه، وإما اسم من أسماء الله تعالى فيستحيل أيضًا جمعه، فعلى التقديرين لا سبيلَ إلى جمعه.

وأما الرحمة: فمَصدرٌ أيضًا، بمعنى العطف والحنان، فلا تجمَعُ أيضًا، والتاء فيها بمنزلتها في الخلة والمحبة والرقة، ليست للتحديد، بمنزلتها في ضرْبة وتمرة، فكما لا يُقالُ: رقات، ولا خلات، ولا رأفات، لا يُقالُ:

---

(١) البدائع (٢/ ١٦١-١٦٢).

رَحَمات، وهنا دخُول الجمْع يُشعر بالتحديد والتقييد بعَدَد، وإفراده يُشعر بالمسمّى مطلقًا من غير تحديد، فالإفرادُ أكمل معنى من الجمع، وهذا بديعٌ جدًّا أنْ يكون مَدلولُ المفرد أكثرَ من مدلول الجمع.

ولهذا كان قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] أعم وأتم من أن يقال: فلله الحجَج البوالغ، وكان قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ...﴾ ونظائره كثيرة جدًّا.

وأما البركة: فإنها لما كان مُسمّاها كثرة الخير واستمراره شيئًا بعد شيء، كلما انقضى منه فرد خلفه فرد آخر، فهو خيرٌ مُستمر يتعاقب الإفراد على الدوام شيئًا بعد شيء، كان لفظُ الجمع أولى بها؛ لدلالتها على المعنى المقصود بها، ولهذا جاءت في القرآن كذلك، في قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] فأفرد الرحمة وجمع البركة.

وكذلك في السلام في التشهد: (**السَّلامُ عليك أيها النبي ورَحمة الله وبَركاته**)[١].

قوله: «سرْمَدًا»:

يعني: أبدًا، فالمعنى في الجملة: الصلاة والسلام على النبي ﷺ صلاة وسَلامًا دائمين مُستمرين، لا ينقطعان أبدًا.

وقوله «على النبي»:

معنى النبي لغة: قال الفرَّاءُ: النبيُّ: هو من أنبأ عن الله، فتُرِك همزه. قال: وإن أُخذَ من النَّبوةِ والنَّباوة، وهي الارتفاع عن الأرض، أي إنه أشرف على

(١) المصدر السابق.

سائر الخلق، فأصله غير الهمز [(١)].

قال الزجاجُ رَحِمَهُ اللَّهُ: القراءةُ المجمَع عليها في النبيين والأنبياء طرح الهمز، وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما في القرآن من هذا، واشتقاقه من نَبأ وأَنْبأ، أي: أخبر. قال: والأجود ترك الهمز[(٢)].

قال الراغبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فالنبيُّ بغير الهمزِ أبلغ من النبيءِ بالهمز، لأنه ليس كل مُنبَّأ رفيع القدر والمحل[(٣)].

وقوله «المصطفى»:

المصطفى: مأخُوذ من الصفوة.

وصفوةُ كلِّ شيءٍ: خالصُه... والاصطفاءُ: الاختيار، افتعالٌ من الصفوة، ومنه النبيُّ ﷺ صفوةُ اللهِ من خلقه ومُصطفاهُ[(٤)].

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥] وغيرها من الآيات التي جاء فيها الاصطفاء من الله تعالى لبعض خلقه.

وفي صحيح مسلم، عن وَاثِلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»**[(٥)].

---

(١) لسان العرب (٨/ ٤٢١) مادة (نبأ).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المفردات (ص: ٥٣٤).

(٤) اللسان (٥/ ٣٦٠، ٣٦١) باختصار.

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٧٦).

من أدلة اصطفاء الله تعالى للنبي ﷺ من الكتاب والسنة:

الأدلةُ على اصطفاء الله جل وعلا للنبي ﷺ كثيرة جدًّا، نذكر منها:

قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].

قال السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد علم أنَّ محمدًا ﷺ هو خاتمهم، فكُلُّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لو أدركوه لوجَب عليهم الإيمانُ به واتباعه ونُصرته، وكان هو إمامهم ومُقدمهم ومتبوعهم. فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على عُلو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم ﷺ، لما قرَّرهم تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا﴾ أي: قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين[(١)]. انتهى.

اصطفاه تبارك وتعالى بأنْ أنزل عليه القرآن، وهو الكتابُ المهيمن على جميع الكتب.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

إمامته ﷺ الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج[(٢)]:

لم يُقسِم الله تبارك وتعالى بحياة أحَد قط، إلا بحياة النبي ﷺ، قال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٣٢).

(٢) انظر: صحيح مسلم (١٧٢).

خاطب الله تعالى جميع الأنبياء بأسمائهم، إلا نبينا ﷺ.

قال سُبحانه: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ [هود: ٧٦]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، أما نبينا ﷺ فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ①﴾ [المزمل]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ①﴾ [المدثر]، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. فخاطبه بأعظم الصفات، ولم يخاطبه باسمه مجردًا إلا ليعلم من جحد أمره أنه النبي ﷺ.

قال أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن فضائله ﷺ: إخبارُ الله عز وجل عن إجلال قدر نبيه ﷺ وتبجيله وتعظيمه، وذلك أنه ما خاطبه في كتابه ولا أخبر عنه إلا بالكناية التي هي النبوة والرسالة، التي لا أجَلَّ منها فخرًا ولا أعظمَ خَطرًا، وخاطب غيره من الأنبياء وقومهم وأخبر عنهم بأسمائهم... إلى أن قال: فكل موضوع ذكر محمدًا –عليه السلام– باسمه أضاف إليه ذكر الرسالة، فقال عز من قائل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال: ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ٢].

فسمّاه ليعلم مَن جَحده أن أمره وكتابه هو الحق، ولأنهم لم يعرفوه إلا بمحَمد، ولو لم يُسمه لم يُعلم اسمه من الكتاب، وكذلك سائر الأنبياء لو لم يُسموا في الكتاب ما عُرفت أساميهم، كتسمية الله له محمدًا، وذلك كله زيادة في جلالته ونبالته ونباهته وشرفه(١).

هل المصطفى من أسماء النبي ﷺ؟ وما هي أسماء النبي ﷺ؟

المصطفى: صفة لرسول الله ﷺ كما تقدم، أما أسمائه فهي كما جاءت في حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي(٢)، وَأَنَا العَاقِبُ**»(٣).

وفي رواية: «**وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نبي**»(٤).

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: «**أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي(٥)، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**»(٦).

---

(١) دلائل النبوة (ص: ٤٦-٤٨) باختصار.

(٢) يتقدم عليه الصلاة والسلام يوم المحشر، ويحشر الناسُ على أثره.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه مسلم (١٢٥/ ٢٣٥٤).

(٥) المقفي: قال شمر: بمعنى العاقب، وقال ابن العربي: هو المتبع للأنبياء يقال: قفوته أقفوه وقفيته أقفيه إذا اتبعه، وقافية كل شيء: آخره - مسلم بشرح النووي (٨/ ١١٧).

(٦) أخرجه مسلم (١٢٦/ ٢٣٥٥).

أما إذا أردنا أنْ نذكر النبي ﷺ فنقول: قالَ رَسُول الله ﷺ أو قال النبي ﷺ، هكذا كان يقول الصحابة رضي الله عنهم جميعًا، وارجع إلى كتب الحديث، فلن تجد صحابيًا من رواة الحديث يقول غير ذلك، وهُم بلا شكٍّ أشَد حُبًّا وتوقيرًا وحرصًا على الاتباع من غيرهم، فلا ينبغي العُدولُ عن قولهم- رضوان الله عليهم-.

مسألة: هل بين النبي والرسول مغايرة، وهل بينهما فرق؟

معنى الرسول لغة: رسل: أصلُ الرَّسْلِ الانبعاث على التّؤدة. ويُقال: ناقة رِسْلَةٌ سَهلَةُ السير.. ومنه الرسُولُ المنبعثُ.. وجمع الرسول: رُسُلُ، ورُسُلُ اللهِ تارةٍ يُرادُ بها الملائكة، وتارةً يُرادُ بها الأنبياء. فمن: الملائكة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾ [الحاقة] ومن الأنبياء قوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ﴾ [آل عمران:١٤٤][1].

ذهب جماهير العلماء إلى المغايرة بين النبي والرسول، ومن أظهر ما استدلوا به قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ [سورة الحج].

واختلفوا في تحديد الفرق بين النبي والرسول اختلافًا كثيرًا، وهذه مسألة من مسائل الاجتهاد، وإليك نقل أقوالهم في ذلك.

قول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء: إن هذه الآية مشكلة من جهتين: إحداهما: أن قومًا يرون أن الأنبياء صلوات الله عليهم فيهم مرسلون وفيهم

(١) المفردات (ص: ٢١٦).

غير مرسلين. وغيرهم يذهب إلى أنه لا يجوز أن يقال نبي حتى يكون مرسلًا، والدليل على صحة هذا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فأوجب للنبي ﷺ الرسالة. وأن معنى «نبي» أنبأ عن الله عز وجل، ومعنى أنبأ عن الله عز وجل الإرسال بعينه.

وقال الفراء: الرسول الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عليه السلام إليه عيانًا، والنبي الذي تكون نبوته إلهامًا أو منامًا، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا.

قال المهدوي: وهذا هو الصحيح، أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا. وكذا ذكر القاضي عياض في كتاب «الشفا» قال: والصحيح والذي عليه الجم الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا، واحتج بحديث أبي ذر، وأن الرسل من الأنبياء ثلاثمائة وثلاثة عشر، أولهم آدم وآخرهم محمد ﷺ[1][2].

---

(١) عن أبي ذر عن النبي ﷺ: «**أن آدم كان نبيًّا مكلَّمًا**»، رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٦٥)، والبخاري في تاريخه (١/ ٢٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٦) وغيرهم.
وعن أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ قال: «**كان آدم نبيًّا مكلمًا، كان بينه و بين نوح عشر قرون، وكانت الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر**» أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٠٨٥)، والطبراني في الأوسط (١/ ٢٤)، وفي الكبير(٨/ ١٣٩-١٤٠)، والحاكم (٢/ ٢٦٢) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٥٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ٨٦).

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانًا، ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾، وهو الذي تكون نبوته إلهامًا أو منامًا، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا(١).

«وعطف ﴿نَبِيٍّ﴾ على ﴿رَّسُولٍ﴾ يدل على المغايرة بينهما وهو الشائع، واختلفوا في تفسير كل منهما، فقيل: الرسول ذكر حر بعثه الله تعالى بشرع جديد، يدعو الناس إليه، والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام.

وقيل الرسول ذكر حر بعثه الله إلى قوم بشرع جديد بالنسبة إليهم، وإن لم يكن جديدًا في نفسه، كإسماعيل عليه السلام، إذ بعث لجرهم أولًا، والنبي يعمه ومن بعث بشرع غير جديد كذلك......

وقيل: من يأتيه الملك عليه السلام بالوحي يقظة والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام لا غير. وهذا أغرب الأقوال ويقتضي أن بعض الأنبياء عليهم السلام لم يوح إليه إلا منامًا، وهو بعيد ولا يقال بالرأي.

وأنت تعلم أن المشهور أن النبي في عرف الشرع أعم من الرسول، فإنه من أوحي إليه، سواء أمر بالتبليغ أم لا، والرسول من أوحي إليه وأمر بالتبليغ، ولا يصح إرادة ذلك، لأنه إذا قوبل العام بالخاص يراد بالعام ما عدا الخاص، فمتى أريد بالنبي ما عدا الرسول كان المراد به من لم يؤمر بالتبليغ، وحيث تعلق به الإرسال صار مأمورًا بالتبليغ فيكون رسولًا فلم يبق في الآية بعد تعلق الإرسال رسولٌ ولا نبيٌّ مقابل له فلا بد لتحقيق المقابلة أن يراد بالرسول من

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٣٤٧)، وفتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٤٦).

بعث بشرع جديد وبالنبي من بعث لتقرير شرع من قبله أو يراد بالرسول من بعث بكتاب وبالنبي من بعث بغير كتاب أو يراد نحو ذلك مما يحصل به المقابلة مع تعلق الإرسال بهما»(١)..

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى مَن خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول.

وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسول.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] وقوله: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فذكر إرسالًا يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول، فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى مَن خالف الله، كنوح، وقد ثبت في الصحيح: «أَنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بُعِثَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ»(٢).

وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس عليهما السلام(٣)، وقبلهما آدم كان

---

(١) روح المعاني للألوسي (١٧/ ١٧٢ - ١٧٣) باختصار، مع العلم أن للعلماء مآخذ على تفسيره.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤/ ٣٢٧) من حديث أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل الذي يتحدث فيه عن الشفاعة للرسُول، وفيه: «**فَيَأْتُونَ نُوْحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أنتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ..**».

(٣) قال ابنُ عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدليلُ أنّ نوحًا أوَّلُ الرسُل: قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣] يعني: وحيًا كإيحائنا إلى نوح والنبيين من بعده، وهو وحي الرسالة، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ﴾ [الحديد: ٢٦] أي ذرية نوح وإبراهيم، والذي قبل

نبيًا مُكلمًا[(١)].

قال ابنُ عباس رَحِمَهُ اللَّهُ: كان بين آدم ونوح عشرة قُرون، كلهم على الإسلام[(٢)].

فأولئك الأنبياء يأتيهم وَحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكونهم مُؤمنين بهم، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلّغه العلماء عن الرسول وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة، وقد يُوحَى إلى أحدهم وحي خاص في قضيةٍ مُعينة، ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالم الذي يُفهِّمُهُ الله في قضية معنى يُطابق القرآن، كما

= نوح لا يكونُ من ذريته، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات] قد نقول: إنَّ قوله: ﴿مِّن قَبْلُ﴾ يدُلُّ على ما سبق.. وساق الحديث المتقدم، ثم قال: وأما آدم عليه السلام فهو نبي وليس برسول، وأما إدريس فذهب كثير من المؤرخين أو أكثرهم وبعض المفسرين أيضًا إلى أنه كان قبل نوح، وأنه من أجداده، لكن هذا القول ضعيفٌ جدًّا، والقرآن والسنة ترده- شرح العقيدة الواسطية (١/ ٥٦، ٥٧) وشرح الأصول الثلاثة (ص: ١٠٣).

وقد رجح القرطبي في تفسيره (٣/ ٢٢)، ومن قبله ابن العربي كما في تفسير القرطبي (٧/ ١٤٨) أن إدريس بعد نوح على الصحيح، قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن قال إدريس كان قبله من المؤرخين فقد وهم - أحكام القرآن (٢/ ٣١٥).

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٢٩٩)، والحاكم (٢/ ٢٦٢)، وابن حبان (٦١٩٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥١٧)، والطبراني في الكبير (٧٥٤٥) وغيرهم، والألباني في الصحيحة (٢٦٦٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٠٤٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٤٠)، والحاكم (٢/ ٥٤٦، ٥٤٧).

فهَّم الله سليمان حُكم القضية التي حكم فيها هو وداود(١).

فالأنبياء يُنبئهم الله، فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره، وهم ينبئون المؤمنين ما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر والنهي.

فإنْ أرسِلوا إلى كُفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ولا بُد أن يُكذِّب الرسلَ قومٌ.

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢﴾ [الذاريات]، ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣] فإنّ الرسلَ ترسَل إلى مخالفين فيُكذبهم بعضهم..

فقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢] دليلٌ على أنّ النبي مُرسَل، ولا يُسمّى رَسُولًا عند الإطلاق، لأنه لم يُرسَل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفون أنه حَق، كالعالم؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»(٢).

وليس من شَرط الرَّسُول أنْ يأتي بشريعةٍ جديدة، فإنَّ يوسفَ عليه السلام كان رسُولًا وكان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسُولين، وكانا على شريعة التوراة.

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩﴾، [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٥/ ١٩٦)، والدارمي (١/ ٩٨)، وابن حبان (٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠)، والمشكاة (٢١٢).

قال تعالى في مُؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء][1].

وهذا الذي اختاره شيخ الإسلام هو ما أرجحه، فهو أقرب الأقوال إلى الصواب، والله أعلم.

وقوله: «كنز الهدى»:

والمقصودُ بكنز الهدي: هو النبي ﷺ.

الكنز في اللغة: جمعُ المال بعضه على بعض وادخاره. وقيل: المالُ المدفون[2].

فالنبي ﷺ أغلى من كنوز الأرض جميعًا، لأنه كنز الهدى، والهدى أعلى من الدنيا وما فيها، فالدنيا زائلة، والآخرة دار السعادة الأبدية لمن اهتدى، والذي جاء بالهدى هو نبينا ﷺ؛ فهو هداية للعالمين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى].

---

(١) النبوات (ص: ٢٤٢-٢٤٤) باختصار.

(٢) التوقيف على مهمات التعريف (ص:٢٨٤).

وهذه الآية لا تَعارُض بينها وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص] لأنَّ الهداية تنقسم إلى قسمين:-

أولًا: هداية الدلالة والإرشاد: أي إرشاد الخلق إلى الحق واتباع الصراط المستقيم، وهي وظيفةُ الأنبياء والرسل، والمسلمين من بعدهم، كُلٌّ بحسب استطاعته.

قال الله جل وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

ثانيًا: هداية التوفيق: أنْ يعمل العبدُ بما عَلم، وهذه ليست لأحَدٍ من البشر، وإنما هي بيد الله سبحانه، وهي التي نفاها الله تعالى عن النبي ﷺ في قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ﴾ [القصص:٥٦].

وقال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، فالله سبحانه وتعالى أعلم بمن يَستحقُ الهداية ممن يَستحقُ الغواية.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: ذكر جَلّ وعَلا في هذه الآية الكريمة أنَّ نبيه ﷺ لا يَهدي مَن أحَبَّ هدايته، ولكنه جَلَّ وعلا هو الذي يَهدي مَن يشاء هُداه، وهو أعلمُ بالمهتدين.

وهذا المعنى الذي دلَّت عليه هذه الآية جاء مُوضَّحًا في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ﴾ [النحل: ٣٧].

وقولـه: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [المائدة: ٤١] إلى غير ذلك من الآيات....

وقوله: ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠﴾ [النجم]. جاء معناه موضحًا في آيات كثيرة، كقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠﴾ [النجم]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل].

والآيات مثل ذلك كثيرة، وقد أوضحنا سابقًا أنَّ الهدى المنفي عنه ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ هو هُدى التوفيق، لأنَّ التوفيقَ بيد الله وحده، وأنَّ الهدى المثبت له ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى] هو هُدى الدلالة على الحق والإرشاد إليه، ونزول قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ في أبي طالب مشهور معروف[1].

(١) أضواء البيان (٦/ ١٥٣-١٥٤)، وانظر الحديث في البخاري (١٣٦٠، ٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤).

قال الناظم رحمه الله:

٥ - وَآلِـــهِ وَصَـــحْبِهِ الأبْـــرار   مَعَـــادِنِ التقْـــوَى مَـــعَ الأسْـــرارِ

الشرح

الآل لغة: قال ابن فارس رحمه الله: آل الرجل أهل بيته؛ لأنه إليه مآلهم، وإليهم مآله، وهذا معنى قولهم: يا آل فلان [١].

قال الجوهري رحمه الله: وآل الرجل: أهله وعياله، وآله أيضًا أتباعه[٢].

قال ابن منظور رحمه الله: وآل الرجل: أهله، وآل الله ورسوله: أولياؤه، أصلها أهل، ثم أبدلت الهاء همزة، فصار في التقدير أأهل، فلما توالت الهمزتان أبدلت الثانية ألفًا [٣].

قال الكفوى رحمه الله: هو جمعٌ في المعنى، فردٌ في اللفظ، يُطلق بالاشتراك اللفظي على ثلاثة معانٍ:-

أحدها: الجندُ والأتباع، نحو: «آل فرعون».

الثاني: النفس[٤]، نحو: آل موسى- وآل هارون- وآل نوح.

الثالث: أهلُ البيت خاصة، نحو: آل محمد [٥].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٦١).

(٢) الصحاح (٤/ ١٦٢٧- ١٦٢٨).

(٣) لسان العرب (١/ ٣١) مادة (أهل).

(٤) قال ابنُ حجر: الآلُ: يُطلق على ذات الشيء، كقوله ﷺ في قصة أبي موسى: «**لقَدْ أُوتيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**». وقيل: لا يُقالُ ذلك إلا في حَق الرجل الجليل. الفتح (٣/ ٤٢٣).

(٥) الكليات (١٤٢).

وأما اصطلاحًا: فقد اختلف العُلماءُ في آل محمد ﷺ على ثلاثة أقوال:-

القولُ الأول: هم الذين حَرُمت عليهم الصدقة، وحُجّتهم في ذلك قول رَسُول الله ﷺ لعَبْدِ الْمُطَّلِب بْن رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَالْفَضْل بْنِ عَبَّاسٍ: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، ادْعُوَا لِي مَحْمِيَةَ - وَكَانَ عَلَى الْخُمُسِ - وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**» قَالَ: فَجَاءَاهُ، فَقَالَ لِمَحْمِيَةَ: «**أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ**» لِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَأَنْكَحَهُ، وَقَالَ لِنَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ: «**أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ**» لِي، فَأَنْكَحَنِي وَقَالَ لِمَحْمِيَةَ: «**أَصْدِقْ عَنْهُمَا مِنَ الْخُمُسِ كَذَا، وَكَذَا**»(١).

وقال ﷺ للحسن والحسين: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ**»(٢).

واختلف في الذين حَرُمَت عليهم الصدقة:-

فقالت طائفة: هم بنو هاشم، وبنو المطلب، وهذا مذهبُ الشافعي، وأحمد في رواية عنه.

وقالت طائفة: هم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهبُ أبي حنيفة، ورواية عن أحمد.

وقال آخرون: إنهم بنو هاشم ومَن فوقهم إلى غالب، فيدخل فيهم بنو المطلب، وبنو أمية، وبنو نوفل، ومَن فوقهم إلى غالب، وهذا اختيارُ أشهَب من أصحاب مالك(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٧/ ١٠٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨٥).

(٣) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (١١٩)، وقول المالكية حكاه الباجي في المنتقى

القـولُ الثـاني: أنَّ آل النبـي ﷺ هـم ذُريتـه وأزواجـه خاصـة، وحُجـتهم حديث أَبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ المتقدم، وهو حَديثٌ صحيحٌ، وفيه: «... **اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ**»(١).

واحتجوا أيضًا: بما فيه الصحيحين، من حديث أبـي هُـريرة رضي الله عنه قـال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**»(٢).

ومعلومٌ أنَّ هذه الدَّعْوةَ المستجابة لم تنل كُل بني هاشـم ولا بني عبد المطلب؛ فقد قالت عَائِشَةُ رضي الله عنها: «**مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ مَأْدُومٍ ثَلاثَةَ أَيَّام حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ عَزّ وجَل**»(٣)(٤).

القولُ الثالث: أنّ آلَ محمد ﷺ أتباعه إلى يوم القيامة، حكـاه ابنُ عبد البر عن بعض أهل العلم، وأقْدَم مَن رُوي عنه هذا القول جابر بـن عبـد الله، ذكـره البيهقـي عنـه، ورواه عـن سـفيان الثـوري، وغيـره، واختـاره بعـضُ أصحاب الشافعي، حكاه عنه أبو الطبري في تعليقه، ورَجَّحه الشيخُ محيي الدين النووي في شَرح مُسلم، واختاره الأزهري(٥).

=

شـرح الموطـأ للإمـام مالـك (٢/ ١٥٣)، عـن ابـن القاسـم وأشـهب وأصـبغ مـن المالكية.

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٣٨)، ومسلم (٢٩٧٠).

(٤) جلاء الأفهام (ص: ١٢٢)، والمجموع (٧/ ٤٦٦).

(٥) انظر: شرح النووي على مُسلم (٢/ ٣٦١)، وجلاء الأفهام (ص: ١١٩، ١٢٠)، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (١/ ١٩)، والإنصاف (٢/ ٧٩)، =

وهو قولُ مالك[١]، والحكمي[٢]. انتهى.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

والمراد جميع أتباعه، وبقوله: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [القمر]، فالمراد أتباعه المؤمنون به من أقاربه وغيرهم.

وبحديث وَاثِلَةَ بن الأَسْقَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ دَعَا حَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَأَجْلَسَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخِذِهِ، وَأَدْنَى فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِنْ حِجْرِهِ وَزَوْجَهَا، ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ ثم قَالَ: «**اللهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي**»، قَالَ وَاثِلَةُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ: «**وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِي**»[٣].

الراجحُ عندي ما قاله ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: أنّ الآل إنْ قُرنت بالأتباع فالمرادُ بها المؤمنون من قرابته، وذلك مثل أنْ نقول: وآله وأتباعه، ولأنّ العطفَ يقتضي المغايرة.

وإذا ذُكرت وحدها ولم تُقرن بالأتباع فالمرادُ بآله أتباعه على دينه، ويشمل المؤمنين من قرابته. وهذا هو أصح ما قيل في الآل.

=

ولوامع الأنوار البهية (١/ ٥٠).

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٦٧٨، ٦٧٩).

(٢) معارج القبول (١/ ٧٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٠٧)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٧٢-٧٣)، وابن حبان (٦٩٧٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٧٣)، والحاكم (٢/ ٤١٦) (٣/ ١٧٤)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٦٠)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ١٥٢)، وصححه البيهقي والحاكم على شرط الشيخين، والذهبي قال: على شرط مسلم، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٦٩٣٧).

وفي التشهد نقول: «**اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ**». فالمرادُ بالآل هنا: أتباعه على دينه، لأنه لم يُذكر الأتباع. ولكن إذا قلنا: اللهم صَلِّ على محمد وعلى آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسان؛ صار المرادُ بالآل: المؤمنين من قرابته.

هل زوجات النبي ﷺ يدخُلن في آله؟

نعم، وحَديث أبي حُميد السَّاعدي المتقدّم صحيحٌ وصريحٌ في ذلك، وفيه: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(١)].

وقد ذكرتُ أدلة ذلك من الكتاب والسنة وأقوال أكابر الأئمة في كتابي «قدر الصحابة عند الله العظيم».

وقوله: «وصحبه»:

صحبه: جمع صاحب.

والصاحبُ لغة: الملازمُ، إنسانًا أو حيوانًا أو مكانًا أو زمانًا، ولا فرق بين كون مُصاحبته بالبدن وهو الأصل، أو بالعناية والهمَّة. ولا يُقال عُرفًا إلا لمن كثُرت مُلازمته. ويُقال لمالك الشيء: صاحبه[(٢)].

واصطلاحًا: هم أصحابُ رسُول الله ﷺ.

قال النووي رحمه الله: الصَّحِيحَ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ رَأَى

---

(١) **متفقٌ عليه:** تقدم تخريجه.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢١١).

النَّبِيَّ ﷺ وَلَوْ سَاعَةً فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ[(١)].

وإلى هذا ذهب الإمام البخاري وشيخه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد عزا الحافظ ابن حجر هذا القول إلى الجمهور من المحدثين.

قال الحافظ ابنُ حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وأصحّ ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابيّ: من لقي النبيّ ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه،... ويخرج بقيد «الإيمان» من لقيه كافرًا ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى...

ويدخل في قولنا: «مؤمنًا به» كلّ مكلف من الجن والإنس، فحينئذ يتعيّن ذكر من حفظ ذكره من الجن الذين آمنوا به بالشرط المذكور. وأما إنكار ابن الأثير على أبي موسى تخريجه لبعض الجن الذين عرفوا في كتاب الصحابة فليس بمنكر لما ذكرته...

وخرج بقولنا: «ومات على الإسلام» من لقيه مؤمنًا به ثم ارتدّ، ومات على ردّته والعياذ بالله. وقد وجدت من ذلك عدد يسير، كعبيد الله بن جحش الّذي كان زوج أم حبيبة، فإنه أسلم معها، وهاجر معها إلى الحبشة، فتنصّر هو ومات على نصرانيته. وكعبد الله بن خطل الّذي قتل وهو متعلّق بأستار الكعبة، وكربيعة ابن أميّة بن خلف...

ويدخل فيه من ارتدّ وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد.

---

(١) شرح النووي على مسلم (٨/ ٣٢٦).

والـشقّ الأول لا خـلاف في دخولـه. وأبـدى بعـضهم في الـشق الثـاني احتمالًا، وهو مردود لإطباق أهل الحديث على عدّ الأشعث بـن قيس في الصحابة، وعلى تخريج أحاديثه في الصحاح والمسانيد، وهو ممن ارتـدّ ثـم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر.

وهذا التعريف مبنيّ على الأصح المختار عند المحققين، كالبخاري، وشيخه أحمد بن حنبل، ومن تبعهما، ووراء ذلك أقوال أخرى شاذّة...»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: إنَّ اسمَ صُحبة النبي ﷺ مُستَحَق لمن صحبه أقـل مـا يُطلـق عليـه اسـم صُـحبة لغـة، وإنْ كـان العُـرفُ يخـص ذلـك بـبعض الملازمة، ويُطلق على مَن رآه رؤية ولو على بُعد، وهـذا الـذي ذكـره البخـاري هو الراجح.

إلا أنـه هـل يُـشترط في الرائي أنْ يكُـون بحيـث يميـز مـا رآه، أو يكتفـي بمجرد حُصول الرؤية؟ محلُ نظر، وعمل من صنف في الصحابة يـدل عـلى الثاني، فإنهم ذكروا مثل محمد بـن أبي بكـر الـصديق، وإنـما ولـد قبـل وفـاة النبي ﷺ بثلاثة أشهر وأيام، كما ثبت في الصحيح..

ويَردُ على التعريف مَن صحبه أو رآه مُؤمنًا به ثم ارتد بعد ذلك ولـم يعُـد إلى الإسلام، فإنه ليس صحابيًّا اتفاقًا[٢].

وقوله «الأبرار»:

البر لغة: الصدقُ والطاعة.

---

(١) الإصابة (١/ ٧).

(٢) فتح الباري (٧/ ٦).

وفي التنزيل: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال شَمِرٌ: اختلف العُلماءُ في تفسير البرِّ، فقال بعضهم: البرُّ الصلاح. وقال بعضهم: البر الخير[(١)].

قال ابنُ منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا أعلمُ تفسيرًا أجمع منه، لأنه يُحيط بجميع ما قالوا[(٢)].

ولا شَكَّ أنَّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اجتمعت فيهم جميعُ خصال البر، فهم أفضلُ البشر بعد الأنبياء -عليهم السلام- وسيأتي بيانُ قدْر الصحابة من الكتاب والسنة في موضعه بإذن الله.

وقوله: «معادن التقوى»:

معادن: جمعُ معدن... وَعَدَن فُلانٌ بالمكان يَعْدِنُ، ويَعْدُنُ عَدْنًا وعُدُونًا: أقام.. وجناتُ عَدْنٍ منه: أي جنات إقامة لمكان الخُلد.

ومعدن كُل شيء من ذلك، ومعدنُ الذهب والفضة، سُمِّي معدنًا لإنبات الله فيه جوهرهما وإثباته إياه في الأرض حتى عَدن، أي ثبت[(٣)].

وقوله: «التقوى»:

الوقاية: حفظ الشيء مما يُؤذيه ويَضُرُّه، يقال: وقيتُ الشيء أقِيه وقايةً ووقاء، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ١١] ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ٥٦﴾ [الدخان].

---

(١) اللسان (١/ ٣٨٠).
(٢) المصدر السابق.
(٣) اللسان (٦/ ١٢٩) مادة (عدن).

والتقوى: جعلُ النفسِ في وقاية مما يُخَاف، هذا تحقيقه[١].

فالتقوى اسم شامل لفعل الخيرات وترك المنكرات، باطنًا وظاهرًا، امتثالًا لأمر الله جل في علاه.

قوله: «الأسرار»:

جمعُ سر، والمرادُ به هنا: الاطلاعُ على خفايا العُلوم والمناهج.

والمناهجُ: يعني السُّبلُ والطُرقُ والأخلاقُ التي يتخلقون بها، فلا أحَد أعمَق علمًا من الصحابة رضي الله عنهم، ولا أحَدَ أقل تكلفًا من الصحابة رضي الله عنهم...

فعلمُ السَّلف رحمهم الله -وخُصوصًا الصحابة رضي الله عنهم، وخُصوصًا الخلفاء الراشدين- تجده سَهلًا بيِّنًا واضحًا.. قاله ابن عثيمين رحمه الله.

والمعنى إجمالًا: أنَّ الصحابة معادنُ التقوى مع الأسرار، يعني: معادنُ الخير، ومنبعُ الخير، وهم أفضلُ هذه الأمة، وهم مُستقرُّ التقوى، وهم أشدُّ الناس اتقاءً لله وطاعةً له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولا شَكَّ أنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا أعمَقَ الناس أسرارًا، وأبرَّهم قُلوبًا، قاله الفوزان حفظه الله.

(١) المفردات (ص: ٥٨٨).

قال صاحب المنظومة رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦ - وَبَعْـدُ فـاعْلَمْ أَنَّ كُـلَّ العِلْـمِ   كـالْفَرْعِ لِلتَّوْحِيـدِ فاسْـمَعْ نَظْمِـي

الشرح

أي: وبعد ما تقدَّم، من حمد الله والصلاة والسلام على رَسُول الله ﷺ وعلى آله وصَحبه، بدأ في موضوع النظم، وهو علمُ التوحيد.

قوله «فاعلم»:

كلمةٌ تُستعمَل لبيان أهمية ما سيُقال، قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩].

وقال سُبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧].

مراتبُ التعلم ستة، وحرمان العلم بستة:

«**اعلم أنَّ للتعلم ست مراتب**: أولها حُسْن السؤال، ثانيها: حُسْن الإنصات والاستماع، ثالثها: حُسْن الفَهم، رابعها: الحفظ. خامسها: التعليم، سادسها: وهي الثمرة، العَملُ به ومُراعاة حُدوده.

وحرمانُ العلم يكونُ بستة أوجه: أحدها: تركُ السؤال، الثاني: سُوءُ الإنصات، وعدمُ إلقاء السمع، الثالث: سُوءُ الفَهم، الرابع: عَدمُ الحفظ، الخامس: عَدمُ نشره وتعليمه، فمن خَزَّن علمه ولم ينشره ابتلاه الله بنسيانه، جَزاءً وفاقًا، السادس: عَدمُ العَمل به، فإنَّ العَملَ به يُوجبُ تذكُّره وتدبُّره، ومُراعاته، والنظر فيه، فإذا أهمل العَمَلَ به نسيه.

قال بعضُ السلف: كُنا نستعينُ على حفظ العلم بالعَمَل به. قال بعضهم:

العلمُ يهتف بالعمل، فإنْ أجابه وإلا ارتحل [(١)].

وقوله: «أنَّ كلَّ العلمِ كالفرعِ للتوحيد»:

أهمُّ العُلوم على الإطلاق هو علمُ التوحيد، وما بعد من العلوم الشرعية مبنيٌّ عليه، فهو أصلٌ وغيره من العلوم فرعٌ، والفرعُ لا يُبنى إلا على أصل.

ولذلك كان التوحيدُ هو الغاية التي من أجلها أرسَل الله الرسلَ، وأنزل الكتبَ وشرَّع الشرائعَ لقيامه، وقد بيّن القرآنُ أنّ جميعَ الرسل - من أول نوح إلى النبي ﷺ - كلهم كانوا يدعون إلى التوحيد.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥].

وقال رَسُولُ الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»[(٢)].

ولهذا كان الصحيحُ أنَّ أولَ واجب على المكلف شَهادة أنْ لا إله إلا الله.. بل أئمة السَّلَف كلهم مُتفقون على أنّ أولَ ما يُؤمَرُ به العبدُ الشهادتان[(٣)].

---

(١) شرح منظومة الآداب للسفاريني (١/ ٣٢-٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٢٦).

معنى التوحيد لغة: وحَّد: الواو، والحاء، والدال: أصلٌ واحد، يدُلُّ على الانفراد، ومن ذلك الوحدة[(١)].

واصطلاحًا: إفراد الله بالخلق والملك والتدبير، وهو توحيد الربوبية، وإفراده بالعبادة وهو توحيد الألوهية، وانفراده في أسمائه وصفاته، فلا مثيل له ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا رب لشيء من ممكنات سواه[(٢)].

وهو: إفرادُ الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وهذا التقسيمُ قسَّمه أئمة السَّلف المتقدِّمين، وقد دَلَّت عليه نصوصُ الكتاب والسنة باستقراء النصوص.

قال ابنُ بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصلُ الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:-

أحدها: أن يعتقد العبدُ ربانيته؛ ليكون بذلك مُباينًا لمذهب أهل التعطيل، الذين لا يثبتون صانعًا.

الثاني: أن يعتقد وحدانيته، وليكون مُباينًا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع[(٣)]، وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٩٠) مادة (وحد).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٢٤٦).
(٣) الصانع: من صفات الله تعالى، وليس اسمًا لله.

موصوفًا بها، من العلم والقدْرة والحكمة، وسائر ما وصف به نفسه [١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض شرحه اسم «الله»:

فالله اسمٌ للموجود الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه [٢].

ركنا كلمة التوحيد، وهما الإثبات والنفي:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]

«والتوحيد لا يتم إلا بركنين وهما:-

١- الإثبات ٢- النفي.

إنّ النفي المحض تعطيلٌ محض، والإثباتُ المحض لا يمنعُ المشاركة» [٣].

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والنفيُ المحض ليس توحيدًا، وكذلك الإثبات، وهذا هو حقيقة التوحيد [٤].

وقوله: «فاسمع نظمي»:

النَّظمُ: التأليفُ، نَظمه ينظُمه نظمًا، نظامًا ونَظَّمه فانتظم، ونظمتُ اللؤلؤ: أي جمعته في السلك [٥].

---

(١) الإبانة (٤/ ٣٥٦، ٣٥٧).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ١١٨-١٢٠) باختصار.
(٣) كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب (١/ ١٤) بشرح ابن عثيمين.
(٤) انظر: فتح المجيد لعبد الرحمن آل الشيخ (ص: ٣٠).
(٥) اللسان (٨/ ٦٠٩).

فالنظمُ: نوعٌ من الكلام الموزون المقَفَّى. والنثُر: هو الكلامُ المرسَلُ الذي ليس فيه قافية؛ لأنَّ: النون، والثاء، والراء أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على إلقاء شيء مُتفرق [(١)].

وكان صنيعُ كثير من أهل العلم أنْ ينظموا المتون- والمتن: هو العِلمُ المختصَر- نظمًا ليسهل على طالب العلم الحفظ.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٣٨٩) مادة: (نثر).

قال صاحب النظم البديع رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٧ - لأنَّـهُ العِلْـمُ الَّـذِي لاَ يَنْبَغِـي لِعَاقِـلٍ لِفَهْمِـهِ لَـمْ يَبْتَغِـي

الشرح

العلـمُ لغـة: العلـم نقيض الجهـل[1]، هـو الاعتقـادُ الجـازم المطـابق للواقع[2].

فلا يحسُنُ للإنسان البالغ العاقل - سواء أكان ذكرًا أو أنثى - أن لا يبذلَ الجهد ويستفرغ الوقت لتحصيله، ومعرفته، والاتصاف به، حتى يعبد الله على بصيرة.

فينبغي على كل مُسلم - فضلًا عن طلبة العلم - أنْ يتعلم علمَ التوحيد، قال الله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأمَرَ بالعَمل بعد العلم[3].

وبوَّب الإمامُ البخاري بابًا بعنوان: (العلم قبل القول والعمل).

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا العِلْمَ، مَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ»[4].

---

(١) اللسان (٦/ ٤١٥).

(٢) التعريفات (ص: ١٩٩).

(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٣٢).

(٤) الفتح (١/ ١٩٢)، والحديث أخرج شطره الأول أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وغيرهم، والشطر الثاني: «ومن سلك طريقًا...»، عند مسلم (٢٦٩٩).

قال ابنُ المنير رَحِمَهُ اللَّهُ مُعقبًا على قول البخاري: باب العلم قبل القول والعمل: أراد به أنَّ العلمَ شرط في صحةِ القول والعمل؛ فلا يعتبران إلا به، فهو متقدمٌ عليهما؛ لأنه مُصحِّح للنية المصحِّحة للعمل، فنبّه المصنفُ على ذلك، حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: إنّ العلمَ لا ينفعُ إلا بالعمل، تهوينُ أمر العلم والتساهل في طلبه [(١)]. انتهى.

وأهلُ البدع والأهواء يُزهِّدون الناسَ في طلب العلم وخاصةً العقيدة، يقولون: تجلسون تدرسون «فتح المجيد» «والأصول الثلاثة» وكذا وكذا من الكتب، والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يُحارَبون، قُل لهم: وهل انهزم المسلمون ووصلوا إلى ما وصلوا إليه من تردي أحوالهم- في الدنيا والآخرة- إلا بالبُعد عن التوحيد فهمًا وعملًا. الله تعالى وعد المؤمنين بالتمكين إذا حققوا التوحيد، وتحقيقُ التوحيد لا يكونُ إلا بالعلم أولًا ثم العمل به ثانيًا.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور].

فتأمل هذا، ولا تلتفت إلى أقوال أهل البدع، فالكتابُ والسنة وسلف الأمة وأئمتهم يحثون على طلب العلم الذي يقوم به التوحيد، فإذا جهلوا التوحيد لن يحققوه، فانتبه.

---

(١) المصدر السابق.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨ - فَــيعْلَمُ الْوَاجِــبَ وَالمُحَــالَا   كَجَــائِزٍ فِــي حَقِّــهِ تَعَــالى

الشرح

أي: يجب شرعًا على كل مُكلَّف أنْ يعرف ما يجب لله تعالى، وهو ما لا يُتصوَّرُ في العقل عَدمه، كوجُوده تعالى، ووجوب قِدَمه.

ويعلم المحالا: وهو ما لا يُتصوَّرُ في العَقل وجُوده، كالشريك له تعالى، قاله ابن مانع.

وقيل في قوله: «فَيَعْلَمُ الواجبَ والمُحالَا»:

هذا هو علم التوحيد: أنْ يعرف الواجبَ في حَق الله تعالى، من إثبات صفات الكمال له جلّ وعلا، ونُعوت الجلال، وإفراده بالعبادة، هذا هو الواجبُ له سبحانه وتعالى.

ومعرفةُ المستحيل في حَقه سُبحانه وتعالى، كوجُود الشريك لله عز وجل، والشبيه والمثيل، هذا مُستَحيلٌ أنْ يكون لله شَبيه أو مثيلٌ، جَلّ وعلا: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى]، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ﴾ [النحل: ٧٤] أي: الشُّبَهاء والنظراء، هذا مُحالٌ أنْ يكُون لله شبيه، ومحالٌ أنْ يكُون له شَريكٌ في خَلقه، وشَريكٌ في عبادته، وشَريكٌ في أمره ونهيه سُبحانه وتعالى، قاله الفوزان حفظه الله.

وقوله: «كجائز في حقه تعالى»:

والجائز: ما أمْكَنَ وجُوده وعَدَمه، وذلك كأفعال الله جَلّ وعلا، فإنّ الله يفعل بمشيئته وإرادته، يخلق ويرزق، ويرسل الرسل، ويُنزل الكتب،

ويُنزل الغيث، ويُعز ويُذل، كل هذه أفعاله، وهذه من الأمور الجائزة التي تقع، وقد لا تقع، بحسب مشيئته وحكمته وإرادته سُبحانه وتعالى.

إذًا: الأمورُ في حق الله على ثلاثة أقسام:-

أولًا: الواجبُ له سُبحانه، من إثبات كَماله سُبحانه ونُعوت جلاله، وعبادته وحده لا شَريكَ له، هذا هو الواجبُ في حقه.

ثانيًا: الممتنعُ في حَقه، وهو الشَّريكُ له، وضَرْبُ الأمثال والشُّبَهاء لله عز وجلّ.

ثالثًا: الجائزُ في حَقه، وهو أفعالُ الله جَلّ وعَلا التي يفعلها بمشيئته وإرادته، يفعل ما يشاء ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝٢٥٣﴾ [البقرة] سُبحانه وتعالى، قاله الفوزان[١].

(١) انظر شرح السفارينية لجمع من العلماء (ص: ١١٣).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٩ - وَصَارَ مِنْ عَادَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَعْتَنُوا فِي سَبْرِ ذَا بِالنَّظْمِ

١٠ - لأَنَّهُ يَسْهُلُ لِلْحِفْظِ كَمَا يَرُوقُ لِلسَّمْعِ وَيشفي مِنْ ظَمَا

الشرح

السَّبْرُ لغة: مصدر سَبَر الجرح يَسْبُرُ، ويَسْبِرهُ سَبْرًا: نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره[١].

وقيل: السَبَر لغة: الاختبارُ والتجربة[٢].

والمعنى: لما كان من عادة العُلماء القائمين بنشر العلم وتتبع واختيار مهمات المسائل – وخاصة علم التوحيد- أنهم ينظمون هذه المتون- كمتون العقيدة والفقه، ومصطلح الحديث وعلم النحو وغير ذلك- نظمًا مختصرًا؛ لتسهيل الحفظ على طالب العلم، أراد الناظمُ أن يُشارك أهلَ العلم في التسهيل على طلبة العلم، لأن النظم أسهلُ في الحفظ من النثر، وإن كان العلماء الذين كتبوا العقيدة نثرًا أكثر ممن كتبها نظمًا.

وقوله: «يروق للسمع ويشفي من ظما»:

الأمر الثاني من مُسوغات النظم: أنه يروق للسمع، فالإنسانُ يستمع إلى النظم أكثر مما يستمع للنثر، لخفته على السمع..

---

(١) اللسان (٤/ ٤٧٢).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٩٠).

أحمر أسود (١١٢)

ويشفي من ظما: أيْ: يروي من شدة العَطش، والمقصود: أنه يروي العطشانَ إلى العلم، وهذا عطشٌ معنوي، قاله الفوزان.

والعلمُ ليس قاصرًا على النظم، بل قد يُشفَى طالبُ العلم من النثر أكثرَ من النظم، ولهذا كانت مؤلفات العلوم في أولها، ومن أوائل ما أُلف فيها النثر، وليس النظم، والله أعلم.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١ - فَمِنْ هُنَا نَظَمْتُ لِي عَقِيدَه ... أُرْجُوزَةً وَجِيزَةً مُفِيدَه

١٢ - نَظَمْتُهَا فِي سِلْكِهَا مُقَدِّمَه ... وَسِتُّ أَبْوَابٍ كَذَاكَ خَاتِمَه

الشرح

معنى العقيدة لغة: فعلية بمعنى مفعولة، أي معقودة، فهي مأخوذة من العقد، وهو الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الربط والإبرام والإحكام والتوثيق، ويستعمل ذلك في الأجسام المادية، كعقد الحبل، ثم توسع في معنى العقد فاستعمل في الأمور المعنوية، كعقد البيع وعقد النكاح(١).

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: العين، والقاف، والدال، أصلٌ واحدٌ يدل على شَدّ وشِدة، ومن ذلك عقد البناء، والجمع أعقاد وعقود.

قال الخليل: ولم أسمع له فعلًا.

وعَقَدتُ الحبل أعقِد عَقْدًا، وقد انعقد، وتلك هي العُقْدة(٢).

وقد ذكر «المعجم الوسيط» أن العقيدة هي: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، ويرادفها الاعتقاد والمعتقد... وجمعها عقائد(٣).

واصطلاحًا: كما قال أهلُ العلم، هو حُكمُ الذهن الجازم، فإنْ كان

---

(١) المصباح المنير (٢/ ٤٢١)، والقاموس المحيط ص (٣٨٣-٣٨٤)، ولسان العرب (٩/ ٣٠٩-٣١٢).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٨٦) مادة (عقد).

(٣) المعجم الوسيط (٢/ ٦٣٧).

مُطابقًا للواقع فهو صحيحٌ، وإلا فهو فاسدٌ، فالعقيدةُ مُتعلقة بما يجزم به القلب، سواء أكان حقًّا أو باطلًا، وهذا المعنى مُقارب لما ذكره ابنُ عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح هذه العقيدة.

وقوله: «أُرجُوزةً وجيزةً مُفيدة»:

الرَّجَز: بحرٌ من بحور الشعر [(١)] المعروف، ونوعٌ من أنواعه... وتُسمّى قصائده: أَراجيزَ، واحدتها: أُرجوزة، وهي كهيئة السجع، إلا أنه في وزْن الشعر، ويُسمَّى قائله راجزًا، كما يُسمَّى قائلُ بحور الشعر شاعرًا [(٢)].

«**وجيزة**»: أي مختصرة قليلة الألفاظ، ولكنها عظيمة النفع، فقد نظم عقيدة أهل السنة والجماعة في نظم مختصر ليسهل حفظه، كما تقدم من كلامه.

«**مفيدة**»: أي فيها النفع لطالب العلم- بإذن الله – لأنه جمعَ فيها مسائل الاعتقاد بأسلوب سَهل مُيسَّر، وهذا ليس من باب مدح الناظم لنفسه، ولكن لبيان الواقع حتى ينتفع بهذا العلم، وقد قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ**» [(٣)].

---

(١) بحور الشعر ستة عشر، أولها بحر الطويل، آخرها المتدارك، وهي بحور لا يخرج النظم عنها، وهذه القصيدة مُوافقة لبحر الرجز. قاله ابن عثيمين.
وانظر: «أهدى سبيل إلى علمي الخليل» - للدكتور محمود مصطفى (ص: ٢٨) وما بعدها، و«علم العروض والقافية» لعبد العزيز عتيق (ص: ٢٦).

(٢) لسان العرب (٤/ ٧٣) مادة (رجز).

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٤٨) وابن ماجه (٤٣٠٨)، وله شاهد عند مسلم (٢٢٧٨)، وانظر الصحيحة (١٥٧١).

وعن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: «وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»(١).

قوله: «نظمتُها في سِلْكِها مُقدّمة»:

أيْ: نظمتُ مسائلها، وهي المسائل المتعلقة بالاعتقاد.

في سِلْكِها: بكسر السين، أي خيطها.

مُقدمة: وقدّم بمعنى: تقدَّم، وقد استعير لكُلِّ شيءٍ، فقيل: مُقَدِّمة الكتاب ومقدِّمة الكلام، بكسر الدال، قال: وقد تفتَح... ومُقدِّمة كُل شيءٍ: أوله(٢).

وقوله: «وَسِت أبوابٍ»:

أبواب: جمعُ باب، وهو المدخلُ، أي إلى مسائل العلم، ومن صنيع أكثر أهل العلم تقسيم المسائل- سواء أكانت نظمًا أو نثرًا- إلى أبواب وفصول ومطالب؛ ليسهل على طالب العلم حفظها.

وقوله: «وكذلك خاتمة»:

الخاتمة: وخاتمة الشيء آخِرهُ، ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام(٣).

والمعنى: أنه قسَّم المنظومة إلى سِت أبواب، ثم خاتمة بين فيها خُلاصة ما أراده من هذا النظم، وبيان ما تضمنه من فوائد ومسائل.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٢) ومسلم (٢٤٦٣).

(٢) اللسان (٧/ ٢٧٢).

(٣) مختار الصحاح (ص: ٧٧).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في نظمه:

١٣ - وَسَمْتُهَا بِالدُّرَّةِ الْمُضِيَّة فِي عَقْدِ أَهْلِ الْفِرْقَةِ الْمَرْضِيَّة

الشرح

وقيل: السمة، وهي العلامة.

أي: سَمّى هذه العقيدة «بالدرة»، أي: اللؤلؤة.

المضية: المنيرة، من الإضاءة، وأضاءت أي: استنارت، فصارت مُضيئة، لقوة صفائها وحُسنها.

وقوله: «في عَقْدِ»:

أي: في عقيدة أهل الفرقة المرضية، وقد سبق بيانُ معنى العقيدة لغةً واصطلاحًا[(١)].

وعَقد: اسمُ مصدر، لأنَّ اعتقد يعتقد، والمصدر اعتقاد، وعَقد اسم مصدر.

واسمُ المصدر: يقول النحويون، ما دَلّ على معنى المصدر، ولم يشتمل على حروفه، قاله ابن عثيمين.

وقوله: «أهل الفرقة»:

الفرقة: بالكسر، اسم لجماعة مُتفرقة من الناس، بواسطة علامة التأنيث، لأنَّ الاسمَ يكون للجمع بالتأنيث.. والجماعة أقلها ثلاثة.

---

(١) انظر: شرح البيت الحادي عشر.

أما الطائفة: فقال محمد بن كعب رَحِمَهُ اللَّهُ: الطائفة للواحد. وقال عكرمة: للواحد فما فوق من دون المتواتر.. والفريقُ أكثر من الفرقة[(١)].

قوله «المرضية»:

أي في اعتقادها الذي ارتضاه الله ورسُوله، لأنّ عقيدتهم مُستقاة من الكتاب والسنة بفهم الصحابة الكرام ومَن تبعهم بإحسان، وضد هذه الفرقة فرق أخرى اعتقدت اعتقادات فاسدة ممقوتة فضلوا وأضلوا.

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن انقسام هذه الأمة إلى فرق، وأنّ الناجية هي فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة.

قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً** - يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ -، **كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»[(٢)].

وعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: عَنِ النبي ﷺ قَالَ: «**لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ**»[(٣)].

---

(١) الكليات (ص: ٥٧٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٠٢)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والحاكم (١/ ١٢٨)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٨٨٤، ٨٨٥)، والآجري في الشريعة ص (١٨)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥٤١، ٥٤٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١، ٦٥، ٦٩)، وصحّحه الألباني في تحقيق شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٩٠)، والصحيحة (٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٣١١) ومسلم (١٩٢٠) واللفظ للبخاري.

وفي رواية: «**لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**»[١].

فأهلُ السنة والجماعة، هم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية، وهم الفرقة المرضية، كما سماها صاحب النظم.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٠) ومسلم (١٧٠-١٩٢٠) بنحوه.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤ - عَلَى اعْتِقَادِ ذِي السَّدَادِ الحَنْبَلِيّ إمَامِ أَهْلِ الْحَقِّ ذِي الْقَدْرِ الْعَلِيّ

الشرح

السَّديدُ والسُّداد: الصوابُ من القول... والتسديد: التوفيقُ للصواب من القول[1].

والمعنى: أنَّ هذه العقيدة على اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل، الموفَّق إلى الحق والصواب.

وقوله: «إمام أهل الحق»:

أي: يقتدي به أهل الحق، لتمسكه بالكتاب والسنة، وحُسن اتباعه للنبي ﷺ، وقد لقب بإمام أهل السنة؛ لأنه ثبت على عقيدة أهل السنة عند ظهور بدعة القول بخلق القرآن- تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا- وكان ذلك في زمن الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، فقد حمل الناسَ على القول بخلق القرآن، ثم صار الأمر إلى المعتصم إثر موت أخيه، وجرت المحنة المشهورة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فضُرب وسُجن ليقول بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فأبى الإمامُ إلا القول بأنّ القرآنَ كلامُ الله غير مخلوق. وقيل: مكث في السجن ثمانية وعشرين شهرًا حتى مات المعتصم، وولى الخلافة ابنه الواثق، ثم ولى المتوكل بعد الواثق، فخالف المأمون والمعتصم والواثق في الاعتقاد، فأظهر الله السنة، وفرَّج عن الناس[2].

---

(١) اللسان (٤/ ٥٣٢).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ١٢٢٦-١٢٤٣) المكتبة المصرية. وحلية =

قال علي بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث، أبو بكر يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة(١).

بما تنال الإمامة في الدين؟

تُنال الإمامةُ في الدين بالصبر واليقين، الصبر على أقدار الله، والصبر عن معصيته، والصبر على طاعته، واليقين بكل ما أخبر به سبحانه، وأخبرنا به نبينا ﷺ. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة].

وقوله: «ذي القدر العَلي»:

القَدْرُ لغة: الغنى واليسارُ والقوى(٢).

وقيل: القَدْرُ: والقوة(٣).

أي: إنّ الإمام أحمد صاحب القوة في الدين والمنزلة العُليا بين المسلمين، ولا يُنكِرُ قدْرَ الإمام أحمد إلا جاهلٌ أو حاقد أو مُبتدع في الدين.

=

الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (٧/ ٣٤٣-٣٥٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٣٤٥)، وشرح العقيدة الأصفهانية (ص: ٣٤٩).

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٤١٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٢٧٨، ٣٠٩).

وانظر: شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ٣٤٩).

(٢) القاموس المحيط (ص: ٤١٥) مادة (قدر).

(٣) انظر: اللسان (٧/ ٢٦٣).

ذكر جَلالته عند العُلماء، ونبالته عند المحدثين والفقهاء:

بعض أقوال العلماء في الإمام أحمد[(١)]:

قال أيوبُ السجستاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقيتُ مائتين من مشايخ العلم، فما رأيتُ مثل أحمد بن حنبل، لم يكن يخوضُ في شيءٍ مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذُكر العلمُ تكلَّم[(٢)].

قال عبدُ الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه رأى أحمد بن حنبل أقبل إلينا، وقام إليه ومَن عنده، فقال: هذا أعلمُ الناس بحديث سفيان الثوري.

قال أبو زُرعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما رأيتُ مثل أحمد في فنون العلم، وما قام أحد مثل ما قام أحمد به[(٣)].

وقال محمدُ بن إسحاق بن راهويه رحمهما الله: قال: سمعتُ أبي يقول: قال لي أحمد بن حنبل: تعال حتى أريك رَجُلًا لم تر مثله، فذهب إلى الشافعي. قال محمدُ بن إسحاق: قال لي أبي: وما رأى الشافعي مثل أحمد ابن حنبل.

والكلامُ عن فضائل أحمد بن حنبل كثير يصعب استيفاؤه، رحم الله الإمام الجليل، إمام أهل السنة.

---

(١) انظر: حلية الأولياء (٧/ ٣٠٣) وما بعدها باختصار.

(٢) انظر: تاريخ دمشق (٥/ ٢٩١).

(٣) المصدر السابق (٥/ ٢٩٣).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥ - حَبْرُ المَلاَ فَرْدُ العُلاَ الرَّبَّانِي   رَبُّ الْحِجَا ماحِي الدُّجَى الشَّيْبَانِي

الشرح

هذا البيت تتمة الثناء على الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالحبْرُ: الأثرُ المستحسَن.. وشاعرٌ مُحَبِّرٌ، وشِعرٌ مُحَبَّرٌ، وثوبٌ حَبيرٌ مُحَسَّنٌ... والحَبْرُ: العالم، وجمعُهُ أحبار؛ لما يبقى من أثر عُلومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحَسَنة المقتدى بها، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١][١].

وقوله: «المَلا»:

المـلأ: جماعة يجتمعون على رأي، فيملئون العُيون رِوَاء ومنظرًا، والنفوس بهاءً وجلالًا. قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦]... وغير ذلك من الآيات.

يقال: فلانٌ مِلْءُ العيون، أي: مُعظَّمٌ عند مَن رآه كأنه ملأ عَيْنَه من رُؤيته[٢].

وقوله: «فرد العُلَا الرَّبَّاني»:

فرد العلا، يعني: واحدٌ في الخصال السامية، والأخلاق العالية، وهذا ليس على الإطلاق، لأنَّ الذي له الكمال البشري في الأخلاق والعبادات والمعاملات وفي جميع المقامات هو نبينا ﷺ فهو أفضلُ البشر بنص

---

(١) المفردات (ص: ١١٧).
(٢) المفردات (ص: ٥٢٤).

القرآن والسنة وإجماع الأمة.

قوله «الرباني»:

رب: الراء، والباء يدلُّ على أصولٍ. فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرّبُّ المالك والخالق، والصاحب، والرّبُّ: المصلح للشيء. يُقال: رَبَّ فلانٌ ضَيعته، إذا قام على إصلاحها[(١)]... والرَّبيُّ: العارفُ بالرَّب[(٢)].

والرَّبَّانيُّ: المتألِّه، العارفُ بالله عز وجل [(٣)].

قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: بعد أنْ ساق أقوال أهل العلم في معنى قوله تعالى: ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٧٩]:

وأوْلى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين: أنهم جمع ربانيّ، وأنَّ الرباني المنسوب إلى الرَّبَّان: الذي يرب الناس، وهو الذي يُصلح أمورهم ويربها، ويقوم بها.. والرباني: هو المنسوب إلى مَن كان بالصفة التي وصفت. وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين، يرب أمور الناس بتعليمه إياهم الخير، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيم التقي لله، والولي الذي يلي أمور الناس على المنهاج الذي وَلِيَه المقسِطون من المصْلحين أمور الخلق بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم..

فالربانيون إذًا هم عِمادُ الناس في الفقه والعلم، وأمور الدين والدنيا، ولذلك قال مجاهد: وهم فوقَ الأحبار، لأنّ الأحبارَ العُلماءُ، والرباني:

---

(١) ذكر بعد هذا الأصل: الأصل الثاني، وهو تكرارٌ للأول.

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٣٨١-٣٨٢) مادة (رب).

(٣) القاموس المحيط (ص: ٨٢).

الجامعُ إلى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير، والقيام بأمور الرعية وما يُصلحهم في دُنياهم ودينهم [(١)].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يقولُ الرسُولُ للناس كونوا ربانيين، أي: حُكماءَ عُلماءَ حُلماءَ، وقيل: فقهاءَ، وقيل: يعني أهل عبادة وأهل تقوى [(٢)]. انتهى.

فالإمام أحمد- بلا ريب- من أجَلِّ العُلماء الربانيين.

وقوله: «ربَّ الحِجَا ماحي الدُّجى الشَّيباني»:

الحِجَا لغة: العقل، والفطنة [(٣)].

قال الخطَّابي رَحِمَهُ اللَّهُ: يروى بكسر الحاء وفتحها، ومعناه فيهما معنى الستر، فمَن قال بالكسر شبَّهه بالحِجا العَقل، لأنه يمنعُ الإنسانَ من الفساد ويحفظه من التعرض للهلاك.. ومَن رواه بالفتح، فقد ذهب إلى الناحية والطرف [(٤)].

وقوله: «ماحي الدُّجى»:

أي ماحي الظلام، فالإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب العقل والفطنة، التقي النقي، محى ظلام البدعة- بدعة القول بخلق القرآن كما سبق بيانه- وأظهر الحق، ودعا إلى التمسك بالكتاب والسنة وما كان عليه أصحاب رسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«الشيباني»: نسبة إلى جده شيبان.

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٤٤٤-٤٤٥) باختصار.

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٦٢).

(٣) اللسان (٢/ ٣٤٤).

(٤) المصدر السابق.

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦ - فَإِنَّـــهُ إِمَـــامُ أَهْـــلِ الأَثَـــرِ فَمَـــنْ نَحَـا مَنْحَـاهُ فَهْـوَ الأَثَـرِي

الشرح

الأَثرُ لغة: بقية الشيء[١].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: الأثر في الأصل: العلامة والبقية والرواية[٢].

واصطلاحًا: هو يختص بما أضيف إلى مَن دونه - أي النبي ﷺ- من الصحابة أو التابعين.. ولا يُطلق الأثرُ على المرفوع للنبي ﷺ إلا مُقيدًا، مثل أنْ يُقال: وفي الأثر عن النبي ﷺ.

أما عند الإطلاق: فهو ما أضيف إلى الصحابي فمَن دُونه [٣].

فالمعنى: أنّ الإمامَ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إمام أهل الحديث.

قال أبو نعيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الإمامُ المبجَّل والهمَام المفضَّل، أبو عبد الله أحمد ابن حنبل، لزم الاقتداء، وظفر بالاهتداء، عَلَم الزهاد، وقلم النُّقاد، امتحن فكان في المحنة صبورًا، واحتبى[٤]، فكان للنعمة شكورًا، وكان للعلم والحلم واعيًا، وللهم والفكر راعيًا [٥]. انتهى.

---

(١) القاموس المحيط (ص: ٣٠٨).
(٢) «النكت» (١/ ٥١٣).
(٣) شرح المنظومة البيقونية (ص: ٣٧، ٣٨) بتصرف يسير، وانظر «تدريب الراوي» (١/ ٤٣) و«شرح نخبة الفكر» (ص: ٥٩)، و«فتح المغيث» (١/ ٤١).
(٤) الاحتباء: هو أنْ يضم الإنسانُ رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره وتشد عليها... يُقال: احتبى يحتبي احتباء- النهاية (ص: ١٨٥)
(٥) حلية الأولياء (٧/ ٣٠١).

ومن مناقبه الكثيرة: أنه ألف «المسند»، وقد أخرج فيه أكثر من ثمان وعشرين ألف حديث.

ومن بركة علمه: أنَّ من الذين أخذوا الحديث عنه: الإمام البخاري، والإمام مسلم، والإمام أبو داود، والترمذي، وغيرهم.

وقوله: «فمَن نحا منحاه فهو الأثري»:

أيْ: مَن سَلك مسلكه- وهو التمسكُ بالكتاب والسنة- فهو الذي يستحق أنْ يُقال عنه إنه أثرى، يعني مُتبعُ السَّلف أصحاب الحديث والأثر، وهذا في باب الاعتقاد.

أما في مسائل الفقه: فنحن مع الدليل حيث دار، فمَن كان معه دليلٌ من الكتاب والسنة أخذنا بقوله، ومن لم يكن معه دليلٌ أو كان الدليلُ ضعيفًا، تركنا قوله، فكل يُؤخَذ من قوله ويُترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ، كما قال مالك.. رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

---

(١) انظر السير (١٥/ ٩٥)، والمقاصد الحسنة للسخاوي (١/ ٥١٣)، وصفة صلاة النبي ﷺ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧ - سَقَى ضَرِيحًا صوبُ الرِّضا والعَفْوِ والغُفْرانِ ما نَجْمٌ أَضَا

١٨ - وَحَلّه وَسائرُ الأئِمةْ مَنَازِلَ الرِّضْوانِ أعْلَى الْجَنَّةْ

الشرح

وهذا دعاءٌ له، بعد أن ذكر مناقبه.

قوله: «سقى ضريحًا»: يعني: قبره **«صَوبُ الرضا»**: من الله عز وجل، وصوب: يعني: صيبًا، وهو المطر.

أي: سقاهُ في قبره الذي نزل فيه الرضا والرضوان من الله تعالى.

وقوله: «والعفو والغفران ما نجمٌ أضا»:

أي: عنه وله، ما نجم أضا: يعني نوَّر الظلمة، لأنه هو الذي نوَّر المسلمين بعلمه بالله جل وعلا، ندعو الله تعالى أن يرضى عنه ويعفو عنه، ويغفر له دائمًا وأبدًا ما بقيت النجوم في السماء، لأنه هو من النجوم التي يُهتدَى بها، قاله الفوزان.

وقوله: «وَحَلّه وَسائرُ الأئِمةْ...»:

أي: وأحَلّ أحمد: أي أنزله -وبقية أئمة أهل السنة، ومنهم الأئمة الأربعة- منازل الرضوان، أي الرضا من الله تعالى، وأعلى منازل الرضوان الفردوس من الجنة، قال رَسُولُ الله ﷺ: **«فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»**[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

ومن السنة الدعاء للعُلماء، لأنهم أصحابُ الفضل علينا، فقد جعلهم الله تعالى سببًا في حفظ هذا الدين - كتاب وسنة - قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر].

وعن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «... مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»(١).

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٦٨، ٩٩، ١٢٧)، وأبو داود (١٦٧٢) والبخاري في الأدب المفرد (٢١٦)، والنسائي (١٣٥٨)، وابن حبان (٢٠٧١)، والحاكم (١/ ٤١٢، ٤١٣)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٥٤)، والإرواء (١٦١٧).

مقدمة
في ترجيح مذهب السلف على مذهب الخلف(١) والفرقة الناجية على سائر الفرق

١٩ - اعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّهُ جَاءَ الْخَبَرْ ... عَنِ النَّبِيِّ الْمُقْتَفَى خَيْرِ الْبَشَرْ

٢٠ - بِأَنَّ ذِي الأُمَّةِ سَوْفَ تَفْتَرِقْ ... بِضْعًا وَسَبْعِينَ اعْتِقَادًا وَالمُحِقّ

٢١ - مَا كَانَ فِي نَهْجِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ... وَصَحْبِهِ مِنْ غَيْرِ زَيْغٍ وجَفَا

٢٢ - وليسَ هذا النَّصُّ جَزْمًا يُعتبَر ... فِي فِرْقَةٍ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الأَثَر

٢٣ - فَأَثْبِتُوا النُّصُوصَ بِالتَّنْزِيهِ ... مِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ وَلاَ تَشْبِيهِ

٢٤ - فَكُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الآيَاتِ ... أَوْ صحّ فِي الأَخْبَارِ عَنْ ثِقَاتِ

٢٥ - مِنَ الأَحَادِيثِ نُمِرُّهُ كَمَا ... قَدْ جَاءَ فَاسْمَعْ مِنْ نِظَامِي وَاعْلَمَا

٢٦ - وَلاَ نَرُدُّ ذَاكَ بِالعُقُولِ ... لِقَوْلِ مُفْتَرٍ بِهِ جَهُولِ

٢٧ - فَعَقْدُنَا الإِثْبَاتُ يَا خَلِيلِي ... مِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ وَلاَ تَمْثِيلِ

٢٨ - وَكُلُّ مَنْ أَوَّلَ فِي الصِّفَاتِ ... كَذَاتِهِ مِنْ غَيرِ مَا إِثْبَاتِ

٢٩ - فَقَدْ تَعَدَّى وَاسْتَطَالَ واجْتَرَى ... وَخَاضَ فِي بَحْرِ الهَلاَكِ وَافْتَرَى

٣٠ - أَلَمْ تَرَ اخْتِلاَفَ أَصْحَابِ النَّظَرِ ... فِيهِ وَحُسْنَ مَا نَحَاهُ ذُو الأَثَرِ

٣١ - فَإِنَّهُمْ قَدِ اقْتَدَوْا بِالمُصْطَفَى ... وَصَحْبِهِ فَاقْنَعْ بِهَذَا وَكَفَى

---

(١) في بعض النسخ مقدمة في ترجيح مذهب السلف على سائر المذاهب.

شـرح المقدمة

بعد أنْ أثنى الناظم على الله تعالى ورسُوله، والصحابة الكرام، وبيَّن أنه نظم هذه المنظومة لبيان اعتقاد الفرقة المرضية- أهل السنة والجماعة- أثنى على الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ- فهو من أكابر أئمة أهل السنة- ودعا له ولسائر الأئمة.

ثم عقد مُقدمة تحوي عدة أبيات، بيَّن فيها ترجيح مذهب السلف على سائر المذاهب، والفرقة الناجية على سائر الفرق:

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩ - اعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّهُ جَاءَ الْخَبَرْ عَنِ النَّبِيِّ الْمُقْتَفَى خَيْرِ الْبَشَرْ

الشرح

تقدم أنَّ كلمة «**اعلم**» تُستعمل لبيان أهمية ما سيُقال.

وقوله: «هُديت»:

دعاء بالهداية، أي: وفقت للخير، وعُلِّمت الخير.

والهداية قسمان: هداية إرشاد ودلالة، وهداية توفيق، وقد سبق بيان ذلك.

وقوله: «أنه جاء الخبر»:

الخَبر لغة: الخَبر بالتحريك، واحد الأخبار. والخبر: ما أتاك من نبأ عمَّن تستخبر.

قال ابن سيده: الخبر: النبأ، الجمعُ أخبار[1].

---

(١) اللسان (٣/ ١٢).

والخبر هنا المراد به الحديث.

قال الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ: الخبر: هو الكلامُ المحتمل للصدق والكذب[(١)]. انتهى.

والخبر هنا المراد به الحديث.

وقوله: «عن النبي المُقتفى خير البشر»:

سبق بيان معنى «النبي» لغة، وهو الذي يُنبئ عن الله تعالى.

والمراد هنا: هو رسُولُ الله وخاتم النبيين ﷺ.

«**المقتفى**»: أي: المتبع، الذي يُهتدَى به.

قال الليث: القفوُ مصدر قولك: قفَا يَقْفُو قَفْوًا وقُفُوًّا: وهو أنْ يتبع الشيء، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦][(٢)].

قال ابنُ منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: واقْتفَى أثره وتقفَّاه: اتبعه[(٣)].

وقوله: «خيرِ البشرْ»

قد قدمنا الأدلة من الكتاب والسنة على اصطفاء الله تعالى لنبينا ﷺ وبيان أنه أفضل البشر على الإطلاق.

فالناظم أراد أنْ يُقدِّم بين يدي النظم، الذي سيبيِّن فيه اعتقاد أهل السنة، وقدر النبي ﷺ وأنه الصادق المصدوق الواجب اتباعه في الخبر.

والخبرُ يُقال على حديث رَسُول الله ﷺ، والحديثُ إما قول، وإما فعل،

---

(١) التعريفات (ص: ٩٩).

(٢) اللسان (٧/ ٤٥٨) مادة (قفا).

(٣) المصدر السابق.

وإما تقرير، فإنْ ثبت صحة النص وجب العملُ به واتباع ما أمر به، فلا هداية ولا نجاة إلا باتباعه ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]. وسيأتي بيان أهمية الاتباع في موضعه إن شاء الله.

وقوله:

٢٠ - بِأَنَّ ذِي الأُمَّةِ سَوْفَ تَفْتَرِقْ بِضْعًا وَسَبْعِينَ اعْتِقَادًا وَالْمُحِق

ذي: هنا اسم إشارة، وليس بمعنى صاحب.

وقوله: «الأمة»:

الأمة لغة: كُلُّ جماعةٍ يجمعها أمر، أو دين، أو زمان، أو مكان واحد، سواء كان الأمر الجامع تسخيرًا أم اختيارًا، فهي أمة.

كُل مَن آمَن بنبي فهو أمة الإجابة، وكل مَن بلغه دَعوة النبي فهو أمة الدعْوة.

وأُمُّ كل شيء: أصله، قاله الكفوي[(١)].

قال الخليلُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كُلُّ شيء ضُم إليه ما يليه يُسمى أُمًّا.

قال ابنُ عرفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا سُميت أم القرآن، وأم الكتاب[(٢)].

وبناء على هذا التعريف قال ابنُ عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض شرحه هذه العقدة: إنّ الأمة في اللغة تأتي لمعان:-

١- تأتي بمعنى الزمن، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]

---

(١) الكليات (ص: ١٤٦).

(٢) المصدر السابق.

أي بعد زمن.

٢- وتأتي بمعنى الملة، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢].

٣- وتأتي بمعنى الإمامة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠] أي: إمامًا.

٤- وتأتي بمعنى الطريقة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢].

٥- وتأتي بمعنى طائفة، كما في كلام المؤلف. انتهى.

قوله:

.... سَوْفَ تَفْتَرِقْ بِضْعًا وَسَبْعِينَ اعْتِقَادًا وَالْمُحِقْ

البضع: ما بين الثلاثة إلى التسعة.

ويشير في هذا البيت إلى حديث مُعَاوِيَة بْن أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما أنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ -، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»(١).

وفي رواية: أنه ﷺ قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(٢).

وقوله ﷺ: «كُلُّهَا فِي النَّارِ»، لا يعني أنهم خالدون في النار، لأنَّ اعتقادَ

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه، في ثنايا شرح البيت الثالث عشر.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه الألباني لغيره في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٣٤)، والصحيحة (١٣٤٨).

أهل السنة قاطبة أنَّ الفاسق من أهل القبلة إذا مات غير تائب، فهو في المشيئة، إنْ شاء الله عذبه ثم يخرج بالشفاعة، أو إنْ شاء غفر له ابتداء رحمةً منه تعالى[١].

قال جلَّ ذكره: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ١١٦].

والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا، وسنذكرها في موضعها بإذن الله تعالى.

وقوله «اعتقادًا»:

بيان أنَّ الاختلافَ المذموم في باب الاعتقاد، لا في فروع مسائل الفقه.

قال العلقمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال شيخُنا: ألّف الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي في شرح هذا الحديث كتابًا، قال فيه: قد علم أصحاب المقاولات أنه ﷺ لم يُرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام، وإنما قصد بالذم مَن خالف أهل الحق في أصول التوحيد، وفي تقدير الخير والشر، وفي شروط النبوة والرسالة، وفي موالاة الصحابة، وما جرى مجرى هذه الأبواب، لأنَّ المختلفين فيها قد كفَّر بعضهم بعضًا، بخلاف النوع الأول؛ فإنهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمُخالف فيه، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف[٢].

---

(١) راجع: تفسير القرطبي (٥/ ٣٨٥).
(٢) عون المعبود (١٢/ ٢٢٢).

وقوله «المُحق»:

أي الفرقة الناجية- أهل السنة والجماعة- لأنَّ النبي ﷺ بيَّن أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار، إلا واحدة، وقد تقدَّم حديث الطائفة المنصورة[١].

(١) راجع: شرح البيت الثالث عشر.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١ - مَا كَانَ فِي نَهْجِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَصَحْبِهِ مِنْ غَيْرِ زَيْغٍ وجَفَا

الشرح

نهج الأمرُ وأنهج، إذا وضح. والنّهج: الطريق المستقيم[(١)].

والمعنى: أنَّ الفرقة الناجية: هي ما كانت على مَنهج رَسُول الله ﷺ.

وقوله «وصحبه»:

أي الصحابة- رضوان الله عليهم- الذين تمسَّكوا بالكتاب والسنة.

مسألة: هل قولُ الصحابي حُجّة؟

هذه مسألة محل نزاع بين أهل العلم، هل قولُ الصحابي الواحد حُجّة أم لا؟

وقد ذكر ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أكثر من خمسين وجهًا لبيان وجوب اتباع الصحابة، واستدل لقوله بأدلةٍ كلها من الكتاب والسنة[(٢)].

والذي لا خلافَ فيه بين أهل العلم أنَّ إجماعَ الصحابة- بعد موت النبي ﷺ- لا يُردّ، لأنَّ الإجماعَ من أدلة الأحكام، وهي: (الكتاب- السنة- الإجماع- القياس)[(٣)]، فإذا كان الأمر كذلك؛ فإجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أولى

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٩٤٩).

(٢) راجع: إعلام الموقعين (٤/ ٣٨٨-٤١٠)، والفقيه والمتفقه (١/ ١٧٤)، والموافقات للشاطبي (٤/ ٧٤)، والاعتصام (٢/ ٢٦٣/ ٢٦٧)، ومجموع الفتاوي (١/ ٣٨٣) و(٥/ ٤١٣) و(١٣/ ٢٤)، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٨٧، ٦٩٦)، والإحكام للآمدي (٤/ ١٣٠، ١٩٧).

(٣) انظر: المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي (١/ ١٩٠-٤١٦)، =

من إجماع مَن بعدهم.

ونذكر ههنا معنى الإجماع لغة واصطلاحًا، وبيان حُجية الإجماع.

الإجماع لغة: يُقال بالاشتراك على معنيين:

أحدهما: العزمُ: قال الله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾ [يونس: ٧١].

وقال ﷺ: «**لَا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ**»(١).

وثانيهما: الاتفاق، يقال: أجمعُوا على كذا، أي صاروا ذوي جَمع، كما يُقال: ألْبَنَ وأتْمرَ، إذا صار ذا لبنٍ وذا تمر. انتهى(٢).

في الاصطلاح: فهو اتفاقُ مُجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من الأعصار على أمر من الأمور الدينية(٣).

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض شرحه تعريف الإجماع، كما ذكره صاحب المحصول: والمرادُ بالاتفاق: الاشتراكُ، إما في الاعتقاد، أو في القول، أو في الفعل.

ويخرج بقوله: «مجتهدي أمة محمد ﷺ اتفاق العوام؛ فإنه لا عبرة بوفاقِهم ولا بخلافهم».

=

والرسالة للشافعي (ص: ٣٩٠، ٣٩١)، وغيرهما.

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٥٤)، والترمذي (٧٣٠)، وابن ماجه (١٧٠٠)، وابن خزيمة (١٩٣٣)، والدارمي (١٦٩٨) وغيرهم.

(٢) المحصول للرازي (٢/ ٥) وإرشاد الفحول للشوكاني (١/ ٣٤٥) والمستصفى لأبي حامد الغزالي (١/ ٣٢٥).

(٣) انظر: المحصول (٢/ ٥)، والمستصفى (١/ ٣٢٥)، وإرشاد الفحول (١/ ٣٤٦)، ومذكرة أصول الفقه للشنقيطي (ص: ١٤٨)، ومختصر ابن اللحام (ص: ٧٤).

ويخرج منه أيضًا: اتفاق بعض المجتهدين.

وبالإضافة إلى أمة محمد ﷺ خرج اتفاق الأمم السابقة. ويخرج بقوله: «في عصرٍ من الأعصار» ما يُتوهَّم من أنَّ المرادَ بالمجتهدين جميع مجتهدي الأمة في جميع الأعصار إلى يوم القيامة، فإنَّ توهُّمَ هذا باطلٌ؛ لأنه يُؤدي إلى عدم ثبوت الإجماع، إذ لا إجماعَ قبل يوم القيامة، وبعد يوم القيامة لا حُجّة للإجماع.

والمرادُ بالعَصْر: عَصرُ مَن كان من أهل الاجتهاد، في الوقت الذي حدثتْ فيه المسألة، فلا يُعتبَر بمن صارَ مجتهدًا بعد حُدوثها وإنْ كان المجتهدون فيها أحياء[١].

والمراد بالأمور الدينية أي: أن تكون المسألة المجمع عليها في أمر من أمور الدين، فيخرج بذلك الأمور الدنيوية والعقلية وغيرها [٢].

دَليلُ حُجية الإجماع:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء].

قال الإسنوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد تمسَّك به الشافعي في الرسالة.

وجهُ الدلالة: أنَّ الله تعالى جمع بين مُشاقة الرسول، واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد، حيث قال: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ﴾ فيلزم أنْ

---

(١) إرشاد الفحول (١/ ٣٤٦، ٣٤٧).

(٢) قواعد الأصول لصفي الدين الحنبلي (ص: ٧٣)، ومذكرة أصول الفقه للشنقيطي (ص: ١٥١).

يكون اتباعُ غير سبيل المؤمنين محرمًا، لأنه لو لم يكُن حرامًا ما جمع بينه وبين المحَّرم، الذي هو المشاقة في الوعيد، فإنه لا يحسن الجمع بين حلال وحرام في وعيد، بأنْ تقول مثلًا: إن زنيتَ وشربتَ الماءَ عاقبتك.

وإذا حرم اتباع غير سبيلهم: وجب اتباع سبيلهم؛ لأنه «لا مخرج عنهما» أي: لا واسطة بينهما.

ويلزم من اتباع سبيلهم كونُ الإجماع حُجّة؛ لأنَّ سَبيلَ الشخص هو: ما يختاره من قول، أو فعل، أو اعتقاد[1]. انتهى.

وقاله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فقد وصف الله تعالى هذه الأمة بأنهم يأمرون بالمعروف بكل معروفٍ وينهون عن المنكر، فلو قالت الأمة في الدين بما هو ضلال لكانت لم تأمر بالمعروف في ذلك، ولم تنه عن المنكر فيه؛ فثبت أن إجماع هذه الأمة حق، وأنها لا تجتمع على ضلالة[2].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

والوسط العدل والخيار، وقد جعل الله هذه الأمة شهداء على الناس، ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لم يكونوا شهداء الله في الأرض، وأقام شهادتهم مقام شهادة الرسول ﷺ[3].

---

(١) نهاية السُّول على شرح المنهاج للإسنوي (٢/ ٧٤٣)، ومذكرة أصول الفقه للشنقيطي (١/ ١٤٨)، وإرشاد الفحول (١/ ٣٤٦)، والمستصفى (١/ ٣٢٥) وما بعدها، وتفسير ابن كثير (١/ ٥٣٣)، وروضة الناظر لابن قدامة (١/ ٣٣٥، ٣٣٦).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٩/ ١٧٦، ١٧٧)، وشرح الكوكب المنير (٢/ ٢١٧).

(٣) انظر صحيح البخاري (١٣/ ٣١٦)، والفقيه والمتفقه (١/ ١٦٠)، ومجموع

ومن الأدلة أيضًا على حُجية الإجماع:

قول رَسُول الله ﷺ: «**لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ**»[(١)]، وقد استدل به الغزالي وغيره على حُجية الإجماع[(٢)].

وقوله: «من غير زيغٍ وجفًا»:

الزيغ لغة: قال ابن العربي: زَغا إذا عَدلَ، وسعى إذا هرب[(٣)].

الجفا لغة: هو من الجفاء: البُعدُ عن الشيء، يُقال: جَفَاه إذا بعد عنه، وأجْفاه: إذا أبْعَدَهُ[(٤)].

والمعنى: أنْ نتبع ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وما أجمعوا عليه بعد

=

الفتاوى (١٩/ ١٧٧، ١٧٨).

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٧)، والحاكم (٣٩١)، والطبراني في الكبير (١٣٦٢٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وله شاهد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٤)، وابن بطة في الإبانة (١٢٠)، واللالكائي (١٥٣)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٤٢١، ٤٢٣) وغيرهم.

وشاهد آخر عن أبي بصرة الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٦)، والطبراني في الكبير (٢١٧١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٣٩٠).

وشاهد آخر عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه أبو داود (٤٢٥٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٢) وغيرهما، وله شواهد أخر، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٣٣١)، وصحيح الجامع (١٧٨٦).

(٢) انظر: المستصفى (١/ ٣٢٩).

(٣) اللسان (٤/ ٣٧٢).

(٤) النهاية لابن الأثير (ص: ١٥٧).

موته، لما تقدَّم من حُجية الإجماع.

ولا نبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، أي لا نبدل أقوال وأفعال أهل البدع بأقوال وأفعال النبي ﷺ وأصحابه، ولا نعرض، ولا نبعد عن ما كانوا عليه.

واحذر من أقوال أهل البدع الذين يُزهِّدون الناس في طلب العلم الشرعي، وخاصة العقيدة، ويُنكرون على مَن يبيِّن مناهجهم الضالة، بزعمهم أنَّ هذا يُفرِّق الأمة، ويستدلون لقولهم الفاسد بآية هي حُجة عليهم: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] وهذا صنيع أهل البدع- بتر الأدلة- فقد تغافلوا عن أوّل الآية، قال جَلّ ذكره: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فأمر بطاعته سبحانه وطاعة نبيه ﷺ مُطلقًا، ثم نهى عن النزاع الذي قد يقع بين أهل السنة والجماعة في مسألة من مسائل الدِّين، وليس في أصول الاعتقاد الذي لا خلاف فيها بين أهل السنة والجماعة، والحمد لله رب العالمين، وستأتي الأدلة على ذلك، في موضعه بإذن الله.

مسألة: كيف نعلم أننا الفرقة الناجية؟

الأمرُ يسير، فقد بيَّن لنا رسُولُ الله ﷺ صفات هذه الطائفة المنصورة- أهل السنة والجماعة- فقال: «... **وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي: الْأَهْوَاءَ-، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»(١). ثم بيَّن مَن هم الجماعة، فقال: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٢).

(١) صحيح: تقدم تخريجه في شرح البيت الثالث عشر.
(٢) صحيح: تقدم تخريجه في شرح البيت العشرين.

فينبغي على المسلم العاقل أنْ يقيس أقواله وأفعاله وأعماله بميزان الشرع- كتاب وسنة- فإنْ كان مُوافقًا لهما، فعَمله صحيحٌ، وإلا فهو مردودٌ على صاحبه، لقول رَسُول الله ﷺ «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)]، وقال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[(٢)].

والعُلماءُ أضافوا قيدًا ثالثًا: هو أنْ يكون بفهم السلف الصالح من الصحابة الكرام ومَن تبعهم بإحسان، لأنَّ كل مُبتدع لا بُد أنْ يكون معه دَليلٌ من الكتاب أو السنة أو كليهما، ولكن بفهمه هو الذي يُوافقُ هَواه.

فنقول لكل من استدل لبدعته بنص مبتور أو حَديث لا يثبُتُ عن رَسُول الله ﷺ: مَن قال هذا القولَ من الصحابة أو التابعين من الأئمة المعْتَبَرين؟

قد يقول قائل: ما الدَّليلُ على هذا القيد- فهْم سَلف الأمة-؟؟

دليلُ هذا القيد: قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة].

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فوَجْه الدلالة[(٣)] أنَّ اللهَ تعالى أثنى على مَن اتبعهم، فإذا قالوا قولًا فاتبعهم مُتبع عليه قبل أن يعرف صحته فهو مُتبع لهم، فيجب أنْ يكون محمودًا على ذلك، وأنْ يستحق الرضوان[(٤)].

---

(١) أخرجه مُسلم (١٨-١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومُسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
(٣) أي: على وجوب اتباع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.
(٤) بدائع التفسير (٢/ ٣٧١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار[١].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: واتباعهم يكون في كل شيء بالاعتقادات والأقول والأعمال[٢].

وفي حَديث الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «... **مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ**»[٣].

فنقول لكل مُبتدع: قول الله تعالى: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة].

أي دَليل على كلامك من الكتاب والسنة وفَهْم سَلف الأمة، فانتبه.

---

(١) مجموع الرسائل الكبرى (١/ ٤٠٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص:٣٥٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٤٤٢)، ومسند أحمد (٤/ ١٢٦)، والترمذي (٢٦٧٠، ٢٦٧١)، والدارمي (٩٥)، وابن حبان (٥)، والحاكم (١/ ١٧٤، ١٧٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٣، ٤٨، ٥٥، ٥٦، ٥٩)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٦١٩، ٦٢٢، ٦٢٣)، وفي مسند الشاميين (٢٠١٧) والبزار في مسنده (٤٢٠١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٧، ٢٧٣٥) و«الإرواء» (٢٤٥٥).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٢ - وليسَ هـذا النَّصُّ جَزْمًا يُعتبَر   في فِرْقَـــةٍ إلّا عَلَـــى أهْـــل الأَثَـــر

٢٣ - فَـأَثْبَتُوا النُّـصُوصَ بِالتَّنْزِيـهِ   مِـــن غَيْـــرِ تَعْطِيـــلٍ وَلاَ تَـــشْبِيهِ

الشرح

المعنى: أنَّ هـذا الـنصَّ لا ينطبـقُ على فرقةٍ مـن الفـرق الـضالة، ولكـن ينطبق على فرقةٍ واحدة، كما جاء في الحـديث «**إِنَّ هَـذِهِ الْأُمَّـةَ سَـتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»[١].

فأهلُ الأثر: هم المتمسكون بالكتاب والسنة بفهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهم الفرقة الناجية.

وقوله «فأثبتوا النُّصوصَ بالتنزيه...»:

التنزيه لغة: أصله من البعد.

قال ابنُ السكيت: وممَّا يضعه الناسُ في غير موضعه قولهم: خرجنا نتنزه، إذا خرجوا إلى البساتين.

قال: وإنما التنزُّهُ: التباعد عن المياه والأرياف.

ومنه قيل: فلان يَتَنَزَّهُ عن الأقذار، ويُنَزِّهُ نفسه عنها، أي: يُباعِدُها عنها[٢].

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٢) الصحاح للجوهري (ص: ١٠٣٤-١٠٣٥) ط. دار المعارف - بيروت.

وقوله: «من غير تعطيل ولا تشْبيهٍ»:

التعطيل لغة: التفريغُ[(١)]، وعَطَّلَ الدار: أخلاها، وكلُّ ما ترك ضياعًا: مُعَطَّلٌ ومُعْطَل...

فالتعطيل من عطَّل، وهو يدل على خلوٍّ وفراغ[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥] أي: لا يُسقى منها، ولا يُنتفعُ بمائها[(٣)].

واصطلاحًا: تعطيلُ النصوص بمنع إثبات مَدلولها، أو بنفي الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه، وأثبتها له نبيه ﷺ، وسنذكر أمثلة لبيان معنى التعطيل في ثنايا الكلام عن أقسام التعطيل.

أقسام التعطيل:

التعطيلُ خمسة أنواع، وأهل السنة يتبرءون من جميع أنواع التعطيل.

«اعلم أنَّ التعطيلَ الذي ينفيه أهل السنةُ والجماعة ينقسم إلى أقسام:-

الأول: تعطيلٌ جُزئي: يكون بإثبات الأسماء، وإثبات سبع من الصفات، وإنكار الباقي، وهو مذهب الأشاعرة، فالأشاعرة يُثبتون الأسماءَ لله عز وجل، ويثبتون سبعًا من الصفات، ويُنكرون الباقي، فإذا جاءت النصوص بدلالة على الباقي حرَّفوها، فيكون هؤلاء عَطّلوا النصوص وعَطّلوا الصفات فيما نفوه، فمثلًا يقولون في قول الله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

---

(١) الصحاح (ص: ٧١٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣٥١، ٣٥٢).

(٣) اللسان (٦/ ٣١٥).

وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. يقولون: معنى ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: أي أثابهم، فيفسرون الرضا بالمفعول المنفصل عن الله، وهو الثواب، فهؤلاء عطلوا الصفة، وهي الرضا، وعطلوا النص، فصرفوا دلالته عن الرضا إلى الثواب، فعطّلوه عن مدلوله.

الثاني: تعطيلُ الصفات كلها دون الأسماء: فينفون الصفات عن الله، ويُثبتون له الأسماء، ومنهم مَن يُقر بالحياة والعلم والقدْرة؛ لأنه لا بُد للرب منها، وما عدا ذلك يحرفونه، وهؤلاء هم المعتزلة، وهذا هو المشهورُ عنهم، أنهم يُقرون الأسماء ويُنكرون الصفات، أو يُقرون بثلاث صفات ويُنكرون الباقي.

الثالث: إنكارُ الأسماء والصفات: فيقولون: إنَّ الله لا يُسمَّى سميعًا، ولا يثبتُ له سَمع، وكل ما سمى الله به نفسه يجعلونه اسمًا للمخلوقات، فليس الله هو السميع، بل السميع خلقه، وأضيف السَّمعُ إليه لأنه هو الذي خلقه في هذا، فيجعلون الأسماءَ والصفات كلها للمخلوقات، لا للخالق عز وجل، وهؤلاء غُلاة الجهمية، يقولون: لا نُؤمنُ بأنَّ الله له أسماء ولا بأنَّ الله له صفات.

الرابع: هم الذين لا يثبتون لله أي صفة ثبوتية: فكُل شيءٍ ثبوتي لا يثبتونه لله، وإنما يُثبتون لله السلبيات فقط، فيقولون مثلًا: ليس بمعدوم، ليس بجاهل، ليس بأعمى... وهؤلاء هم القرامطة[1] وأشباههم.

---

(١) القرامطة: فرعٌ من الإسماعيليين، نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وجعفر من العلماء والفقهاء. وقد اختلف الشيعة على الإمام من بعده، فقالت طائفة: هو إسماعيل؛ لأنه ولده الأكبر، وقالت طائفة: الإمام هو موسى ولد جعفر؛ لأنّ أم

الخامس: الذين يُعطلون النفي والإثبات: فلا يَصفون الله بصفةٍ ثبوتية ولا بصفةٍ سلبية، فلا يُثبتون الإثباتَ ولا النفي، فيقولون: لا نقولُ إنه يَرضى، ولا نقولُ إنه لا يرضى، ولا نقولُ حي، ولا ميت، لا سميع ولا أصم، لا بصير ولا أعمى، فينفون عنه النفي والإثبات.

قالوا: لأنك لو أثبت لشبَّهته بالمثبَتات، ولو نفيتَ لشبَّهته بالمنفيات.

فأنت واقعٌ في التشبيه، سواء أثبت أم نفيت.

فنقول لهم: هل تقولون إنه موجود؟ فسيقولون: لا، هل تقولون معدوم؟ فسيقولون: لا. إذًا لا موجود ولا معدوم، وهل هذا ممكن أنْ يكون الشيء لا موجودًا، ولا معدومًا، أو موجودًا معدومًا؟ لا يمكنُ...

وانظر كيف يلعب الشيطان ببني آدم إلى هذا الحد....؟ [(١)] [(٢)].

=

إسماعيل غابت به؛ لأنها كانت تخاف عليه لعلمها أنّ الناسَ كانوا يحبون أنّ الولاية تكون لموسى، فاختار الشيعة موسى للولاية، وهؤلاء هم الموسوية، أي أتباع موسى ابن جعفر الصادق، والإسماعيلية أنصار إسماعيل بن جعفر الصادق، وهم في باب الاعتقاد باطنية زنادقة مَلاحدة، ومنهم أبو طاهر ابن حُسين القرمطّيُّ الزنديق، الذي سار إلى مكة في سبعمائة فارس، فاستباح الحجيج كلهم في الحرم، واقتلع الحجر الأسود، وردم زمزم بالقتلى. لمزيد من عقائدهم انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٢٠)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٦١-١٦٠).

(١) شرح السفارينية (ص: ١٢٣-١٢٤)، باختصار وتصرف يسير، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٣٥٦، ٣٥٧).

(٢) هؤلاء هم الباطنية القديمة من فرق الشيعة، قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج، فقالوا في الباري تعالى: إنا لا نقول: «هو موجود»، ولا «لا موجود»، ولا «عالم» ولا «جاهل»، ولا «قادر» ولا «عاجز»

=

في اللغة: الشَّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، والجمع أشباه، وأشبه الشيء: ماثله.... والتشبيه التمثيل(١).

قال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: شبه، والشَّبهُ، والشبيه: حقيقتها في المماثلة من جهة الكيفيَّة، كاللون والطعم، وكالعدالة والظلم.

والشبهة: هو أن لا يتميَّزَ أحد الشيئين من الآخر، لما بينهما من التشابه، عينًا كان أو معنى، قال: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥] أي: يُشبه بعضه بعضًا لونًا، لا طعمًا، ولا حقيقة(٢).

والمعنى شرعًا: أنَّ أهلَ الأثر- الذين تمسكوا بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة من الصحابة الكرام ومَن تبعهم بإحسان- أثبتوا النصوصَ- قرآنًا وسنة- وعملوا بمقتضاها في الظاهر والباطن.

فأثبتوا صفات الله عز وجل كما أثبتها لنفسه في كتابه، وكذا الصفات التي أثبتها له نبيه ﷺ ونفوا عن الله ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تحريف ولا تكييف.

وكذا تمسّكوا بالتنزيه لله تعالى عن العيوب والنقائص، مع إثبات الكمال له من كل وجه.

قال جَلَّ ذكره: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى] فالآية فيها الردُّ على المشبِّهة الذين شبَّهوا صفات الله تعالى

=

وكذلك في جميع الصفات - الملل والنحل للشهرستاني (١٩٦).

(١) لسان العرب (٥/ ٢٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٨٠).

بصفات المخلوق، ففيها نفي التمثيل، وردٌّ على الجهمية المعطِّلة الذين أثبتوا الاسمَ ونفوا الصفة، فقالوا: سميعٌ بلا سمع وعليمٌ بلا علم- تعالى الله عما يقول المعطِّلة علوًّا كبيرًا- ولذلك قال السلف رحمهم الله جميعًا: من شبَّه عَبَدَ صنمًا، ومن عطَّل عبد عدمًا.

تنبيه:

استعمالُ لفظ التمثيل أولى من استعمال لفظ التشبيه، لأسباب:-

الأول: أنَّ لفظ التمثيل جاء في القرآن، فالله تعالى نفاه بنص القرآن، ونفيُ التشبيه لم يرد في القرآن ولا في السنة، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى] فالأولى استعمال ألفاظ القرآن، لأنَّ ألفاظ البشر يعتريها الخطأ والاختلاف والتناقض.

الثاني: نفيُ التشبيه مُطلقًا غيرُ صحيح، لأنَّ بين صفات الخالق والمخلوق قدر مُشترك، كالاشترك في مُسمّى الصفة.

مثال: الله تعالى أثبت لنفسه السمع والعلم والقدرة وغير ذلك، وهذه الصفات ثابتة للمخلوق بكيف معلوم، أما صفات الله تعالى فلا يَعلم كيفيتها إلا هو، فليس كمثله شيء.

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: مجردُ الاعتماد في نفي ما يُنفى على مجرد نفي التشبيه لا يُفيد؛ إذ ما من شيئين إلا ويشتبهان من وجه، ويفترقان من وجه، بخلاف الاعتماد على نفي النقص والعيب، ونحو ذلك مما هو سبحانه وتعالى مُقدَّس عنه، فإنَّ هذه الطريقة صحيحة.

وكذلك إذا أثْبِت له صفات الكمال، ونُفي مماثلة غيره له فيها، فإنَّ هذا نفي المماثلة فيما هو مُستحق له، وهذا حقيقة التوحيد، وهو أنْ لا يشركه

شيء من الأشياء فيما هو من خصائصه، وكل صفة من صفات الكمال فهو مُتصف بها على وَجْه لا يماثله فيه أحد.

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها: إثباتُ ما وَصف به نفسه من الصفات، ونفي مماثلته لشيء من المخلوقات.

فإنْ قيل: إنَّ الشيءَ إذا شابه غيره من وجه جاز عليه ما يجوز عليه من ذلك الوجه، ووجب له ما وجب له، وامتنع عليه ما امتنع عليه.

قيل: هب أنْ الأمر كذلك، ولكن إذا كان ذلك القدر المشترك لا يستلزمُ إثباتَ ما يمتنع على الرب سُبحانه وتعالى، ولا نفي ما يستحقه، لم يكن ممتنعًا، كما إذا قيل: إنه موجود، حي، عليم، سميع، بصير، وقد سمّى بعض المخلوقات: حيًّا، عليمًا، سميعًا، بصيرًا، فإذا قيل: يلزم أن يجوز عليه ما يجوز على ذلك من جهة كونه موجودًا، حيًّا، سميعًا، بصيرًا، قيل: لازمُ هذا القدر المشترك ممتنعٌ على الرب تعالى، فإنَّ ذلك لا يقتضي حُدوثًا ولا إمكانًا، ولا نقصًا، ولا شيئًا مما يُنافي صفات الربوبية.

وذلك أنّ القدْرَ المشترك هو مُسمّى «الوجود» أو «الموجود» أو «الحياة» أو «الحي» أو «العلم» أو «العليم»... والقدْرُ المشترك مُطلقٌ كلي، لا يختص بأحدهما دون الآخر، فلم يقع بينهما اشتراك لا فيما يختص بالممكن المحدَث، ولا فيما يختص بالواجب القديم، فإن ما يختص به أحدهما يمتنع اشتراكهما فيه[(١)].

(١) العقيدة التدمرية (ص: ١٢٤-١٢٦).

الثالث: نفي المشابهة بالكلية يُفضي إلى التعطيل التام.

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا كان القدْرُ المشترك الذي اشتركا فيه صفة كمال كالوجود والحياة والعلم والقدرة، ولم يكن في ذلك ما يدل على شيء من خصائص المخلوقين، كما لا يدل على شيء من خصائص الخالق، لم يكن في إثبات هذا محذور أصلًا، بل إثبات هذا من لوازم الوجود، فكل موجودين لا بُد بينهما من مثل هذا، ومَن نفى هذا لزمه تعطيل وجود كل موجود.

ولهذا لما اطلع الأئمة على أنَّ هذا حقيقة قول الجهمية سموهم مُعطلة، وكان جهم يُنكر أنْ يُسمّى الله شيئًا، وربما قالت الجهمية: هو شيءٌ لا كالأشياء، فإذا نفى القدر المشترك مُطلقًا لزم التعطيل التام...

وهذا الموضع مَن فهمه فَهمًا جيدًا وتدبره زالت عنه عامة الشبهات، وانكشف له غلط كثير من الأذكياء في هذا المقام [١].

---

(١) المصدر السابق.

ثم قال الناظمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٤ - فَكُلُّ مَا جَاءَ مِنَ الآيَاتِ أَوْ صحّ فِي الأَخْبَارِ عَنْ ثِقَاتِ

٢٥ - مِنَ الأَحَادِيثِ نُمِرُّهُ كمَا قَدْ جَاءَ فاسْمَعْ مِنْ نِظَامِي وَاعْلَمَا

الشرح

«فكل ما جاء من الآيات»:

«فكُل ما» ليست «كلما» التي هي أداة تكرار، بل «كل» مضافة إلى «ما» الموصولة، يعني: كل الذي جاء من الآيات، قاله ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله: «أو صح في الأخبار»:

قال أهل السنة: ما جاء عن رَسُول الله ﷺ في الصفات بأسانيد صحاح، فهو حَق[1].

وقوله «نُمِرّه كما جاء»:

أي: كل ما جاء عن الله تعالى وأخبرنا به رسُولنا ﷺ نجريه على ظاهره، ولا نحرفه، كما يفعل أهل البدع والأهواء.

فنثبت الصفة كما أثبتها الله لنفسه وأثبتها له نبيه ﷺ، وكذا نثبت معناها؛ لأنَّ الألفاظ لها معان، وصفاتُ الله تعالى لها معنى على الحقيقة لا على المجاز، ولكن بغير كيف.

مثال: الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، كما أخبرنا رسُولُ الله ﷺ؛ فنثبت صفة النزول، ونثبت معنى النزول، أي أنه ينزل

(١) الحجة في بيان المحجة (ص: ٢٢٠).

حقيقة لا مجازًا، فلا نقول: ينزل أمره أو رحمته، ولكن كيف ينزل؟ نقول: لا نعلم، ينزل نزولًا يليق بجلاله وكماله وعظمته، وهكذا في كل الصفات، نثبت الصفة والمعنى على الحقيقة، ولا نُكيِّفُ الصفة.

فالمكيفة: هم الذين يطلبون تعيين كُنه[١] صفات الباري، وهذا مما استأثر الله به، فلا سبيل إلى الوصول إليه[٢].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والتكيف: هو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيد بمماثل[٣].

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سُئل عن صفات الله تعالى: حرام على العقول أنْ تمثل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تنكر، وعلى الضمائر أن تعمق، وعلى الخواطر أن تحيط، وعلى العقول أن تعقل، إلا ما وصف به نفسه أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام[٤].

قال قوَّام السنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أبو يعلى: أنكر أحمد - رحمة الله عليه - التشبيه، وقال أئمة أصحاب الحديث في أخبار الصفات: أمِرُّوها كما جاءت.

وفي رواية المروزي عن أحمد: أحاديثُ الصفات تمر كما جاءت[٥].

---

(١) كُنْهُ كل شيء: قَدْرُه ونهايتُه وغايته. اللسان (٧/ ٧٤٨).
(٢) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، للشيخ فالح بن مهدي (ص: ١٣).
(٣) شرح القواعد المثلى (ص: ٨١).
(٤) نقله عنه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤/ ٦).
(٥) الحجة في بيان المحجة (ص: ٢٢٠).

قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رواية حنبل: يضحك الله، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ.

وقد نصَّ أحمد على القول بظاهر الأخبار من غير تشبيه ولا تأويل(١).

قال أحمد بن نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألتُ سُفيان بن عيينة عن حديث النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُمسكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ»(٢).

وحديث: «إِنَّ قَلْبَ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»(٣).

وحديث: «إِنَّ اللهَ يَعْجَبُ أَوْ يَضْحَكُ»(٤).

فقال سُفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هي كما جاءت، نقر بها ونحدِّث بها بلا كيف...(٥).

قال الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الأحاديث مما لا يُدرك حقيقة علمه بالفكر والرواية(٦).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤١٤) ومسلم (٢٧٨٦) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بلفظ: «**إن قلوب بني آدم كلها**... الحديث».

وله لفظ عند النسائي في «الكبرى» (٧٨١٢) «**إن قلب ابن آدم**» واللفظ المذكور عند الطيالسي (١٧١٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣١٦) عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وعند ابن أبي شيبة في «الإيمان» (٥٧) و«المصنف» (١١/ ٣٧) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٤) أخرجه ابن خُزيمة في التوحيد (٢/ ٥٧٣) وقال ابن حجر (إتحاف الخيرة، ١٠٨٨) عن روايته: «فيه: بشر بن الحسين، ضعيف جدًّا».

وله شواهد يصح بها، وله لفظ عند النسائي (٣١٦٥) وصححه الألباني.

(٥) المراسيل لأبي داود (٧٥).

(٦) الحجة في بيان المحجة (ص: ٢٢٠).

وعن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه جاء رجُلٌ إليه فقال له: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] كيف استوى؟... فقال: الكيفُ غير معقول، والاستواءُ غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالًّا، وأمر به فأخرج[(١)].

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فالكيفُ المجهول هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وأما ما يُعلم من الاستواء وغيره فهو من التفسير الذي بيَّنه الله ورسوله[(٢)].

الخلاصة: أنَّ عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله عز وجل – التي جاءت في الكتاب وصحيح السنة- أنْ يُمرُّوها كما جاءت، من غير تحريفٍ ولا تعْطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل.

ونحترز من مذهب المفوِّضة الذين يُثبتون الصفة، ويقولون: نُفوِّض المعنى، أي لا نتعرضُ له، وهذا ضلالٌ؛ لأنَّ الصفة لها معنى، واللفظ جاء لمعنى، ولكن بدون كيف.

مثال: قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥، ٣٢٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص: ٥٦١)، وفي الاعتقاد (ص: ١١٩).
وقال الذهبي في العلو (ص: ١٠٣): وهذا ثابت عن مالك.
وقال ابنُ حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧): إسناده جيد، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (٦٦٤)، وابن قدامة في «العلو» (١٠٤)، وأبو عثمان الصابوني في «اعتقاد السلف» (٢٤-٢٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥١)، والذهبي في «السير» (٨/ ١٠٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥٣).

نثبت صفة الاستواء، ونثبت معنى الاستواء، وهو العلو والارتفاع، بإجماع السلف، كما نقل ذلك ابن القيم [(١)].

ولكن كيف استوى؟ نقول: لا نعلم كيفية صفات الله، لا يعلمها إلا هو سبحانه لأن تكييف الصفة يأتي من أحد أمور:

١- بإخبار الله ورسوله، ولم يخبرنا الله ورسوله عن كيفية الصفة.

٢- برؤية أحد لله ووصفه لنا، هذا لم يكن في الدنيا.

٣- أن يكون له مماثل - تعالى عن ذلك علوًّا كبيرا- فهو سبحانه يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فأنى لنا أن نعرف الكيفية إذًا.

مثال آخر: قال جَلّ ذكره: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]

نثبت صفة المجيء لله تبارك وتعالى، ومعنى المجيء، فالله تعالى يجيء حقًّا، ولكن كيف يجيء؟

نقول: لا نعلم الكيف، يجيء مجيئًا يليق بجلاله وكماله وعظيم سلطانه، وهكذا في كل الصفات.

فالله تبارك وتعالى كلَّف العبادَ بالتعبد بالأسماء الحسنى، والصفات العلى، فكيف نتعبد بشيء لا نعلم معناه؟ فلا بُد من ثبوت الصفة والمعنى، ونمر نصوص الصفات كما جاءت، أي بدون كيف.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلامه عن المفوضة:

من شر أقوال أهل البدع والإلحاد [(٢)]. انتهى.

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٣٤٩).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥).

وقوله: «فاسمع من نظامي واعلما»:

أي: سماع تفهم من منطوق نظامه، ومفهومه، ومحترزاته، ومعلوماته.

واعلم: علم تحقيق، وتحرير، وتدقيق، واعتقده، فإنه نهج السلف، وما خالف مذهب السلف نبهنا عليه، وبينا مذهب السلف، قاله ابن قاسم.

قال الناظمُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٦ - وَلاَ نَــــرُدُّ ذَاكَ بِـــالعُقُولِ   لِقَـــوْلِ مُفْتَـــرٍ بِـــهِ جَهُـــولِ

الشرح

معنى مفتر لغة: فَرى فلانٌ كذبًا، إذا خلقه، وافتراه: اختلقه، والاسم: الفرية، وفُلانٌ يَفري الفِريَّ، إذا كان يأتي بالعَجَب في عمله... وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧﴾ [مريم] أي: مصنوعًا مُختلقًا، وقيل: عظيمًا[(١)].

وجهول: صفة لمفتر، وهي من صيغ المبالغة؛ لشدة جهله.

أي: لا نردُّ الواردَ في كتاب الله تعالى وسُنة نبينا ﷺ إذا لم يقبله عقلُنا، لشبهة يُلْقها مُفتر جَهول، كما يفعل أهل البدع والأهواء الذين يُحكِّمون المنطق وعلم الكلام ويُسمونها البراهين العقلية، ويردوا النصوصَ أو يتأوَّلون تأويلًا فاسدًا إذا خالفت عقولهم الضالة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦] أي: لا تتبع ما ليس لك به علم، وقال سبحانه: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأعراف: ٣٧].

فبابُ الصفات بابٌ كثر فيه الكلام، وضلت فيه أفهام، وزلت فيه أقدام أقوام.

ومَن نظر في مقالات هؤلاء وجَد العَجَب، وعلم أنّ سَببَ ضلالهم انحرافهم عن الاعتصام بالكتاب والسنة بفهم الصحابة الكرام ومَن تبعهم

(١) الصحاح (ص: ٨٠١) مادة (فرا- فرى).

بإحسان. فهؤلاء قدَّموا العقل على النقل؛ فضلوا وأضلوا؛ لأنّ تقديمَ العقل على النقل يتضمن القَدْح في العقلِ والنقل معًا، وذلك لأنَّ العقلَ الصريح لا يُعارضُ النقلَ الصحيح، ويعلم أنه مهما أُوتي من علم فعلمه إلى الوحي كقطرة ماءٍ بالإضافة إلى بحر.

ولذا كان أسْعدُ الناسِ بفَهمِ نُصوص الصفات هم أهْلُ السنة والجماعة، أصحاب العقول الصريحة، الذين يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه، وما أثبته له نبيه ﷺ وينفون ما نفاه الله تعالى عن نفسه ونفاه عنه نبيه ﷺ بأدلة الكتاب والسنة الصحيحة، من غير تمثيل ولا تأويل فاسد، ومن غير تعطيل ولا تكييف؛ لعلمهم الكامل ويقينهم الجازم أنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

مسألة: اعلم أنّ النفي المَحضَ ليس كمالاً؛ فلا بُد من إثبات كمال الضد:

نفى الله تعالى عن نفسه كل صفة نقص، مع إثبات كمال الضد، لأنَّ الإثباتَ بعد النفي أوكد في المعنى، ولأنَّ النفيَ المحض ليس كمالًا ولا مَدحًا.

قال جلّ ذكره: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فنفى وجود آلهة غيره، ثم أثبت الكمالَ لنفسه بتفرده بالألوهية، ونفى عن نفسه اتخاذ الولد والشريك والولي لكمال غناه عن الولد والشريك والولي وعن الخلق جميعًا، فقال جلّ ثناؤه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء] ونفى عن نفسه الظلم لكمال عدله وغناه عن الظلم ولكمال رحمته، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف] وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت].

ونفى عن نفسه السِّنَة والنوم لكمال حياته وكمال قيوميته، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فنفى عن نفسه كل صفة نقص، مع إثبات الكمال له سبحانه وتعالى عز وجل، وقد ذكر هذا المعنى ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله [(١)].

وكذا نفى رسُول الله ﷺ عن الله تعالى صفات النقص، وأثبت له الكمال. فعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شَرَفًا ، وَلَا نَعْلُو شَرَفًا، وَلَا نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»[(٢)].

فنفى عن الله تعالى صفات النقص، ثم أثبت له الكمال.

منهجُ القرآن إثباتُ صفات الكمال للّه تعالى على وجه التفصيل، ونفي صفات النقص عن اللّه تعالى على وجه الإجمال:

وهذا مَنهجُ أهل السُّنة والجماعة في الكلام عن الصفات، يُفصلون في الإثبات ويجملون في النفي، فينفون عنه سبحانه كل نقص، ولو لم يرد به نص، عكس أهل البدع والأهواء، وطريقة أهل الكلام المذمومة، فإنهم يذكرون صفات الكمال على وجه الإجمال، ونفي صفات الله تعالى على وجه التفصيل، فالتعبيرُ عن الله جلّ في علاه كما جاء في محكم التنزيل وكما جاء في السنة المطهرة أوْلى من التعبير الذي ابتدعه أهل الكلام المذموم؛

---

(١) راجع إنْ شئت: «العقيدة التدمرية» (٥٧-٥٩)، و«الصواعق المرسلة» (١/ ١٥٢)، و«طريق الهجرتين» (ص: ١١٤)، «وبدائع الفوائد» (١/ ١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

لأنّ النفي المفصل فيه نقص وسُوء أدَب مع الله، والنفي المجمَل فيه أدبٌ وفيه مَدح، وخاصة إذا جاء بعده إثبات الكمال المطلق، كما سبق بيانه.

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فالرسلُ وصفوا الله بصفات الكمال، ونزَّهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزَّهوه عن أنْ يكُون له مثل في شيءٍ من صفات الكمال، وأثبتوا له صفات الكمال على وَجْه التفصيل، ونفوا عنه التمثيل، فأتوا بإثبات مُفصَّل ونفي مُجمَل[1].

ولذلك قال الناظمُ:

٢٧ - فَعَقْدُنَا الإِثْبَاتُ يا خَليلي مِنْ غَيْرِ تَعطِيلٍ وَلاَ تمثِيلِ

ومعنى الخليل لغة: كالخِلِّ، وقولهم في إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: خليل الله.

قال ابنُ دريد: الذي سمعتُ فيه أنّ مَعنى الخليل: الذي أصْفى المودّة وأصحّها، قال: ولا أزيد فيها شيئًا؛ لأنها في القرآن، يعني قوله عز وجل: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء]. والجمعُ أخِلاء وخُلَّان، والأنثى خَليلة، والجمعُ خليلات.

قال الزجَّاج رَحِمَهُ اللَّهُ: الخليلُ: المُحبُّ الذي ليس في محبته خَلَل، وقوله عز وجل: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ [النساء] أي: أحبه محبة تامة لا خلل فيها[2].

وقد سبق بيان معنى التعطيل وأقسامه، وكذا بينا معنى التمثيل.

---

(١) الجوابُ الصحيح لمن بدَّل دينَ المسيح (٣/ ١١١) ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٧، ٥١٥).

(٢) اللسان (٢/ ٢٠٦) مادة (خلل).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٨ - وَكُلُّ مَنْ أَوَّلَ فِي الصِّفَاتِ كَذَاتِهِ مِنْ غَيرِ مَا إِثْبَاتِ

٢٩ - فَقَدْ تَعَدَّى وَاسْتَطَالَ واجْتَرَى وَخَاضَ فِي بَحْرِ الهَلاَكِ وَافْتَرى

الشرح

معنى التأويل لغة: آل يؤول مآلًا، أي: رجع، ومنه آل الملك رعيته إذا ساسهم وأحسن رعيتهم(١).

وقال الراغب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التأويل من الأول، أى: الرجوع إلى الأصل، وهو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه قولًا كان أو فعلًا (٢).

وهذا هو المعنى الأول للتأويل.

والمعنى الثاني: التفسير: أوَّل الكلام تأويلًا، قدره وفسَّره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التأويلُ في كلام العَرب: التفسير، والمرجع، والمصير(٣).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التأويلُ يكون بمعنى التفسير، كقولك: تأويلُ هذه الكلمة على كذا، ويكون بمعنى: ما يئول إليه الأمر (٤).

والتأويلُ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:-

الأول: التأويلُ المَحمود: وهو التفسيرُ والتعبير، وبيانُ المعنى، كما تقدم

---

(١) لسان العرب (١/ ٢٧٦) مادة (أول) وتاج العروس (٧/ ٢١٥).

(٢) المفردات (ص: ٩٩).

(٣) جامع البيان (٣/ ٢٥٠).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١٩).

من كلام الطبري والقرطبي. وفي الحديث: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ دعا لابن عَبَّاس، فقَالَ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيل**»(١).

وقول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث حجة الوداع الطويل: «ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله»(٢).

الثاني: التأويلُ الذي لا يعلمُ حقيقته إلا الله: قال جَلّ ذكره: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض شرحه للآية:

التأويلُ يُطلَقُ ويُرَادُ به في القرآن معنيان:

أحدهما: التأويلُ بمعنى حقيقة الشيء، وما يئول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإنْ أريد بالتأويل هذا فالوقف عند لفظ الجلالة، لأنَّ حقيقة الأمور كُنهها لا يَعلمه على الجلية إلا الله عز وجل.. وأما إنْ أُريد بالتأويل المعنى الآخر، وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء، كقوله: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٣٦] أي: بتفسيره.. فالوقف على: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٢٨، ٣٣٥) وله لفظ آخر عند البخاري (١٤٣) ومسلم (٣٤٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨).

لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حال منهم[1].

الثالث: التأويلُ المذموم: وهو صرفُ الكلام عن حقيقته التي تُراد منه وهو صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معناه المرجوح لدليل يقترن به، وهذا التأويل منه الصحيح ومنه الفاسد، والفاسد ما تسلط به المتأخرون على نصوص الصفات وحدها، فحرفوا معانيها وصرفوها عن المتبادر منها إلى احتمالات بعيدة، كتأويل أهل البدع لصفات الله تعالى، مثال ذلك قولهم في تفسير ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] يقولون: استوى بمعنى استولى.

وقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] يقولون: وجه الله ثوابه، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] يقولون: جاء أمر ربك، وينفون صفة المجيء، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] يقولون: المراد باليد القُدْرة، ولا يثبتون اليدين لله، إلى غير ذلك من تعطيل وتأويل فاسد.

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لفظُ التأويل يُرادُ به: التفسيرُ المبيِّن لمراد الله منه، فذلك لا يُعَاب بل يُحْمَد، ويُرادُ بالتأويل الحقيقة التي استأثر الله بعلمها، فذلك لا يعلمها إلا هو... وأما التأويلُ المذمومُ والباطل: فهو تأويلُ أهل التحريف والبدع الذي يتأولونه على غير تأويله، ويدَّعون صرفَ اللفظ عن مَدلوله إلى غير مَدلوله بغير دَليل يُوجب ذلك[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٧، ٢٢٨).

(٢) العقيدة التدمرية (١١٢، ١١٣) باختصار.

قال أبو عُثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ في مَعرض كلامه عن اعتقاد السَّلف في صفات الله:

ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه، فيقولون أنه خلق آدم بيديه، كما نص سبحانه عليه في قوله -عز من قائل-: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص: ٧٥] ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة والجهمية -أهلكهم الله- ولا يكيفونهما بكيف، أو تشبيهها بأيدي المخلوقين، تشبيه المشَبِّهة- خَذلهم الله- ... إلى أنْ قال: وكذلك يقولون في جَميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح؛ من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك وغيرها، من غير تشبيه لشيءٍ من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله ﷺ من غير زيادة، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه، بتأويل مُنكَر مُستنكَر، ويجرون على الظاهر، ويَكلون علمه إلى الله تعالى، ويُقرون بأنَّ تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله سُبحانه عن الراسخين في العلم أنهم يقولون في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران][1].

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ١٦٢-١٦٤) باختصار.

مسألة: المعتزلة والجهمية مَن هم؟؟

المُعتزلة: هم أتباعُ عمرو بن عُبيد، وواصل بن عطاء الغزال، وأصحابهم، سُموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسَن البصري رَحِمَهُ اللهُ في أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون مُعتزلين، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة[١].

جُملة من عقائد المعتزلة وأصولهم:

أصولُ المعتزلة الخمسة التي يبنون عليها أمرهم، فقد أُخبرنا عن اختلافهم فيها، وهي: التوحيد، والعَدْل، والمنزلة بين المنزلتين، وإثبات الوَعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قاله الأشعري [٢].

ومن عقائدهم الباطلة:

١- نفي رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة، وجاءت في ذلك روايات بلغت حد التواتر.

٢- إنكارُ شفاعة رسُول الله ﷺ للمُذنبين، وردّوا الروايات في ذلك عن السلف المتقدمين.

٣- جَحدوا عذابَ القبر، ونفوا أنَّ الكفارَ في قبورهم يُعذبون، وقد أجمع الصحابة والتابعون على ذلك، بأدلةٍ من الكتاب والسنة.

٤- قالوا: القرآنُ مخلوق، نظيرًا لقول إخوانهم من المشركين الذين

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٥١٩) وانظر «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٢٨).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (ص: ٢٧٨).

قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ٢٥﴾ [المدثر: ٢٥].

إلى غير ذلك من عقائدهم الفاسدة [1]. وقد ذكرتها باستفاضة في موضع آخر [2].

الجهمية:

هم المنتسبون إلى الجهْم بن صفوان، وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وقد أخَذ ذلك عن الجعْد بن درهم، الذي ضحَّى به خالد بن عبد الله القسري بواسط، وكان جَهم بعده بخُراسان، فأظهر مَقالته هناك، وتبعه عليها ناس بعد أنْ ترك الصلاةَ أربعين يومًا شَكًّا في ربه.

جملة من عقائد الجهمية:

١- تعطيلُ ونفي صفات الله عزّ وجل، ومُناقضتهم لتوحيد الرسل، فالجهمية ينفون صفات الله تعالى، وغُلاتهم ينفون الأسماء، ويزعمون أنَّ اشتراكَ الخالق والمخلوق في المسمّى يقتضي الاشتراك في الصفة.

٢- القولُ بخلق القرآن، كالمعتزلة.

٣- القولُ في القَدَر بالجبر، يزعمون أنّ الإنسانَ مجبورٌ مُطلقًا لا حُرية له، ولا مَشيئة ولا اختيار.

٤- الإيمانُ عند الجهمية تصديقُ القلب، فالجهمية كالمرجئة في باب الإيمان [3].

---

(١) راجع: العقيدة الطحاوية (ص: ٥١٩)، ومقالات الإسلاميين (ص: ١٥٧-٢١٦) ومجموع الفتاوى (١/ ١٠٨، ٣١٤) (٤/ ٢٨٤).

(٢) راجع - إن شئت- كتابي: «عقائد الفرق الضالة وعقيدة الفرقة الناجية».

(٣) راجع: منهاج السنة (٢/ ٥٨٣، ٥٨٤)، والفتاوى (٥/ ٢٧٤، ٣٤٢، ٥٧٦) =

إلى غير ذلك من عقائدهم الفاسدة، وقد ذكرتها أيضًا باستفاضة في موضع آخر(١).

وقوله: «كذاته من غير ما إثبات»:

يبيّن الناظم بإشارة منه أنَّ القولَ في الذات كالقول في الصفات، وهذا اعتقادُ أهل السنة قاطبة؛ لأنّ الصفات لا تنفكُّ عن الذات، ولا هي بائنة منه، ولا محدثة، أي كانت بعد أنْ لم تكن.

بل نقول: اللهُ تعالى ما زال بصفاته الأزلية الأبدية، التي لا يسبقها عدم، ولا يلحقها الفناء، فهو سُبحانه لم يزل ولا يزال بصفاته القائمة بذاته، أول بلا مُبتدأ وآخر بلا مُنتهى.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

وقال رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»(٢).

قال الإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللهُ في مُناظرته للجَهمية: لا نقول إنَّ الله لم يزل وقُدرتهُ، ولم يزل ونُورَهُ، ولكن نقولُ: لم يزل بقُدْرته وبنوره، لا متى قدر؟ ولا كيف قدر؟(٣).

=

(٨/ ٤٦٠) لابن تيمية، ومقالات الإسلاميين (ص: ٢٨٠-٥٨٩)، والصواعق المرسلة (١/ ١٧٥)، والملل والنحل (١/ ٩٩).

(١) راجع – إن شئت– كتابي: «عقائد الفرق الضالة وعقيدة الفرقة الناجية».

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية (ص: ٢٨٠).

قال ابنُ بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في معـرض ردِّه على الجهمية:

إنا لا نقول كما تقول: إنَّ الله لم يزل، والقرآن لم يزل، والكلام لم يزل، والعلم لم يزل، والقوة... ولكن نقولُ كما قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب] وكما قال: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام].

فنقول: إنّ الله لم يزل بقوته، وعظمته، وعزته، وعلمه، وجُوده، وكرمه... ليست هذه الصفات ولا شيء منها بائنة منه، ولا منفصلة عنه، ولا تتجزأ ولا تتبعَّض منه، لكنها منه، وهي صفاته[(١)].

قال ابنُ أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: اللهُ تعالى هو الذاتُ الموصوفة بصفاته اللازمة، ولهذا قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا زال بصفاته» ولم يقُل: (لا زال وصفاته) لأنَّ العطفَ يُؤذِن بالمغايرة، وكذلك قال أحمد في مُناظرته الجهمية... وساق كلامَ أحمد، كما تقدّم.

ثم قال: فإذا قُلتُ: أعوذ بالله، فقد عُذتُ بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابتة التي لا تقبلُ الانفصالَ بوجه من الوجوه.

وإذا قلتُ: أعوذ بعزة الله، فقد عُذتُ بصفة من صفات الله تعالى، ولم أعذ بغير الله.

وهذا المعنى يُفهَمُ من لفظ الذات، فإنّ «ذات» في أصل معناها لا تُستعمل إلا مُضافة، أي: ذات وجود، ذات قدرة، ذات عز... فـ«ذاتُ كذا» بمعنى «صاحبة كذا» تأنيث «ذو»، هذا أصل معنى الكلمة.

---

(١) الإبانة (٢/ ١٨٥-١٨٧) باختصار.

فعُلم أنَّ الذاتَ لا يُتصوَّرُ انفصالُ الصفات عنها بوَجْه من الوجُوه، وإنْ كان الذهن قد يفرض ذاتًا مُجردةً عن الصفات، كما يفرضُ المحَال، وقد قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»(١)(٢).

قوله:

٢٩ - فَقَدْ تَعَدَّى وَاسْتَطَالَ واجْتَرَى وَخَاضَ فِي بَحْرِ الهَلَاكِ وَافْتَرَى

ذمَّ صاحبُ النظم في البيت السابق مَن تأوّل نصوصَ الصفات تأويلًا فاسدًا.

ثم قال: **«فقد تعدى»**:

أي تعدّى على حَق الله تعالى، وذلك بالتأويل الفاسد، فأخرج النصوص عن مُراد الله تعالى ومُراد رسُوله ﷺ.

«واستطال»:

وتطاول: إذا علاه وترفع عليه(٣).

والطَّولُ: خُص به الفضل والمنُّ، قال: ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [غافر: ٣] وقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٦](٤).

والمعنى: أنّ هذا المتأول استعلى على السَّلف الصالح الذين هم أعلم

---

(١) أخرجه مُسلم (٢٢٠٢) من حديث عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٧٧، ٧٨) باختصار.

(٣) اللسان (٥/ ٦٧٠).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٤٤).

الناس بمراد الله، وأكثرهم فَهمًا عن الله تعالى وعن رسُوله ﷺ، فأنكر أقوالهم في باب الصفات، وتمسك برأيه الذي لا دليل عليه، من الكتاب أو السنة أو الإجماع.

وقوله: «واجترى»:

أي: بذلك التأويل الفاسد قد تجرأ على الله تعالى، بتعطيل أو تحريف نصوص الصفات، وفسَّرها بغير مُراد الله تعالى، وقد قال جَلّ ذكره: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

ومِن أعظم الكذب والافتراء: أنْ تنفي أو تثبت شيئًا عن الله، لم ينفيه الله عن نفسه أو لم يثبته لنفسه؛ فتُضلّ الناسَ بهذا التأويل الفاسد.

قوله: «وخاض في بحر الهلاك وافترى»:

يعني: مشى ودخل طريق الهلاك والضلال، وترك طريق النجاة، وهو طريقُ أهل السنة الذين حملوا كلام الله تعالى على مَعناه، من غير تحريف، ومن غير تأويل فاسد، ولم يفتروا على الله الكذب، بحمل كلامه على غير مُراده.

قال رحمه الله تعالى:

٣٠ - أَلَمْ تَرَ اخْتِلَافَ أَصْحَابِ النَّظَرِ فِيهِ وَحُسْنَ مَا نَحَاهُ ذُو الأَثَرِ

٣١ - فَإِنَّهُمْ قَدِ اقْتَدَوْا بِالمُصْطَفَى وَصَحْبِهِ فَاقْنَعْ بِهَذَا وَكَفَى

الشرح

عَقد صاحبُ النظم مُقارنة بين ما عليه أصحاب النظر، وما عليه أصحاب الأثر.

فأصحابُ النظر: هم أصحابُ الأدلة العَقلية، الذين يَستدلون بقواعد المنطق وأقوال الفلاسفة في الحُكم على الشَّرع، وقد جَعل الله تعالى وظيفة العقل هي فَهم الشَّرع لا الحُكم عليه، وهؤلاء يُسمونهم النُّظار، الذين تركوا الحُكم بالكتاب والسنة، فلا يكادُ أحد منهم يستدل بقول الله تعالى أو قول رسول الله ﷺ، فجُل كلامهم جدالٌ وضَلالٌ، ولذا تجد بأسهم بينهم شديد، والجدالُ والخلافُ بينهم لا يكادُ ينتهي، وقد نزع الله تعالى البركة من أقوالهم وأعمالهم، فلا تجد ثمرةً لأعمالهم في الدنيا، فضلًا عن الآخرة.

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا تعارض الشرعُ والعقل وجَبَ تقديمُ الشرع، لأنَّ العَقلَ مُصدِّق للشَّرع في كُل ما أخبَرَ به، والشرعُ لم يُصدّق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدقه موقوفٌ على كل ما يخبر به العقل..

كما قال بعضهم: يكفيك من العقل أنْ يُعلمك صدق الرسُول ومعاني كلامه. وقال بعضهم: العقل مُتولٍّ، وليَّ الرَّسول، ثم عزل نفسه، لأنَّ العقلَ دَلَّ على أنّ الرسولَ ﷺ يجب تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر.

والعقلُ يدُلُّ على صدق الرسُول دلالة عامة مُطلقة... إلى أنْ قال: إذا علم الناسُ وشهدوا أنّ فُلانًا خبير بالطب أو بالقيافة أو الخرص أو تقويم السلع ونحو ذلك، وثبت عند الحاكم أنه عالم بذلك دونهم، أو أنه أعلم منهم بذلك، ثم نازع الشهود الشاهدون لأهل العلم بالطب والقيافة والخرص والتقويم أهل العلم بذلك، وجب تقديمُ قول أهل العلم بالطب والقيافة والخرص والتقويم على قول الشهود الذين شهدوا لهم(١).

قال البربهاري رَحِمَهُ اللهُ: اعلم - رحمك الله - أنَّ الدِّينَ إنما جاء من قِبل الله تبارك وتعالى، ولم يُوضع على عُقول الرجال وآرائهم(٢).

وقوله: «وحُسن ما نحاه أصحاب الأثر»:

نحاه: أي اتبعه.

فأصحابُ الأثر: وهم أهلُ السنة - كما سبق بيان ذلك - تجد أقوالهم مُنضبطة بالكتاب والسنة، لذا إذا قرأت كتبهم في الاعتقاد لا تجدُ بينهم خلافًا، لأنَّ المنبعَ واحدٌ، وهو قال الله، قال رَسُولُ الله.

أما الخلافُ بينهم في مسائل الفقه والاجتهاد: فهذا لا يُفرقُ بينهم، تجد الحنفي والحنبلي والشافعي والمالكي إخوة يحب بعضهم بعضًا ويصلي بعضهم خلفَ بعض، ويتزاوجون فيما بينهم، لا تجدُ بينهم اختلافًا، وإذا حَكم واحد منهم في مسألة لم يخالف فيها دَليلًا ارتفع الخلاف وتبعوه، لا تجدُ بينهم نزاعًا ولا اختلافًا، وإنما هذا تجده عند المخالفين للكتاب

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨٥، ٨٦) باختصار.

(٢) شرح السُّنة للبربهاري (ص: ٣٦).

والسنة، فهُم الذين تكونُ بينهم فتنٌ، وتكون بينهم شحناء وخُصومة، ويكون بينهم تراشقٌ وتكفير وتفسيق وتبديع، إلى غير ذلك [(١)].

وقوله: «فإنهم قد اقتدوا بالمصطفى وصحبه..»:

هذا مُطابقٌ لقوله ﷺ: «**هُم مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[(٢)].

لأنَّ الصحابة هم أفضلُ الناس بعد رَسُول الله ﷺ. قال رَسُولُ الله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[(٣)].

ويدُلُّ الحديثُ أيضًا على أنَّ أفضل الناس بعد الصحابة التابعون ثم الذين يلونهم، أي: تابعوا التابعين، لأنهم اقتدوا بالصحابة رضي الله عنهم والصحابة: كان قُدوتهم رسُولُ الله ﷺ، فكانوا أفضل البشر بعد الأنبياء -عليهم السلام-.

وقوله: «فاقنعْ بهذا وكفى»:

أي اقنع بما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهذا يكفيك، ولم لا؟! وهو الصادقُ المعصوم الذي لا ينطقُ عن الهوى، وأي عاقل لا يسعه أنْ يترك قولَ رسُول الله ﷺ لقول بشر يُصيب ويخطئ، وكذا نقنع بما كان عليه أصحابه رضي الله عنهم لأنهم هم الذي أخذوا العلمَ من مِشْكاة النبوة، فمَن أحسنُ قولًا منهم بعد النبي ﷺ؟! لا أحد، وهذا هو الذي يميز أهلَ الأثر عن أهل النظر. وبالله التوفيق.

---

(١) ملتقط من كلام الشيخ الفوزان في شرح هذه العقيدة، بزيادة وتصرف.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥١)، ومُسلم (٢٥٤١) من حديث عبد الله رضي الله عنه.

الباب الأول
في معرفة اللّه تعالى

أحمر أسود (١٧٦)

الباب الأول
في معرفة الله تعالى

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٢ - أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى العَبِيدِ   مَعْرِفَةُ الإِلَهِ بالتَّسْدِيدِ

٣٣ - بِأَنَّهُ وَاحِدٌ لا نَظِيرُ   لَهُ وَلاَ شِبْهٌ وَلاَ وَزِيرُ

الشرح

كُلُّ ما مَضى من الأبيات جَعلها الناظمُ مُقدِّمة، ثم جَعل البابَ الأول في معرفة الله تبارك وتعالى.

قوله: «أول واجب على العبيد...»:

معنى الواجب لغة: وَجَب الشيءُ يجبُ وجوبًا أي لزم، وأوجَبَهُ هو، وأوجَبَه الله، واسْتَوْجَبَه أي: استحقَّه[1].

وشَرعًا: هو ما يُثاب فاعله امتثالًا لأمر الله تعالى، ويُعاقب تاركه.

والواجبُ والفَرضُ عند الشافعي سَواء، وهو كل ما يُعاقَب على تركه إلا أنْ يعفو عنه الله تعالى[2].

والعبيدُ: جَمعُ عبد، من العُبودية.

وأصْلُ العبودية: الخضوعُ والتذلل... وتعبَّد اللهُ العبدَ بالطاعة، أي: استعبده. والعبادة: الطاعة مع الخضوع. ومنه: طريقٌ مُعبَّد، إذا كان مُذللًا

(١) اللسان (٩/ ٢١٧).

(٢) انظر: المصدر السابق، والمحصول (١/ ١٥) والأصول من علم الأصول (ص: ٤٧).

بكثرة الوطئ(١).

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ: العَبدُ بمعنى العابد، فيكون عابدًا لله لا يعبدُ إلا إياه(٢).

والعبودية قسمان:

عبودية اضطرار وقهر: سواء أقر بها أو أنكر، فتلك يشترك فيها المؤمن والكافر، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم].

وعبودية اختيار: وهي التي يحبها الله ويرضاها، وبها وصف المصطفين من عباده، وبها بعث رسله (٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ﴾ [الإسراء: ٦٥] ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١].

معنى الإله لغة: أله إلاهَةً، وأُلُوهةً، وأُلُوهِيَّةً: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة.. والتأله: التنسكُ والتعبُّد(٤).

قال ابنُ فارس رَحِمَهُ اللهُ: أله... وهو التعبد، فالإله: الله تعالى، سُمّي بذلك لأنه المعبود، ويُقال: تألّه الرجل إذا تعبَّد (٥).

قال ابنُ منظور رَحِمَهُ اللهُ: الإله: الله عز وجل، وكُلُّ ما اتخذ معبودًا إله عند

---

(١) لسان العرب (٦/ ٤٨-٥٠) مادة (عبد).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥٧).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) القاموس المحيط (ص: ١١١٩) مادة (أله).

(٥) مقاييس اللغة (١/ ١٢٧) مادة (أله).

مُتخذه، والجمع آلهة [١].

وشرعًا: الذي يألهه القلبُ بكمال الحب والتعظيم والإجلال والإكرام، والخوف والرجاء ونحو ذلك[٢].

قوله:

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى العَبِيدِ   مَعْرِفَةُ الإلهِ بالتَّسْدِيدِ

أي: أول ما يجب على العبد، وهو معرفة الله تعالى، ومعرفة الله تعالى فطرية ضرورية، وليست نظرية.

«ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر، ولا الشك؛ كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم.

بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان»[٣].

ثم اعلم أنَّ الناظمَ رحمه الله تعالى وافق مَن يقول: إنَّ معرفة الله تعالى نظرية.

والصحيحُ: أنها فطرية ضرورية، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم].

---

(١) لسان العرب (١/ ١٩٦-١٩٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥٧، ١٥٨).

(٣) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٢٦).

وفي الصحيحين، عَنْ أبي هُرَيْرَة مَرفُوعًا: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**»(١).

وفي صحيح مُسلم، عَنْ عِيَاضٍ الأَنْصَاري في الحديث القُدسي: «**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ مُسْلِمِينَ**»(٢).

فالفطرة: المُرادُ بها: الإسلام، كما قاله أبو هُريرة وأبو شهاب.

وسُئل مجاهد عن الفطرة؟ فقال: «**هي الإسلام**»، وكذا قال قتادة(٣).

ثم قال مجاهد: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، قال: لا تبديل لدين الله. وقاله سعيد بن جُبير، وقتادة، والنخعي، وكلام السلف في ذلك كثير يصعب استيفاؤه.

قال الإمامُ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في رواية المروزي: معرفةُ الله تعالى في القلب تتفاضل وتزيد.

وهذا يدُلّ على أنّ المعرفةَ أصلها في القلب فطرية، ثم إنها تزيد وتتمكن بتظاهر الأدلة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومُسلم (٢٦٥٨).

(٢) أخرجه مُسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حِمار المُجاشِعيِّ وفيه: «**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**» أي: استخفوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل - كذا فسَّره الهروي وآخرون. مُسلم بشرح النووي (٩/ ٢١٦).

(٣) نقل ابن عبد البر الإجماع على أن الفطرة الإسلام، انظر «فتح الباري» (٣/ ٢٤٨) وحكاه ابن بطال عن أبي هريرة وعكرمة والحسن وإبراهيم والضحاك وقتادة والزهري. «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣/ ٣٧٠).

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ذهب طوائف من النظار إلى أنّ معرفة الله واجبة، ولا طريقَ إليها إلا بالنظر، فأوجبوا النظر على كل أحَد، وهذا القولُ إنما اشتهر في الأمة عن المعتزلة ونحوهم، ولهذا قال أبو جَعفر السمناني وغيره: إيجابُ الأشعري النظر في المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال(١).

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية - رضي الله تعالى عنه -: الذين أوجبوا النظرَ ليس معهم ما يدُلُّ على عُموم وجوبه، إنما يدُلُّ على أنه قد يجب، فإنهم قالوا: الواجبُ لا يحصلُ إلا به، لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ الآية [يونس: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾ [سبأ]، وقوله: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾ [الطارق].

فهذه النصوصُ خطابٌ مع المتكبرين الجاحدين، فأُمروا بالنظر ليعرفوا الحق.

قال بعضُ العُلماء: «يجبُ النظرُ في حال دون حال، وعلى شَخص دُون شَخص، فوجوبه من العوارض لا من اللوازم العامة، فيجب على مَن فسَدت فطرته واحتاج إلى النظر، وأما مَن حَصلت له المعرفة بدون النظر ولم تفسد فِطرته فليس واجبًا عليه، والله أعلم»(٢).

---

(١) انظر «النبوات» (١/ ٢٤٩)، و«فتح الباري» (١٣/ ٣٦١)، ودرء تعارض العقل والنقل (٧/ ٤٠٧).

(٢) شرح هذه العقيدة لابن مانع (ص: ٢٠٠-٢٠٢).

وقوله: «بأنهُ واحد لا نظيرَ له ولا شبْهَ...»:

الله سُبحانه واحد في صفاته وفي أسمائه وفي ألوهيته وفي رُبوبيته، ولا شبيه له ولا نظير، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى] قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم].

قال عددٌ من أهل العلم: معناه: هل تعلمُ للربِّ مثلًا أو شبيهًا؟ [1].

وقال سُبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: في سورة الإخلاص من كمال التوحيد العملي الاعتقادي وإثبات الأحدية لله المستلزمة نفي كل شركة عنه، وإثبات الصمدية[2] المستلزمة لإثبات كُل كمال له، مع كون الخلائق تصمد إليه في حوائجها، أي: تقصده الخليقة وتتوجّه إليه، علويها وسفليها، ونفي الوالد والولد والكُفء عنه المتضمن لنفي الأصل والفَرع، والنظير والمماثل، ومما اختصّت به وصارت تعدل ثُلث القرآن، ففي اسمه الصمد إثبات

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٨١).

(٢) قال ابنُ الجوزي: وفي الصمَد أربعة أقوال: أحدها: أنه السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج، رواه ابن عباس... والثاني: أنه لا جَوفَ له، قاله ابن عباس ومجاهد وابن جُبير وعكرمة والضحاك وقتادة... والثالث: الدائم. والرابع: الباقي بعدَ فناء الخلق، حكاه الخطّابي، وقال: أصح الوجوه الأول، لأنّ الاشتقاقَ يشهد له، فإنّ أصلَ الصمَد القصدُ، يقال: أصمد صمد فُلان، أي: قصده، فالصمدُ السيد الذي يُصمد إليه في الأمور ويُقصَد في الحوائج. زاد المسير (٩/ ٢٦٧، ٢٦٨) وانظر تفسير الطبري (١٥/ ٤٤٦).

الكمال، وفي الكفء التنزيه عن الشبيه والمثال، وفي الأحد نفي كُل شَريك لذي الجلال، وهذه الأصول الثلاثة هي مجامعُ التوحيد(١).

وقوله: «ولا وزير»:

الوزيرُ لغة: المتحَمِّلُ ثقلَ أميره وشُغله، يُقال: وازرتُ فلانًا مُوازرةً، أعنتُه على أمره، قال: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩﴾ [طه]، قاله الأصفهاني(٢).

فالمعنى: أنه سُبحانه كما أنه لا شبيه له ولا نظير، فهو سُبحانه لا حاجة له في اتخاذ وزير، أي مُعين، لأنه الصَّمدُ الذي يَلجأ إليه ويَقصده جَميعُ الخلق في حَوائجهم، فهو سُبحانه الخالق قبل الخلق، وكان ولم يكن شيئًا، وسيبقى بلا منتهى بعد فناء كل شيء، فهو كما قال: ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

وقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ۝١١١﴾ [الإسراء].

---

(١) بدائع التفسير (٥/ ٣٦٧، ٣٦٨) وزاد المعاد (٤/ ١٨٠).

(٢) المفردات (ص: ٥٧٨).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٤ - صِفَاتِهِ كذاتِهِ قَديمَة أَسَمَاؤُه ثَابِتَةٌ عَظِيمَة

الشرح

«صفاته» مُبتدأ، والخبر: «قديمة» و «كذاته» حالٌ.

فاعلم أنَّ الكلامَ في الصفات فرعٌ على الكلام في الذات، وإثباتُ الذات إثبات وجود، لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات، وقد سَبق الكلامُ عن «الذات» وأقوال أهل العلم، وبيان أنّ الصفات لا تنفصلُ عنها بأي وَجْه من الوجوه.

فالذاتُ موصوفة بالصفات الأزلية الأبدية، وعبَّر الناظمُ عنها بالقديمة، والقديمُ عند المتكلمين: هو الذي لم يَسبقه عَدَمٌ، وقد استعمَل هذا اللفظ بعض أهل السنة، وقد سبق بيان ذلك.

ولفظ القرآن، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

وقال رَسُولُ الله ﷺ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ»(١). واستعمالُ ألفاظ القرآن والسُّنة أولى.

صفاتُ الله تعالى تنقسم إلى قسمين:-

صفات ذاتية، وصفات فعلية.

أولاً: الصفات الذاتية:

وهي التي لم يزل ولا يزالُ الله تعالى مُتصفًا بها، وهي نوعان: معنوية

---

(١) راجع: شرح البيت الثامن والعشرين.

وخبرية.

١- **الصفات المعنوية:** مثل: الحياة، والعلم، والقدرة، والحكمة، وما أشبه ذلك، وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر.

٢- **الصفات الخبرية:** مثل اليدين، والوجه، والعينين.... وما أشبه ذلك، مما سماه نظيره أبعاضًا وأجْزاءً لنا.

فالله تعالى لم يزل له يَدان، ووَجْه وعينان لم يحدث له شيء من ذلك بعد أن لم يكن، ولن ينفك عن شيء منه، كما أنَّ الله لم يزل حيًّا ولا يزالُ حيًّا، ولم يزل عالمًا، ولا يزالُ عالمًا، ولم يزل قادرًا ولا يزالُ قادرًا، وهكذا.

يعني: ليست حياته تتجدد، ولا قُدْرَته تتجدد، ولا سَمعه يتجدد، بل هو موصوفٌ بهذا أزلًا وأبدًا، وتجدد المسموع لا يستلزمُ تجددَ السمع، فأنا مثلًا عندما أسمع الأذانَ الآن فهذا ليس معناه أنه حَدث لي سَمع جديد عند سماع الأذان، بل هو منذ خلقه الله فيَّ لكن المسموع يتجدد، وهذا لا أثر له في الصفة.

واصطلح العُلماءُ رحمهم الله على أنْ يُسمّوها الصفات الذاتية.

قالوا: لأنها مُلازمة للذات، لا تنفكُّ عنه.

ثانيًا: الصفات الفعلية:

وهي التي تقوم بذاته بمشيئته، فهي تتعلق بمشيئته واختياره، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، ولذلك اصطلح العلماء على تسميتها بالصفات الاختيارية، أو ربما تسمى الصفات الفعلية.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلامه عن الصفات الاختيارية: وهي

الأمور التي يتصف بها الرب- عز وجل- فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، مثل: كلامه، وسمعه، وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه، ومثل: خلقه، وإحسانه، وعدله، ومثل: استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة...

بل الآيات التي تدل على الصفات الاختيارية التي يسمونها حلول الحوادث، كثيرة جدًّا.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١].

فهذا بيِّن في أنه إنما أمر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم، ولم يأمرهم في الأزل، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران] فإنما قال له بعد أن خلقه من تراب، لا في الأزل...

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص] وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢، ٧٤] فجعل النداء في يوم معين، وذلك اليوم حادث كائن بعد أن لم يكن، وهو – حينئذ- يناديهم، ولم يناديهم قبل ذلك...

وكذلك في الإرادة والمحبة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس] وقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] وقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ [الإسراء: ١٦].

فإن جوازم الفعل المضارع ونواصبه تخلصه للاستقبال، مثل «إن»

و«أن» وكـذلك «إذا» ظـرف لمـا يـستقبل مـن الزمـان، فقولـه ﴿وَإِذَآ أَرَادَ﴾ [الرعد: ١١] ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧] ونحـو ذلـك يقتضي حـصول إرادة مستقبلة ومشيئة مستقبلة، وكذلك المحبة والرضا، قال تعـالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمـران: ٣١] فـإن هـذا يـدل عـلى أنهـم إذا اتبعوه أحبهم الله فإن جزم قوله: ﴿يُحۡبِبۡكُمُ﴾ به، فجزمه جوابًا للأمـر، وهـو في معنى الشرط، فتقديره: إن تتبعوني يحببكم الله، ومعلوم أن جواب الشرط والأمـر إنما يكـون بعـده لا قبلـه، فمحبـة الله لهـم إنمـا تكـون بعـد اتبـاعهم للرسول [(١)].

قـال ابـن أبـي العـز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الله سـبحانه لـم يـزل متـصفًا بـصفات الكمـال: صفات الذات، وصفات الفعل.

ولا يجوز أن يُعتقد أن الله وُصف بصفة بعد أن لم يكن متـصفًا بهـا، لأن صفاته صفاتُ كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حـصل لـه الكمال بعد أن كان متصفًا بضده.

ولا يرد عـلى صـفات الفعـل، والـصفات الاختياريـة ونحوهـا، كـالخلق والتـصوير، والإحيـاء، والإماتـة، والقـبض والبـسط، والطـي والاسـتواء، والإتيان.... ونحو ذلك مما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متـأولين بآرائنـا ولا متوهِّمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا، كما قال الإمام مالك... لما سُئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعـراف: ٥٤] كيف استوى؟

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٢١٨-٢٢٦) باختصار.

فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

وإن كانت هذه الأحوال تحدث في وقت دون وقت، كما في حديث الشفاعة: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**»(١).

لأن هذا الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن.

ألا ترى أن من تكلم اليوم وكان متكلمًا بالأمس لا يقال: إنه حدث له كلام، ولو كان غير متكلم لآفة كالصِّغَر والخَرَس، ثم تكلم يقال: حدث له الكلام.

فالساكت لغير آفة يسمى «متكلمًا بالقوة» بمعنى أنه تكلم إذا شاء، وفي حال تكلُّمِه يُسمى «متكلمًا بالفعل»....

وحلول الحوادث بالربِّ تعالى المنفي في علم الكلام المذموم لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال.

فإن أريد أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفيٌ صحيح.

وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ولا يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء، والإتيان كما يليق بجلاله

---

(١) حديث الشفاعة الطويل، ورد فيه هذا عن النبي ﷺ، أخرجه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعظمته، فهذا نفيٌ باطل[١].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصفات الفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، مثل الاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد، والفرح بتوبة التائب، والضحك... وغيرها، فهذه نسميها صفات فعلية؛ لأنها من فعله، وفعله يتعلق بمشيئته.

لكن هذا القسم من صفات الله آحاده حادثة، تحدث شيئًا فشيئًا، وأما جنس الفعل فإنه أزلي أبدي، فجنس كون الله فعالًا - أي جنس الفعل في الله عز وجل - أزلي، فلم يزل ولا يزال فعالًا، لم يأت وقت من الأوقات يكون الله تعالى معطلًا فيه عن الفعل، فإن الله لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد سبحانه وتعالى... كل صفة فعلية فإنها حادثة النوع أو الفرد، لكنها قديمة الجنس، فمثال النوع الاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا فهذا نوع، لكن نزوله كل ليلة فهذا فرد، لأن نزوله الليلة ليس هو نزوله البارحة[٢].

مذاهب الناس في صفات الله عز وجل:

اختلف الناس في صفاته تبارك وتعالى على مذاهب، أشهرها أربع:

الأول: مذهب الجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة:

نفي صفات الله تعالى، وحجتهم في ذلك أن إثبات الصفات يقتضي تشبيه الخالق بالمخلوق، والمشاركة بينه وبين سائر المخلوقات في

---

(١) شرح الطحاوية (٧٥-٧٧).

(٢) شرح العقيدة السفارينية (ص: ٢١٧ - ٢١٨) باختصار.

الصفات؛ قالوا: إذا أثبتنا ذلك، فقد شابه- سبحانه وتعالى- الأجسام، وذلك محال في حق الله- جل جلاله- وغفلوا عن أنَّ الاشتراك في المسمَّى لا يقتضي التماثل بين الخالق والمخلوق في الصفة، فالله سبحانه منزه عن مشاركة العبد في صفاته.

على سبيل المثال: الإنسان يتكلم والنمل يتكلم، قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٨﴾ [النمل] ولا أحد يعلم كيفية كلام النمل، وكيفية كلام الإنسان معلومة، فالاشتراك في مسمى الصفة، لا يقتضي الاشتراك في كيفية الصفة، فالله سبحانه ليس كمثله شيء، لا في صفاته، ولا في أفعاله ولا في ذاته.

فالواجب إثبات الصفات، ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات، إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، وقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] رد على المشبهة، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى] رد على المعطلة؛ فمن شبه، فقد عبد صنمًا، ومن نفى وعطل الصفات، فقد عبد عدمًا.

قال نعيم بن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ -شيخ البخاري-: مَن شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومَن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا(١).

وقال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا(٢).

---

(١) شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٣/ ٢٢٢).

(٢) شرح الطحاوية (١٢٠).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: توحيد الجهمية والفلاسفة مناقض لتوحيد الرسل من كل وجه، فإنّ مضمونه: إنكار حياة الرب، وعلمه وقدرته، وسمعه وبصره وكلامه واستوائه على عرشه، ورؤية المؤمنين له بأبصارهم.. ومعلوم أن هذا التوحيد هو نفس تكذيب الرسول بما أخبر به عن الله، فاستعار له أصحابه اسم التوحيد(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الجهمية والمعتزلة بنوا على أصليهم: أن الرب لا تقوم به صفة، لأن ذلك بزعمهم يستلزم التجسيم والتشبيه الممتنع، إذ الصفة عَرَض، والعرَض لا يقوم إلا بجسم(٢).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: الله تعالى سمى نفسه بأسماء، وسمى بعض عباده بأسماء، وكذلك سمى صفاته بأسماء، وسمى بعضها صفات خلقه، وليس المُسمَّى كالمسمِّي، فسمى نفسه حيًّا عليمًا قديرًا رؤوفًا رحيمًا، عزيزًا حكيمًا، سميعًا بصيرًا... كقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى]، وقال: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء].

وقد سمى بعض عباده حيًّا، فقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم: ١٩]، وبعضهم عليمًا بقوله: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات] وبعضهم حليمًا بقوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات]

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/ ١٧٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٢٠).

وبعضهم رؤوفًا رحيمًا بقوله: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة]
وبعضهم سميعًا بصيرًا بقوله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾ [الإنسان].

... ومعلومٌ أنه لا يماثل الحي الحي، ولا العليم العليم، ولا العزيز العزيز، ولا الرؤوف الرؤوف، ولا الرحيم الرحيم، ولا الملك الملك، ولا الجبار الجبار، ولا المتكبر المتكبر[١].

المذهب الثاني: مذهب الأشاعرة والكلابية على خلاف بينهم، والماتريدية:

وقد أثبتوا بعض الصفات، وأوَّلوا باقيها، وهذا قول متقدميهم، يثبتون الصفات الذاتية، وبعض الصفات الفعلية، أما متأخروهم فينفون سائر الصفات الفعلية، وسائر الصفات الذاتية، إلا ما يسمونه الصفات العقلية، والأشاعرة هم أتباع أبو الحسن الأشعري، وكان معتزليًّا، وأقام على مذهب الاعتزال أربعين سنة، وكان لهم إمامًا، ثم تاب وعاد إلى منهج أهل السنة، ولأبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها.

قال ابن خَلِّكان: كان أبو الحسن الأشعري معتزليًّا ثم تاب[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:...وأنَّه صَاحَب الجُبَّائي، أربعين سنة ثم رجع عنه[٣].

الحال الثاني: كان يقول بقول أهل السنة وقول الجهمية معًا.

---

(١) منهاج السنة (٢/ ١٠٧-١١٢) باختصار، وانظر العقيدة التدمرية (٢١) وما بعدها.
(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٤٤٦).
(٣) البداية والنهاية (١١/ ٢٨١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأما ابن كُلَّاب، فقوله مَشوب بقول الجهمية، وهو مركَّب من قول أهل السنة وقول الجهمية، وكذلك مذهب الأشعري في الصفات[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في معرض كلامه عن الأحوال التي مر بها الأشعري:**

الحالة الثانية: إثبات الصفات العقلية السبعة[٢] وهي: الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع والبصر، والكلام، وتأويل الخبرية كالوجه واليدين والقدم ونحو ذلك [٣].

الحالة الثالثة: إثبات الصفات لله تعالى على منهج السلف في الجملة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الأشعري نفسه وأئمة أصحابه فلم يختلف قولهم في إثبات الصفات الخبرية، وفي الرد على مَن يتأولها[٤].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في موضع آخر:** لكن الأشعري ونحوَه أعظم موافقةً للإمام أحمد بن حنبل ومن قبله من الأئمة في القرآن والصفات[٥].

والمتأخرون الذين ينتسبون إليه أخذوا بالمرحلة الثانية من مراحل عقيدته، والتزموا طريق التأويل في عامّة الصفات، ولم يثبتوا إلا سَبع صفات، وهي: العلم والقدرة، والحياة والإرادة، والسمع والبصر،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٠٨).

(٢) كذا يزعم الأشاعرة أن هذه الصفات هي التي توافق العقل، فقدموا العقل على النقل فضلوا، والعقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح.

(٣) طبقات الشافعية (١/ ٢١٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ١٩).

(٥) مجموع الرسائل والمسائل (١/ ١٨٤).

والكلام، لكن الكلام عندهم معنًى قائم بذات الله، وليس من صفات الأفعال باعتبار آحاد الكلام.

قال الشهرستاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلامه عن الحال الثاني للأشعري: قال أبو الحسن: البارئ تعالى عالم بعلم، قادر بقُدرة، حيٌّ بحياة، مُريد بإرادة، مُتكلم بكلام، سميع بسَمع، بصيرٌ ببصر، وله في البقاء اختلافُ رأي[1].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مَعرض ردّه على الأشاعرة: فإن كان المخاطب ممن يُقرّ بأن الله حي بحياة، عليمٌ بعلم، قديرٌ بقُدرة، سميعٌ بسَمع، بصير ببصر، مُتكلم بكلام، مُريد بإرادة، ويجعل ذلك كله حقيقة، ويُنازع في محبته ورضاه وغضبه، وكراهيته، فيجعل ذلك مجازًا، ويفسره إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعُقوبات.

قيل له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر.

فإن قلتَ: إنَّ إرادته مثل إرادة المخلوقين، فكذلك محبته ورضاه وغضبه، وهذا هو التمثيل، وإنْ قلتَ: له إرادةٌ تليق به كما أن للمخلوق إرادة تليق به، قيل لك: وكذلك له محبة تليق به، وللمَخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، كما للمخلوق رضا وغضب يليق به.

وإن قال: الغضبُ غليانُ دم القلب لطلب الانتقام، قيل له: والإرادةُ ميلُ النفس إلى جَلب منفعة أو دَفع مضرة، فإن قلتَ: هذه إرادة المخلوق، قيل لك: وهذا غضب المخلوق.

---

(١) الملل والنحل (١/ ١٠٧-١٠٨).

وكذلك يلزم بالقول في كلامه وسَمعه وبصره، وعلمه وقُدْرته، إن نفي عنه الغضب والمحبة والرضا، ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين، فهذا مُنتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات.

وإن قال: إنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين؛ فيجب نفيه عنه، قيل له: وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقُدْرة.

فهذا المفرِّق بين بعض الصفات وبعض، يُقال له فيما نفاه كما يقول هو لمنازعه فيما أثبته.... [1].

احتجاج الأشاعرة بإثبات العقل لهذه الصفات:

وقد ردّ عليهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: **فإن قال**: تلك الصفاتُ أثبتها بالعقل، لأنّ الفعلَ الحادث دلّ على القدرة، والتخصيصَ دلّ على الإرادة، والإحكامَ دل على العلم، وهذه الصفات مستلزمة للحياة، والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك.

قال له سائر أهل الإثبات: لك جوابان:

أحدهما: أن يُقال: عدم الدليل المعيَّن لا يستلزمُ عدم المدلول المعيَّن، فهبْ أنّ ما سلكته من الدليل العقلي لا يثبتُ ذلك، فإنه لا ينفيه، وليس لك أن تنفيه بغير دَليل، لأن النافي عليه الدليل، كما على المثبت، والسمعُ قد دلّ عليه ولم يُعارض ذلك مُعارض عقلي ولا سمعي، فيجب إثباتُ ما أثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم.

الثاني: أن يُقال: يمكن إثبات هذه الصفات بنظير ما أثبتَّ به تلك من

---

(١) العقيدة التدمرية (٣١-٣٣).

العقليات، فيُقال: نفعُ العباد بالإحسان إليهم يدلّ على الرحمة كدلالة التخصيص على المشيئة[١]، وإكرامُ الطائعين يدلّ على محبتهم، وعقابُ الكفار يدلّ على بُغضهم، كما قد ثبت بالشاهد والخبر من إكرام أوليائه وعقاب أعدائه، والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته - وهي ما تنتهي إليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة - تدلُّ على حِكمته البالغة، كما يدلّ التخصيصُ على المشيئة وأوْلى؛ لقوة العلة الغائية[٢]، ولهذا كان ما في القرآن من بيان ما في مخلوقاته من النعم والحِكَم أعظم مما في القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على مَحض المشيئة[٣].

والكُلَّابية: هم أتباعُ عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب، وكان الأشعري متبعًا له في المرحلة الثانية قبل أن يرجع إلى منهج الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ومذهبه أنّ جميعَ الصفات قائمةٌ بذات الله، فلم يثبت لله تعالى صفات الأفعال، فجميعُ

---

(١) المشيئة مرادفة للإرادة، حسب ما يثبته الأشاعرة، ولكن شيخ الإسلام رد على هذا، وبين في مواضع من كتبه أن الإرادة نوعان:
قال رَحِمَهُ اللَّهُ: والتحقيقُ أن الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة شرعية، وإرادة كونية قدرية فالأول: فكقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فإن الإرادة هنا بمعنى المحبة والرضا، وهي الإرادة الدينية.
وأما الإرادة الكونية القدرية: فمثل قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ومثل قول المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن - مجموع الفتاوى (١٨/ ١٣٢). وانظر: منهاج السنة (١/ ٣٥٩).
(٢) العلة الغائية: ما يوجد الشيء لأجله - التعريفات للجرجاني (٨٢).
(٣) العقيدة التدمرية (ص: ٣٣-٣٥).

الصفات لم يزل ولا يزال الله مُتصفًا بها، لا يتعلقُ شيء منها بقدْرته ولا بمشيئته.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلامه عن ابن كُلَّاب: صنّف مُصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وهو من مُتكلمة الصفاتية[(١)]، وطريقته يميل فيها إلى أهل الحديث والسنة، لكن فيها نوع من البدعة، لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله، ولم يُثبت قيامَ الأمور الاختيارية بذاته.. إلى أن قال: والإمامُ أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة كانوا يُحذرون من هذا الأصل الذي أحدَثه ابن كُلَّاب، ويُحذرون من أصحابه، وهذا هو سببُ تحذير الإمام أحمد من الحارث المحاسبي ونحوه من الكُلَّابية[(٢)].

قال في موضع آخر: والكُلَّابية يقولون: هو مُتصفٌ بالصفات التي ليس له عليها قدْرة، ولا تكونُ بمشيئته، فأما ما يكون بمشيئته فإنه حادث، والرب -تعالى- لا تقوم به الحوادث، ويُسمون الصفات الاختيارية «مسألة حلول الحوادث»[(٣)].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا: وكذلك سلك طريق ابن كُلَّاب هذه أبو الحسن ابن سالم وأتباعه السّالمية، والقاضي أبو يعلي وأتباعه، كابن عقيل،

---

(١) قال ابن تيمية في معرض كلامه عن الصفاتية: الذين يثبتون ما ذكره (يعني المؤلف) من الصفات بما نبه عليه من الطرق العقلية، ويسمون ذلك العقليات - شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ٨٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٧، ٣٦٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٢٠).

وأبي الحسن بن الزاغوني، وهي طريقة أبي المعالي الجويني، وأبي الوليد الباجي، والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم [(١)].

المذهب الثالث: مذهب الكرَّامية وقدماء الرافضة من الشيعة وغلاة الصوفية:

وهم الذين غلوا في الإثبات، إلى أن شبهوا الله بخلقه، والكرامية هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام بن عراق السجستاني.

قال البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ: إن ابن كرام دعا إلى تجسيم معبوده [(٢)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وإثبات الجسم قول محمد بن كرام وأمثاله [(٣)].

وقال في موضع آخر رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي الجملة الكلام في التمثيل والتشبيه، ونفيه عن الله مقام، والكلام في التجسيم ونفيه مقام آخر؛ فإن الأول دل على نفيه الكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، واستفاض عنهم الإنكار على المشبهة الذين قالوا: يَدٌ كيدي، وبصر كبصري، وقدم كقدمي، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

وأيضًا فنفي ذلك معروف بالدلائل العقلية التي لا تقبل النقيض، كما قد بُسِطَ الكلام في ذلك في غير موضع، وأفردنا الكلام على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] في مصنف مفرد.

---

(١) الفتاوى (١٢/ ٣٦٧، ٣٦٨) وانظر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٤٧٠).

(٢) الفرق بين الفرق، البغدادي (ص: ٢٢٧).

(٣) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٢٠).

أما الكلام في الجسم والجوهر ونفيهما أو إثباتهما فبدعة ليس لها أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا تكلم أحد من السلف والأئمة بذلك؛ لا نفيًا، ولا إثباتًا[(١)].

المذهب الرابع: مذهب المفوضة:

وهم قوم فوضوا معاني الصفات وكيفيتها؛ أي: إنهم لا يعلمون لها معنى، فهم يثبتون ألفاظ الصفات كما وردت في الكتاب والسنة، مع تفويضهم العلم بمعانيها اللغوية إلى الله- عز وجل- فهم يقولون: إن هذه الصفات لا معنى لها أصلًا. ومنهم من يقول: لها معنى لا يُعْلَم، فيجب الإيمان بلفظها، والسكوت عما عداه.

وقالوا: هذا هو مذهب السلف، وهو أسلم، وهذا قول بعض الأشاعرة، وقال به بعض الحنابلة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما التفويض فإن من المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟... إلى أن قال: وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن- أو كثير مما وصف به نفسه- لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه...

ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء؛ إذا كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله هدىً وبيانًا للناس، وأمر الرسول ﷺ أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هذا فأشرف ما

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٤٥، ١٤٦).

فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته... لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل، ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بيَّن للناس ما نُزِّلَ إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين.

وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك؛ لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به، فيبقى هذا الكلام سدًّا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارض ويقول: إن الهدى والبيان في طريقتنا، لا في طريق الأنبياء؛ لأننا نحن نعلم ما نقول، ونبيِّنه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلًا عن أن يبينوا مرادهم.

فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف، من شر أقوال أهل البدع والإلحاد[1].

المذهب الخامس: وهو مذهب السلف:

إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه من الصفات، وما وصفه به أعلم الخلق رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تمثيل، ولا تكييف.

الخلاصة في الصفات الفعلية:

أنَّ جميعَ صفات الأفعال مُتصف بها الله تبارك وتعالى في الأَزَل كجميع صفاته، لا يسبقها عَدَم ولا يَلحقها فناء، فهو سُبحانه متصفٌ بأنه يتكلم،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠١- ٢٠٥).

ويخلق، ويُحيي، ويميت، ويرزق، ويأتي، وينزل، ويغضب، ويضحك، ويَرضَى إلى غير ذلك من صفات الأفعال، كما سبق بيانه.

لكن آحاد هذه الأفعال تتجدّد، فهو يتكلم إذا شاء، ويخلق ما يشاء، ويرزقُ مَن يشاء.

فمن كماله تعالى أنْ يكون فعله مُتعلق بمشيئته واختياره، يفعل ما يشاء، متى شاء، كيف شاء. قال جل ذكره: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس]؛ فانتبه لهذا الأصل حتى لا تقع في التعطيل، ولا في التحريف.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ في معرض كلامه عن صفات الله الفعلية: الكلامُ صفة كمال، ومَن يتكلم أكمل ممن لا يتكلّم، كما أنّ مَن يَعلم ويقدر أكمَل ممن لا يعلم ولا يقدر، ومَن يتكلّم بمشيئته وقدْرته أكمَل ممن يكون الكلام لازمًا لذاته، ليس له عليه قدْرة ولا له فيه مشيئة، والكمالُ إنما يكون بالصفاتِ القائمة بالموصوف، لا بالأمُور المباينة له، ولا يكونُ الموصوف مُتكلمًا عالمًا قادرًا إلا بما يقوم به من الكلام والعلم والقدْرة.

وإذا كان كذلك فمَن لم يزل موصوفًا بصفات الكمال أكمَل ممن حَدث له بعدَ أن لم يكن مُتصفًا بها، لو كان حُدوثها ممكنًا، فكيف إذا كان ممتنعًا؟[(١)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢).

أنواع الصفات، وما نصف به الله تعالى منها:

الصفة إما تكون كمالًا محضًا، وإما أن تكون نقصًا محضًا، وإما أن تكون كمالًا في حال دون حال.

١- صفات الكمال: إذا كانت الصفة تحمل الكمال المطلق- الذي ليس فيه نقصٌ بأي وجْه من الوجوه- أثبتناها لله تعالى، كما أثبتها لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله ﷺ على ما ورَدَت الأخبار الصحاح به.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الصفة العليا، وهي التوحيد، وأنه لا إله إلا هو، وقيل: جميع صفات الجلال والكمال، من العلم، والقدرة، والبقاء، وغيرها من الصفات[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي الكمال المطلق من كُلّ وجه، وهو منسوب إليه[(٢)].

قال السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في شرحه للآية**: وهو كُلّ صفة كمال، وكُلّ كمال في الوجود فالله أحق به من غير أن يستلزم ذلك نقصًا بوجه، وله المثل الأعلى في قلوب أوليائه، وهو التعظيم والإجلال والمحبة والإنابة والمعرفة[(٣)].

---

(١) معالم التنزيل (٥/ ٢٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٨٣).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤٤٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧]، من أعظم الأدلة على ثبوت صفات كماله سبحانه وتعالى(١)، انتهى.

٢- صفات نقص محض: فلا يوصف بها الله تعالى مطلقًا، لثبوت صفات الكمال له من كُلّ وجْه.

٣- صفات تكون كمالًا في حال دون حال: نثبت لله تعالى منها ما كان في حال الكمال.

مثال ذلك: المكر، والخديعة، والاستهزاء، والكيد، إلى غير ذلك، لا يجوز أن نصف الله تعالى بها مطلقًا؛ لأن هذه الصفات عند الإطلاق صفات ذم، ولكن نصف الله بها على سبيل المقابلة، فتكون صفة كمال، لأنها في حال المقابلة تدل على أنَّ فاعلها قادر على مُقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد، ولذلك لم يذكرها الله تعالى في القرآن على أنها من صفاته على سبيل الإطلاق.

قال جل ذكره: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال].

المكر لغة: صرفُ الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان:

مكرٌ محمودٌ: وذلك أن يتحرى بذلك فعل جميل، وعلى ذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [آل عمران].

ومذموم: وهو أن يتحرى به فعل قبيح، قال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ١٥٦).

بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٤٣][1].

قال الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المكرُ من الله الاستدراج، لا على معنى مكر المخلوقين[2].

قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المكرُ من الخلق خبث وخداع، ومن الله عز وجل: المجازاة... كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ لأنَّ مَكره مجازاة، ونصر للمُؤمنين[3].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمكرُ من الله: هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم، من حيث لا يشعرون[4]. انتهى.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي يعاملونه معاملة المخادعين، وهو خادعهم، أي: مجازيهم على خداعهم، وذلك أنهم يُعطون نورًا يوم القيامة كما للمؤمنين، فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط، ويُطفأ نور المنافقين[5].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا شك أنَّ الله لا يُخادَع، فإنه العالمُ بالسرائر والضمائر، ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم يعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهرًا، فكذلك يكون حكمهم عند الله يوم القيامة...

وقوله: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ أي: هو يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم،

---

(١) المفردات في غريب القرآن (٥٢١).
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (٦٠٩).
(٣) زاد المسير لابن الجوزي (١/ ٣٩٥).
(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٧٩).
(٥) معالم التنزيل (٢/ ٣٠٢).

ويُخذلُهُم عن الحق والوصول إليه في الدنيا، وكذلك يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٣-١٥] (١).

من أصول اعتقاد أهل السنة أن صفات الله تعالى توقيفية:

ومعنى توقيفية: أي لا مجال للعقل والاجتهاد فيها، وإنما تُثبَت الصفات بالنص من الكتاب والسنة، وهذا ما عليه سلف الأمة- رحمهم الله-.

قال السجزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفًا. وكذلك شرحها، لا يجوز إلا بتوقيف، فقول المتكلمين في نفي الصفات: أرى إثباتها بمجرد العقل، أو حملها على تأويل مخالف للظاهر ضلال (٢).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يُوصَف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، ولا يتجاوز القرآن والحديث (٣).

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وجماعُ القول في إثبات الصفات: هو القول بما كان عليه سَلف الأمة وأئمتها، وهو أن يُوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله (٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٤٨).

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (١٢١).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٥).

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصحابُ الحديث- حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم- يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلت العدول الثقات عنه، ويُثبتون له جل جلاله ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسول الله ﷺ[1].

وقوله: «أسماؤه ثابتة عظيمة»: أسماءُ الله تعالى ثابتة بنص الكتاب والسنة، وعظيمة؛ لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها، وأحسن الصفات وأكملها، ونذكر ههنا مباحث لبيان اعتقاد أهل السنة في مسائل الأسماء.

المبحث الأول: أسماء الله تعالى كُلّها حُسنى:

قال جل ذكره: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والحسنى تأنيث الأحسن، كالكبرى والصغرى[2]، ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠][3].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأما الحسنى فهي تأنيث الأحسن، ومعنى الآية: أن أسماء الله حسنى، وليس المراد أن فيها ما ليس بحسن... ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ أي: نادوه بها، كقولك: يا الله، يا رحمن[4].

---

(١)انظر: لسان العرب (١٣/ ١١٤).
(٢) انظر: لسان العرب (١٣/ ١١٤).
(٣) معالم التنزيل (٢/ ٢٥٣).
(٤) زاد المسير (٢/ ١٧٢).

قال ابنُ الوزير اليماني رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أنَّ الحسنى في اللغة: هو جمع الأحسن، لا جمع الحَسَن، فإنّ جمعه: حِسان وحسنة، فأسماءُ الله التي لا تُحصَى كُلّها حَسَنة، أي: أحْسَنُ الأسماء، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] أي: الكمالُ الأعظم في ذاته وأسمائه ونُعوته.

فلذلك وجَب أنْ تكون أسماؤه أحسَنَ الأسماء، لا أن تكون حَسَنة وحسانًا لا سُوى، وكم بين الحسن والأحسن من التفاوت العظيم عقلًا وشرفًا ولغة وعُرفًا[1].

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: والمعنى: لله الأسماء التي هي أحسن الأسماء وأجلها لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها[2].

المبحث الثاني: أسماء الله سبحانه وتعالى أعلام وأوصاف:

اعتقادُ أهل السنة والجماعة أنّ كُلّ اسم من أسماء الله عز وجل دالٌّ على صفة كمال تضمَّنها الاسم، ومنه ما يدلُّ على عدّة صفات، فإذا قلت مثلًا: «العليم»: دلَّ ذلك على أنه اسم لله، ودلَّ على صفة العلم له سبحانه.

وإذا قلت: «السميع» دلّ ذلك على أنه اسم لله تعالى، وعلى صفة السمع له، وهكذا في جميع الأسماء، نُثبت الاسم كما أثبته الله تعالى لنفسه وأثبته له نبيه ﷺ، ونُثبت الصفة الدالة على الاسم.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم (٧/ ٢٢٨).
(٢) محاسن التأويل (٣/ ٦٧١).

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أسماءُ الرب تعالى كُلّها أسماء مدح، فلو كانت ألفاظًا مُجرَّدة لا معاني لها لم تدلّ على المدْح، وقد وصفها الله سبحانه بأنها حُسنى كُلّها.. وذكر الآيات، ثم قال: فهي لم تكن حُسنى لمجرد اللفظ، بل لدلالتها على أوصاف الكمال[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: الاسمُ الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفةٍ مُعيَّنة، بل هو دَالٌّ على معان، لا على معنى مُفرد، نحو: المجيد، العظيم، الصمد.

فإن المجيد: مَن اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا، فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، فمنه استمجد المرخ[(٢)]... ومنه ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥﴾[البروج] صفة للعرش، لسعته وعظمته وشرفه[(٣)].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض شرحه قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]:

هذا بيانٌ لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنة، أي: له كُلّ اسم حَسَن، وضابطه: أنه كُلّ اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حُسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت عَلَمًا محضًا لم تكن حُسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل صفة نقص أو

---

(١) بدائع التفسير (٢/ ٣٧١).

(٢) مرخ: مرخه بالدهن يمرخه مرخًا، ومرخه تمريخًا، دهنه، وتمرخ به: ادهن، ورجل مرخ ومريخ: كثير الدهن. اللسان (٨/ ٢٤٦).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ١٤٤-١٤٥) باختصار.

صفة منقسمة إلى المدح والقدح لم تكن حُسنى، فكُلّ اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها.

نحو «العليم»: الدال على أن له علمًا محيطًا عامًّا لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

و«**الرحيم**» الدال على أن له رحمة عظيمة واسعة لكُلّ شيء(١).

المبحث الثالث: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد:

عن عَبْدِ الله، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ما أصاب أحَدًا قط هَمٌّ ولا حَزَنٌ فقال: اللهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ**»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٠٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٧١٢) وابن حبان في صحيحه (٢٩٧٢) والحاكم في المستدرك (١/ ٦٩٠) وابن أبي شيبة (٦/ ٤٠) وأبو يعلى (٥٢٩٧) والطبراني في الكبير (١٠٣٥٢). وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[(١)].

وقال رَسُولُ الله ﷺ في حديث الشفاعة: «**ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**»[(٢)].

فدل ذلك على أنّ هناك محامد من أسماء الله وصفاته يفتح الله بها على رسوله ﷺ في ذلك اليوم، وهي بلا شك غير المحامد المأثورة في الكتاب والسنة؛ لقوله ﷺ: «**لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي**».

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجُمْلة قوله: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا**... وساق الحديث» قضية واحدة لا قضيتان، ويكون تمام الفائدة في خبر «**إِنَّ**» في قوله: «**مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**» لا في قوله: «**تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا**».

وإنما هو بمنزلة قولك: إن لزيد ألف درهم أعدها للصدقة، وكقولك: إن لعمرو مائة ثوب مَن زاره خلعها عليه، وهذا لا يدل على أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم، ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب، وإنما دلالته: أن الذي أعده زيد من الدراهم للصدقة ألف درهم، وأن الذي أرصده عمرو من الثياب للخلع مائة ثوب. والذي يدل على صحة هذا التأويل: حديث عبدالله بن مسعود... أن النبي ﷺ كان يدعو: «**اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ**... وساق الحديث» كما تقدم.

فهذا يدل على أنَّ لله أسماء لم ينزلها في كتابه، حجَبها عن خلقه، ولم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤).

يُظهرها لهم[(١)].

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: فكأنه قصد أن مَن أحصى من أسماء الله تعالى تسعة وتسعين اسمًا دَخَل الجنة[(٢)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: واتفق العلماءُ على أنَّ هذا الحديث ليس فيه حَصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه: أنه ليس له أسماء غير التسعة وتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين مَن أحصاها دخلَ الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحَصر الأسماء، ولهذا جاء في الحديث الآخر: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ...**»[(٣)][(٤)].

قال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا نظن أنَّ التخصيصَ بهذا العدد المعين مما يقتضي الانحصار فيه[(٥)].

وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية وابن القيم، وأئمة أهل السنة[(٦)].

فائدة:

خالف ابن حزم، فذهب إلى الحصر في العدد المذكور، ورَدَّ عليه

---

(١) شأن الدعاء (٨٢، ٨٣).

(٢) الأسماء والصفات (ص: ٣٥).

(٣) صحيح: تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) شرح النووي على مسلم (٩/ ٨).

(٥) شرح أسماء الله الحسنى (ص: ١٣٦).

(٦) راجع: درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٣٢، ٣٣٣) والفتاوى (٦/ ٣٨١) وبدائع الفوائد (١/ ١٥٠).

الحافظ ابن حجر، فقال: وابنُ حزم ممن ذهب إلى الحصر في العدد المذكور، وهو لا يقول بالمفهوم أصلًا، ولكنه احتج بالتأكيد في قوله ﷺ: «**مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا**» فقال: لأنه لو جاز أن يكون له اسم زائد على العدد المذكور لزم أن يكون له مائة، فيبطل قوله: «**مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا**».

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا الذي قاله ليس بحجة على ما تقدم، لأنّ الحصرَ المذكور عندهم باعتبار الوعد الحاصل لمن أحصاها، فمَن ادّعى أنّ الوعد وقع لمن أحصى زائدًا على ذلك أخطأ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون هناك اسم زائد[1].

المبحث الرابع: أسماء اللّه تعالى توقيفية:

سبق ذكر الأدلة على أنَّ صفات الله تعالى توقيفية، وكذلك أسماؤه تبارك وتعالى.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٢٢١).

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٥ - لَكِنَّهَا فِي الْحَقِّ تَوْقِيفِيَّة   لَنَا بِذَا أَدِلَّةٌ وَفِيَّة

الشرح

أي: لا نثبت منها إلا ما جاء في الكتاب والسنة، فلا يجوز أن نسمي الله عز وجل باسم ليس في كتابه ولا سنة نبيه ﷺ، فعقولُ البشر قاصرة وعاجزة عن معرفة أسمائه سبحانه وتعالى، فلا نثبت إلا ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ.

لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولما كانت معرفة أسمائه توقيفية، لا يُعلم إلا من طريق الوحي والسنة، ولم يكن لنا التصرف فيها بما لم يهتد إليه مبلغ علمنا ومنتهى عقولنا، نهينا عن إطلاق ما لم يرد به توقيف(١).

قال أبو القاسم القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأسماء تؤخذ توقيفًا من الكتاب والسنة والإجماع، فكُلّ اسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه، وما لم يرد لا يجوز ولو صح معناه(٢).

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ٤٧٩).

(٢) الفتح (١١/ ٢٢٦).

قال أبو إسحاق الزّجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يجوز لأحد أن يدعو الله بما لم يصف به نفسه[١].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أسماءُ الله توقيفية، لا تُطلق إلا بدليل صحيح[٢].

تنبيه:

لم يصح حديث عن رسول الله ﷺ في تعيين أسماء الله الحسنى، فاجتهد العلماء في جمع الأسماء من الكتاب والسنة، لأنها توقيفية لا نثبتها إلا بنص.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض رده على مَن قال: لا يجوز الدعاء إلا بالتسعة والتسعين اسمًا التي جاءت في رواية الوليد بن مُسلم كما عند الترمذي وغيره:

فإنّ جمهورَ العُلماء على خلافه، وعلى ذلك مضى سلف الأمة وأئمتها، وهو الصواب؛ لوجوه:-

أحدها: أن التسعة والتسعين اسمًا لم يرد في تعيينها حديثٌ صحيح عن النبي ﷺ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث.

وفيها حديث ثان أضعف من هذا، رواه ابن ماجه، وقد رُوي في عددها غير هذين النوعين من جَمع بعض السلف... وهذا القائل الذي حصر أسماء الله في تسعة وتسعين لم يمكنه استخراجها من القرآن، وإذا لم يقم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) شرح مسلم (٧/ ١٨٨).

على تعيينها دليل يجب القول به لم يمكن أن يقال: هي التي يجوز الدعاء بها دون غيرها..

الوجه الثاني: أنه إذا قيل: تعيينها على ما في حديث الترمذي مثلًا، ففي الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث، مثل اسم «الرب» فإنه ليس في حديث الترمذي، وأكثر الدعاء المشروع إنما هو بهذا الاسم، كقول آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] وأمثال ذلك[(١)].

وساق أسماء لله تعالى كثيرة ليست في حديث الوليد.

قال ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ: تمييز التسعة والتسعين يحتاج إلى نص متفق على صحته، أو توقيف رباني، وقد عُدِمَ النص المتفق على صحته في تعيينها، فينبغي في تعيين ما تعين منها الرجوع إلى ما ورد في كتاب الله بنصه، أو ما ورد في المتفق على صحته من الحديث[(٢)].

المبحث الخامس: باب الأسماء أضيق من باب الصفات:

ذلك لأن كُلّ اسم يدل على صفة لله تعالى كما سبق بيانه، ولا يشتق من كُلّ صفة اسمٌ لله عز وجل، فمن صفات الله تعالى الغضب والرضا والكلام والمحبة والاستواء والإتيان والمجيء والنزول وغير ذلك، فلا يجوز أن يُشتق من هذه الصفات أسماء لله تعالى، فيقال: الغاضب، الراضي، المتكلم، المحب، والمستوي وما أشبه ذلك، فهذا لا يجوز، بل هذه صفات لله تعالى.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٢-٤٨٦) باختصار.

(٢) العواصم والقواصم (٧/ ٢٢٨).

ولو فعلنا ذلك لوقعنا في المحذور، وهو تسمية الله تعالى بما لم يُسمّ به نفسه ولم يسمه به رسول الله ﷺ، وقد تقرر أن أسماء الله تعالى توقيفية[١].

المبحث السادس: أسماء الله تعالى لها ثلاث دلالات:

١- دلالة المطابقة. ٢- دلالة تضمن.

٣- دلالة التزام.

فإذا قلت: «العزيز» دل هذا الاسم على ذات الله تعالى دلالة مطابقة، ودل على صفة «العزة» دلالة تضمن- وقد تقدم أن أسماء الله دالة على صفاته- ودل على القوة، والقدرة، والقهر، والغَلَبة، وغير ذلك من دلالات التزام، فالعزيز لا تكون له عزة بغير قوة وقدرة وقهر وغَلَبة.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة، فإنه يدل على دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم.

فإن اسم «السميع» يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة، وعلى الذات وحدها وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدلُّ على اسم «الحي» وصفة الحياة بالالتزام، وكذلك سائر أسمائه وصفاته»[٢].

وتبقى مباحث أخرى في الأسماء ذكرتها في موضع آخر[٣].

---

(١) انظر: مدارج الساكين لابن القيم (٣/ ٤١٥) وبدائع الفوائد (١/ ١٦٢) فقد ذكر هذا المعنى بتوسع.

(٢) مدارج الساكين (١/ ٣٦). وانظر: منهاج السنة لابن تيمية (٥/ ٤٥٢) ومعارج القبول للحكمي (١/ ١١٩).

(٣) راجع إن شئت كتابي «الدرر البهية» باب: أسماء الله عز وجل.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٦ - لَـهُ الْحَيـاةُ وَالْكَـلامُ والْبَـصَرْ   سَـمْعٌ إِرَادَةٌ وَعِلْـمٌ وَاقْتَـدَرْ

الشرح

ذكر الناظمُ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذين البيتين سبع صفات لله تعالى، وقد يظن البعض أنه أشعري، لأنه ذكر الصفات التي يُثبتها الأشاعرة، والأمر ليس كذلك؛ لأنه سيذكر صفات أخرى لله تعالى في ثنايا النظم.

وقوله: «له الحياة والكلام والبصر..»:

أي: أن الله تعالى يتصف بالحياة، فالحياة صفة من صفاته، بل هي أصل جميع الصفات بدلالة الالتزام، فلم يزل ولا يزال متصفًا بالحياة الكاملة التي لم يسبقها عَدَم، ولا يلحقها فناء، ولا يعتريها نقص بأي وجه من الوجوه، كالسِّنَة والنوم والتعب والموت، وغير ذلك من صفات النقص التي تعتري البشر.

قال جلّ ذكره: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وقال رسول الله ﷺ: «... أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»[(١)].

فاسمه الحي: مشتقٌّ من صفة الحياة، كما سبق بيان أن كُلَّ اسم مشتق من صفة من صفاته سبحانه، أو نقول: كُلُّ اسم دال على صفة، فالمعنى واحد.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٧١٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله: «الكلام»:

الكلامُ صفة من صفات الله تبارك وتعالى، فهي صفة ذاتية، لم يزل ولا يزال متصفًا بأنه يتكلم، وهي صفة فعلية باعتبار آحاد الكلام، فإن شاء تكلم وإن شاء لم يتكلم، وأنكر طوائف من الناس هذه الصفة.

ونذكر هنا مباحث في صفة الكلام.

المبحث الأول: الكلام من صفات الله تعالى، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال الأئمة في ذلك:

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء].

وقال سبحانه: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس].

وقوله: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [الكهف].

وقال جل ذكره: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقال: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [مريم].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران: ٧٧] إلى غير ذلك من الآيات، وهي كثيرة جدًّا.

ذكر الأدلة من السنة على أن الله يتكلم، وأن الكلام من صفاته:

قد استدل أئمة السنة - كأحمد وغيره - على أن كلام الله غير مخلوق بأنه ﷺ استعاذ به[١].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٦/ ٢٣٠).

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان النبي ﷺ يُعوِّذُ الحسن والحسين، ويقول: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»[(١)].

وعن خولة بنت حكيم السُّلَمِيَّة، أنها سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ»[(٢)].

وعن أبي هريرة، أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، قال: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»[(٣)].

وفي الصحيحين، في حديث احتجاج آدم وموسى، وفيه: «قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ...»[(٤)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ»[(٥)].

وعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧١) وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٦١٤) ومسلم (٢٦٥٢).

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٨٣).

سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»(١).

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد على الجهمية: أنهم قالوا: إن الله يتكلم ولكن كلامه مخلوق، فقلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، فشبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم أن الله كان في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلُّم، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خُلق لهم كلامًا، فجمعتم بين كفر وتشبيه، فتعالى الله عن هذه الصفة عُلوًّا كبيرًا. بل نقول: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، ولا نقول: إنه قد كان ولا يتكلم حتى خلق كلامًا(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: أما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان وأدوات، فقد قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] أتراها أنها يُسبحن بجوف وفَم ولسان وشفتين؟ والجوارح إذا شهدت على الكافر: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] أتراها نطقت بجوف وفم ولسان؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك الله يتكلم كيف شاء(٣).

قال أبو سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: فالله المتكلم أولًا وآخرًا، لم يزل له

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٩) ومسلم (١٠١٦).

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية (٢٧٥-٢٧٨) للإمام أحمد.

(٣) نقله ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٣٢).

الكـلام، إذ لا متكلم غيـره، ولا يـزال لـه الكـلام، إذ لا يبقـى متكلم غيـره، فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] أنا الملك، أين ملوكُ الأرض؟ فلا ينكر كلام الله عز وجل إلا مَن يريد إبطالَ ما أنزل الله عز وجل، وكيف يعجز عن الكلام، مَن علَّم العباد الكلام، وأنطق الأنام؟!

قـال الله في كتابـه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء] فهـذا لا يحتمل تأويلًا غير نفس الكلام... ثم ذكر آيات أخرى كما قدَّمنا[١].

قـال أبـو بكـر الآجـري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمَـن زعَـم أنَّ الله – عـز وجـل – لـم يُكلـم موسى فقد رد نص القرآن، وكفر بالله العظيم.

فـإن قـال قائـل منهم: إنَّ الله تعـالى خلـق كلامًا في الـشجرة، فكلّـم بـه موسى، قيل له: هذا هو الكُفر، لأنه يزعم أنّ الكلامَ مخلوقٌ – تعالى الله عز وجل عن ذلك – ويزعم أنّ مخلوقًا يـدَّعي الربوبيـة، وهـذا مـن أقبح القـول وأسـمجه.

وقيل له: يا مُلحد، هل يجوز لغير الله أن يقول: إنني أنا الله؟ نعـوذ بـالله أن يكون قائل هذا مسلمًا، هذا كافر يُستتاب، فـإن تـاب ورجـع عـن مذهبـه السوء، وإلا قتله الإمام، فإن لم يقتلـه الإمـام ولـم يـستتبه وعُلـم منـه أنَّ هـذا مذهبـه، هُجـر ولـم يُكلَّـم، ولـم يُـسلَّم عليـه، ولـم يُـصَلَّ خَلْفَـه، ولـم تُقبَـل شهادته، ولـم يُزوجه المسلم كريمته... ثم ساق جملة من أقوال الأئمة بمثل ما قال[٢].

(١) الرد على الجهمية (١٤٠).

(٢) الشريعة (ص: ٢٤٣).

وأقوالُ السلف في إثبات صفة الكلام لله تعالى كثيرة جدًّا يصعب استيفاؤها.

أقوال أهل السنة بأن الله تعالى يتكلم بصوت يُسمَع:

دلت نصوصُ الكتاب والسنة على أنّ الله- جل في علاه- يتكلم بصوت يُسمَع، وقد سبق ذكر الأدلة على ذلك، مع ثبوت أن الله تعالى ليس كمثله شيء، لا في كلامه ولا في صوته، ولا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وقد تقرر هذا المعنى مرارًا.

قال قوّام السُّنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد أجمع أهل العربية أن ما عدا الحروف والأصوات ليس بكلام حقيقة(١).

قال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قوم يقولون: لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت؟ فقال أبي: بلى، إن ربك عز وجل يتكلم بصوت، هذه الأحاديثُ نرويها كما جاءت.

وقال أبي: حديثُ ابن مَسْعُود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ عَزَّ وجَلّ، سُمِعَ له صَوْتٌ كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفْوَانِ**»(٢)، قال أبي: وهذا الجهمية يُنكره(٣).

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنّ الله يتكلم بصوت لا يُشبه صوت الخلق(٤).

---

(١) الحجة في بيان المحجة (ص: ٢٠٢).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ -قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ- فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**» أخرجه البخاري (٤٧٠١).

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (ص: ٢٨٠، ٢٨١).

(٤) خلق أفعال العباد (١٣٣).

قال البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: والإيمانُ بأنَّ الله تبارك وتعالى هو الذي كلم موسى بن عمران يوم الطور، وموسى يسمع من الله الكلام بصوت وقع في مسامعه منه لا من غيره، فمَن قال غير هذا فقد كفر بالله العظيم(١).

قال السجزي رَحِمَهُ اللَّهُ: الكلامُ لا يكون إلا حرفًا وصوتًا ذا تأليف واتساق، وإن اختلفت بهم اللغات، وعبر عن هذا المعنى الأوائل الذين تكلموا في العقليات، وقالوا: الكلامُ حروف مُتسقة، وأصواتٌ متقطعة، وقالت العرب: الكلامُ اسم وفعل وحرف جاء لمعنى.. إلى أن قال: فالإجماعُ مُنعقد بين العُقلاء على كون الكلام حرفًا وصوتًا(٢).

المبحث الثاني: القرآن كلام الله غير مخلوق:

وهذا إجماعٌ عند أهل السنة والجماعة، وخالفهم طوائف من المبتدعة، فقالوا: القرآن مخلوق، تعالى الله عما يقولون هؤلاء المبتدعة عُلوًّا كبيرًا.

ذكر بعض الآيات الدالة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال جل ذكره: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ٦٤].

وقال سبحانه: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقال جل وعلا: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء] ولم يقل:

---

(١) شرح السنة (ص: ٩٠).
(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد (ص: ٨١).

أصدق من الله خلقًا، قاله ابن بطة [(١)].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقال سبحانه: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة].

وقد ذكر ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الإبانة أكثر من خمسين آية من القرآن تدل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله تعالى يتكلم [(٢)].

ذكر الأدلة من السنة على أن القرآن كلام الله:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَقَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»[(٣)].

وفي حديث الإفك، قالت عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى»[(٤)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ،**

---

(١) الإبانة (٣/ ٢٢٧).

(٢) انظر: الإبانة (٣/ ٢٢٧-٢٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٨٧، ٢١٤) وأحمد (٣/ ٣٩٠) وأبو داود (٤٧٣٤) وابن أبي شيبة (١٤/ ٣١٠) وابن ماجه (٢٠١) والحاكم (٢/ ٦٦٩) وصحّحه الألباني على شرط البخاري في الصحيحة (١٩٤٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤١٤١) ومسلم (٢٧٧٠).

ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ - قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ - فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ» (١).

وفي رواية: «إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا...» (٢).

قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن قال القرآن مخلوق يُوجَع ضربًا ويُحبَس حتى يموت(٣).

قال حرب بن إسماعيل الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعتُ أبا عبد الله، وذكر عنده كلام الناس في القرآن أنه مخلوق، فقال: كُفر ظاهر، كُفر ظاهر(٤).

وقال: سألتُ إسحاق- يعني ابن راهويه- قلت: يا أبا يعقوب أليس تقول: القرآنُ كلام الله تكلم الله به ليس بمخلوق؟ قال: نعم، القرآنُ كلام الله ليس بمخلوق، ومَن قال إنه مخلوق فهو كافر (٥).

قال المروزي رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعتُ أبا عبد الله يقول: مَن قال: القرآن مخلوق، فهو كافر بالله العظيم واليوم الآخر (٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠١) وغيره.

(٢) **صحيح**: سنن أبي داود (٤٧٣٨).

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (١١).

(٤) أخرجه الخلال في السنة (١٨٢٦) وابن بطة في الإبانة (٢٢٦٢) والآجري في الشريعة (٨٥).

(٥) السنة للخلال (٢/ ٢١٧).

(٦) المصدر السابق.

قال أبو حامد الإسفراييني رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان من كبار أئمة السنة المثبتين للصفات:

مذهبي ومذهبُ الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وجميع علماء الأمصار: أن القرآنَ كلام الله ليس بمخلوق، ومَن قال مخلوق فهو كافر، وأن جبريل عليه السلام سمعه من الله عز وجل وحمله إلى محمد ﷺ، وسمعه محمد ﷺ من جبريل عليه السلام، وسمعه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من النبي ﷺ، وأن كُلّ حرف منه كالباء والتاء كلام الله ليس بمخلوق، ذكره في كتابه: «أصول الفقه»، وذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الأجوبة المصرية»(١).

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: ويشهد أهل الحديث ويعتقدون أن القرآنَ كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومَن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم(٢).

قال الأصبهاني: أجمَع المسلمُونَ أنّ القرآنَ كلامُ الله، وإذا صحّ أنه كلام الله صحّ أنه من صفة الله تعالى، وأنه عز وجل موصوف به، وهذه الصفة لازمة لذاته.

تقول العرب: زيد متكلّم، فالتكلّم صفة له، إلا أن حقيقة هذه الصفة الكلام، وإذا كان كذلك، كان القرآن كلام الله، وكانت هذه الصفة لازمة له أزلية(٣).

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١٣٣، ١٣٤).
(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص: ١٦٥).
(٣) الحجة في بيان المحجة (ص: ٣٥٢).

ولـو عمـدت إلـى كتـب الـسلف لجمـع أقـوالهم في هـذه المـسألة لطـال المـرام، ولكـن الـسعيد يكتفـي باليسير، والمخـذول لا يـشفيه الكثيـر، والله الهادي إلى سواء السبيل.

المبحـث الثالـث: شـبهات المعتزلـة والجهميـة فـي مـسألة خلـق القرآن، والرد عليها:

لما ابتدعت الجهمية هذه المقالة كانوا يقولون: إن الله تعـالى لا يـتكلم، أو يتكلم مجازًا.

لكن المعتزلة امتنعت من هـذا الإطـلاق، وقـالوا: إنـه مـتكلم، أو يـتكلم حقيقـة، لكـنهم فـسروا ذلـك بأنـه خلـق كلامًـا في غيـره. فلـم ينـازعوا قـدماء الجهمية في حقيقة المذهب، وإنما نازعوهم في اللفظ[(١)].

الآيات التي استدل بها الجهمية والمعتزلة على أن القرآن مخلـوق، تعـالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

مـن هـذه الآيـات قولـه تعـالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

فقالوا: «محدث» أي لـم يكـن ثـم كـان، فـدل ذلـك- بـزعمهم- علـى أن القرآن مخلوق.

الرد: أجاب أهل العلم بأن المحدَث هو إنزالُ القرآن، فإن الله كان ينـزل القرآن شيئًا بعد شيء كما هو معلوم. وقيـل: المحـدث هـي الـتلاوة علـيهم وعلمهم به، أما القرآن فهو كلام الله غير مخلوق.

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (٥٦٨).

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: لم يقل: لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثًا، وإنما قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ [الأنبياء]، فدل أن (ذكرًا) غير محدث.

ثم إنما أراد ذكر القرآن لهم، وتلاوته عليهم وعلمهم به، وكل ذلك محدث، والمذكور المتلو المعلوم غير محدث، كما أن ذكر العبد لله، وعلمه به وعبادته له محدث، والمذكور المعلوم المعبود غير محدث.

وحين احْتُج به على أحمد، قال: قد يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدث، لا الذكر نفسه محدث.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا الذي أجاب به أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ ظاهر في الآية.

وإتيانه: تنزيله على لسان الملك الذي أتى به، والتنزيل محدث، وقد أجاب أحمد بالجواب الأول[1].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن احتج بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، قيل له: هذه الآية حجة عليك، فإنه لما قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ علم أن الذكر منه محدث ومنه ما ليس بمحدث؛ لأن النكرة إذا وصفت ميّز بها بين الموصوف وغيره، كما لو قال: ما يأتيني من رجل مسلم إلا أكرمته، وما آكل إلا طعامًا حلالًا ونحو ذلك، ويعلم أن المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكن الذي أنزل جديدًا، فإن الله كان ينزل القرآن شيئًا بعد شيء، فالمنزل أولًا هو القديم

---

(١) الاعتقاد (ص: ١٠٠).

بالنسبة إلى المنزل آخرًا، وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب، كما قال: ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس]، وقال: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف]، وقال: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف][1].

قال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم إن الجهمي.... ادعى أمرًا آخر، فقال: أنا أجد في الكتاب آية تدل على أن القرآن مخلوق، فقيل له: أي آية هي؟

قال: قول الله عز وجل: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أفلا ترون أن كل محدث مخلوق؟

فوهم على الضعفاء والأحداث وأهل الغباوة ومَوَّه عليهم، فيقال له: إن الذي لم يزل به عالمًا لا يكون محدثًا، فعلمه أزلي كما أنه هو أزلي، وفعله مضمر في علمه، وإنما يكون محدثًا ما لم يكن به عالمًا حتى علمه، فيقول: إن الله عز وجل لم يزل عالمًا بجميع ما في القرآن قبل أن ينزل القرآن، وقبل أن يأتي به جبريل وينزل به على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، قبل أن يخلق آدم، وقال: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة]، يقول: كان إبليس في علم الله كافرًا قبل أن يخلقه، ثم أوحى بما قد كان علمه من جميع الأشياء.

وقد أخبرنا عز وجل عن القرآن، فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم]، فنفى عنه أن يكون غير الوحي، وإنما معنى قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢٢)، و(٦/ ١٦٠-١٦١)، و(١٦/ ٣٨٣-٣٨٤).

ﵟذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍﵞ أراد: محدثًا علمه، وخبره، وزجره، وموعظته عند محمد ﷺ، وإنما أراد: أن نزول القرآن عليك يحدث لك، ولمن سمعه علم وذكر لم تكونوا تعلمونه....

وقال عز وجل: ﵟوَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣ﵞ [طه]، فأخبر أن الذكر المحدث هو ما يحدث من سامعيه وممن علمه وأنزل عليه، لا أن القرآن محدث عند الله، ولا أن الله كان ولا قرآن؛ لأن القرآن إنما هو من علم الله، فمن زعم أن القرآن هو بعد، فقد زعم أن الله كان ولا علم ولا معرفة عنده بشيء مما في القرآن، ولا اسم له، ولا عزة له، ولا صفة له حتى أحدث القرآن.

ولا نقول: إنه فعل الله، ولا يقال: كان الله قبله، ولكن نقول: إن الله لم يزل عالمًا، لا متى علم ولا كيف علم، وإنما وَهَّمت الجهمية الناس ولبّست عليهم بأن يقول: أليس الله الأول قبل كل شيء، وكان ولا شيء، وإنما المعنى في كان الله قبل كل شيء، قبل السموات والأرض، وقبل الأرضين، وقبل كل شيء مخلوق.

فأما أن نقول قبل علمه، وقبل قدرته، وقبل حكمته، وقبل عظمته، وقبل كبريائه، وقبل جلاله، وقبل نوره، فهذا كلام الزنادقة.

وقوله: ﵟمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍﵞ [الأنبياء: ٢]، فإنما هو ما يحدثه الله عند نبيه وعند أصحابه، والمؤمنين من عباده، وما يحدثه عندهم من العلم، وما لم يسمعوه، ولم يأتهم به كتاب قبله، ولا جاءهم به رسول[(١)].

---

(١) الإبانة (٣/ ٣٦٢-٣٦٣)، وانظر: الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد (ص: ٢٤٢-٢٤٧).

الآية الثانية: ومما استدلوا به، قول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

قالوا: جعلنا أي: خلقنا، فزعموا أن القرآن مخلوق.

الرد: وهذا الاستدلال باطل؛ لأن كلمة (جعل) لها معان كثيرة بحسب سياق الكلام، فهي تأتي بمعنى: أوجد، وبمعنى: صير، وبمعنى: الحكم على الشيء، وبمعنى: بعث أو أرسل، وبمعنى: شرع، وقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: صيرناه.

قال الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الجعل: أعم من فَعَلَ وصَنَعَ، وسائر أخواتها، وهو يجري مجرى (صار) و(طفق) فلا يتعدى، نحو: (جعل زيد يفعل كذا) أي: أقبل وأخذ وشرع وتلبس.

ومعنى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ﴾[1] [المائدة: ١٠٣]، ما شرع، وما وضع. ولذلك تعدّى إلى مفعول واحد وهو: البحيرة.

ويجري مجرى (أوجد) فيتعدى إلى واحد أيضًا، نحو: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

ويكون بمعنى: إيجاد الشيء من شيء وتكوينه منه، نحو: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الشورى: ١١].

وبمعنى تصيير الشيء على حالة دون حالة، فيتعدى إلى اثنين، نحو: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]....

ويكون الجعل بمعنى: الحكم بالشيء على الشيء حقًّا كان، نحو:

(١) قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣].

﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص]، أو باطلًا، نحو: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر].

وبمعنى: بعث، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۝٣٥﴾ [الفرقان].

وبمعنى: قال، نحو: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

وبمعنى: تبين، نحو: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣][1].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ فما أفسده من استدلال، فإن (جعل) إذا كان بمعنى: خلق، يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠﴾ [الأنبياء]. وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى (خلق)[2].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣]، لم يقل: جعلناه فقط، حتى يظن أنه بمعنى خلقنا، ولكن قال: ﴿جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ أي: صيرناه عربيًّا؛ لأنه قد كان قادرًا على أن ينزله عجميًّا، فلما أنزله عربيًّا كان قد جعله عربيًّا دون عجمي، وهذه المسألة من أصول أهل السنة التي فارقوا فيها الجهمية والمعتزلة والفلاسفة ونحوهم[3].

الآية الثالثة التي احتجوا بها، قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩﴾ [التكوير].

---

(١) الكليات (ص: ٢٩٠).

(٢) العقيدة الطحاوية (ص: ١٣٣-١٣٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥١٢).

قالوا: هذا يدل على أن الرسول أحدثه، إما جبريل عليه السلام أو محمد ﷺ.

الرد: أنه تلقاه أو سمعه من رسول كريم، فإضافة القول إلى الرسول إضافة تبليغ.

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: أما قول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ [الحاقة]، معناه: قول تلقاه عن رسول كريم أو سمعه من رسول كريم، أو نزل به رسول كريم، فقد قال: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠]، فأثبت أن القرآن كلام الله عز وجل، ولا يكون شيء واحد كلامًا للرسول ﷺ وكلامًا لله، دل أن المراد بالأدلة ما قلناه[1].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن احتج بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠﴾ [التكوير].

قيل له: فقد قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢﴾ [الحاقة]، فالرسول في هذه الآية محمد ﷺ، والرسول في الأخرى جبريل عليه السلام، فلو أريد به أن الرسول أحدث عبارته لتناقض الخبران، فعلم أنه أضافه إليه إضافة تبليغ لا إضافة إحداث، ولهذا قال: (لقول رسول)، ولم يقل: ملك ولا نبي، ولا ريب أن الرسول بلغه، كما قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، فكان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموسم ويقول: «**ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي، فإن قريشًا قد منعوني أن**

(١) الاعتقاد (ص: ١٠٠).

أبلغ كلام ربي[١]»[٢].

الآية الرابعة: وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦].

قالوا: والقرآن شيء فيكون داخلًا في عموم (كل) فيكون مخلوقًا.

فمن أعجب العجب، وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم (كل) وأدخلوا كلام الله في عمومها مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففرّق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقًا لزم أن يكون مخلوقًا بأمرٍ آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية له، فيلزم التسلسل، وهو باطلهم، وطرد باطل أن تكون جميع صفاته تعالى مخلوقة[٣].

المبحث الرابع: إبطال دعوى الأشاعرة بأن الكلام معنى قائم بذات اللّه:

سبق قريبًا نقل إجماع أهل السنة[٤] على أنّ الله تعالى يتكلم بصوت يُسمَع، وكذا إجماع أهل اللغة أن الكلام لا يكون إلا بحرف وصوت، وعدا

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢١)، وانظر الرد على الزنادقة والجهمية (ص: ٢٣٢-٢٣٦).

(٣) الطحاوية (ص: ١٣١-١٣٢).

(٤) راجع المبحث الأول- أقوال أهل السنة بأن الله يتكلم بصوت يسمع.

الحروف والأصوات فليس بكلام حقيقة.

وأن الكلام صفة من صفات الله تعالى الذاتية الفعلية، فهي ذاتية باعتبار أنه سبحانه لم يزل مُتكلمًا، وفعلية باعتبار آحاد الكلام، إن شاء تكلم وإن شاء لم يتكلم، كما سبق بيانه.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: مذهبُ الأشعري ومَن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الربِّ، وهو صفة قديمة أزلية، ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم ولا له أبعاض، ولا له أجزاء، ولا عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكُلّ من واحد، وهو عين التوارة والإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمرًا ونهيًا وخبرًا واستخبارًا صفات لذلك المعنى الواحد وأنواع له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء، وكونه قرآنًا وتوراةً وإنجيلًا تقسيمًا للعبارات عنه، لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراةً، وإن عبر عنه بالسريانية كان اسمه إنجيلًا، والمعنى واحد، وهذه الألفاظ عبارة عنه، ولا يسميها حكاية، وهي خلق من المخلوقات، وعنه لم يَتكلمِ الله بهذا الكلام العربي... وجمهورُ العقلاء يقولون: إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم في بطلانه، وهو لا يتصور إلا كما تتصور المستحيلات الممتنعات، وهذا المذهب مبني على مسألة إنكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى، وما يسمونها مسألة حلول الحوادث، وحقيقتها إنكار أفعاله وربوبيته وإرادته ومشيئته [(١)].

قال ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض رده على الأشاعرة الذين يقولون: إنَّ

(١) مختصر الصواعق المرسلة ص (٤٦٩-٤٧٠).

الكلامَ معنى قائم بالنفس:

فإذا قالوا: إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ [المجادلة: ٨].

قلنا: هذا ردٌّ عليكم وليس لكم، بل هو دليلٌ عليكم وليس لكم، لأنّ الله لما أراد حديث النفس قال: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ ولما أراد حديث اللسان قال: ﴿بِمَا نَقُولُۚ﴾ فأطلق، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ ولم يقولوا: بما نقول في أنفسنا، لأنهم يقولون بألسنتهم، لكن يحدثون أنفسهم ويقولون: لولا يعذبنا الله بما نقول.

فحديثُ النفس لا يُسمى قولًا ولا كلامًا ولا حديثًا، إلا مقيدًا، وأما القول والحديث والكلام عند الإطلاق فإنما هو القول المسموع الذي يكون بالحروف[(١)].

وقوله: «والبصر»:

البصر لغة: حاسَّةُ الرؤية، وأبصرتُ الشيء: رأيته.. والبصر: العلمُ، وبصرتُ بالشيء: علمتُهُ. قال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ﴾ [طه: ٩٦]، والبصير: العالم[(٢)].

وشرعًا: البصر صفة من صفاته سبحانه وتعالى، فله بصر الرؤية، وله البصر بمعنى العلم.

---

(١) شرح السفارينية (ص: ١٨٠).
(٢) الصحاح للجوهري (ص: ٩٣).

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝١٥﴾ [آل عمران].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يعطي كلًّا بحسب ما يستحقه من العطاء[١].

قال القاسمي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝١٥﴾ [آل عمران] أي: عالم بمصالحهم، فيجب أن يرضوا لأنفسهم ما اختاره لهم من نعيم الآخرة، وأن يزهدوا فيما زهّدهم فيه من أمور الدنيا[٢].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: أي: عالمٌ بما فيهم من الأوصاف الحسنة والأوصاف القبيحة[٣].

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»[٤].

ففي الآيات والأحاديث إثبات بصر الرؤية.

أما إثبات العين: ففي نصوص أخرى في الكتاب والسنة.

والبصر من الصفات الذاتية التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها سبحانه وتعالى.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠) ط. ابن رجب.

(٢) محاسن التأويل (٢/ ٤٢).

(٣) تفسير السعدي (١٢٤).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٩/ ٢٩٣).

وقوله: «سمع...»:

اعلم أن السمعَ صفة من صفات الله الذاتية، فلم يزل ولا يزال سميعًا.

قال جل ذكره: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٢٤﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة].

وقال جل في علاه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على إثبات صفة السمع لله تعالى.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها في حديث طويل، وفيه: «**فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ...**»[1]، وغير ذلك من الأحاديث.

وهذا السمع ينقسم إلى عدة أقسام:

الأول: سمع عام لكُلّ شيء: فهذا يشمل المؤمن والكافر، وما يرضاه الله وما لا يرضاه، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٢٤﴾ [البقرة]، هذا عام يشمل كُلّ شيء.

الثاني: سمع خاص، مقتضاه النصر والتأييد: كقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه]، فليس المراد هنا أن الله تعالى يسمعهما ويراهما مجرد سماع ورؤية، بل المراد: أسمع وأرى فانتصر لكما، فهذا السمع مُقتضاه النصر والتأييد.

الثالث: سمع قد يكون للتهديد والوعيد: مثل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾ [آل عمران: ١٨١]
وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف][1].

أما السمع من حيث الاستجابة: فهو من الصفات الفعلية، إن شاء الله استجاب، وإن شاء لم يستجب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم]، أي: سَمْعَ استجابة لمن يدعوه.

إذًا: «فسمع الله تعالى» ينقسم إلى قسمين:

١- **سمع إدراك**، وهو من صفاته الذاتية، لم يزل ولا يزال سمعيًا، وهذا السمع منقسم إلى ثلاثة أقسام: سمع عام، سمع خاص، سمع تهديد ووعيد، كما سبق بيانه.

٢- **سمع استجابة**، وهو من صفاته الفعلية، إن شاء استجاب، وإن شاء لم يستجب، وقد تقدم بيانه.

وقوله: «وإرادةٌ...»:

الإرادة في القرآن قسمان: إرادة دينية شرعية، وإرادة كونية قدَرية.

أولاً: الإرادة الدينية الشرعية:

فهذه الإرادة متعلقة بشرع الله تعالى، وهي محبوبة إلى الله، لا شيء فيها يبغضه الله تعالى.

---

(١) ملتقط من كلام ابن عثيمين في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٢٠٨ - ٢٠٩) باختصار وتصرف.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] وغير ذلك من الآيات.

ثانيًا: الإرادة الكونية القدَرية:

وهذه الإرادة قد يحبها الله، وقد يبغضها، وهو الذي أرادها.

قال جل وعلا: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فثبت إرادته للهداية وهو يحبها، وثبت أيضًا إرادته للضلال وهو يبغضه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزمر: ٧].

قال الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح الآية: فأثبت الإرادة، ونفى الرضا(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والتحقيق: أن الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة دينية شرعية، وإرادة كونية قدَرية.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦، ٢٧].

فإن الإرادة هنا بمعنى المحبة والرضا، وهي الإرادة الدينية، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢١٣).

وأما الإرادة الكونية القدَرية: فمثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ومثل قول المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

فجميعُ الكائنات داخلة في هذه الإرادة والإشاءة، لا يخرج عنها خير ولا شر، ولا عُرف ولا نكر، وهذه الإرادة والإشاءَة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعي(١).

مسألة: الفرق بين المحبة والرضا، والمشيئة والإرادة:

اختلف الناس في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب:-

الأول: مذهب الجبرية القدَرية:

وهؤلاء لم يفرقوا بين المحبة والرضا، وبين الإرادة والمشيئة، قالوا: كُلّ ما في الكون بقضاء الله وقدَره، ومن ثَمَّ كُلّ ما في الوجود يحبه الله ويرضاه، فزعموا أنَّ الله يحب المعاصي ويرضاها -تعالى الله عما يقول أهل الضَّلال عُلوًّا كبيرًا-.

الثاني: مذهب القدَرية النُّفاة:

قالوا: ليست المعاصي محبوبة لله، ولا مرضية له، ومن ثم هي ليست مُقدَّرة، أي: ليست بقضاء الله وقدَره، فهي -كما يزعمون- خارج مشيئته، وحُجتهم أنَّ الكونَ لا يكون فيه شيء لا يحبه الله.

الثالث: مذهب أهل السنة والجماعة:

الذين تمسكوا بنصوص الكتاب والسنة وفَهْم الصحابة الكرام ومَن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٣٢، ١٣٣).

تبعهم بإحسان من الأئمة الكبار.

نقول: إنَّ الإرادة الكونية فيها ما يحبه الله ويَرضاه، وفيها ما لا يحبه الله ولا يرضاه، ولكن وقع في الكون بإرادته لحِكْمَة.

أما الإرادة الشرعية: فهي محبوبة كُلّها لله تعالى.

قال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: قد ثبت إرادته للكفر، ونفْي رضاه به، فقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]؛ فأثبت الإرادة، ونفى الرضا[١].

قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ **في رسالة الاصطخري**: إن الله يحب ويكره، ويبغض ويرضى، ويغضب ويسخط، ويرحم ويعفو ويغفر، ويُعطي ويمنع.

وهذا الكلام يمنع أن تكون الإرادة كراهة في نفسها، لأنه فرَّق بينهما، خلافًا لأهل الكلام: أن الإرادة كراهة في نفسها.

فعندنا: يُريد الله ما لا يحبه ولا يرضاه، بل يكرهه ويسخطه ويبغضه، والإرادة غير المحبة والرضا.

وقال جماعة من المتكلمين: الإرادة حُب وبُغض، ورضا وسخط، وأنَّ مَن أراد شيئًا فقد أحبه ورضيه، وإنَّ الله تعالى رَضي المعصية والكفر.

وعندنا: أن الرضا غير الإرادة، بدليل قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]؛ لأنّ النفي ضد الإثبات[٢].

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض ردِّه على مَن سوَّى بين المحبة والمشيئة:

---

(١) الحجة في بيان المحجة (ص: ٢١٣).

(٢) المصدر السابق.

فهل يرضى سبحانه ما قضى به من الكفر والفسوق والعصيان بوجه من الوجوه؟ قيل: هذا الموضع أشكل من الذي قبله[١]. قال كثيرٌ من الأشعرية، بل جمهورهم ومَن اتبعهم: إنَّ الرضا والمحبة والإرادة في حق الرب تعالى بمعنى واحد، وإن كان ما شاءه وأراده فقد أحبه ورضيه، ثم أوردوا على أنفسهم هذا السؤال، وأجابوا بأنه لا يمتنع أن يُقال إنه يرضى بها، ولكن لا على وجه التخصيص، بل يُقال: يرضى بكُلّ ما خلقه وقضاه وقدَّره، ولا نُفرد من ذلك الأمور المذمومة، كما يقال: هو ربُّ كُلّ شيء، ولا يُقال: ربُّ كذا وكذا من الأشياء الحقيرة الخسيسة.

وهذا تصريحٌ منهم بأنه راض بها في نفس الأمر، إنما امتنع الإطلاق أدبًا واحترامًا فقط.

فلما أورد عليهم قوله: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ [الزمر: ٧] أجابوا عنه بجوابين:-

أحدهما: ممن لم يقع منه، وأما مَن وقع منه فهو يرضاه، إذ هو بمشيئته وإرادته.

والثاني: لا يرضاه لهم دينًا، أي لا يشرعه لهم، ولا يأمرهم به، ويرضاه منهم كونًا.

وعلى قولهم فيكون معنى الآية: ولا يرضى لعباده الكفر حيث لم يوجد منهم، فلو وجد منهم أحبه ورضيه، وهذا في البطلان والفساد كما تراه.

---

(١) الذي قبله هو موضع رضا العبد بقضاء الله وإن كان لا يحبه.

وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضى ما وجد من ذلك وإن وقع بمشيئته، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [النساء: ١٠٨].

فهذا وقع بمشيئته وتقديره، وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضاه.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ۝٢٠٥﴾ [البقرة].

فهو سبحانه لا يحبه كونًا، ولا دينًا، وإن وقع بتقديره، كما لا يحب إبليس وجنوده، وفرعون وحزبه، وهو ربهم وخالقهم.

فمَن جعل المحبة والرضا بمعنى الإرادة والمشيئة لزمه أن يكون الله سبحانه محبًّا لإبليس وجنوده وفرعون وجنوده وهامان وقارون وجميع الكفار...»[1].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلامه عن الحكمة التي من أجلها خلق الله أشياء لا يحبها ولا يرضاها:

فإن قيل: كيف يُريدُ الله أمرًا ولا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يشاؤه ويُكوّنه؟ وكيف يجتمع إرادته له وبغضه وكراهيته؟

قيل: هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقًا، وتباينت طُرُقهم وأقوالهم، فاعلم أن المرادَ نوعان: مراد لنفسه، ومرادٌ لغيره.

فالمراد لنفسه: مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

والمراد لغيره: قد يكون مقصودًا للمُريد، ولا فيه مصلحة بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه

(١) شفاء العليل (ص: ٥٩٧، ٥٩٨).

وذاته، مرادٌ له من حيث إفضاؤه وإيصاله إلى مراده، فيجتمع فيه الأمران: بُغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف مُتعلقهما.

وهذا كالدواء الكريه، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءَهُ، وقطع العضو المتآكل إذا عَلم أنّ في قطعه بقاءَ جسده، وكقطع المسافة الشاقة إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوبه.

بل العاقل يكتفي في إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف بمن لا يخفى عليه خافية؟

فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته؛ لأجل غيره، وكونه سببًا إلى أمر هو أحب إليه من فواته.

من ذلك: أنه خلق إبليس، الذي هو مادةٌ لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سببٌ لشقاوة كثير من العباد، وعملهم بما يُغضب الربَّ تبارك وتعالى، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه، ومع هذا، فهو وسيلة إلى محابٍّ كثيرةٍ للربِّ تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أحب إليه من عَدَمِها.

منها: أنه تظهر للعباد قدْرة الرب تعالى على خلق المتضادات والمتقابلات، فخلق هذه الذات التي هي أخبث الذوات وشرها، وهي سبب كُلّ شر في مُقابلة ذات جبريل، التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي مادة الخير، فتبارك خالق هذا وهذا.

كما ظهرت قدْرته في خلق الليل والنهار، والداء والدواء، والحياة والموت، والحسَن والقبيح، والخير والشر، وذلك من أدل دليل على كمال قدْرته وعزته ومُلكه وسُلطانه...

ومنها: ظهور آثار أسمائه القهْرية...

ومنها: ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعَفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن خلقه... وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله: «... **لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ؛ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**» [(١)].

ومنها: ظهورُ آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنّه الحكيمُ الخبير الذي يضع الأشياءَ مواضعها، ويُنزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضعُ الشيءَ في غير موضعه، ولا يُنزلُهُ في غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن يصلح لذلك، فلو قدر عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة ولفاتت مصالح عديدة، ولو عُطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي بتلك الأسباب...

ومنها: حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلقُ إبليس لما حصلت، فإن عبودية الجهاد من أحبِّ أنواع العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناس كُلّهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله سبحانه وتعالى، والمعاداة فيه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى، وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله من أن يُجيره من عدوه، ويعصمه من كيده وأذاه، إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٢٩-٢٣١) باختصار.

وقوله: «وعلم...»:

العلمُ صفة من صفات الله الذاتية، فلم يزل ولا يزال سبحانه وتعالى وعز وجل عالمًا بكُلّ شيء، فصفة العلم ثابتة لله بالنص والإجماع.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق].

وقال جل ذكره: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾: قال رسُولُ الله ﷺ: «**مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا الله**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان: ٣٤]»(١)، وقوله: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ﴾، أي: يحيط علمه الكريم بجميع الموجودات، بريها وبحريها، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وما أحسن ما قال الصَّرصريُّ:

فَـلا يَخْفَــى عَلَيْــهِ الــذَّرُّ إِمَّــا تَــرَاءَى لِلنَّــوَاظِرِ أَوْ تَــوَارَى

---

(١) البخاري (٤٧٧٨، ٧٣٧٩).

وقوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أي: ويعلم الحركات حتى من الجمادات، فما ظنُّك بالحيوانات؟ ولا سيما المكلفون منهم، من جنِّهم وإنسهم، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر][(١)].

وفي حديث الاستخارة، قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ...**»[(٢)]، وفي قول الخضر لموسى عليهما السلام: «يا موسى، إني على علم من علم الله علَّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علَّمكه لا أعلمه»[(٣)].

وقوله: «واقتدر»:

القُدرة من صفات الله جل في علاه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال].

وقوله: «اقتدر» صيغة مبالغة، فهي أبلغ من قدَر.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥، ٢٦).
(٢) أخرجه البخاري (٦٣٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه.
(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠)، واللفظ للبخاري من حديث ابن عباس وأُبيّ بن كعب رضي الله عنهما.

عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر].

وقال رسول الله ﷺ لعثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: «... **وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**»(١). وقال ﷺ لأبي مسعود البدري رضي الله عنه، لما ضرب غلامه: «**اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥٩).

قال صاحب النظم رَحِمَهُ اللهُ:

٣٧ - بِقُــدْرَةٍ تَعَلَّقَــتْ بِمُمْكِــنِ   كَــذَا إِرَادَةٌ فَــعِ واسْــتَبِنِ

الشرح

القُدرة تتعلق بالممكنات، وكُلّ ممكن فالله قادر عليه، أما المستحيلات فهذه ليست بشيء، والله – جل وعلا- يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة]، والمستحيل هذا ليس بشيء؛ لا يدخل في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ فقُدرته تتعلَّق بالممكنات.

قوله: «بقُدرة تعلَّقت بممكن»:

أي: أن الأشياء الممكن وجودها أو عدم وجودها الله قادر على إيجادها، وهذا يشمل قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ على كُل شيء من الممكنات، أما المستحيلات فهذه ليست بشيء، فلا تدخُل في عُموم قوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة].

«كذا إرادة»:

الإرادة أيضًا تتعلق بالممكن، ما أراده الله كان، أما المستحيل فهذا ليس بشيء، ولا يدخل في العموم.

«فَعِ واستبن»:

«عِ» فعل أمر من «وعى» من الوعي، وهو: النبه والحفظ والتدبر. واستبن، يعني: تبين واعلم هذا الشيء وتيقَّنْه. قاله الفوزان حفظه الله.

ثم قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٨ - وَالعِلْـمُ والْكَـلامُ قَـدْ تَعَلَّقَـا   بِكُـلِّ شَــيْءٍ يَـا خَلِيلــي مُطْلَقَـا

الشرح

فرَّق الناظمُ في هذا البيت بين القُدرة والعلم، فالقُدرة تتعلق بالممكنات لا بالمستحيلات، كما سبق بيانه.

أما العلم فهو عام لكُلّ شيء بلا تقييد، فالله سبحانه عليم بكُلّ شيء من الممكنات والمستحيلات، فهو يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

قال جل ذكره: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام].

فهؤلاء الكفار الجاحدون المنكرون للبعث، يوم القيامة عندما يروا العذابَ يستغيثون ويسألون الله تعالى أن يُرجعهم إلى الدنيا ليعملوا صالحًا، وهذا مُستحيلٌ، علم الله سبحانه أنَّ هذا المستحيلَ لو وقع وردوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر.

وكذلك الكلام؛ فالله تعالى يمكن أن يتكلم بالشيء المستحيل، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء]؛ فتكلم بشيء مستحيل، وهو - سبحانه - القائل: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٣٩ - وَسَمْعُهُ سُبْحَانَهُ كَالْبَصَرِ بِكُلِّ مَسْمُوعٍ وَكُلِّ مُبْصَرِ

الشرح

أي: أن السمعَ يتعلق بالمسموعات، لا بكُلّ شيء، وكذلك البصر يتعلق بالمبصرات.

فسمعه وبصره عامان لكُلّ مسموع وكُلّ مبصر، فكُلّ شيء يُدرَك بالسمع فاعلم أن الله تعالى يسمعه، وكُلّ شيء يُرى بالبصر فالله تعالى يبصره، قال تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٥﴾ [آل عمران].

تنبيه:

ذكر صاحبُ النظم في الأبيات السابقة سبع صفات لله تعالى فقط، وهي الصفات التي لا خلاف فيها بين أهل السنة وأهل التأويل من الأشاعرة ونحوهم من حيث العدد، واختلفوا في كيفية الإيمان بها، وقد سبق الرد عليهم[(١)].

أما أهل السنة والجماعة -منهم صاحب النظم- فمنهجهم إثبات جميع الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتابه، وأثبتها له نبيه ﷺ في الأحاديث الصحيحة، من غير تمثيل ولا تكييف، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وقد سبق بيان ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف.

---

(١) راجع شرح البيت الرابع والثلاثين- اختلاف الناس في صفات الله عز وجل.

ويستطرد الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ قائلًا:

٤٠ - وَأَنَّ مَا جَاءَ مع جِبْرِيلِ ... مِنْ مُحْكَمِ القُرآنِ والتَّنْزِيلِ

٤١ - كَلاَمُهُ سُبْحَانَهُ قَدِيمُ ... أَعْيَا الوَرَى بالنَّصِّ يَا عَلِيمُ

٤٢ - وليسَ في طوْقِ الورَى من أصلِهِ ... أنْ يستطيعوا سُورةً مِنْ مِثلِهِ

الشرح

«**وأنَّ**» أي: ونجزم أنَّ «**ما جاء**» أي: الوحي والكلام الذي جاء من عند الله تعالى مع جبريل - عليه السلام - وهو أمين الوحي.

«**من محكم القرآن والتنزيل**»:

من باب عطف المترادفين، فإنّ التنزيلَ هو القرآنُ، وهو كلام الله تعالى، ووصفه بأنه محكَم من باب إضافة الصفة إلى الموصوف. وإحكام القرآن أي: إتقانه؛ فالقرآن متقن من كل وجه، لذلك وصفه الله بأنه محكم؛ قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]، وقال: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس]، والتنزيل؛ أي: المنزَّل.

جبريل عليه السلام: أشرف الملائكة، وهو الذي وَكّله الله تعالى بالوحي.

الوحي لغة: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكُلّ ما ألقيته إلى غيرك، يُقال: وحَيْتُ إليه الكلام وأوحَيْتُ ووحَى وحْيًا... وأوحَى إليه: أَلْهَمه.

وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: ٦٨]، وفيه: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة]، أي: إليها، فمعنى هذا أمَرها[1].

وشرعًا: الإعلامُ بالشرع، ويُطلق الوحي ويُراد به اسمُ المفعول منه، أي: الموحَى، وهو كلامُ الله المنزّل على النبي ﷺ[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

وجبريلُ عليه السلام: جاء بالقرآن، ونزَّله على قلب نبينا محمد ﷺ. قال جل ذكره: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشعراء].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالذي أنزله فاطرُ الأرض والسماوات، المربي جميع العالم، العُلوي والسفلي، وكما أنه رباهم بهدايتهم لمصالح دُنياهم وأبدانهم، فإنه يُربيهم أيضًا بهدايتهم لمصالح دينهم وأخرَاهم، ومن أعظم ما رباهم به إنزال هذا الكتاب الكريم الذي اشتمل على الخير الكثير والبر الغزير، وفيه من الهداية لمصالح الدارين والأخلاق الفاضلة ما ليس في غيره.

وفي قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢﴾ من تعظيمه وشدة الاهتمام فيه، من كونه نزل من الله...

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣﴾ وهو جبريلُ عليه السلام الذي هو أفضلُ

---

(١) اللسان (٩/ ٢٤٣)، مادة (وحى).

(٢) الفتح (١/ ١٤، ١٥).

الملائكة وأقواهم، «الأمين» الذي قد أمِن أن يزيد فيه أو ينقص[(١)].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ وهو جبريلُ عليه السلام، قاله غير واحد من السلف، وهذا ما لا نزاعَ فيه[(٢)].

وقوله: «من محكم القرآن والتنزيل»:

القرآنُ كلامُ الله غير مخلوق، وقد سبقت المسألة.

مسألة: هل القرآنُ كُلّه مُحكم؟

معنى الإحكام لغة: الإتقان.

والإحكامُ والتشابه في القرآن ثلاثة أنواع[(٣)]:

النوع الأول: الإحكام العام:

ومنه قوله تعالى: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]، أي: منعت وحُفظت عن الغلط، والكذب، والباطل، والخطأ، والتناقض، قاله الكَفوي[(٤)].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١].

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾: أي: جعلت محكمة كُلّها، لا خلل فيها ولا باطل[(٥)].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: أتقنت وأحسنت، صادقة أخبارها، عادلة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٩٧، ٥٩٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٢).

(٣) هذا التقسيم مُستفاد من شرح أصول في التفسير لابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) الكليات (٣١٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٦).

أوامرها ونواهيها، فصيحة ألفاظه، بهية معانيه[١]. انتهى.

فالقرآنُ كُلّه وُصف بهذا النوع من الإحكام.

النوع الثاني: المتشابه العام:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُشبه بعضه بعضًا في الحسن، ويُصدق بعضه بعضًا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف، مثاني: يثني فيه ذكر الوعد والوعيد، والأمر والنهي، والأخبار والأحكام[٢].

فالقرآن بهذا المعنى كُلّه مُتشابه.

النوع الثالث: الآيات المحكَمات والآيات المتشابهات:

قال جلّ وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران].

الآيات المحكمات: هي الآيات الواضحات المعنى، فلا شُبهة فيها ولا إشْكال، كالأمر بتوحيد الله تعالى وطاعته طاعة مُطلقًا، والأمر بالبر وحسن الخلق، والنهي عن اقتراف الذنوب والمعاصي على اختلاف أنواعها، إلى

---

(١) تفسير السعدي (٣٧٦).

(٢) معالم التنزيل (٧/ ١١٥) وانظر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٢).

غير ذلك، وهو كثير في القرآن.

أما المتشابهات: فهي التي يلتبس معناها على عوام الناس.

وقيل: المتشابه هو ما استأثر الله تعالى بعلمه وتأويله.

وسببُ الاختلاف: هل نقف على اسم الجلالة أم لا؟

للعُلماء في الوقوف عند اسم «الله» في قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قولان:

الأول: المتشابه هو الذي لا يعلم تأويله إلا الله تعالى، مثل: كيفية الصفات، وقت الساعة، وقت طلوع الشمس والدجال، وما أشبه ذلك، وهذا عند مَن جعل الوقف عند اسم الجلالة، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وهذا القول هو الراجح عند أكثر أهل العلم في معنى ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾.

الثاني: عطف ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ على اسم الجلالة «الله» عند مَن جعل الوقف عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، فبعضُ الآيات لا يعلم معناها إلا الله والراسخون في العلم، ولا يعلم معناها عوامّ الناس، وإذا اعتمد على فهمه قد يضل، ويقول على الله ما لا يليق، كمن وقع من أهل البدع في تحريف وتعطيل صفات الله تعالى، وغير ذلك، فالجاهل والمبتدع يتبع المتشابه ابتغاء الفتنة، كما قال سبحانه.

فالواجب: أن يُرد المتشابه إلى المحكم من الآيات، لقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، فالقرآنُ ليس فيه تعارُض ولا اختلاف، قال جلّ ذكره: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء].

قال ابن جزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض تفسيره للآية: والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه، وإنما يقولون: آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته.

وقيل: إنه معطوفٌ على ما قبله، وأن المعنى: أنهم يعلمون تأويله. وكلا القولين مروي عن ابن عباس...[(١)].

قال ابنُ عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المتشابه نوعان: نوعٌ انفرد الله بعلمه، ونوعٌ يمكن وصول الخلق إليه، فيكُون الراسخونَ ابتداء بالنظر إلى الأول وعطفًا بالنظر إلى الثاني ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي المحكم والمتشابه من عند الله[(٢)].

قال جابرُ بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا - وهو مُقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما -: المحكماتُ من آي القرآن: ما عُرف تأويله، وفُهم معناه وتفسيره.

والمتشابه: ما لم يكن لأحَد إلى علمه سبيل، مما استأثر الله تعالى به دون خلقه. قال بعضهم: وذلك مثل وقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال وعيسى، ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا أحسنُ ما قيل في المتشابه[(٣)].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: للمُفسرين في الوقوف على لفظ «الله» من قوله:

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/ ١٨٦، ١٨٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ١٣-١٤)، وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٣٢٦)، وفتح الباري (٨/ ٥٨)، ومحاسن التأويل (٢/ ١٠).

﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ قولان: جمهورهم يقفون عندها، وبعضهم يعطف عليها ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ وذلك كُلّه محتمل، فإنّ التأويلَ إن أريد به علم حقيقة الشيء وكُنهه كان الصواب الوقوف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾؛ لأن المتشابه الذي استأثر الله بعلم كُنهه وحقيقته، نحو حقائق صفات الله تعالى وكيفيتها... وإن أريد بالتأويل التفسير والكشف والإيضاح كان الصوابُ عطف ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ على ﴿ٱللَّهُۗ﴾ فيكون الله قد أخبر أنّ تفسير المتشابه وردّه إلى المحكم وإزالة ما فيه من الشبهة لا يعلمها إلا هو تعالى، والراسخون في العلم يعلمون أيضًا، فيؤمنون بها، ويَردونها للمُحكم، ويقولون: ﴿كُلّٞ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ وما كان من عنده فليس فيه تعارض ولا تناقض، بل هو مُتفق يُصدق بعضه بعضًا ويشهد بعضه لبعض[1].

وقوله: «كلامُهُ سُبحانه قديم»:

سبق بيانُ أنّ الكلامَ صفة من صفات الله، لم يزل ولا يزال متكلمًا، أما آحاد الكلام- باعتباره أنه من صفات الأفعال- فيتجدّد، إن شاء تكلم، وإن شاء لم يتكلم، وقد ذكرتُ المسألة باستيفاء يغني عن الإعادة، أما الكلام عن «لفظ القديم» فقد سبق بيانه أول الكتاب.

مسألة: هل القرآنُ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ؟

نعم، القرآنُ كلامُ الله، تكلّم به بمشيئته، وكتب في اللوح المحفوظ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [الواقعة].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ١٢٢).

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ يقول تعالى ذكره: هو قرآن كريم مُثبَت في لوح محفوظ(١).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي مكتوبٌ في لوح، وهو محفوظٌ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه. وقيل: هو أم الكتاب، ومنه انتسخ القرآنُ والكتب(٢).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو اللوحُ المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كُلّ شيء(٣).

قال ابنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اللوحُ المحفوظ منه نسخ القرآن وسائر الكتب، فهو محفوظ عند الله، محروس من الشياطين، ومن الزيادة والنقصان(٤).

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السَّلفُ قالوا: القرآنُ كلامُ الله مُنزّل غير مخلوق. وقالوا: لم يزل متكلمًا إذا شاء، فبيّنوا أنّ كلامَ الله قديم، أي جنسه، قديم لم يزل، ولم يقل أحد منهم: إنّ نفسَ الكلام المعين قديم، ولا قال أحد منهم: القرآنُ قديم، بل قالوا: إنه كلام الله مُنزّل غير مخلوق، وإذا كان الله قد تكلّم بالقرآن بمشيئته كان القرآنُ كلامه، وكان مُنزّلًا منه غير مخلوق، ولم يكن مع ذلك أزليًّا قديمًا بقدم الله، وإن كان اللهُ لم يزل متكلمًا إذا شاء، فجنس كلامه قديم، فمَن فهم قول السلف وفرّق بين هذه الأقوال زالت عنه

---

(١) جامع البيان (١٥/ ١٧٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٨٤).

(٣) تفسير السعدي (٩١٩).

(٤) زاد المسير (٩/ ٧٩).

الشُّبهات في هذه المسائل المعضلة التي اضطرب فيها أهل الأرض... إلى أنْ قال: والقرآنُ المكتوبُ في المصاحف غير مخلوق، وكذلك المكتوبُ في اللوح المحفوظ وغيره.

قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢)﴾ [البروج][1].

وقوله: «أعيا الورى بالنص يا عليم...»:

أي أعجز الجنَّ والإنس أن يأتوا بمثله، لأنه كلامُ الله تعالى، فليس في وسع أحد من الخلق أن يأتي بسُورة من مثل القرآن، فضلًا عن أن يأتي بمثل القرآن كُلّه، على أن القرآن نزل على نبينا محمد ﷺ وسمعته منه قريش والعرب، وهم أهل البلاغة، مع شدة العداوة للنبي ﷺ، ما استطاع أحد منهم أن يأتي بسورة، كما تحداهم ربنا جل في علاه.

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾ [الإسراء].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود].

وقال جل وعلا: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

فقوله: «بالنص»:

هو ما ذكرناه من الآيات.

وقوله: «وليس في طوق الورى ....»:

أي: ليس في استطاعة الخلق أن يأتوا بسورة من مثله، أي: القرآن.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٤ – ٥٦).

فصل

في ذكر الصفات التي يثبتها لله أئمةُ السلف دون غيرهم من الخلف وأهل الكلام

يقول الناظم رحمه الله تعالى:

٤٣ - وَلَـيْسَ ربُّنَا بِجَوْهَرٍ وَلاَ عَـرَضٍ ولا جِسْمٍ تَعَالى ذُو الْعُلا

٤٤ - سُبْحَانَهُ قَدِ اسْتَوَى كَمَا وَرَدْ مِنْ غَيْرِ كَيْفٍ قَدْ تَعَالَى أَنْ يُحَدّ

الشرح

معنى الجوهر لغة: الجَوْهَرُ معروف، والواحدة: جوهَرةٌ.

والجوهرُ: كُلّ حَجَر يُستخرج منه شيء يُنتفع به، وجوهرُ كُلّ شيء: ما خُلقت عليه جبلته[(١)].

والجسمُ لغة: جماعةُ البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدواب وغيرهم من الأنواع العظيمة الخَلْق[(٢)].

قال الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والجسمُ والجوهر في اللغة بمعنى، وإن كان الجسمُ أخص من الجوهر اصطلاحًا، لأنه مُؤلَّفٌ من جوهرين أو أكثر، على الخلاف في أقلّ ما يتركب منه الجسم[(٣)].

وللفلاسفة والمناطقة كلامٌ آخر، أعرضتُ عن ذكره، لأنّ ضرره أكبر

---

(١) اللسان (٢/ ٢٤٤).
(٢) المصدر السابق.
(٣) الكليات (ص: ٢٨٧).

من النفع بمعرفته، إن كان فيه نفع.

والعَرَضُ لغة: ما لا يكونُ له ثباتٌ، ومنه استعار المتكلمون العَرض لما لا ثبات له إلا بالجوهر، كاللون والطعم[١]، انتهى.

اعلم أنّ اعتقادَ أهل السنة والجماعة قاطبة هو إثباتُ ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له نبيه ﷺ كما جاء في الكتاب والسنة، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه، ونفاه عنه نبيه ﷺ. وقد نفى المؤلف عن الله تعالى أن يكون جسمًا أو عَرضًا أو جوهرًا؛ ليرد بذلك على الفلاسفة وأهل الكلام. أما أهلُ السنة فلا يُطلقون هذه الألفاظ، لا بالإثبات، ولا بالنفي؛ لأنَّ هذه الألفاظ لم يأت فيها نص، لا من كتاب ولا سُنة.

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: القولُ الثابت عن أئمة السنة المحضة كالإمام أحمد وذويه، فلا يُطلقون لفظ «الجسم» لا نفيًا ولا إثباتًا؛ لوجهين:-

أحدهما: أنه ليس مأثورًا لا في كتاب، ولا في سُنة، ولا أثر عن أحد الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، ولا غيرهم من أئمة المسلمين؛ فصار من البدع المذمومة.

الثاني: أنّ معناه فيه حَق وباطل، فالذين أثبتوه أدخلوا فيه من النقص والتمثيل ما هو باطل، والذين نفوه أدخلوا فيه من التعطيل والتحريف ما هو باطل[٢].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: وأما الألفاظ التي تنازَع فيها مَن ابتدعها من

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٦٤).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٢٥).

المتأخرين، مثل لفظ «الجسم» و«الجوهر» و«المتحيِّز» و«الجهة» ونحو ذلك، فلا تطلق نفيًا ولا إثباتًا حتى يُنظر في مقصود قائلها، فإن كان قد أراد بالنفي والإثبات معنًى صحيحًا موافقًا لما أخبر به الرسول ﷺ صُوِّب المعنى الذي قصده بلفظه، ولكن ينبغي أن يُعبر عنه بألفاظ النصوص، لا يعدل إلى هذه الألفاظ المبتدعة المجملة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد بها، والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع مَن لا يتم المقصودُ معه إن لم يخاطب بها، وأما إن أُريد بها معنى باطل نُفي ذلك المعنى، وإن جُمع بين الحق والباطل أثبت الحق وأبطل الباطل[(١)].

وقوله: «سبحانه» أراد به التنزيه، أي أنّ الله تعالى ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم، وهذا كما سبق بيانه ليس تنزيهًا لله، وذلك لثلاثة أوجه:-

أحدها: أن النفي المحض ليس تنزيهًا، ولا مدحًا ولا كمالًا؛ فلا بد من إثبات كمال الضد، وهذا خطابُ القرآن، وقد سبقت المسألة[(٢)].

الثاني: اعتقادُ أهل السنة قاطبة هو الإثباتُ المفصّل لصفات الله، والنفي المجمل، كما جاءت النصوصُ بذلك، وقد سبق بيان ذلك أيضًا [(٣)].

الثالث: كما تقدم في شرح البيت السابق، أنه ليس في هذه الكلمات التي استعملها الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ دليلٌ من الكتاب أو السنة.

وقوله: «قد استوى كما ورد»:

ذكر صاحبُ النظم في هذا البيت صفة من صفات الله الفعلية، ألا وهي

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٥٥٤-٥٥٥).
(٢) راجع شرح البيت السابع والعشرين.
(٣) راجع شرح البيت السابع والعشرين.

الاستواء، وبيّن اعتقاد أهل السنة والجماعة في ذلك، وهو إثباتُ الصفة وفهم المعنى من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

ومن أجود ما قيل في إثبات هذه الصفة، قول الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عندما سُئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] كيف استوى؟ فقال: الكيفُ غير معقول، والاستواءُ غير مجهول، والإيمانُ به واجب، وأمر به فأخرج[1].

ذكر الآيات التي جاء فيها الاستواء على العرش:

ذكر الله تعالى الاستواء على العرش في سبعة مواضع من القرآن.

قال جل ذكره: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] [يونس: ٣].

وقال جلّ في علاه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الرعد: ٢].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السجدة: ٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝٥٩﴾ [الفرقان: ٥٩].

وقال تعالى ذكره: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الحديد: ٤].

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه في ثنايا شرح البيت الخامس والعشرين.

ذكرُ أقوال بعض السلف في إثبات صفة الاستواء:

أقوالُ السَّلف في هذه المسألة كثيرة جدًّا، يصعُب استيفاؤها، نذكر بعضًا منها هاهنا.

قال الإمامُ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: وحذر يزيد بن هارون من الجهمية، قال: من زعم أن الرحمنَ على العرش استوى على خلاف ما يَقِرُّ في قُلوب العامة، فهو جَهْمي[(١)].

قال ابنُ خُزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: فنحن نُؤمن بخبر الله جلّ وعلا، أنّ خالقنا مستوٍ على عرشه، لا نبدل كلامَ الله، ولا نقولُ قولًا غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على العرش، لا استوى عليه، فبدلوا قولًا غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود... قال رسول الله ﷺ: «**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوسَ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراهُ - وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهارُ الجنة**»[(٢)][(٣)].

قال أبو مطيع البلخي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الفقه الأكبر: سألتُ أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض؟ قال: كَفر، لأنّ الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾، وعرشه فوق سمواته، فقلتُ: إنه يقول على العرش، ولكن لا أدري العرش في السماء أو في الأرض؟ فقال: إنه إذا أنكر أنه في السماء كَفر، لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يُدعَى من أعلى لا

---

(١) خلق أفعال العباد (٦٣) والسنة لعبد الله بن أحمد (٤٨).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٢٧٩٠، ٧٤٢٣) وغيره.

(٣) التوحيد (ص: ٨٩-٩١) باختصار.

من أسفل[١].

قال أبو عمر الطَّلَمنْكيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، أحد أئمة المالكية- وهو شيخ أبي عمر بن عبد البر- في كتابه الكبير الذي سماه «الوصول إلى معرفة الأصول» فذكر فيه من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم، وأقوال مالك وأئمة أصحابه، ما إذا وقف عليه الواقف علم حقيقة مذهب السلف.

قال في هذا الكتاب: أجمع أهلُ السنة على أنّ الله تعالى على عَرشه على الحقيقة، لا على المجاز[٢].

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله- سبحانه- فوق سبع سماواته، وعلى عرشه مستو، كما نطق به كتابه... وذكر الآيات كما تقدم، ثم قال: وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف- رحمهم الله- لم يختلفوا في أن الله تعالى على عرشه، وعرشه فوق سماواته[٣].

قال أبو زرعة الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد سئل عن تفسير ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] فغضب وقال: تفسيره كما تقرأ؛ هو على عرشه، وعلمه في كل مكان، من قال غير ذلك فعليه لعنة الله[٤].

قال إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء في

(١) من مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية (١/ ١٨٣).
(٢) الصواعق المرسلة (٢/ ٣٥٣).
(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ١٧٥، ١٧٦).
(٤) أورده الذهبي في العلو (ص: ١٨٨).

أسفل الأرض السابعة. قال الذهبي: اسمع، ويحك إلى هذا الإمام كيف نقل الإجماع على هذه المسألة، كما نقله في زمانه قتيبة المذكور(١).

أقوالُ السلف في معنى الاستواء:

ذكر أهل العلم عن السلف أربعة أقوال في تفسير الاستواء:

الأول: وهو قول أبي العالية والحسن البصري، والربيع بن أنس، أن معناه: ارتفع.

الثاني: وهو قول مجاهد والحسن، وأبي العالية، والربيع، وأبي عبيد، أن معناه: علا.

الثالث: وهو قول ابن المبارك، وكثير من أهل العلم ممن تابعه، على أن معناه: استقر.

الرابع: وهو قول أبي عبيدة مَعمر بن المثنى، أن معناه: صعد.

وقد جمع هذه المقالات ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «النونية»، فقال:

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حُصِّلت للفارس الطَّعَّان
وهي استقر وقد علا وكذلك ... ارتفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع ... وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القولَ في تفسيره ... أدرَى من الجهمي بالقرآن(٢)

---

(١) أورده الذهبي في العلو (ص: ١٧٩) وعزاه للخلال.
(٢) القصيدة النونية (٢/ ٢٠٠).

مسألة: إبطالُ تأويل استوى بمعنى استولى:

رُوي عن أبي سليمان- داود بن عليّ- قال: كنا عند ابن الأعرابي، فأتاه رجل، فقال له: ما معنى قول الله عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] فقال: هو على عرشه، كما أخبر عز وجل، فقال: يا أبا عبد الله، ليس هذا معناه، إنما معناه: استولى. قال: اسكت، ما أنت وهذا؟ لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مُضاد، فإذا غلب أحدهما قيل: استولى[(١)].

قال أبو سليمان- داود بن علي- رَحِمَهُ اللَّهُ: كنا عند ابن الأعرابي، فأتاه رجل، فقال له: ما معنى قول الله عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]؟

فقال: هو على العرش كما أخبر- عز وجل- فقال: يا أبا عبد الله، ليس هذا معناه، إنما معناه: استولى على الشيء. فقال: اسكت، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد، فإذا غلب أحدهما قيل استولى، أما سمعت النابغة:

أَلا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ   سَبْقَ الجَوَادُ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الأَمَدِ[(٢)]

وقال أبو العباس ثعلب رَحِمَهُ اللَّهُ وهو من أئمة اللغة:

استوى: أقبل عليه، وإن لم يكن معوجًا ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]: أقبل، و﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الفرقان: ٥٩]: علا، واستوى

---

(١) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٦٦٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٧٨).

(٢) المصدر السابق.

وجهه: اتصل، واستوى القمر: امتلأ، واستوى زيد وعمرو: تشابها، واستوى فعلاهما، وإن لم تتشابه شخوصهما. هذا الذي يعرف من كلام العرب(١).

قال ابن القيم رحمه الله في رده على مَن قال استوى بمعنى استولى: هذا الذي قاله باطل من اثنين وأربعين وجهًا: -

أحدها: أن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم، وأنزل بها كلامه، نوعان: مُطلق، ومُقيد، فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف، مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤]، وهذا معناه: كمل وتم، يقال: استوى النبات واستوى الطعام.

أما المقيد فثلاثة أضراب:

أحدها: مقيد بـ «إلى»، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغُرفة، وقد ذكر سبحانه هذا المعدَّى بـ «إلى» في موضعين من كتابه في البقرة، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة: ٢٩]، والثاني في سُورة فصلت: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت: ١١]، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: مُقيَّد بـ «على»، كقوله: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾[هود: ٤٤]، وقوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩].

وهذا أيضًا معناه: العلو، والارتفاع، والاعتدال، بإجماع أهل اللغة.

---

(١) أخرجه اللالكائي (٦٦٦).

الثالث: المقرون بواو «مع» التي تُعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو: استوى الماء والخشبة، بمعنى ساواها.

وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم، ليس فيها معنى استولى ألبتة، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يُعتمَد قولهم[(١)].

فائدة جليلة:

خلق الله تبارك وتعالى العرشَ لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه، ولم نُكلف بمعرفة الحكمة من ذلك، ولكن ما كُلفنا به هو الإيمان بأنّ الله تعالى خالقُ كُلّ شيء، وهو سبحانه مُستغنٍ عن مخلوقاته، فالعرش وحملته، والسموات وما فيها، والأرض وما عليها، وكُلّ ما في الكون مفتقر إليه، محتاج إليه، لأنه كان ولا شيء معه، فهو الخالق قبل الخلق، خلقهم لحكمة، وهو مُستغن عنهم، سبحانه وتعالى وعز وجل.

قوله: «من غير كيف قد تعالى أن يحد»:

سبق وأن أصّلنا وفصلنا اعتقاد أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى.

فقوله: «من غير كيف»:

هذا اعتقادُ أهل السنة قاطبة، إثباتُ الصفة وإثبات المعنى من غير كيف.

قوله: «قد تعالى أن يحد»:

ابتداءً لا بُدَّ أن نعلم أن الحدَّ ليس من صفات الله التي جاءت في الكتاب

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٣٤٩) باختصار.

والسنة.

والقول في الحد، كالقول في الصفات، نثبت الصفة والمعنى، ولا نعلم كيفيتها، وكذلك الحد؛ نثبت لله الحد، ونثبت أن لحده غاية، ولكن لا نعلمها، بل نكل هذا لله، لذلك قال المصنف: «تعالى الله أن يحد»؛ أي: تعالى الله أن يحده العباد.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الذي سمَّاه «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد» قال في باب الحد والعرش: وادعى المعارض أيضًا أنه ليس له حد ولا غاية ولا نهاية، قال: وهذا الأصل الذي بنى عليه جهم جميع ضلالته، واشتق منه أغلوطاته، وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهمًا إليها أحد من العالمين، فقال له قائل ممن حاوره: قد علمت مرادك أيها الأعجمي، تعني أن الله- تعالى- لا شيء؛ لأن الخلق كلهم علموا أنه ليس شيءٌ يقع عليه اسم الشيء إلا وله حد وغاية وصفة، وأنه لا شيء ليس له حد ولا غاية ولا صفة؛ فالشيء أبدًا موصوف لا محال، ولا شيء يوصف بلا حد، ولا غاية، وقولك «لا حَدَّ له» تعني أنه لا شيء[(١)].

قال أبو سعيد رَحِمَهُ اللَّهُ: والله تعالى له حد لا يعلمه غيره، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية في نفسه، ولكن نؤمن بالحد، ونكل علم ذلك إلى الله تعالى، ولمكانه أيضًا حدٌّ، وهو على عرشه فوق سماواته؛ فهذان حدَّان اثنان.

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٢٦).

قال: وسئل ابن المبارك: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على عرشه بائن من خلقه. قيل: بحد؟ قال: بحد. حدثناه الحسن بن صالح البزار، عن علي بن الحسين بن شقيق، عن ابن المبارك؛ فمن ادعى أنه ليس لله حد، فقد رد القرآن، وادعى أنه لا شيء؛ لأن الله تعالى وصف حد مكانه في مواضع كثيرة من كتابه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦﴾ [الملك]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ۝٥٠﴾ [النحل] ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد، ومن لم يعترف به، فقد كفر بتنزيل الله تعالى، وجحد آيات الله تعالى...

ثم ذكر جملة من الأحاديث الدالة على أن الله- تعالى- مستو على عرشه فوق سبع سماوات، ثم قال: لقد اتفقت الكلمة بين المسلمين والكافرين أن الله في السماء، وحدوده بذلك، إلا المريسي الضال وأصحابه[(١)].

وقال أبو يعقوب ابن العباس: كنا عند أبي عبد الله، قال: فسألناه عن قول ابن المبارك؛ قيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه بحد. فقال أحمد: هكذا على العرش استوى بحد. فقلنا له: ما معنى قول ابن المبارك بحد؟ قال: لا أعرفه، ولكن لهذا شواهد من القرآن في خمسة مواضع... وذكر الآيات المذكورة آنفًا...[(٢)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/ ٤٢٨، ٤٢٩).

وقال الخلال رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبرنا حرب بن إسماعيل قال: قلت لإسحاق- يعني ابن راهويه- الله[1] على العرش بحدٍّ؟ قال: نعم بحد. وذكر عن ابن المبارك؛ قال: هو على عرشه بائن من خلقه بحد.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد ذكر أيضًا حرب بن إسماعيل في آخر كتابه في المسائل كلها: هذا مذهب أئمة العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، وأدركت من علماء العراق والشام والحجاز وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها، فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة، وسبيل الحق، وهو مذهب: أحمد، وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسنا، وأخذنا عنهم العلم[2].

قال أبو حنبل ابن إسحاق: قال عمي[3]: نحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء، بلا حد، ولا صفة يبلغها واصف، أو يحده أحد، فصفات الله له ومنه، وهو كما وصف نفسه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ بِحَدٍّ ولا غَايَةٍ ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الأنعام: ١٠٣] [4].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تعقيبًا على قول أحمد بن حنبل المتقدم: قوله: «بلا حد ولا صفة يبلغها واصف أو يحده أحد» نفى به إحاطة علم الخلق به، وأن يحدوه أو يصفوه على ما هو عليه، إلا بما أخبر عن نفسه؛ ليبين أن

---

(١) سقطت من الأصل.
(٢) تلبيس الجهمية (١/ ٤٢٨، ٤٢٩).
(٣) أي: الإمام أحمد بن حنبل.
(٤) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٣٠).

عقول الخلق لا تحيط بصفاته... ولهذا قال أحمد: «لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية» فنفى أن يدرك له حد أو غاية، وهذا أصح القولين في تفسير الإدراك...

وما في هذا الكلام من نفي تحديد الخلق وتقديرهم لربهم وبلوغهم صفته، لا ينافي ما نص عليه أحمد وغيره من الأئمة، كما ذكره الخلال أيضًا.

قال: حدثنا أبو بكر المروزي، قال: سمعت أبا عبد الله لما قيل له: روى علي بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك أنه قيل له: كيف نعرف الله عز وجل؟ قال: على العرش بحد. قال: قد بلغني ذلك عنه. وأعجبه، ثم قال أبو عبد الله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ثم قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر].

قال الخلال: وأنبأنا محمد بن علي الوراق، حدثنا أبو بكر الأثرم، حدثني محمد بن إبراهيم القيسي، قال: قلت لأحمد بن حنبل: يحكى عن ابن المبارك- وقيل له كيف تعرف ربنا- قال: في السماء السابعة على عرشه بحد. فقال أحمد: هكذا هو عندنا[1].

(١) المصدر السابق، وانظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٢٩)، وما بعدها، والرد على الجهمية، للدارمي (١٦٢)، والأسماء والصفات، للبيهقي (٩٠٢)، وشرح الطحاوية، لابن أبي العز (ص: ١٨٧، ١٨٨).

يقول الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥ - فَـلاَ يُحِـيطُ عِلْمُنَـا بِذَاتِـهِ   كَـذَاكَ لا يَنْفَـكُّ عَـنْ صِـفَاتِهِ

٤٦ - فَكُـلُّ مَـا قَدْ جَـاءَ فِـي الـدَّلِيلِ   فَثَابِـتٌ مِـنْ غَيْـرِ مَـا تَمْثِيـلِ

٤٧ - مِـنْ رَحْمَـةٍ وَنَحْوِهـا كَوَجْهِـهِ   وَيَـدِهِ وَكُـلِّ مَـا مِـنْ نَهْجِـهِ

الشرح

أي: أن الخلق جميعًا بكُلّ ما أوتوا من علم وقُدرة وفَهْم، لا يستطيعون معرفة كيفية الذات، وكذلك الصفات. وقد تقرّر أنّ الذاتَ لا تنفك عنها الصفات- الصفات الذاتية والصفات الفعلية- إلا أنّ آحاد الأفعال مُتجددة، وقد سبق تفصيل المسألة[١].

قال تعالى ذِكْره: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ [طه].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول جل ذكره: ولا يحيط خلقه به علمًا. ومعنى الكلام: أنه محيط بعباده علمًا، ولا يحيط عباده به علمًا. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم، وأن ملائكته لا يحيطون علمًا بما بين أيدي أنفسهم وما خلفهم[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اختلف في تفسير الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ فقيل هو الله سبحانه، أي: ولا يحيطون بالله علمًا.

---

(١) راجع شرح البيت الرابع والثلاثين.

(٢) جامع البيان (١٨/ ٣٧٦)، وانظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣١٨).

وقيل: هو ما بين أيديهم وما خلفهم، فعلى الأول يرجع إلى العالم، وعلى الثاني يرجع إلى المعلوم.

وهذا القول يستلزم الأول من غير عكس؛ لأنهم إذا لم يحيطوا ببعض معلوماته المتعلقة بهم، فإن لا يحيطوا علمًا به سبحانه أولى»[(١)].

وقد تكرر مرارًا أننا نثبت الصفات لله تعالى التي أثبتها لنفسه، ونثبت معناها، وأما كيفية الصفة فلا نعلمها.

وقوله: «فَكُلُّ مَا قَدْ جَاءَ فِي الدَّلِيلِ»:

وهذا اعتقادُ أهل السنة والجماعة قاطبة، إثباتُ ما أثبته الله تعالى لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ، من غير تمثيل ولا تأويل ولا تحريف، ومن غير تكييف ولا تعطيل.

والوصولُ إلى ذلك بأدلة الكتاب والسنة، وفَهم سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم ومَن تبعهم من الأئمة، وقد تقرّر هذا الأصلُ في غير موضع من الكتاب.

وقوله: «من رحمة»:

الرحمةُ صفة من صفات الله تعالى، وهذا اعتقاد أهل السنة؛ لأنه وصف نفسه بها، ووصفه نبيه ﷺ، وأنكرها الأشاعرة والجهمية والمعتزلة، كغيرها من الصفات؛ لأنهم لا يثبوت إلا الصفات التي تُوافق عقولهم، وغفلوا عن وظيفة العقل، وهي فهم الشرع، لا الحكم عليه.

---

(١) بدائع التفسير (٣/ ١٦٩)، وانظر: فتح البيان لصديق خان (٨/ ٢٨٠).

إثبات صفة الرحمة لله - جلّ في علاه - من الكتاب والسنة:

قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال سبحانه: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢].

وقوله: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: ٥٠].

وقوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف]، وغيرها من الآيات.

وأما السنة:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «**لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**»[(١)].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[(٢)].

إلى غير ذلك من الأدلة، وهي كثيرة.

وقوله: «ونحوها»:

أي نحو الرحمة، يعني من الصفات الثابتة لله تعالى بنص الكتاب والسنة، كالعزة، والقوة، والحكمة، والغضب، والرضا، واليد، والوجه، وغيرها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤) ومسلم (٢٥٧١).
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٩) ومسلم (٢٧٥٤).

وقوله: «كـ وجهه...»:

بعد أنْ قال إنَّ الرحمة صفةٌ من صفات الله كسائر صفاته، لـم يـزل ولا يزال مُتصفًا بها، وهي من الصفات الخبرية، ولـيس وجهُ الله هـو ثـوابُ الله، كما ادّعى أهلُ التعطيل.

فاعتقادُ أهـل الـسنة والجماعـة أنّ لله -جـل وعـلا- وجهًـا يليقُ بجلالـه وعظمته، فليس كمثله شيء.

ذكرُ الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات صفة الوجه لله تعالى:

قال جلّ ذكـره: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

وقال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال: ﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٨].

وقال جل ثناؤه: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل].

وغير ذلك من الآيات.

وأما السنة:

لما زار النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص في مرضه، قال له: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي فَتَعْمَلَ عَمَلًا تُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ، إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ رِفْعَةً وَدَرَجَةً**»[(١)].

وفي حديث الثلاثة الـذين انطبقـت علـيهم الـصخرة فحبستهم في الغـار،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٣٣) ومسلم (١٦٢٨).

قال كُلّ واحد منهم: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ»(١).

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا أَهْوَنُ - أَوْ هَذَا أَيْسَرُ -»(٢).

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ(٣) وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(٤).

قال الأصبهاني رَحِمَهُ اللهُ: قال محمد بن إسحاق رَحِمَهُ اللهُ: في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن] دلالة أنّ وجه الله صفة من صفات الذات، لا أن وجه الله هو الله، ولا أن وجهه غيره، لأنّ وجه الله لو كان الله

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢) ومسلم (٢٧٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٤٦٢٨، ٧٤٠٦، ٧٣١٣).
(٣) سبحات وجهه: بضم السين والباء: أنواره وجلاله وعظمته- اللسان (٤/ ٤٦٧).
(٤) أخرجه مسلم (١٧٩).

لقُرئ: ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام[(١)(٢)].

قال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفقه الأكبر»: له يد، ووجه، ونفس، كما ذكر تعالى في القرآن، من ذكر اليد، والوجه، والنفس، فهو له صفة بلا كيف؛ لا يقال: إن يده قدرته ونعمته؛ لأن فيه إبطالًا للصفة[(٣)].

قال قوّام السنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونحن نقول وعلماؤنا جميعًا: أن لمعبودنا عزّ وجل وجهًا، كما أعلمنا الله في محكَم تنزيله، ووصفه بالجلال والإكرام، وحَكم له بالبقاء، وهو مَحْجوب عن أبصار أهل الدنيا، لا يراه بشر ما دام في الدنيا، ووجهُ ربنا قديم، لم يزل باقيًا ولا يزال، فنفى عنه الفناء، ووجُوه بني آدم محدثة مخلوقة، لم تكن فكوَّنها الله، فانية غير باقية، فهل في هذا تشبيه وجه ربنا عز وجل بوجوه بني آدم غير اتفاق اسم الوجه، وإيقاع اسم الوجه على بني آدم، كما سمى الله تعالى وجهه وجهًا[(٤)]؟

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والوجهُ صفة من صفات الله تعالى، وصَف بها نفسه، فعلينا أن نُصدق ربنا، ونؤمن بما وصف به نفسه، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق[(٥)].

---

(١) كقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨]، فذي في هذه الآية صفة لله تعالى، أي أنه موصوف بالجلال والإكرام.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة (ص:٨٥).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص:١٨٨).

(٤) الحجة في بيان المحجة (ص: ٨٥).

(٥) أضواء البيان (٧/ ٥٠١).

وقوله: «ويده»:

كذلك اليد صفة من صفات الله الخبرية، ثابتة بالنص، وبإجماع أهل السنة. وأما أهلُ التعطيل فقالوا: اليدان هما: النعمة أو القوة أو القُدرة، وهذا بلا شك من التأويل الفاسد المخالف للكتاب والسنة.

ذكر الأدلة من القرآن على أن الله تعالى له يدان:

قال الله عز وجل لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

وقال سُبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، فقال تكذيبًا لهم: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقال تعالى ذكره: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر]. وغير ذلك من الآيات.

ذكر الأدلة من السنة:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَقْبِضُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ**»(١).

وعَنْ طَاوُسٍ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٢) ومسلم (٢٧٨٨) واللفظ للبخاري.

مُوسَى، ثَلاَثًا»[(١)].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»[(٢)].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلأَى، لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ - أَوِ القَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ»[(٣)].

وفي حديث الشفاعة الطويل: «...فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ»[(٤)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزّ وجَلّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٤) ومسلم (٢٦٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤١٩) ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٧٥١٨) ومسلم (٢٨٢٩).

وحديث الْمُغِيرَة بْنَ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟... وفيه: قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(١).

قال أبو الحسَن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: وأجمعوا على أنه عزّ وجَلّ يسمع ويرى، وأنّ له تعالى يدين مبسوطتين(٢).

قال أبو بكر رَحِمَهُ اللَّهُ: يُقال للجهميِّ - الذي يُنكر أنَّ الله عز وجل خلق آدم بيده - كفرتَ بالقرآن، ورددت السنة، وخالفت الأمة... وساق الأدلة التي تدلّ على إثبات صفة اليد لله تعالى من الكتاب والسنة، كما تقدم(٣).

قال الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: فصلٌ في إثبات اليد لله تعالى صفة له... وذكر الآيات، ثم قال: ذكر البيان من سُنة النبي ﷺ على إثبات اليد مُوافقًا للتنزيل... وساق حديث موسى مع آدم عليهما السلام(٤).

مسألة: الردُّ على مَن تأول اليد على أنها القوة أو النعمة:

قال ابنُ خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: فزعموا أنّ اليد هي القوة، وهذا من التبديل أيضًا، وهو جهلٌ بلغة العرب، والقوة إنما تُسمّى الأيد في لغة العرب لا اليد، فمن لا يُفرِّق بين اليد والأيد فهو إلى التعليم والتسليم إلى الكتاتيب أحوَج منه

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩).
(٢) رسالة لأهل الثغر (٢٢٥).
(٣) الشريعة (ص: ٢٦٢).
(٤) الحجة في بيان المحجة (ص: ٧٦، ٧٧).

إلى الترؤس والمناظرة[١].

وأما كلمة ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات].

فهي مصدر «فِعْلَهُ» آد- يئد- أيدًا، ومعناه: القُوة[٢].

ويُضاف، فيُقال: أيده تأييدًا، ومعناه: قوّاه، وليس جمعًا ليد[٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. قالت الجهمية: مجازًا في النعمة أو القدرة، وهذا باطلٌ من وجوه:-

أحدها: أنَّ الأصلَ الحقيقة، فدعوى المجاز مخالفة للأصل.

الثاني: أن ذلك خلاف الظاهر، فقد اتفق الأصل والظاهر على بُطلان هذه الدعوى.

الثالث: أن مُدعي المجاز المعين يلزمه أمور: أحدها: إقامة الدليل الصارف عن الحقيقة.

الوجه الرابع: أنّ اطِّراد لفظها في موارد الاستعمال وتنوّع ذلك، وتصريف استعماله يمنع المجاز، ألا ترى قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ

---

(١) التوحيد (٧٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١١) وتفسير القرطبي (١٧/ ٥٤) وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٤) وتفسير البغوي (٧/ ٣٧٩) وتفسير السعدي (٨١١).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة في الأسماء الحسنى – فتوى رقم (١١٨٦٥).

جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر]؟ فلو كان مجازًا في القدْرة لم تُستعمَل منه لفظ يمين، وقوله في الحديث الصحيح: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ**...» وساق الحديث كما تقدم أول المسألة، وأطال النفَس في الردِّ عليهم من عشرين وجهًا... إلى أنْ قال: ورَدَ لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا مُتصرفًا فيه، مقرونًا بما يدل على أنها حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط[1].

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لا يجوز أن يُراد به القدرة، لأنّ القدْرة صفة واحدة، ولا يجوز أنْ يُعبر بالاثنين عن الواحد.

ولا يجوز أنْ يُراد به النعمة، لأنّ نِعَم الله لا تحصى؛ فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية[2].

وقوله: «وكُلّ ما من نَهْجِهِ»:

النهج لغة: نَهجَ الطريق، أبانَهُ وأوضحه، ونَهجَهُ: أيضًا سَلكَهُ[3].

أي: أنّ كُلّ شيء ورَدَ في صفات الله عز وجل، فالطريق الواضح الإقرار بما جاء في القرآن، وبما صح عن رسول الله ﷺ، من غير تمثيل ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تحريف.

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٣٦٦-٣٨١) باختصار.
(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦٥، ٣٦٦).
(٣) مختار الصحاح (ص: ٢٨٤).

ويتابع رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائلًا:

٤٨ - وَعَيْنُهُ وَصِفَةُ النُّزُولِ   وَخَلْقُهُ فَاحْذَرْ مِنَ النُّزُولِ

الشرح

أي: نُؤمن بالأدلة الصحيحة التي جاء فيها إثبات صفة العين لله تعالى، مع اليقين الجازم أنها عين ليست كعين المخلوقين، فأهلُ السنة يُثبتون العينَ لله تعالى، بلا تكييف ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تحريف، كمَن نفى هذه الصفة الثابتة لله عز وجل.

ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على أنّ العين من صفات الله التي وصف بها نفسه:

قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وقال سبحانه: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وقال جل ثناؤه ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه].

وقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨].

وأما السنة:

فعن عبد الله بن عُمر أنه قال: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ، يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ المَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**»[(١)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ** - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - **وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى،**

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٩) ومسلم (١٦٩).

كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»[(١)].

بعضُ السلف حمل «العين» في الآيات على الرؤية، أي بِمَرْأى مني، ومنهم من حملها على الحفظ والكلاءة، وليس معنى هذا نفي العين، فإن الله سبحانه وتعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه؛ فنُثبت العين لله تعالى بدلالة اللزوم وبدلالة النص، وبمقتضى لغة العرب التي نزل بها القرآن.

قال اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ: سياقُ ما دل من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ على أنّ من صفات الله عز وجل الوجه والعينين واليدين...

ثم استدل بقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾. قال: روي عن ابن عباس في تفسير «أعيننا» أنه أشار إلى عينيه. واستدل أيضًا بحديث الدجال على إثبات صفة العين لله تعالى[(٢)].

قال عبد الله بن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في باب الصفات: إثباتُ العينين لله عز وجل... واستدل بحديث الدجال المتقدِّم[(٣)].

قال ابنُ خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: إثباتُ العين لله – جلا وعلا – على ما أثبته الخالق البارئ لنفسه في مُحكم تنزيله، وعلى لسان نبيه ﷺ... – وذكرَ الآيات كما تقدّم–، ثم قال: فواجبٌ على كُلّ مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما أثبت الخالق البارئ لنفسه من العين، وغير مؤمن مَن ينفي عن الله تبارك وتعالى

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٧).
(٢) شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٦٥-٧٧) باختصار.
(٣) السنة (٤٠٦).

ما قد أثبته الله في محكم تنزيله، ببيان النبي ﷺ، الذي جعله الله مبينًا عنه عز وجل، في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فبيَّن النبي ﷺ أنّ لله عينين، فكان بيانه مُوافقًا لبيان محكم التنزيل، الذي هو مسطور بين الدفتين، مقروء في المحاريب والكتاتيب...(١).

فائدة:

أهلُ السنة والجماعة يثبتون لله عينين بنص حديث الدجال المتقدم، وفيه: «إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»(٢).

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ: وقولُ النبي ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٣) صريحٌ بأنه ليس المراد إثبات عين واحدة، فإن ذلك عَوَر ظاهر - تعالى الله عنه - وهل يُفهم من قول الداعي: «اللهُمَّ احْرُسْنَا بِعَيْنِكَ الَّتِي لا تَنَامُ» أنها عين واحدة؟! ليس إلا ذهن أقلف وقلب أغلف؟... إلى أن قال:

لغة العرب متنوعة في إفراد المضاف وتثنيته وجَمعه، بحسب أحوال المضاف إليه، فإن أضافوا الواحدَ المتصل إلى مُفرد أفردوه وإن أضافوا إلى اسم جمع ظاهرًا أو مضمرًا جمعوه، وإن أضافوا إلى اسم مُثنى فالأصح في لغتهم جمعه، كقوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وإنما هما قلبان، وكقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، وهذا

---

(١) كتاب التوحيد (ص: ٤٥، ٤٦).

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٣) البخاري (٤٤٠٢) ومسلم (١٠١/ ٢٩٣٣).

أفصح استعمالهم، وتارة يُفردون المضاف، فيقولون: لسانهما وقلبهما... القرآنُ إنما نزل بلغة العرب لا بلغة العجم والطِّماطم[(١)] والأنباط[(٢)] الذين أفسدوا الدين وتلاعبوا بالنصوص؛ فجعلوها عرضة لتأويل الجاهلين.

وإذا كان من لغتهم وضع الجمع موضع التثنية؛ لئلا يجمعوا في لفظ واحد بين تثنيتين، فلأن يوضع الجمع موضع التثنية فيما إذا كان المضاف إليه تثنية أولى بالجواز، يدل على ذلك أنك لا تكاد تجد في كلامهم عينان ويدان ونحو ذلك، ولا يَلتبس على السامع قول المتكلّم: نراك بأعيننا، ونأخذك بأيدينا، ولا يَفهم منه بشرٌ على وجه الأرض عيونًا كثيرة على وجه واحد[(٣)].

وقوله: «وصفة النزول»:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[(٤)].

صفةُ النزول ثابتة لله تعالى بنص السنة، وذلك في الأحاديث التي رُويت بأسانيد صحيحة عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطقُ عن الهوَى، والنزولُ

---

(١) رجلٌ طِمْطِمٌ بالكسر، أي في لسانه عُجمة لا يُفصح – الصحاح (ص: ٦٤٨).

(٢) يُقال رجُلٌ نَبَطيٌّ ونباطيٌّ ونباط: مثل يمني ويماني ويمان. وفي كلام أيوب ابن القِرِّيَّة: أهلُ عُمان عَربٌ استنبطوا، وأهل البحرين نبيطٌ استعربوا- الصحاح (ص: ١٠١٦).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ٣٧، ٣٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٢١) ومسلم (٧٥٨) وغيرهما.

صفةٌ من صفات الأفعال يجب الإيمان بها بلا كيف، نُؤمن بأنّ الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كُلّ ليلة نُزولًا يليق بجَلاله وكَماله، وهذا مذهبُ الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة السلف الصالح، ويَسعنا ما وسع الصحابة رضوان الله عليهم، فقد سمعوا من رسول الله ﷺ أنَّ ربنا ينزل إلى السماء الدنيا، ولم يسأل أحدٌ منهم كيف؟ فاحذر كلام أهل التأويل والتعطيل الذين يقولون: تنزل الملائكة، فهذا مخالفٌ لمنطوق الحديث ومفهومه، فانتبه.

قال أبو سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ: فهذه الأحاديث قد جاءت كُلّها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد، ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة، فعارضت آثار رسول الله ﷺ بردٍّ، وتشمروا لدفعها بجد، فقالوا: كيف نزوله هذا؟ قلنا: لم نُكلَّف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قُلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلًا أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقُدْرته ولطف ربوبيته كيف يشاء، فالكيفُ منه غير معقول، والإيمانُ بقول رسول الله ﷺ في نزوله واجبٌ، ولا يُسأل الرب عما يفعله كيف يفعل؟ وهم يُسألون؛ لأنه القادر على ما يشاء أن يفعله كيف يشاء، وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا ما أقدره الله تعالى عليه: كيف يضع؟ وكيف يقدر؟[١].

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها

(١) الرد على الجهمية (ص: ٩٠).

علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب- جل وعلا- إلى السماء الدنيا كل ليلة.

نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب، من غير أن نصف الكيفية؛ لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل.

والله- جل وعلا- لم يترك ولا نبيه- عليه السلام- بيانًا ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم[(١)].

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب- سبحانه وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله[(٢)].

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الفُضيلُ بن عياض: إذا قال لك الجهْمي: أنا أكفُر برب يزولُ عن مكانه، فقل أنت: أؤمن برب يفعلُ ما يشاء[(٣)].

قال الخلال رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبرني علي بن عيسى، أن حنبلًا حدّثهم قال: سألتُ أبا عبد الله عن الأحاديث التي تُروى: أنَّ الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا، وأنّ الله يَرى، وأنَّ الله يضع قدمه، وما أشبه ذلك.

---

(١) التوحيد (ص: ١٠٦).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ١٩١).

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٦١).

فقال أبو عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ: نُؤمن بها، ونُصدِّق بها، لا كيف ولا معنى[(١)]، ولا نَرُد منها شيئًا، ونعلم أنّ ما جاء به الرسولُ حَق إذا كانت بأسانيد صحاح، ولا نرُد على الله قوله، ولا نصفه بأكثر مما وصَف به نفسه، بلا حَد ولا غاية، ليس كمثله شيء.

وهذا الكلامُ وكلام الشافعي من مشكاة واحدة[(٢)].

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر قول مالك المشهور عندما سُئل عن كيفية الاستواء؟:

وهكذا سائر الأئمة، قولهم يوافق قول مالك، في أنَّا لا نعلم كيفية استوائه، كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم معنى النزول، ولا نعلم كيفيته، ونعلم معنى السمع والبصر والعلم والقدْرة، ولا نعلم كيفية ذلك[(٣)].

قال الآجُري رَحِمَهُ اللَّهُ: بابٌ: الإيمانُ والتصديق بأنّ الله عزّ وجلّ ينزل إلى السماء الدنيا كُلّ ليلة: الإيمانُ بهذا واجبٌ، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يردُّ هذا إلا المعتزلة.

وأما أهلُ الحق فيقولون: الإيمان به واجب، بلا كيف؛ لأن الأخبار

---

(١) يعني أن لا نسأل عن المعنى الذي يفضي إلى التكييف وإلا فالمفوضة هم الذين يقولون: نثبت الصفة ولا نعلم المعنى، والإمام مالك لما سُئل عن الاستواء، قال: الاستواء معلوم، فأثبت المعنى ثم قال: والكيف مجهول. فانتبه لكلام الأئمة فهذا هو الذي يفهم من كلام الإمام أحمد رحمه الله إمام أهل السنة وسأذكر كلام شيخ الإسلام قريبًا.

(٢) انظر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٤٢-٤٤٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥).

صحت عن رسول الله ﷺ: «أَنَّ الله عَزّ وجَلّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ»(١).

والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكامَ، من الحلال والحرام وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد؛ فكما قبل العُلماء عنهم ذلك، كذلك قبلوا منهم هذه السُّنة، وقالوا: مَن ردها فهو ضالٌّ خبيث، يحذرونه ويحذرون منه (٢).

قال ابن منده رَحِمَهُ اللَّهُ: إياك أن تكون فيمَن يقول: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء، ثم تنفي ما في الكتاب والسنة مما شاء الله وأوجَب على خلقه الإيمانَ به(٣).

وقوله: «وخلقه..»: أي: ومما يجب إثباته لله- جل جلاله- الخلق، وهي من صفات الله تعالى الفعلية، من حيث آحادها، وأنواعها، أما من حيث الأصل فهي صفة ذاتية؛ فالله- سبحانه وتعالى- لم يزل ولا يزال خالقًا؛ قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

(١) صحيح: تقدم تخريجه.
(٢) الشريعة (٢٤٧).
(٣) نقله ابن تيمية في الفتاوى (٥/ ٣٩٤) وذكر ابن منده في كتابه «التوحيد» (٥١٢-٥٢٠) ستة عشر حديثًا في إثبات صفة النزول.

والآيات في ذلك كثيرة جدًّا، وأما الأحاديث فهي أيضًا كثيرة، منها حديث أبي هريرة ﵁، أن النبي ﷺ قال: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً**»[(١)]. وقال ﷺ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ**»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ﵀: مذهب أهل السنة والمعرفة- وهو المشهور عن أصحاب الإمام أحمد وأبي حنيفة وغيرهم من المالكية والشافعية والصوفية وأهل الحديث وطوائف من أهل الكلام من الكرامية وغيرهم- أن كون الله- سبحانه وتعالى- خالقًا ورازقًا ومحييًا ومميتًا وباعثًا ووارثًا... وغير ذلك من صفات فعله، وهو من صفات ذاته، ليس من يخلق كمن لا يخلق، ومذهب الجمهور أن الخلق غير المخلوق؛ فالخلق فعل الله القائم به، والمخلوق هو المخلوقات المنفصلة عنه[(٣)].

وقال في موضع آخر ﵀: معلوم بالسمع اتصاف الله تعالى بالأفعال الاختيارية القائمة به، كالاستواء إلى السماء، والاستواء على العرش، والقبض، والطي، والإتيان، والمجيء، والنزول، ونحو ذلك، بل والخلق والإحياء والإماتة؛ فإن الله تعالى وصف نفسه بأفعال اللازم، كالاستواء، وبالأفعال المتعدية كالخلق.

والفعل المتعدي مستلزم للفعل اللازم؛ فإن الفعل لا بد له من فاعل؛ سواء كان متعديًا إلى مفعول، أو لم يكن، والفاعل لا بد له من فعل، سواء

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٩٢- ٢١٠٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٣٥، ٤٣٦).

كان فعله مقتصرًا عليه، أو متعديًا إلى غيره، والفعل المتعدي إلى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله؛ إذ كان لا بد له من الفاعل. وهذا معلوم سمعًا وعقلًا [١].

قوله: «فاحذَر من النزول»:

النزول لغة: النُّزُل، في الأصل، هو انحطاط من علو، يُقال: نَزَلَ عن دابته، ونزل في مكان كذا: حَطَّ رَحْله فيه، وأنزَلَه غيرُه. قال: ﴿أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المؤمنون]. ونَزَلَ بكذا وأنزله بمعنى [٢].

والمؤلف هاهنا كأنه أراد أن يقول: احذر من الانحطاط من علو الإيمان والاتباع للنبي ﷺ والفهم الصحيح عن أئمة السلف من الصحابة ومَن تبعهم بإحسان إلى حضيض الابتداع في دين الله، بالتحريف والتأويل، أو بالتمثيل والتشبيه، وغير ذلك، مما نهجه أهل البدع والأهواء، فاحذر من هذا النزول.

مبحث: هل في اللغة العربية مجاز؟ وهل يصح أن يُقال: إن في القرآن مجازًا؟

اعلم أنّ وقوعَ المجاز في اللغة العربية مختلفٌ فيه، أما القرآنُ فليس فيه مجاز، لأنَّ المجاز عند مَن قال به: هو كُلّ ما يجوز نفيه، ولا ريب أن القرآنَ كلامُ الله، فلا يجوز نفي شيء منه، والذين قالوا بجواز المجاز في القرآن اتخذوا ذلك ذريعة لتعطيل ونفي صفات الله عز وجل، وإنكار ما دلّت عليه

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢١٩، ٢٢٠).
(٢) المفردات (٥٤١) مادة (نزل).

نصوصُ الكتاب والسنة، وما أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة ومَن تبعهم من أئمة أهل السنة والجماعة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن حَق الكلام أن يُحمَل على حقيقته، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أُنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يُوجَّه كلامُ الله عز وجل إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يَمنع ذلك مما يجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكُلّ مُدَّع ما ثبت شيء من العبارات، وجلَّ الله عز وجل عن أن يُخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهودِ مخاطباتها، مما يصح معناه عند السامعين(١).

قال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: أهلُ السُّنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كُلّها في القرآن والسُّنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجاز(٢).

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أولًا: أن المجازَ اختلِف في أصل وقوعه. قال أبو إسحاق الإسفرائيني، وأبو عليٍّ الفارسي: إنه لا مجاز في اللغة أصلًا، كما عزاه لهما ابن السُّبكي في «جمع الجوامع».

وإن نَقل عن الفارسي تلميذه أبو الفتح: أنّ المجازَ غالب على اللغات، كما ذكره عنه صاحب «الضياء اللامع»، وكُلّ ما يُسميه القائلون بالمجاز مجازًا فهو- عند مَن يقول بنفي المجاز- أسلوبٌ من أساليب اللغة العربية.

فمن أساليبها: إطلاق الأسَد مثلًا على الحيوان المفترس المعروف،

(١) التمهيد (٧/ ١٣١).
(٢) المصدر السابق.

وأنه ينصرف إليه عند الإطلاق وعدم التقييد بما يدل على أنَّ المرادَ غيره.

ومن أساليبها: إطلاقه على الرجل الشجاع، إذا اقترن بما يدل على ذلك.

ولا مانع من كون أحد الإطلاقين لا يحتاج إلى قيد، والثاني يحتاج إليه، لأنّ بعضَ الأساليب يتضح فيها المقصود فلا يحتاج إلى قيد، وبعضها لا يتعين المراد فيه إلا بقيد يدل عليه، وكُلّ منهما حقيقة في محله، وقس هذا على جميع أنواع المجازات.

وعلى هذا، فلا يمكنُ إثبات مجاز في اللغة العربية أصلًا، كما حَقّق العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصواعق...

والذي ندين الله به ويلزم قبُوله كُلّ مُنصف محقق: أنه لا يجوز إطلاق المجاز في القرآن مُطلقًا على كلا القولين...

وأوضح دليل على منعه في القرآن: إجماعُ القائلين بالمجاز على أنّ كُلّ مجاز يجوز نفيه، ويكون نافيًا صادقًا في نفس الأمر، فتقول لمن قال: رأيتُ أسدًا يرمي، ليس هو بأسد، وإنما هو رجل شجاع، فيلزم على القول بأنّ في القرآن مجازًا أنَّ في القرآن ما يجوز نفيه.

ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن، وهذا اللزوم اليقيني الواقع بين القول بالمجاز في القرآن وبين جواز نفي بعض القرآن قد شوهدت في الخارج صحته، وأنه كان ذريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن العظيم.

وعن طريق القول بالمجاز توصل المعطلون لنفي ذلك، فقالوا: لا يد،

ولا استواء، ولا نزول، ونحو ذلك في كثير من آيات الصفات [(١)].

وقد أطال النفَس في المسألة، فأفاد وأجاد، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمعلومٌ أنّ أول مَن عُرف أنه جرّد الكلامَ في أصول الفقه هو الشافعي، وهو لم يُقسم الكلام إلى حقيقة ومجاز، بل لا يُعرَف في كلامه مع كثرة استدلاله وتوسعه ومعرفته الأدلة الشرعية أنه سمى شيئًا منه مجازًا، ولا ذكر في شيء من كتبه ذلك، لا في «الرسالة» ولا في غيرها.

وحينئذ فمَن اعتقد أنَّ المجتهدين المشهورين وغيرهم من أئمة الإسلام وعلماء السلف قسّموا الكلامَ إلى حقيقة ومجاز - كما فعله طائفة من المتأخرين- كان ذلك من جهله وقلة معرفته بكلام أئمة الدين وسلف المسلمين، كما يظن طائفة أخرى أن هذا مما أخذ من الكلام العربي توفيقًا، وأنهم قالوا: هذا حقيقة، وهذا مجاز، كما ظن طائفة من المتكلمين في أصول الفقه، وكان هذا من جهلهم بكلام العرب... وكما يظن بعضهم أن ما يوجد في كلام بعض المتأخرين، كالرازي، والآمدي وابن الحاجب هو مذهب الأئمة المشهورين وأتباعهم، ولا يعرف ما ذكره أصحاب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم من أصول الفقه الموافق لطريق أئمتهم، فهذا - أيضًا- من جهله وقلة علمه.

وإن قال الناقلُ عن كثير من الأصوليين: مرادي بذلك أكثر المصنفين في أصول الفقه من أهل الكلام والرأي، كالمعتزلة، والأشعرية، وأصحاب

---

(١) منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز (٣٤-٣٧) باختصار.

الأئمة الأربعة، فإنّ أكثر هؤلاء قسّموا الكلامَ إلى حقيقة ومجاز.

قيل له: لا ريب أنّ هذا التقسيمَ موجودٌ في كتب المعتزلة ومَن أخذ عنهم وشابهم، وأكثر هؤلاء ذكروا هذا التقسيم، وأما مَن لم يكن كذلك فليس الأمر في حقه كذلك.

ثم يُقال: ليس في هؤلاء إمام من أئمة المسلمين الذين اشتغلوا بتلقي الأحكام من أدلة الشرع، ولهذا لا يَذكرُ أحدٌ من هؤلاء في الكتب التي يَحكي فيها أقوال المجتهدين ممن صنف كتابًا وذكر فيه اختلاف المجتهدين المشتغلين بتلقي الأحكام عَنْ الأدلة الشرعية، وهم أكملُ الناس معرفة بأصول الفقه، وأحق الناس بالمعنى الممدوح من اسم الأصولي، فليس من هؤلاء من قسَّم الكلامَ إلى الحقيقة والمجاز.

وإن أراد مَن عُرف بهذا التقسيم من المتأخرين المعتزلة وغيرهم من أهل الكلام ومَن سلك طريقتهم من ذلك من الفقهاء.

قيل له: لا ريب أن أكثر هؤلاء قسموا هذا التقسيم، لكن ليس فيهم إمام في فن من فنون الإسلام، لا التفسير، ولا الحديث، ولا الفقه، ولا اللغة، ولا النحو، بل أئمة النحاة أهلُ اللغة - كالخليل، وسيبويه، والكسائي، والفرّاء، وأمثالهم، وأبي عمرو بن العلاء، وأبي زيد الأنصاري، والأصمعي، وأبي عمرو الشيباني، وغيرهم - لم يقسموا تقسيم هؤلاء[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: وبكُلّ حال، فهذا التقسيم هو اصطلاحٌ حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٠٣- ٤٠٥) باختصار وتصرف يسير.

التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم، كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو، كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم...

كذلك سائر الأئمة لم يُوجَد لفظ المجاز في كلام أحد منهم، إلا في كلام أحمد بن حنبل، فإنه قال في كتاب «الرد على الجهمية»[(١)] في قوله: (إنا ونحن) ونحو ذلك في القرآن: هذا من مَجاز اللغة، يقول الرجل: إنا سنعطيك، إنا سنفعل، فذكر أنّ هذا مَجاز اللغة.

وبهذا احتج على مذهبه من أصحابه مَن قال: إنَّ في القرآن مجازًا، كالقاضي أبي يعلي، وابن عقيل، وأبي الخطاب، وغيرهم.

وآخرون من أصحابه منعوا أن يكون في القرآن مجازٌ، كأبي الحسن الخرزي، وأبي عبد الله بن حامد، وأبي الفضل التميمي بن أبي الحسن التميمي... وذكر آخرين، ثم قال:

وحكى بعض الناس عن أحمد في ذلك روايتين. وأما سائر الأئمة: فلم يقل أحد منهم، ولا من قدماء أصحاب أحمد: إنّ في القرآن مجازًا، إنما اشتهر في المائة الرابعة...

والذين أنكروا أن يكون أحمد وغيره نطقوا بهذا التقسيم قالوا: إنَّ معنى قول أحمد: من مجاز اللغة، أي: مما يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم

---

(١) حكم شيخ الإسلام الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا الكتاب بالوضع وشكك في نسبته للإمام أحمد – راجع سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٦، ٢٨٧) وتعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط على ذلك.

الذي له أعوان: نحن فعلنا كذا، ونفعل كذا، ونحو ذلك، قالوا: ولم يُرد أحمد بذلك أنَّ اللفظ استعمل في غير ما وضع له...»[1].

معنى المجاز عند مَن قال: إنّ في اللغة مَجازًا:

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الذين قسّموا اللفظ حقيقة ومجازًا، قالوا: الحقيقة: هو اللفظ المستعمل فيما وضع له، والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، كلفظ الأسد والحمار إذا أريد بهما البهيمة، أو أريد بهما الشجاع والبليد، وهذا التقسيم والتحديد يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولًا لمعنى، ثم بعد ذلك قد يُستعمل في موضوعه، وقد يُستعمل من غير موضوعه...

وهذا كُلّه إنما يصح لو عُلم أنَّ الألفاظ العربية وضعت أولًا لمعان، ثم بعد ذلك استعملت فيها، فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال، وهذا إنما يصح على قول مَن يجعل اللغات اصطلاحية، فيدعي أنَّ قومًا من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يُسموا هذا بكذا، وهذا بكذا، ويجعل هذا عامًّا في جميع اللغات، وهذا القول لا نعرف أحدًا من المسلمين قاله قبل أبي هاشم بن الجُبَّائي... والمقصودُ هنا أنه لا يمكن أحد أن ينقل عن العرب، بل ولا عن أمة من الأمم، أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة، ثم استعملوها بعد الوضع، وإنما المعروفُ المنقول بالتواتر استعمال هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني، فإن ادَّعى مُدع أنه يعلم وضعًا يتقدم ذلك فهو مُبطلٌ، فإنَّ هذا لم ينقله أحد من

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٨٧، ٨٨) وانظر الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٢٦٨).

الناس[١].

حجة من قال: إنّ في القرآن مجازًا، والردُّ عليهم:

من أشهر ما استدل به القائلون بأنّ في القرآن مجازًا، هو قول الله تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧].

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: لما ادّعى كثير من المتأخرين أنّ في القرآن مجازًا، وذكروا ما يشهد لهم، رد عليهم المنازعون جميع ما ذكروه، فمن أشهر ما ذكروه قوله تعالى: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾، قالوا: والجدارُ ليس بحيوان، والإرادة إنما تكون للحيوان، فاستعمالها في ميل الجدار مجاز.

فقيل لهم: لفظ الإرادة قد استعمل في الميل الذي يكون معه شعور، وهو ميل الحي، وفي ميل الذي لا شعور فيه، وميل الجماد، وهو مشهور في اللغة.

يُقال: هذا السقف يُريد أن يقع، وهذه الأرض تريد أن تُحرَث، وهذا الزرع يُريد أن يُسقى، وهذا الثمر يُريد أن يُقطف، وهذا الثوب يُريد أن يُغسَل، وأمثال ذلك[٢].

ومن حُجَجهم أيضًا:

قول الله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]، فإنَّ من الناس من يقول: الذوق حقيقة في الذوق بالفم، واللباس بما يلبس على البدن، وإنما استعير هذا وهذا، وليس كذلك.

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٨٩-٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ١٠٧) بتصرف يسير.

قال الخليل رَحِمَهُ اللَّهُ: الذوقُ في لغة العرب هو: وجودُ طعم الشيء(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: والاستعمالُ يدل على ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]، وقال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان]، وقال: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق: ٩]، وقال: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال].

فلفظ «الذوق» يُستعمل في كُلّ ما يحس به ويجد ألمه أو لذته، فدعوى المدعي اختصاص لفظ الذوق بما يكون بالفم تحَكُّم منه، لكن ذاك مُقيد، فيقال: ذقتُ الطعام، وذقتُ هذا الشراب، فيكون معه من القيود ما يدل على أنه ذوق بالفم، وإذا كان الذوقُ مستعملًا فيما يحسه الإنسان بباطنه، أو بظاهره، حتى الماء الحميم، يُقال: ذاقه، فالشرابُ إذا كان باردًا أو حارًّا يُقال: ذقتُ حَره وبرده.

وأما لفظ «اللباس» فهو مُستعمل في كُلّ ما يغشى الإنسان ويَلتبس به، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ [النبأ]، وقال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقال: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ومنه يُقال: لَبَسَ الحقَّ بالباطل، إذا خلطه به حتى غشيه فلم يتميز، فالجوعُ الذي يشمل ألمه جميع الجائع، نفسه وبدنه، وكذلك الخوف الذي يلبس البدن.

فلو قيل: فأذاقها الله الجوعَ والخوفَ، لم يدلّ ذلك على أنه شامل

(١) المصدر السابق (٧/ ١٠٩).

لجميع أجزاء الجائع، بخلاف ما إذا قيل: لباس الجوع والخوف، ولو قال: فألبسهم، لم يكن فيه ما يدل على أنهم ذاقوا ما يُؤلمهم إلا بالعقل، من حيث إنه يعرف أنَّ الجائعَ الخائف يألم، بخلاف لفظ ذوق الجوع والخوف، فإن هذا اللفظ يدلُّ على الإحساس بالمؤلم، وإذا أضيف إلى الملذ، دَلَّ على الإحساس به، كقوله ﷺ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**»(١).

قال: ومن الأمثلة المشهورة لمن يثبت المجاز في القرآن: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

قالوا: المرادُ به أهلها، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه.

فقيل لهم: لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب، وأمثال هذه الأمور - التي فيها الحال والمحل - كلاهما داخل في الاسم، ثم قد يعود على الحال وهو السكان، وتارة يعود على المحل وهو المكان.

وكذلك في النهر، يُقال: حفرتُ النهر، وهو المحل، وجرى النهر وهو الماء، ووضعتُ الميزاب، وهو المحل، وجرى الميزاب وهو الماء، وكذلك القرية، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: ١١٢]، وقوله: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾ [الأعراف]، وقال في آية أخرى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧﴾ [الأعراف]، فجعل القرى هم السكان...

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤) والترمذي (٢٦٣٢) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

وقال: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، فهذا المكان، لا السكان [١]، انتهى.

الخلاصة في مسألة المجاز:

١- المجاز عند مَن قال به هو: كُلّ ما يجوز نفيه. قالوا: الحقيقة: هو اللفظ المستعمل فيما وضع له، والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له.

٢- أن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز هو اصطلاحٌ حادثٌ بعد انقضاء القرون الثلاثة.

٣- لم يُقسِّم الكلامَ إلى حقيقة ومجاز أحدٌ من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحدٌ من الأئمة الأربعة، ولا أئمة النحاة أهل اللغة، كالخليل، وسيبويه، والكسائي، والفرّاء، وأمثالهم.

٤- لا يجوزُ إطلاقُ القول بأنَّ القرآنَ فيه مجاز.

وبناء على هذا: فإنَّ أهلَ السنة والجماعة يثبتون صفات الله تعالى على الحقيقة لا على المجاز، فانتبه لهذا الأصل الذي ضلَّت فيه أفهام، وذلت فيه أقدام، فنفوا ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ بتأويل فاسد.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٠٩-١١٢) باختصار.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٩ - فَسائِرُ الصِّفَاتِ والأَفْعَالِ قَدِيمَةٌ للهِ ذِي الجَلَالِ

٥٠ - لَكِنْ بِلَا كَيْفٍ وَلَا تَمْثِيلِ رغمًا لأَهْلِ الزَّيْغِ وَالتَّعطِيلِ

الشرح

أي: أنَّ جميعَ الصفات قديمة، أزلية، أبدية، لا يسبقها عَدَم، ولا يلحقها فناء، وقد تقرر هذا المعنى مرارًا.

وهذا متعلق بالصفات الذاتية والخبرية.

أما صفات الأفعال التي ذكرها هاهنا بقوله (والأفعال) ففيها تفصيل كما سبق بيانه(١)، فصفات الأفعال من حيث الجنس، الله تعالى لم يزل ولا يزال مُتصفًا بها، أما باعتبار آحاد الأفعال، فهي مُتعلقة بمشيئته وقُدرته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها.

فالله سبحانه لم يزل ولا يزال خالقًا، أما أنواع الخلق وآحاده فهو متعلق بمشيئته وقدرته، إن شاء خلق، وإن شاء لم يخلق، يخلق ما يشاء كيف يشاء، وقد سبق توضيح ذلك باستيفاء(٢).

فكلامُ المصنف فيه إجمال، فقد أجمع السَّلَفُ أنَّ الله تعالى لم يزل ولا يزال متصفًا بصفات الأفعال، فجنس الأفعال قديمة، وآحاد الأفعال ليست قديمة، فانتبه.

---

(١) راجع شرح البيت الرابع والثلاثين.
(٢) راجع الباب الأول، شرح البيت الرابع والثلاثين.

وقوله: «لله ذي الجلال»:

ذي الجلال: صفة لله تعالى، والجلالُ: بمعنى الكبرياء والعظمة.

«إنه قريبٌ من الكبرياء فلا يُوصَف به غيره عز وجل، إذ لا جلالَ على الإطلاق ولا كمال بالاتفاق إلا له عز وجل، ولا كرامة أيضًا ولا مَكرمة إلا وهي صادرة عنه تعالى وتقدَّس، جلّ جلاله وعمَّ نواله» [١][٢].

وصفة الجلال من الصفات الذاتية لله تعالى، وقد دلت عليها نصوص الكتاب والسنة؛ قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]، وقال جل في علاه: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه: «...**فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي، لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[٣].

وعن ثوبان رضي الله عنه،أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته، استغفر ثلاثًا وقال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»[٥].

---

(١) النوال: العطاء، انظر اللسان (٨/ ٧٤٩).
(٢) شرح أسماء الله الحسنى (ص: ٣٢٨).
(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٠).
(٤) أخرجه مسلم (٥٩١).
(٥) أخرجه مسلم (٢٥٦٦).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو الجليل؛ فكل أوصاف الجلا ل لــه محققــة بــلا بطــلان(١)

قوله: «بلا كيف ولا تمثيل...»:

سبق أنْ بيَّنا هذا المعنى، أي إثبات صفات الله تعالى بلا كَيف، أي لا نسأل عن كيفية الصفة، لأنَّ هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، والسؤالُ عنه بدعة، كما قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، فلا نسأل عن كيفية الصفات، ولا نُكيف الصفات، فنقع في التشبيه والتحريف والتمثيل، نعتقد بأنّ صفات الله لها كيف لا يعلمه إلا الله، ونعتقد أنه حرامٌ على العقل أن يُكيفها وعلى الألسن أن تصفها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى ذكره: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

وقوله: «ولا تمثيل»:

أي: نثبت الصفة، ولا نُشبِّه الخالقَ سُبحانه بأحَدٍ من خَلقه، وقد تقدَّم أنَّ استعمالَ لفظ «بلا تمثيل» أولى من «بلا تشبيه»؛ لأسباب، منها: أنه سبحانه ذكره في كتابه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، وقد سبق الكلام على نفي التمثيل، وذكرنا الأدلة وأقوالَ الأئمة.

---

(١) القصيدة النونية (٢/ ٦٤).

قوله: «رغمًا لأهل الزيغ والتعطيل»:

رغم في اللغة: **الرَّغْم**: التراب، والرَّغْم: الذل، وفي الحديث: «**وإنْ رغَمَ أَنْفُهُ**» أي: ذَلَّ(١).

أي: نثبت صفات الله - جَلّ في عُلاه - من غير تكييف، ولا تمثيل، ومن غير تعطيل، أي من غير نفي الصفات التي أثبتها لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله ﷺ، وفي ذلك إذلالٌ لأهل البدع.

وأما التعطيل: فهو التفريغُ والتخلية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥]، وقد سبق بيان معنى التعطيل، وأقسامه(٢).

---

(١) اللسان (٤/ ١٨٨).

(٢) راجع شرح البيت الثالث والعشرين.

ويُوجه الناظم النصيحة قائلًا:

٥١ - فَمرهَا كَمَا أَتَتْ في الذِّكرِ مِنْ غَيرِ تَأوِيلٍ وَغَيرِ فِكْرِ

الشرح

أي: نُمِر الصفات على ألسنتنا وقلوبنا وعقولنا كما جاءت «في الذكر»، أي في القرآن، وكذا ما جاء عن نبينا ﷺ في الأحاديث التي رويت عنه بأسانيد صحيحة، فنقر أنَّ الله تعالى صفات الكمال ونُعوت الجلال، ونعتقد أنَّ الصفات حقيقة لا مجازًا، (مِنْ غَيرِ تَأوِيلٍ) أي: تحريف ولا تعطيل، ومن غير (فِكْرِ) أي: لا نفكر في كيفية الصفات ولا نمثل، ونثبت معنى آيات الصفات والأحاديث التي جاءت فيها الصفات، ولا نُفوِّضُ المعنى كالمفوِّضة- نعوذ بالله من الضلال- فنثبت الصفة ومعناها، من غير تكييف، وقد سبق بيانُ ذلك.

قال المروزي رَحِمَهُ اللَّهُ: سألتُ أبا عبد الله بن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه الأحاديث التي تَرُدُّها الجهمية في الصفات والإسراء والرؤية وقصة العرش، فصحّحها وقال: تلقتها العُلماءُ بالقبُول، تُسَلِّمُ الأخبارَ كما جاءت[1].

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ في سياق ذكره جملة من صفات الله تعالى: وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردَت بها الأخبار الصحاح، من السمع، والبصر والعين، والوجه، والعلم، والقوة والقُدرة، والعزة والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول والكلام، والرضا

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (٧٧١).

والسخط، والحب والبغض، والفرح والضحك، وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى، وقاله رسوله ﷺ، من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه، بتأويل مُنكَر يُستنكَر، ويجرون على الظاهر، ويَكلون علمه إلى الله تعالى، ويُقرون بأنَّ تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه، في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران][1].

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ١٦٥).

ثم قال صاحب النظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٢ - وَيَسْتَحِيلُ الْجَهلُ وَالعَجْزُ كَمَا قَـد اسْـتَحَالَ الْمَـوتُ حَقًّا وَالْعَمَـى

٥٣ - فَكُـلُّ نَقْـصٍ قَـد تَعَـالَى اللهُ عَنْـهُ فَيَـا بُـشْرَى لِمَـنْ وَالَاهُ

الشرح

نفى المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بعض صفات النقص التي لا يجوز أن يتصوَّر عاقلٌ اتصافَ الله بها- تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا- ولكن سبق أنَّ النفي المحضَ ليس فيه مدحٌ ولا كمالٌ، فلا بُد من إثبات كمال الضد، وكذا النفي يكون مُجملًا، وإثباتُ صفات الكمال يكون تفصيلًا، وهذا هو خطابُ القرآن، وقد سبق بيانُ الأدلة على ذلك عقلًا ونقلًا(١)، منها:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه]، وقال جَلَّ ثناؤه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن].

وقوله: «فكُلّ نقص قد تعالى الله عنه..»:

بعد أنْ نفى الناظمُ جُملة من صفات النقص عن الله، ذكر قاعدة عامة، ألا وهي: أنَّ كُلَّ نقص لا نصف به ربنا جَلّ وعلا، فهو مُنزَّه عن كُلِّ نقص،

---

(١) راجع شرح البيت السابع والعشرين.

فله صفات الكمال ونُعوت الجلال، وقد ثبت ذلك بأدلة النقل والعَقل.

وقوله: «فيا بُشرَى لمن والاه»:

البشرَى لغة: بمعنى البشارة، والبشارة المطلقة لا تكونُ إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾[التوبة][1]. انتهى.

أي: فيا بُشرى لمن كان وليًّا لله عزَّ وجلَّ.

وإذا أردت أن تعرف مَن هو الولي؟ فاقرأ قول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[يونس].

ومن المعلوم عند عُلماء التفسير أنّ من طُرق التفسير وأعلاها أنْ يُفسَّر القرآن بالقرآن، فالله تعالى في الآية ذكر الأولياء وذكر صفتين لهم، وهما الإيمان والتقوى، وعطف التقوى على الإيمان من باب عَطف الخاص على العام لبيان أهميتها، فالمقصودُ أنَّ الولاية تتحقق بالإيمان والتقوى، أسأل الله أنْ يرزقنا الإيمانَ والتقوى حتى نصبح من أوليائه، وهذه هي الولاية الخاصة.

أما الولاية العامة: فهي لجميع الخلق، حتى الكافر، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام].

ثمرات الولاية الخاصة:

الولي لا يخافُ ولا يحزن، أي لا يخافُ مما هو آت، من سُؤال

(١) الصحاح (ص:٩٣).

الملكين حين يُوضَع في قبره، ومن أهوال يوم القيامة، ولا يحزن على ما مضى، فالولي له البشرى السارة من الله تعالى في الدنيا والآخرة.

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآيات التي ذكرناها آنفًا: يخبر تعالى أنَّ أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، كما فَسَّرهُم ربُّهُم، فكُلّ من كان تقيًّا كان لله وليًا ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما وراءهم في الدنيا.

قال غيرُ واحد من السلف: أولياءُ الله الذين إذا رُءُوا ذُكر الله.

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قَالَ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرى لَهُ**»(١).

وقيل: المرادُ بذلك: بُشرَى الملائكة للمُؤمنين -عند احتضارهم- بالجنة والمغفرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

وفي حديث الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إنَّ الْمُؤمِنَ إذا حَضرَهُ الموْتُ جَاءَتْهُ مَلَائِكَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ بِيضُ الثياب، فقالوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا الروح الطَّيِّبَة إِلَى رَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ من فمه كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فَمِ السِّقَاءِ**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٠٧/ ٤٧٩) عن ابن عباس. ورواه أحمد بلفظه (٢٧٥٥٠). ورواه الترمذي (٢٢٧٣، ٣١٠٦) عنه بنحوه، وحسَّنه.

(٢) جزء من حديث رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧-٢٨٨) من حديث البراء ابن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باختلاف، ورواه أبو داود (٤٧٥٣)، وابن ماجه (٤٢٦٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

أما بُشراهم في الآخرة: فكما قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد][1].

ومن ثمرات الولاية:

أنّ مَن عادى أولياء الله فقد عرَّض نفسه لوعيد الله بمحاربته، ومَن حاربه الله فهو مغلوب مهزوم مخذول.

قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ**[2] **بِالحَرْبِ**»[3].

خاتمة في ذكر أهمية الاعتصام بالقرآن والسنة للنجاة من الضلال:

قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَنْ لَا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ»[4].

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ: ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة، وهذا مما اتفق عليه سَلفُ الأمة وأئمتها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٥، ٣٧٦) باختصار.

(٢) آذنته: بالمد وفتح المعجمة، بعدها نون، أي: أعلمته. والإيذانُ: الإعلام، ومنه أُخِذ الأذانُ- فتح الباري (١١/ ٣٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٨)، (١٣/ ٣٧١).

فالواجبُ أنْ يُنظر في هذا الباب، فما أثبته الله ورسُوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسُوله نفيناه، والألفاظُ التي ورَدَ بها النص يُعتصم بها في الإثبات والنفي، فنُثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته النصوص من الألفاظ والمعاني[1].

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٥٤).

فصل

في ذكر الخلاف في صحة إيمان المقلد في العقائد وفي جوازه وعدمه

قال المؤلفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٥٤ - وكلُّ ما يُطلبُ فِيهِ الجزم ... فَمنعُ تقليدٍ بِذاكَ حتم

٥٥ - لأنهُ لا يُكتفى بالظَّنِّ ... لِذِي الْحِجَا في قَوْلِ أهلِ الفنِّ

٥٦ - وقِيلَ: يَكفي الجزمُ إِجمَاعًا بما ... يُطلبُ فِيهِ عند بَعضِ العُلمَا

٥٧ - فالجازِمُون منْ عوامِّ البشَرْ ... فمُسلمونَ عندَ أهلِ الأثرْ

الشرح

هذا الفصلُ في مسألة الاعتقاد، هل يجوزُ التقليدُ أو لا يجوز؟ وهذه المسألة مهمة جدًّا.

فعلماءُ الكلام يقولون: إنه لا يجوز التقليدُ في أمور العقيدة بل لا بد من النظر والاستدلال بالأدلة العقلية، لأنَّ الأدلة العقلية عندهم تُفيد اليقينَ، وأما الأدلة السمعية - وهي أدلة الشرع عندهم - فإنها لا تُفيدُ اليقينَ، ولذلك يُوجبون على الخلق النظرَ في الأدلة العقلية حتى يتوصلوا إلى الاعتقاد الجازم.

وهذا القولُ لا شك أنه باطلٌ، لأنَّ أمورَ العقيدة أغلبها أو كُلّها من أمُور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سُبحانه وتعالى، والعقلُ لا يتوصَّلُ إلى أمور

الغيب، وإنما يَعتمد على أخبار الشَّرع التي نزلت بها الكتب، وجاءت بها الرسُل، وهي تفيدُ اليقينَ والجزم، لأنها من عند الله عز وجل، أو من عند رسل الله، وهم أعلم بالله سبحانه، فالاعتمادُ عند أهل العلم في العقيدة على أدلة الشرع، أما أدلةُ العقل فلا يُعتمَدُ عليها اعتمادًا كُليًّا، بل يُستفاد منها، لكن لا يُقتصَرُ عليها في إثبات العقيدة، لأنَّ العقلَ قاصرٌ وعاجزٌ عن إدراك الأمور كُلّها، وإنما يُعتمَدُ على كلام الله جلّ وعلا وكلام رسُوله في أمور العَقيدة.

وأما التقليد: فهو قبُولُ قول الغير من غير دليل، يعني: من غير أنْ يَطلب المقلدُ الدليلَ، لأنَّ المقلدَ لا يعرفُ الدليلَ، وإنما يُقلد غيره.

والتقليد على قسمين:

تقليد بمعنى الاتباع والاقتداء، وهذا يكون اقتداء بأهل العلم والبصيرة الذين يجوز تقليدهم والاقتداء بهم، إذا كانوا علماء محققين؛ لأنَّ يوسُفَ عليه السلام قال: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [يوسف: ٣٨]، فالاقتداءُ والاتباع إذا كان على حَق فإنه صحيحٌ وحَقٌّ.

أما الاقتداء بعُلماء الضلال: فلا يجوز، لا في أمر العقيدة ولا في غيرها، بل هذا هو التقليدُ الأعمى.

أما التقليدُ الصحيح الذي يكون في اتِّباع أهل الحق وأهل العلم، فهذا لا بأس به.

ثم إنَّ العوام – أيضًا – لا يستطيعون معرفة تفاصيل العقيدة، وإنما هذا من شأن العُلماء، أما العوام فيُكتفى منهم بالاعتقاد المجمل، قاله الفوزان حفظه الله.

ودليل ذلك: أنَّ الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فعوام المسلمين لا يستطيعون معرفة تفاصيل العقيدة، فيَكفي عوام المسلمين الاعتقاد المجمَل، للآية المذكورة، وكذا كان الناسُ يدخلون في الإسلام بالنطق بالشهادتين.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الآتي بالشهادتين مُؤمنٌ حقًّا، وإن كان مُقلدًا، على مذهب المحققين والجماهير من السَّلف والخلف، وقد تظاهَرت بهذا الأحاديث الصحاح التي يحصل بمجموعها التواتر والعلم القطعي(١).

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإنه وإنْ كان يظن طوائف من المتكلمين أو المتفلسفة أنَّ الشرعَ إنما يدلّ بطريق الخبر الصادق، فدلالته موقوفة على العلم بصدق الخبر، ويجعلون ما يُبنى عليه صدق الخبر معقولات محضة، فقد غلطوا في ذلك غلطًا عظيمًا، بل ضلوا ضلالًا مُبينًا، في ظنهم أنَّ دلالة الكتاب والسنة إنما هي بطريق الخبر المجرد، بل الأمر ما عليه سَلف الأمة أهلُ العلم والإيمان، من أنَّ الله سُبحانه وتعالى بيَّن من الأدلة العقلية التي يُحتاجُ إليها في العلم بذلك ما لا يَقْدِرُ أحدٌ من هؤلاء قدْرَه، ونهاية ما

---

(١) نقلًا من لوامع الأنوار (١/ ٢٧٠).

يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجْه [١].

الخلاصة:

أنَّ قولَ الناظم «**وكُلّ ما يُطلبُ فيه الجزم فمنع تقليد بذاك حتم**» هذا ليس على الإطلاق؛ لأنَّ عوام المسلمين ليس لكُلّ واحد منهم القدرة وآلة الاجتهاد للتوصل إلى تفاصيل مسائل العقيدة، فيُكتفى منهم بالاعتقاد المجمَل، كالإيمان بالله والملائكة واليوم الآخر وبالحساب والجنة والنار، وأنّ محمدًا ﷺ رسول الله، وفرض الصلاة والزكاة والصيام والحج، وغير ذلك من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.

أما تفاصيلُ هذه المسائل وغيرها: فله أن يُقلد العلماءَ الربانيين - أهل السنة والجماعة - لأنَّ علمهم مُستقى من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومَن تبعهم بإحسان، وقد أمر الله تعالى بسُؤالهم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء].

أما تقديمُ العقل والاجتهاد على نُصوص الشرع، فهذا منهجُ أهل الكلام وأهل البدع، وهو مخالفٌ للعَقل والنقل معًا.

وقوله: «لأنه لا يُكتفَى بالظَّنِّ...»:

عَلّل منعَ التقليد بأنه «لا يُكتفَى بالظن» الذي هو ترجيحُ أحَد الطرفين على الآخر في أصول الدين.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٥).

قوله: «لذي الحِجا»:

بكسر الحاء، أي: العَقل، في قول عُلماء المعقول.

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن كان طوائف من أهل الكلام يزعمون أنَّ المسائلَ الخبرية- التي يُسمّونها مسائل الأصول- يجب القطع فيها جميعها، ولا يجوزُ الاستدلالُ فيها بغير دَليل يُفيدُ اليقينَ...، خطأٌ مخالفٌ للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها[١].

وما يقوله كثير من الناس في باب أصول الدين والكلام والعلوم العقلية والحكمة يعلم كُلّ من تدبره أنه مخالفٌ لما جاء به الرسول أو أن الرسول لم يقل مثل هذا، وإن اعتقد من اعتقد أن هذا من أصول الدين... والفلاسفة الأولية صار كثير منهم يقول: إن الرسول لم يكن يعرف أصول الدين، أو لم يبين أصول الدين[٢].

وقوله:

وقيل يكفي الجزم إجماعًا ... بما يطلب فيه عند بعض العُلما

وهذا هو القولُ الثاني وهو الصحيحُ، الموافقُ للكتاب والسنة وإجماع الأئمة.

«وهذا قول ثانٍ في هذه المسألة، وهو أنه يكفي الجزمُ بما يُطلب فيه الجزم، ولو عن طريق التقليد، فالإيمانُ بالله وملائكته وكتبه ورسُله واليوم

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٥٢).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤) باختصار.

الآخر هذا مما يجب فيه الجزم، ولكن العامي لا يدركُ ذلك بدليله، ومع ذلك نُصحِّح إيمانه، ونقول: إنه مُؤمنٌ، وإنْ كان لا يُدركُ ذلك بدليله.

ولهذا قال المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل يكفي الجزم إجماعًا»: يعني أنه إذا وجد الجزم حصل المقصودُ، بالإجماع.

وقوله: «بما يطلب فيه»:

نائب فاعل «يطلب» يعود على الجزم، يعني: يكفي الجزم بما يُطلب فيه الجزم، بالإجماع، وقائلُ هذا بعض العلماء، ولهذا قال: «عند بعض العُلما».

«هذا القولُ هو الصحيح، والدليلُ على ذلك أنَّ الله أحال على سُؤال أهل العلم في مسألة من المسائل التي يجب فيها الجزم، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾ [الأنبياء].

وواضحٌ أننا نسألهم لنأخذ بقولهم، ومعلومٌ أنّ الإيمانَ بأنّ الرسلَ رجالٌ هو من العقيدة، ومع ذلك أحالنا الله فيه إلى أهل العلم.

وقال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٩٤﴾ [يونس] وإنما يسألهم ليرجع إليهم، وإذا كان هذا الخطابُ للرسول ﷺ ولم يشك، فنحن إذا شككنا في شيء من أمور الدين، فنرجع إلى الذين يقرءون الكتاب، أي: إلى أهل العلم؛ لنأخذ بما يقولون، وهذا عامٌّ يشمل مسائلَ العقيدة.

ثم إننا لو ألزمنا العامي بترك التقليد والتزام الأخذ بالاجتهاد لألزمناه

بما لا يطيق، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [المؤمنون].

فالصوابُ المجزوم به: هو القولُ الثاني، وهو أنَّ ما يُطلب فيه الجزم يُكتفى فيه بالجزم، سواء عن طريق الدليل أو عن طريق التقليد»[(١)].

وقوله: «فالجازمون من عوام البشر»:

المقصودُ أنّ عوام المسلمين لا يُطلبُ منهم ما يُطلب من العُلماء.

وقوله: «فمسلمون عند أهل الأثر»:

أي: إيمانهم صحيح بما عندهم من مُجمَل الاعتقاد، وإسلامهم صحيحٌ عند أهل الأثر، الذين يرون أنه يجوز التقليد في الأمور التي يُطلب فيها الجزم، كما تقدم بيانه.

مسألة: هل بين أهل السنة والجماعة خلاف في مسائل الاعتقاد؟

اعلم أنّ أصولَ الاعتقاد ليس فيها خلافٌ بين أهل السنة، إنما وقع الخلاف بينهم في فروع بعض مسائل العقيدة.

على سبيل المثال: أهلُ السنة مجمعون على أنّ الله تعالى يُرَى في الآخرة، فقد قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ [القيامة].

وأجمعوا أيضًا على أن الله تعالى لا يُرَى في الدنيا، قال سبحانه لموسى

---

(١) شرح هذه العقيدة لابن عثيمين (ص: ٣٠٥) وما بعدها.

عندما أراد رؤيته: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، والأدلة على ذلك كثيرة سنذكرها في موضعها إن شاء الله، فهذا أصلٌ من أصول اعتقاد أهل السنة، خلافًا للمعتزلة ومَن وافقهم.

ولكن وقع الخلاف في فرع عن هذا الأصل، ألا هو: هل رأى النبي ﷺ ربه يوم الإسراء والمعراج؟ على قولين للعلماء، وسنذكر أدلة ذلك في موضعه.

مسألة الصفات: أجمع أهلُ السنة على أنَّ صفات الله أزلية أبدية، لم يسبقها عَدَم، ولا يلحقها فناءٌ- مع أخذ التفصيل الذي ذكرناه في صفات الأفعال في الاعتبار- وأجمعوا أنّ صفات الله حقيقة لا مجاز.

ولكن اختلفوا في ثبوت «الساق» لله تعالى، فهذه مسألة فرعية عن أصل، وهو إثبات صفاته سبحانه من غير تعطيل ولا تمثيل، ومن غير تكييف ولا تحريف.

قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد طالعتُ التفاسير المنقولة عن الصحابة، وما رووه من الحديث، ووقفتُ من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار، أكثر من مائة تفسير، فلم أجد - إلى ساعتي هذه - عن أحد من الصحابة أنه تأوّل شيئًا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل عنهم من تقريرِ ذلك وتثبيته وبيانِ أنَّ ذلك من صفاتِ الله ما يُخالف كلامَ المتأوّلين ما لا يُحصيه إلا الله، وكذلك فيما يذكرونه آثرين وذاكرين عنهم شيئًا كثيرًا. وتمامُ هذا أني لم

أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ [القلم: ٤٢].

فروي عن ابن عباس وطائفة: أنّ المرادَ به الشدةُ، وأنَّ الله يكشف عن الشدة في الآخرة.

وعن أبي سعيد وطائفة: أنهم عدوها في الصفات؛ للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين(١)(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما اختلف أهلُ الكلام لما أعرضوا عن الكتاب والسنة، فلما دخلوا في البدع وقع الخلافُ... إلى أن قال: وهكذا الفقه، إنما وقع فيه الاختلاف لما خَفي عليهم بيانُ صاحب الشَّرع، ولكن هذا إنما يقع النزاعُ في الدقيق منه، أما الجليلُ فلا يتنازعون فيه، والصحابة أنفسهم تنازعوا في بعض ذلك، ولم يتنازعوا في العقائد(٣).

قال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولو اعتصموا بالكتاب والسنة لاتَّفقوا كما اتفق أهل السنة والحديث، فإنّ أئمة السنة والحديث لم يختلفوا في شيء من أصول

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤).

(٢) هو ما أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديث الشفاعة، وفيه: «... فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ... » الحديث، واللفظ للبخاري.

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٧٤) وانظر منهاج السنة (٦/ ٣٣٦).

دينهم[١].

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف: في كتابه الذي سماه «اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات» قال في آخر خطبته: فاتفقت أقوالُ المهاجرين والأنصار في توحيد الله عز وجل، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولًا واحدًا، وشَرعًا ظاهرًا، وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك، حتى قال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**...»[٢] وذكر الحديث...

فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق، من غير اختلاف- وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم، إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في أحكام التوحيد وأصول الدين من «الأسماء والصفات» كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنُقل إلينا، كما نُقل سائر الاختلاف- فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم، حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان، فاستقر صحة ذلك عند العُلماء المعروفين، حتى نقلوا ذلك قرنًا بعد قرن، لأنَّ الاختلافَ كان عندهم في الأصل كُفر، ولله المنة[٣].

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عندما سُئل عن رجلين اختلفا في الاعتقاد؟: **قال:** الحمد لله، اعتقادُ الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ واعتقادُ سلف الإسلام، كمالك، والثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقادُ

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٠٣).

(٢) حديث العرباض بن سارية وهو صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٧١).

المشايخ المقتدَى بهم؛ كالفُضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، وسهل بن عبد الله التستُري وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة وأمثالهم نزاعٌ في أصول الدين.

وكذلك أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ فإنّ الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدَر ونحو ذلك، مُوافقٌ لاعتقاد هؤلاء، واعتقادُ هؤلاء ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وهو ما نطق به الكتابُ والسنة[1].

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٥٧).

الباب الثاني
في الأفعال المخلوقة

أحمر أسود (٣٣٠)

قال صاحب النظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٨ - وَسَائرُ الأشْياء غيرَ الذاتِ وَغَيرَ ما الأسماء والصِّفَاتِ

٥٩ - مَخْلوقةٌ لربِّنَا من العَدَمْ وَضلَّ مَنْ أثْنى عَليهَا بالقِدَمْ

الشرح

أي: أنّ جميعَ الأشياء مخلوقة، أوجَدَها الله من العَدَم، فهو الخالق البارئ المصوِّر، وهو على كُلّ شيء قدير.

وقوله: «غير الذات..»:

أي: أنّ الذاتَ المقدَّسة والأسماء والصفات وأفعاله غير مخلوقة، وما عدا ذلك فهو مخلوقٌ، مُحدَث بعد أنْ لم يكن، فكُلّ ما سُوى الله تعالى مسبوقٌ بالعدم، وهذا مما أجمع عليه عُقلاء المسلمين.

قال رَسُولُ الله ﷺ: «اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ»[(١)].

وقوله: «وضل مَن أثنى عليها بالقدم»:

أي: ضَلَّ وحاد عن الطريق المستقيم مَن أثنى على آحاد أفعال الله تعالى ووصفها بأنها قديمة، لأنّ أفعالَ الله قديمة النوع حادثة الآحاد- وقد سبق استيفاء المسألة[(٢)] - فالحاصل أنَّ الله جلّ في عُلاه لم يزل ولا يزال مُتصفًا بصفات الكمال ونُعوت الجلال، صفاته لا يسبقها عَدَم، ولا يلحقها فناء، أوَّل بلا متى، آخر بلا مُنتهى.

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) راجع شرح البيت الرابع والثلاثين.

أما صفات الأفعال - كما سبق - فجنس الفعل لم يزل ولا يزال الله تعالى مُتصفًا به، لا بداية لأفعاله، كما لا بداية لسائر صفاته، فهو سبحانه لم يكن مُعطلًا عن الفعل في وقت من الأوقات، لأنَّ الفعلَ صفة كمال؛ فلا تنفك عن الله، فلم يزل فعالًا لما يريد ولم يزل خلاقًا. أما آحاد الفعل - أي المفعول - فهو حادثٌ، ودليلُ ذلك أننا نرى الأشياء تحدث وتتجدد بعد أن كانت عَدَمًا، ولم تكن أزلية أبدية، فكُلّ ما في الكون - الإنس والجن، والملائكة، وما في السموات، وما في الأرض وغيرها من المخلوقات - مخلوقٌ مسبوقٌ بالعَدَم.

إذًا: أفعالُ الله تتجدّد أعيانها، وأما جنسها فهو قديمٌ لله عز وجلّ، أزلي أبدي، فأي عاقل لا بد أنْ يعلم ويُفرق بين المفعول وبين الفعل والفاعل.

أما الفلاسفة فقالوا: العالمُ قديم، وليس بمحدَث، وكيف لعاقل أن يتكلم بهذا الكلام؟ الذي إن دلّ على شيء فإنما يدل على ضلال صاحبه، إذ أنه ساوى بين الخالق سبحانه وبين المخلوق، وهذا شرعًا ضلالٌ وكُفر، وأما عقلًا: فكيف يكون المخلوق قديمًا؟ وكُلّ موجود - سُوى الله - كان عَدَمًا قبل وجوده، ثم أوجده الخالق سبحانه وتعالى، فأدلة العقل - والفطرة التي لم تنحرف - تشهد بذلك، فضلًا عن أدلة النقل التي يصعُب حصرها.

وقد أفاد وأجاد شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه المسألة[١].

---

(١) راجع - إن شئت - مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٤٤).

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٠ - وربّنَا يخلُقُ باخْتِيَارْ مِنْ غيرِ حاجةٍ ولا اضْطِرَارْ

٦١ - لكنَّهُ لا يخلُقُ الخلْقَ سُدَى كما أتَى في النصِّ فاتبعْ الهُدَى

الشرح

أي: أنَّ ربنا - تبارك وتعالى - يخلق ما يشاء من المخلوقات باختيار منه، فهو سبحانه لم يزل فعالًا لما يشاء، ويخلق ما يشاء متى شاء، قال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الآيات فيها عموم خلقه لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريَّات، وانفراده باختيار مَن يختاره ويختصه من الأشخاص والأوامر، والأزمان والأماكن، وأنَّ أحَدًا ليس له من الأمر والاختيار شيء(١). انتهى.

فالله سبحانه يخلق ويختار لحكمة قد نعلمها وقد لا نعلمها، فخلق الأرض، وجعل أفضل البقاع المساجد، وأفضل البلاد مكة، وخلق الزمان، فجعل أفضل الأشهر رمضان، وأفضل الليالي ليلة القدْر، وأفضل الأيام يوم الجمعة، وأفضل الساعات الثلث الأخير من الليل وساعة الإجابة يوم الجمعة.

وخلق الملائكة، واختار أفضلهم جبريل عليه السلام، وخلق البشر، وجعل سيدهم نبينا ﷺ، إلى غير ذلك، ولكُلّ ما ذكرت أدلة ثابتة بالكتاب والسنة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٢٢).

فالله تعالى يفعل ما يشاء كيف شاء، متى شاء، لا مكره له سبحانه وتعالى؛ قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ [الحج]، وقال: ﴿وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم]، وغير ذلك من الآيات الدالة على ما ذكرنا.

وقوله: «من غير حاجة ولا اضطرار»:

أي: أنَّ الله تعالى خلق الخلقَ، وهو ليس في حاجة إلى شيء من مخلوقاته، فلا العرش يحمله، ولا الكرسي يُقِلُّه، ولا عبادةُ الخلق تنفعه، أو تزيد في مُلكه شيئًا، فهو سبحانه الخالق قبل الخلق، وكان ولم يكن شيءٌ معه، فجميعُ مخلوقاته في حاجة إليه، مُفتقرة لعطائه وإمداده، وهو الغني عن العالمين، فلا اضطرار ولا حاجة باعثة له سبحانه على خلقه للمخلوقات، ولا مُكره له عليها، بل جميع المخلوقات مأمُورة بأمره ومشيئته.

قال- جل ذكره- في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّى فَتَضُرُّونِى، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِى، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِى مُلْكِى شَيْئًا، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِى شَيْئًا، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِى صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِى فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِى إِنَّمَا

هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»(١).

وقوله: «لكنه لا يخلُقُ الخلق سُدى»:

أي: أنّ الله تعالى لم يخلق الخلق سُدى، أي هَمْلًا، بلا أمر ولا نهي، ولم يخلق شيئًا بلا حِكمة، فالله تعالى العليم الحكيم، عَلِمْنا الحِكَم أم لم نعلمها.

قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون].

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الدخان].

وقال سُبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية: لا يُؤمَر ولا يُنهى.

وقال غيره: لا يُثاب، ولا يُعاقَب(٢).

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والقولان واحد، لأنَّ الثوابَ والعقاب غايةُ الأمر والنهي، فهو سبحانه خلقهم للأمر والنهي في الدنيا، والثواب والعقاب في الآخرة، فأنكر سبحانه على مَن زعم أنه يُترك سُدى إنكارَ مَن جعل في العقل استقباح ذلك واستهجانه، لا يليق أنْ يُنسب ذلك إلى أحكم الحاكمين(٣). انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) بدائع التفسير (٥/ ٨٨) لابن القيم.

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٣٣٩-٣٤٠).

أحمر أسود (٣٣٦)

والحكمةُ من خلق العباد: هي عبادة الله الواحد الأحد. قال جل ثناؤه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات].

وقوله: «كما أتى في النص فاتبع الهدى»:

أي: كما أتى هذا المعنى «في النص»، أي: الكتاب والسنة، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جدًّا، وقد سبق بيان ذلك، «فاتبع الهدى» يعني: ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، ووعد الله تعالى مَن اتبع الهدى أن لا يَضلّ في الدنيا ولا يَشقى في الآخرة.

قال جَلَّ ذكره: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣﴾ [طه].

قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٢ - أفعالُنا مخلوقةٌ للهِ لكنَّها كسبٌ لنا يَا لَاهِي

٦٣ - وَكُلُّ مَا يفعَلُه العِبادُ مِنْ طاعةٍ أو ضِدِّها مُرادُ

٦٤ - لِرَبِّنا مِن غيرِ مَا اضطِرَارِ منهُ لَنَا، فافْهَمْ ولا تُمَارِ

الشرح

ذكر صاحبُ النظم رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الأبيات جملة من أصول الاعتقاد عند أهل السنة، نذكرها هنا مُفصَّلة بالأدلة.

قوله: «أفعالنا مخلوقة لله»:

وهذا من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا مَرْوَانُ بن مُعَاوِيَة، ثنا أَبُو مَالِكٍ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ**»(١). وتلا بعضهم عند ذلك: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات]، فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة...

وساق حديث ابن عُمَر، وفيه أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ،**

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١١٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٧،٥٧٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٥٧-٣٥٨) وابن منده في التوحيد (١١٥)، وابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٥٠٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٣٧)، والحديث يوافق الآية الكريمة.

حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ»[(١)].

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: سمعتُ عبيد الله بن سعيد يقول: سمعتُ يحيى بن سعيد يقول: ما زلتُ أسمع من أصحابنا يقولون: إنَّ أفعالَ العباد مخلوقة.

قال أبو عبد الله البخاري: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة[(٢)]، انتهى.

أما القدَرية النُّفاة من المعتزلة، ومَن وافقهم، فيقولون: إنّ الكفرَ والفسوقَ والمعاصي لا يحبها الله ولا يرضاها، وهذا حق، ثم استدلوا بهذا الحق على قولهم الباطل بأنَّ أفعالَ العباد- خيرها وشرها- لم يخلقها الله بقُدرته ومشيئته، بل العباد هم الخالقون لأفعالهم - تعالى الله عما يقول هؤلاء المبطلون- وقد سبق بيان الفرق بين المحبة والرضا، والمشيئة والإرادة[(٣)]، فالله تعالى خالقُ كُلّ شيء، خلق الخيرَ والشر، والطاعات والمعاصي، فكُلّ أقوال وأفعال وإيرادات وحَركات وسَكنات العباد مخلوقة، خلقها الله بقُدرته، وأرادها وشاءها لحكمة، وأعطى للعبد القُدْرة والمشيئة على الاختيار والفعل، وبيَّن له طريقَ الخير وطريقَ الشر، وكُلّ ذلك تابع لمشيئته وإرادته ومُقتضى حِكمته، فهو أعلمُ بمن يستحق الهداية ومَن يستحق الغواية.

قال الله جل وعلا: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

(٢) خلق أفعال العباد (ص: ٦٣-٦٦) باختصار.

(٣) راجع شرح البيت السادس والثلاثين.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ أي: طريقًا ومَسلكًا، أي مَن شاء اهتدى بالقرآن، كقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [النساء].

ثم قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، أي: لا يقدر أحد أنْ يهدي نفسه، ولا يدخل في الإيمان، ولا يجر لنفسه نفعًا ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾، أي: عليمٌ بمن يستحق الهداية فييسرها له، ويُقيض له أسبابها، ومَن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة والحجَّة الدامغة، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾.

ثم قال: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾﴾، أي: يهدي مَن يشاء، ويُضل مَن يشاء، فمَن يهده فلا مُضل له، ومَن يُضلل فلا هادي له(١).

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض كلامه عن القدَر: من مراتب القضاء والقدر: وهي مرتبة خلق الله سبحانه الأعمال وتكوينه وإيجاده لها.

وهذا أمر متفقٌ عليه بين الرسل - صلى الله تعالى عليهم وسلم- وعليه اتفقت الكتب الإلهية، والفطرة، والعقول، والاعتبار، وخالف في ذلك

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٣).

مجوس الأمة؛ فأخرجت طاعات ملائكته وأنبيائه ورسُله وعباده المؤمنين- وهي أشرف ما في العالم- عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته، بل جعلوهم الخالقين لها، ولا تعلق لها بمشيئته، ولا تدخل تحت قُدرته، وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الاختيارية، فعندهم أنه سبحانه لا يقدر أنْ يهدي ضالًّا ولا يضل مُهتديًا، ولا يقدر أن يجعل المسلم مسلمًا، والكافر كافرًا، والمصلي مُصليًا، وإنما ذلك بجعلهم أنفسهم كذلك، لا بجعله تعالى.

وقد نادى القرآن - بل الكتب السماوية كُلّها - والسنة وأدلة التوحيد والعقول على بُطلان قولهم، وصاح بهم أهل العلم والإيمان من أقطار الأرض، وصنَّف حزب الإسلام وعصابة الرسول وعسكره التصانيف في الرد عليهم، وهي أكثر من أن يحصيها إلا الله[(١)].

وقوله: «لكنها كسب لنا يا لاهي»:

أي: أن أفعالنا التي تصدُر عنا كسْبٌ لنا، والكسبُ هو الفعل[(٢)]، أي أنَّ العبدَ هو الذي يفعلها، وثوابها أو عقابها له.

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

---

(١) شفاء العليل (١٢٧).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٨/ ٣٨٧).

وقوله: «يا لاهي» أي: يا غافل، واللهو محله القلب، واللعبُ محله البدن.

والمقصود هنا: التنبيه؛ لئلا يقع في ضلال القدَرية النفاة، ولا الجبرية الذين نفوا الفعل عن العبد، وأضافوه للرب تعالى، كما سيأتي بيانه.

وقوله:

وكُـلُّ مَـا يَفعلُـهُ العِبَـادُ ... مِـن طَاعَـةٍ أَو ضِـدِّهَا مُـرَادُ

سبق بيانُ أنَّ الإرادة - كما جاءت في القرآن- نوعان:

١- إرادة قدَرية كونية.

٢- إرادة دينية شرعية.

أي: أن ما يفعله العباد من طاعة وضدها - وهي المعصية - فهو مراد الله، وقع بقدَر الله وإرادته.

أما الطاعة: فتقع بالإرادة الدينية الشرعية، والإرادة القدَرية الكونية.

وأما المعصية: فتقع بالإرادة القدَرية الكونية، وتقع بمشيئته وإرادته - سبحانه وتعالى- لحكمة، ولكنه لا يحبها ولا يرضاها لعباده.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥﴾ [البقرة].

وقال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، فنفى حبه للفساد، ونفى رضاه عن الكفر، وقد سبق استيفاء المسألة(١).

واعلم أن الإرادة الدينية الشرعية قد يقع المرادُ منها، وقد لا يقع، فالعبد مأمور بفعل الطاعات، ولكن قد يفعلها، وقد لا يفعلها، ولا يخرج

(١) راجع شرح البيت السادس والثلاثين.

أحمر أسود (٣٤٢)

ذلك كُلّه عن مشيئته وإرادته وحِكمته.

أما الإرادة القدرية الكونية: فيلزم فيها وقوع المراد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

وقوله:

لِرَبِّنَا مِنْ غَيْرِ مَا اضْطِرَارِ ... مِنْهُ لَنَا فَافْهَمْ وَلَا تُمَارِ

هذا أصلٌ من أصول اعتقاد أهل السنة، ردًّا على الجبرية، الذين قابلوا الباطل الذي قاله القدَرية النفاة بباطل مثله وأشد، فزعموا أنّ العبدَ ليس له قدْرة ولا مشيئة على فعل طاعة أو ترك معصية، وهذا عندهم كذلك في أمور الحياة التي لا تعلق لها بالشرع.

قالوا: العبدُ مُجْبَر على ما يفعله، فنفوا الفعل عن العبد، وأضافوه إلى الله، وهذا بهتانٌ عظيم، وضلالٌ مبين، يخالف العقل والنقل والفطرة السليمة.

فالعبدُ له إرادة وقدْرة واختيار وفعل، وهو الكسب، والله تعالى خلق أفعال العباد كما خلق العباد أنفسهم، ولكن ما يفعله العبد يكون منه هو حقيقة لا مجازًا، فالذي يصلي ويصوم ويحج ويفعل الخيرات أو يفعل المعاصي هو العبد، لا الرب تعالى.

والقرآنُ مملوءٌ بذكر إضافة هذه الأفعال إلى العباد، وأنها وقعت بمشيئته وإرادته سبحانه، وباختيار العبد، ولا تعارضَ بين خلق الفعل واختيار العبد؛ فأفعالنا منسوبة إلى الله خلقًا وتقديرًا، ومنسوبة لنا فعلًا وكسبًا.

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس].

قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾: «بيَّن لها الخير والشر».

وقال ابنُ زيد: جعل فيها فُجورها وتقواها[(١)].

قال القاسمي رحمه الله: أي زكّى نفسه وطهّرها من رجس النقائص والآثام، أو نماها بالعلم والعمل والوصول إلى الكمال، وبلوغ الفطرة الأولى ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ أي: أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي، وترك طاعة الله تعالى، وهذا ما قاله ابن جرير[(٢)].

وقال جلّ ذكره: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان].

قال القرطبي رحمه الله: أي بيَّنا له طريقَ الهدى والضلال، والخير والشر، ببعث الرسل، فآمن أو كفر، كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد].

وقال مجاهد رحمه الله: أي: بيَّنا له السبيلَ إلى الشقاء والسَّعادة[(٣)].

قال المروزي رحمه الله: قلتُ لأبي عبد الله: رجلٌ يقول: إنَّ الله جبَر العبادَ، فقال: هكذا لا تقُل، وأنكر هذا، وقال: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣][(٤)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٤٦).
(٢) محاسن التأويل (٧/ ٣٣١).
(٣) تفسير القرطبي (١٩/ ١١٩).
(٤) أخرجه الخلال في السنة (٩٢٠).

قال الخلالُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبرني محمد بن أبي هارون، أن إسحاقَ حدَّثهم قال: كنتُ يومًا عند أبي عبد الله، فجاء رجلٌ، فقال له: إنَّ فلانًا قال: إنَّ الله جبَرَ العبادَ على الطاعة، قال: بئس ما قاله(١).

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ومما اتفق عليه سلفُ الأمة وأئمتها – مع إيمانهم بالقضاء والقدَر – أنّ الله خالقُ كُلّ شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يُضل من يشاء ويَهدي من يشاء، وأنّ العبادَ لهم مشيئة وقُدْرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدَرَهم الله عليه، مع قولهم إنّ العبادَ لا يشاءون إلا أنْ يشاء الله، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [المدثر: ٥٤-٥٦]، وساق آيات أخر كما تقدم.

ثم قال: والقرآنُ قد أخبر بأنَّ العبادَ يُؤمنون، ويكفرون، ويفعلون، ويعملون، ويكسبون، ويُطيعون، ويعصون، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة... ويأكلون ويشربون، ويقاتلون ويحاربون، فلم يكن من السلف والأئمة مَن يقول: إنَّ العبدَ ليس بفاعل، ولا مختار، ولا مُريد، ولا قادر، ولا قال أحَدٌ منهم: أنه فاعلٌ مجازًا، بل مَن تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز مُتفقون على أنَّ العبدَ فاعلٌ حقيقة، والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله(٢).

---

(١) السنة للخلال (٩٢١).
(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٩-٤٦٠).

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦٥ - وَجَـازَ للمَـولَى يُعـذبُ الْـوَرَى ... مِـنْ غَيـرِ مَـا ذَنْـبٍ وَلَا جُـرم جَـرَى

٦٦ - فَكُـلُّ مَـا مِنْـهُ تَعَـالَى يَجمُـلُ ... لأَنَّــهُ عَــنْ فِعلِــهِ لا يُــسأَلُ

٦٧ - فَـإِن يُثِـبْ فَإِنَّـهُ مِـنْ فَـضْلِه ... وَإِن يُعَــذِّب فَــبِمَحضِ عَدلِــهِ

٦٨ - فَلَمْ يَجِبْ عَلَيهِ فِعلُ الأَصلَحِ ... وَلا الـصَّلاحِ وَيـحَ مَـنْ لَـم يُفْلِـحِ

٦٩ - فَكُـلُّ مَـن شَـاءَ هـدَاهُ يَهتَـدِي ... وَإِنْ يُــرِد ضَــلَالَ عَبــدٍ يَعتَــدِي

الشرح

المولى: من أسماء الله عز وجل، وقد أثبته جماهيرُ العلماء الذين اعتنوا بجمع الأسماء.

وقد ورَد مُضافًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾ [محمد].

وفي حديث البَرَاءِ الطويل لما قَالَ أَبُو سُفْيَانَ - وكان قبل إسلامه-: إن لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «أَلا تجِيبُونَهُ» قال: قَالُوا: يا رَسُولَ الله: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ»(١).

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٩٨٦، ٤٠٤٣، ٤٥٦١) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحليميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى المولى: إنه المأمُولُ منه النّصر والمعونة؛ لأنه هو المالك، ولا مَفْزَعَ للمَملوك إلا مالِكُهُ[١].

وقد سبق بيان أقسام الولاية[٢].

وقوله:

وجاز للمولى يُعذِّبُ الورى   من غير ما ذنبٍ ولا جُرْم جَرى

أي: جاز للمولى – سُبحانه وتعالى – أنْ يُعذِّبَ «الورى» أي الخلق.

وهذا الكلامُ لا يجوز، لأنه غيرُ صحيح، وهو مما يُؤخَذ على الناظم، لأنَّ ما قاله يُخالف النصوصَ التي تثبت كمالَ عَدْل الله تعالى، وأنه لا يبخسُ الناسَ شيئًا، ومع كمال عَدْله فهو الحكيمُ الذي يضعُ الأشياءَ في مواضعها، ومن المحال على الحكَم العَدْل أنْ يُعذِّب مُطيعًا مُحسنًا، وأنْ يُثيب عاصيًا مُذنبًا أو كافرًا فاسقًا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤﴾ [يونس].

وقال سبحانه: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦﴾ [القلم].

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (ص: ١١٤).

(٢) راجع شرح البيت الثالث والخمسين.

وقولـه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فـصلت]. والآيـات في ذلـك كثيرة.

وفي الحديث القدسي أنَّ النبي ﷺ رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»[1].

قال ابن العثمين رَحِمَهُ اللهُ -في معرض شرحه لهذا البيت-: قولًا باطلًا مخالفًا للكتاب والسنة، ومخالفًا لما تقتضيه أسماء الله وصفاته[2].

قال صالح الفوزان حفظه الله: هذا كلام غير سليم، وهو يجري على مذهب الأشاعرة الذين ينفون الحكمة في أفعال الله جلَّ وعلا، فيقولون: إن الله يفعل لمجرد المشيئة، لا لحكمة، فيجوز أن يعذب المطيع، وأن ينعم على الكافر؛ لأنه يفعل ما يشاء[3].

وأما أهل السنة فيقولون: هذا باطل في حق الله سبحانه وتعالى، فإنه لا يليق به أن يُنعّم الكافر وأن يعذب المؤمن، لا يليق بحكمته سبحانه وتعالى، وبرحمته، وجاءت الأدلة في الكتاب والسنة في أنه أعدَّ للمتقين الجنات، وأعد للكافرين النار، هذا الذي جاء في الكتاب والسنة، فكيف تقولون: يُعذب الورى من غير ما ذنب ولا جرم جرى.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) شرح السفارينية (ص: ٣٤٢).

(٣) شرح السفارينية لجمع من العلماء (ص: ٤٢٨-٤٢٩).

وقوله:

فكُـلُّ مَـا مِنْـهُ تَعَـالَى يَجمُـلُ لأَنَّـهُ عَـنْ فِعْلِـهِ لا يُـسْأَلُ

الله جلّ وعَلا له الجمالُ والكمالُ في الأسماء والصفات والأفعال، كُلّ شيء يَصدُر عنه حَسَنٌ ومحمودٌ، يستحق أن يُشكَر على إنعامه وإحسانه، ويستحق أن يُحمد عليها لذاته وصفاته، فله الحمد كُلّه، وبيده الخير كُلّه، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]؛ لتمام عدْله وحكمته وحمده، فلا يظلم أحدًا، بل يُضاعف الحسنات، ويمحو السيئات إذا تاب العبد وأناب، قال تعالى - بعد أن ذكر عذابَ العُصاةِ - ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ [الفرقان].

والقرآنُ مملوءٌ بالآيات التي تدلُّ على سعة عَفو الله تعالى وكرمه وإحسانه لعباده، ونفي الظلم عنه بأي وجه من الوجوه، وإنْ كان مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [الزلزلة].

فلك الحمد يا رب على ما تفضلت به وأعطيت، ولك الحمد يا رب حتى ترضى، ولك الحمد بعد الرضا، ولك الحمد إذا رضيت.

وقوله: «فَإِنْ يُثِبْ فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»:

أي: أن الله تعالى إن يُثِب - مُطيعًا، محسنًا، قائمًا بأمره، تاركًا لنهيه - فإنه من فضله، وذلك لأنه الشكور، والشكورُ الذي يُعطي الكثير على العمل القليل، فسبحانه جعل الحسنة بعشر أمثالها، ويُضعِّفها إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة لا يعلمها إلا الله.

قال جلَّ ذكره: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة].

قوله: «وإن يُعذب فبمحض عَدْله»:

وقد تقدم أنَّ الظلمَ- بأي وجه من الوجوه- مَنفي عن الله.

ومن كرمه تعالى أنه يُجازي على السيئة مثلها، وقد يعفو ولا يُؤاخذُ العبدَ بالذنب، وهنا يكون العفو منه إحسانًا، لأنَّ المسيء يستحق العُقوبة، فإن عفى عنه فبفضله، وإن عذّبه فبعدْله.

قال جلّ في عُلاه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام].

وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

وقوله:

فَلَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ فِعْلُ الأَصْلَحِ   وَلا الصَّلاحُ وَيْحَ مَنْ لَمْ يُفْلِحِ

ابتداءً لا بد أن نعلم يقينًا أنَّ الله تعالى مُنزه عن النقص وكُلّ فساد وشر، وأنَّ جميع البلاء الذي يُصيب الناس مخلوقٌ خلقه الله تعالى لحكمة.

على سبيل المثال: خلق الله تعالى إبليس، وهو شر محض، ولكن لحكمة، وهي امتحانُ العباد حتى يميز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب.

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢﴾ [العنكبوت: ٢].

وقال: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ [آل عمران].

وكذلك كُلّ مُصيبة تقع في الكون يكون حتمًا من ورائها خيرٌ كثير، فالأمراض والأوجاع والجدب وغير ذلك يُثاب عليه العبد إذا صبر واحتسب، وهذا هو الأصلح للعباد بلا شك، فالشر ليس إليه سبحانه، كما قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض شرحه للحديث: فإنه يتضمن تنزيهه في ذاته - تبارك وتعالى - عن نسبة الشر إليه بوجه ما، لا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه، وإن دخل في مخلوقاته، كقوله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾ [الفلق].

وتأمّل طريقة القرآن في إضافة الشر تارة إلى سببه، ومَن قام به، كقوله: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨﴾ [المائدة]، وقوله: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [النساء: ١٦٠].

وهو في القرآن أكثر من أن يُذكر هاهنا عُشر معشاره، وإنما المقصودُ التمثيل، وتارة بحذف فاعله، كقوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾ [الجن]، فحذفوا فاعل الشر ومُريده، وصرّحوا بمريد الرشد.

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ونظيره في الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة].

فذكر النعمة مُضافة إليه سُبحانه، والضلال منسوبًا إلى مَن قام به، والغضب محذوفًا فاعله...»[(١)].

فقوله: «فلَمَ يَجب عليه فعلُ الأَصْلح...»:

هذا ردٌّ على المعتزلة الذين يقولون: يجب على الله فعلُ الأصلح، وهذا باطلٌ، لأنه لا يجبُ على الله جل وعلا شيء، ولا أحدَ يُوجب على الله شيئًا، وإنما الله هو الذي يُوجبُ على نفسه رحمة منه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم]، هذا حَقٌّ أحقه الله على نفسه- سبحانه وتعالى- تفضلًا وإحسانًا منه.

وقول رَسُول الله ﷺ: «**حَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[(٢)].

وقوله: «وَيح مَن لم يُفلح»:

كلمة تألُّم وتوجع، يتوجع على مَن ضلَّ من الأمة الإسلامية، كيف انحرفوا عن الصراط المستقيم. «مَن لم يُفلح» أي: مَن لم يفز بمتابعة الحق، والالتزام بالكتاب والسنة، والابتعاد عن الباطل، قاله الفوزان[(٣)].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٨٢، ١٨٣) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.
(٢) البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٤٩/ ٣٠).
(٣) شرح هذه العقيدة (٤٣١).

وقوله: «فكُلّ مَن شاء هُداهُ يَهتدي»:

الهداية نوعان، كما سبق بيانه[(١)]: هداية دلالة وإرشاد، وهداية توفيق.

والمقصودُ هنا هداية التوفيق، لأنَّ هدايةَ الدلالة والإرشاد هي إرشادُ الخلق إلى الحق واتباع الصراط المستقيم، وهي وظيفةُ الأنبياء والرسل والمسلمين مِن بعدهم.

أما هداية التوفيق: فهي أن يعمل العبدُ بما عَلم، وهذه ليست لأحَدٍ من البشر، وإنما هي بيد الله، يَهدي مَن يشاء، ويُضل مَن يشاء، بمقتضى حكمته، فهو سبحانه الذي يعلم مَن يستحق الهداية ومَن يستحق الغواية.

قال جلَّ ذكره: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص].

فإذا علم الله تعالى من العبد الصدقَ في طلب الهداية يَسَّر له طريق الهداية، ويسر له الأسباب التي يُحقق بها الهداية، من انشراح الصدر لأوامره، والإقبال على الطاعة، والبعد عن المعاصي، ويُوفقه لصحبةٍ صالحة تُعين على الخير.

قال جَلَّ ذكره: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧﴾ [الليل].

وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ

---

(١) راجع شرح البيت الرابع.

وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات].

وقوله: «وإن يرد ضلال عبد يعتدي»:

أي: وكذلك إضلاله للعبد، إذا علم الله تعالى من العبد أنه لا يُريد الهداية؛ سبَّب له أسبابَ الإضلال، وصرَفَ قلبه عن الطاعة.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل].

وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٠- والرزقُ ما ينفعُ من حلالِ أو ضدِّه فحُلْ عن المُحالِ

٧١- لأنهُ رازقُ كُلِّ الخَلْقِ وليسَ مخلوقٌ بغير رزقِ

٧٢- ومن يَمُتْ بقتلهِ من البَشرِ أو غيره فبالقَضاءِ والقَدَرِ

٧٣- ولم يَفُتْ منْ رزقهِ ولا الأجَلِ شيءٌ فدَعْ أهلَ الضَّلالِ والخَطَلِ

الشرح

الرزق: سبق تعريفه، هو: عطاء من الله، فهو الرزاق الذي يرزق البشر جميع الخلق، يرزق النمل في جحرها، والحوت في البحر والطير في الهواء، قال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود].

فإذا أيقن العبد أن الرزق مكتوب- وأن الله تعالى تكفل بأرزاق الخلق جميعًا، وليس مخلوقٌ بغير رزق كما قال صاحب النظم- ما سعى في طلب الرزق من الحرام.

ولذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «والرزق ما ينفع من حلالٍ أو ضده..»:

فقد يكون الرزق من حلال، وقد يكون حصله العبد من طريق غير مشروع فيكون حرامًا؛ كأموال الربا، والرشوة، والسرقة، والغش في البيع، وأكل أموال الناس بالباطل- وله صور كثيرة- إلى غير ذلك من أبواب الرزق الحرام.

وقوله: «فحُلْ عن المحال»:

أي: زل عن المحال أي: الخطأ والحرام والباطل، فلا يبقى أحد في

ملك الله تعالى بغير رزق، فهذا من المحال، لأن الله سبحانه أقسم على ذلك، قال جل ذكره: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ أكد ما أخبر به من البعث، وما خلق في السماء من الرزق، وأقسم عليه بأنه لحقٌّ ثم أكده بقوله: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وخص النطق من بين سائر الحواس، لأن ما سواه من الحواسّ يدخله التشبيه، كالذي يُرى في المرآة، واستحالة الذوق عند غلبة الصفراء ونحوها، والدويّ والطنين في الأذن، والنطق سالم من ذلك.

وقال بعض الحكماء: كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره[(١)]. انتهى.

فقمع النفس عن الحرام يكون بالخوف من الله، والرضى بالرزق - وإن كان قليلًا - يكون باليقين على موعود الله فتأمل.

فائدة:

الرزق يشمل كل عطاء من الله، فيشمل الرزق الدنيوي، والرزق الديني، وكل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، وسيأتي الحديث قريبًا.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٤٤، ٤٥).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ أما الرزق ففُسِر بالمطر، وفسر بالجنة، وفسر برزق الدنيا والآخرة، ولا ريب أن المطر رحمة، وأن الجنة مستقر الرحمة، فرزق الدارين في السماء التي هي في العلو[١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي: مادة رزقكم من الأمطار وصنوف الأقدار، الرزق الديني والدنيوي[٢].

وقوله:

ومن يمُت بقتله من البشر   أو غيره فبالقضاء والقدر

القضاء لغة: الحُكم... والجمع الأقضية، والقضية مثله، والجمع القضايا... وقضى: أي حكم، ومنه قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣][٣].

القدر لغة: قَدْرُ الشيء: مبلغُهُ، وقَدَرُ الله وقدرُهُ بمعنى، وهو في الأصل مصدر، قال تعالى: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الحج: ٧٤] أي ما عظموا الله حق تعظيمه[٤].

وشرعًا: قال ابن سيده: القَدْرُ، والقَدَرُ: القضاء، والحكم، وهو ما يقدره الله

(١) بدائع التفسير (٤/ ٢٣٤).
(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٠٩).
(٣) الصحاح للجوهري (ص: ٨٦٧).
(٤) الصحاح (ص: ٨٤١) مادة (قدر).

عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ أي الحُكم كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ (١).

قال الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المراد بالقدر حكم الله (٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقالوا- أي العلماء- القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفصيله (٣). انتهى.

والمعنى: أن من يموت من البشر بقتل (أو بغيره) احتمال أن تكون عائدة على البشر فيكون المعنى: أن من مات من البشر أو غيره من سائر الحيوانات، واحتمال أن تكون عائدة على القتل، فيكون المعنى أن من مات من البشر بقتل أو بغير قتل أي بأي سبب آخر، بمرض أو نحوه، أو من غير سبب كموت الفجأة فموته بقضاء الله وقدره.

قوله: «ولم يَفُت من رزقه ولا الأجَل شيءٌ»:

أي لم يفت المقتول- وغيره شيء- من رزقه الذي كتبه الله تعالى له في الأزل، وأيضًا لم يمت قبل أجله، لأن بعض الناس يعتقد أن الذي مات مقتولًا أو غريقًا أو في حادث تصادم أو ما أشبه ذلك أنه مات من غير أن يستوفي أجله، وتراهم في العزاء يقولون: (البقية في حياتك) وهذا خطأ في الاعتقاد فليس للميت بقية حتى تجعلها لأقاربه، بل مات عندما استوفى

(١) اللسان (٧/ ٢٦٢).
(٢) انظر فتح الباري (١١/ ٤٨٦).
(٣) المصدر السابق.

أجله ورزقه.

فالرزق والأجل والعمل والشقاء والسعادة كل شيء مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ.

قال الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(١).

وفي حديث عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الأَبَدِ»(٢).

وفي الصحيحين من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصَّادِقُ المصدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه الطيالسي (٥٧٧)، والترمذي (٣٣١٩)، وأحمد في المسند (٥/ ٣١٧)، وأبو داود (٤٧٠٠).

يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا»(٢).

درء التعارض بين الإيمان بأن الأرزاق والآجال مقدرة ومكتوبة، وبين الأخذ بالأسباب:

يجب أن نؤمن بأن الله تعالى خلق كل شيء وقدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما سبق بيانه، ونؤمن أيضًا بأن الله تعالى خلق الأسباب وأمر أن نأخذ بها لصلاح الدين والدنيا ولحصول المقصود فهو سبحانه الذي أنزل الكتب وأرسل الرسل وشرع الشرائع وأمر العباد بفعل الطاعات وترك المنكرات ورتب الجزاء على فعل العبد سواء أكان طاعة أو معصية، فلا يجوز أن يُحتج بالقدر على ترك العمل بل لابد أن يأخذ بأسباب النجاة، وكذا أمور الدنيا إن لم يأخذ العبد بأسباب البقاء هلك، وهذه هي إرادة الله، أراد أن يربط الأسباب بالمسببات فاحذر ضلال الجبرية ولا تترك الأسباب بالكلية، مع اليقين الجازم أن الأسباب لا تنفع ولا تضر بذاتها، وإنما الذي ينفع ويكشف الضر هو الله،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨) ومسلم (٢٦٤٣).
(٢) صحيح لشواهده: رواه ابن ماجه (٢١٤٤) وابن حبان (٣٢٣٩) والحاكم (٢/ ٦)، وصححه الألباني (٢٨٦٦).

والأدلة على ذلك كثيرة، قال جل ذكره: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخذ بعض العلماء من قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ...﴾ الآية أن السعي والتسبب في تحصيل الرزق أمر مأمور به شرعًا، وأنه لا ينافي التوكل على الله جل وعلا، وهذا أمر كالمعلوم من الدين بالضرورة أن نأخذ بالأسباب في تحصيل المنافع ودفع المضار في الدنيا أمر مأمور به شرعًا، لا ينافي التوكل على الله بحال، لأن المكلف يتعاطى السبب امتثالاً لأمر ربه مع علمه ويقينه أنه لا يقع إلا ما شاء الله وقوعه، فهو متوكل على الله، عالم أنه لا يصبه إلا ما كتب الله له من خير أو من شر، ولو شاء الله تخلف تأثير الأسباب عن مسبباتها لتخلف.

ومن أصرح الأدلة في ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء].

فطبيعة الإحراق في النار معنى واحد لا يتجزأ إلى معان مختلفة، ومع هذا أحرقت الحطب فصار رمادًا من حرّها في الوقت الذي هي فيه كائنة بردًا وسلامًا على إبراهيم، فدل ذلك على أن التأثير حقيقة إنما هو بمشيئة

خالق السموات والأرض [١].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: ومما ينبغي أن يُعْلم ما قاله طائفة من العلماء، قالوا: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباب نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع [٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: فالقرآن من أوله إلى آخره صريح في ترتب الجزاء بالخير والشر، والأحكام الكونية والأمرية على الأسباب، بل ترتب أحكام الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما على الأسباب والأعمال.

ومَن تفقّه هذه المسألة وتأملها حق التأمل انتفع بها غاية النفع، ولم يتكل على القدر جهلًا منه وعجزًا وتفريطًا وإضاعةً فيكون توكله عجزًا، وعجزه توكلًا بل الفقيه كل الفقه الذي يردُّ القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر، بل لا يمكن لإنسان أن يعيش إلا بذلك فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر، والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر، وهكذا من وفقه الله وألهمه رُشده يدفع قدر العقوبة الأخروية بقدر التوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فهذا وزان القدر، القدر المخوف في الدنيا، وما يضاده سواء، فربُّ الدارين واحد

---

(١) أضواء البيان (٣/ ٣٩٧، ٣٩٨) وانظر تفسير القرطبي (١١/ ١٠٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ١٦٩).

وحكمته واحدة، لا يناقض بعضها بعضًا، ولا يبطل بعضها بعضًا، فهذه مسألة من أشرف المسائل لمن عرف قدرها، ورعاها حق رعايتها والله المستعان[١].

تأويل حديث: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ...»:

أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قال: سَمِعت رسُولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ[٢] لَهُ فِي أَثَرِهِ[٣]، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٤].

أشكل على البعض الجمع بين النصوص الدالة على أن الآجال والأرزاق مقدرة ومكتوبة في اللوح المحفوظ، وبين هذا الحديث الذي ظاهره يدل على أن الزيادة في العمر، والرزق جائزة بأسبابها، وللعلماء في ذلك أقوال، نذكرها ههنا.

قال النووي رحمه الله: وبسط الرزق توسيعه وكثرته، وقيل: البركة فيه، وأما التأخير في الأجل؛ ففيه سؤال مشهور، وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٤﴾ وأجاب العلماء بأجوبة، الصحيح منها:

---

(١) الداء والدواء (ص: ٢٦، ٢٧).

(٢) ينسأ: مهموز، أي: يؤخر- مسلم بشرح النووي (٨/ ٣٥٦).

(٣) أثره: الأجل- المصدر السابق.

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٦٧) ومسلم (٢٥٥٧).

أن هذه الزيادة بالبركة في عمره، والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك.

الثاني: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زِيدَ له أربعون وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره، ولا زيادة بل هي مستحيلة، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة، وهو مراد الحديث.

الثالث: أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده، فكأنه لم يمت، حكاه القاضي، وهو ضعيف أو باطل، والله أعلم[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بعد أن ساق أقوال للعلماء كالتي ذكرها النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وتوجيهه أن المعاملات على الظواهر والمعلوم الباطن خفي لا يعلق عليه الحكم فذلك الظاهر الذي أطلع عليه الملك هو الذي يدخله الزيادة والنقص والمحو والإثبات، والحكمة فيه إبلاغ ذلك إلى المكلف ليعلم فضل البر وشؤم القطيعة[(٢)].

---

(١) مسلم بشرح النووي (٨/ ٣٥٦، ٣٥٧).

(٢) فتح الباري (٤/ ٣٥٤).

وقوله: «فدع أهل الضلال والخطل»:

الخَطَلُ لغة: المنطق الفاسد المضطرب، وقد خَطِلَ في كلامه بالكسر خطلًا وأَخْطَلَ: أي أفحش[1].

أي: اترك أقوال أهل الضلال من المعتزلة والقدرية والجبرية وغيرهم لأن هؤلاء أصحاب بدعة ومنطق فاسد مضطرب فمن نظر في مقالات هؤلاء وجد فيها الاضطراب والتناقد الذي لا يوافق العقل ولا الشرع.

---

(١) الصحاح (ص: ٣٠٥).

الباب الثالث
في الأحكام

أحمر أسود (٣٦٦)

قال صاحبُ النظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤- وواجــبٌ علــى العبــادِ طُــرًّا   أن يَعْبُــــدوهُ طَاعَـــةً وبِــــرًّا

٧٥- ويفْعَلُـوا الفِعْـلَ الـذي بـه أَمَـرَ   حَتمًـا ويتركُــوا الــذي عَنْــهُ زَجَـر

الشرح

الواجب عند عُلماء الأصول: إن فعله العبـد امتثـالًا لأمـر الله يثـاب عليـه وإن تركه يأثم.

وقيل: يُذَم تاركه، لأنَّ الله تعالى قد يعفو عـن العقاب، ولا يقـدح ذلـك في وجوب الفعل [١].

(طُرًّ): **لغة**: الرجل إذا طُرد وقولُهم جاءوا طُرًّا أي: جميعًا [٢].

معنى العبادة: **لغة**: أصل العبودية الخضوع والتذلل... وتعبـد الله العبـد بالطاعة أي استعبده، والعبادة: الطاعة والخضوع، ومنه طريق مُعبد إذا كـان مُذللًا بكثرة الوطء[٣].

وشرعًا: كمـا عرّفهـا شـيخ الإسـلام: هـي اسـم جـامع لكـل مـا يحبـه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة [٤]. انتهى.

أي: يجب على جميع العباد أن يعبـدوا الله تعـالى ولا يـشركوا بـه شـيئًا،

---

(١) انظر المحصول للرازي (١/ ١٥) والمستصفى للغزالي (١/ ١٢٨) وغيرهما.

(٢) اللسان (٥/ ٥٨٢).

(٣) لسان العرب (٦/ ٤٨، ٥٠) مادة (عبد).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

فالعبادة هي الغاية التي من أجلها خلقنا وبها أمرنا، ومن أجلها أنزل الله الكتب وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات] قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة] وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء].

وقال ﷺ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»[1].

وكل ذلك يفعله العبد طاعة لله وامتثالًا لأمره، (وبرًا): أي بالإحسان الناشئ عن المحبة، لأن للعبادة ركنان: كمال الحب، وكمال الذل، لا تكتمل العبادة بغيرهما.

أنواع العبادة:

العبادة كثيرة جدًّا، يصعب حصرها نذكر منها على سبيل المثال بعض العبوديات:

فمن عبادة الجوارح: كالصلاة والزكاة والصيام والحج والصدقة وأداء الأمانة وبر الوالدين وطاعة الزوج، وصلة الأرحام إلى غير ذلك.

ومن عبادة القلب: كحب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، والإخلاص، والصبر والحمد، والرضا بقضائه، والتوكل عليه والرجاء والخوف، وغيرها.

ومن عبادة اللسان: الذكر وتلاوة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠/ ٤٨).

المنكر، والكلمة الطيبة، ونصيحة المسلمين وكف اللسان عن الغيبة والنميمة، وفحش القول، وغيرها.

أقسام العبادة:

اعلم أن العبادة كما في القرآن قسمان، عبودية اضطرار، وعبودية اختيار.

أولًا: عبودية الاضطرار: وهذه العبودية شاملة لجميع الخلق، العالم العلوي والعالم السفلي.

قال جل ذكره: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم].

«أي: مملوكًا له، يأوي إليه بالعبودية والذل»[(١)]، «أي: ذليلًا منقادًا، غير متعاص ولا ممتنع، الملائكة، والإنس، والجن وغيرهم، الجميع مماليك، متصرف فيهم، ليس لهم من الملك شيء، ولا من التدبير شيء»[(٢)].

ثانيًا: عبودية الاختيار: وهي التي جعل الله للعبد فيها مشيئة واختيار، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، وكل ذلك بعد مشيئة الله عز وجل، وقد تقرر هذا الأصل عند الرد على القدرية النفاة والجبرية.

وهذا النوع من العبودية هو الذي يرتب عليه الجزاء، وهو الذي يُمحص به العباد، فإذا علم العبد أن العبادة هي الغاية التي من أجلها خلق، جاء الاختبار بالتكاليف ليبتليهم أيهم أحسن عملًا، وليجزيهم بأعمالهم،

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٩٢).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٥٠١).

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك].

وقال جل ذكره: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتصريحه جل وعلا في هذه الآيات المذكورات بأن حكمة خلقه للخلق هي ابتلاؤهم أيهم أحسن عملًا يفسر قوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ وخير ما يفسر به القرآن القرآن[1].

حاجة العبد إلى العبادة:

اعلم أن العبد فقير إلى الله، يحتاج إلى أن يعبده ولا يشرك به شيئًا، لأن الإنسان حقيقته مركبة من جسد وروح، والجسد يستقيم بالطعام والشراب، وهو محتاج إليه وإلا هلك، وكذا الروح لا صلاح لها إلا بعبادة ربها، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وإن حصل لها بعض اللذات أو المتاع فقليل ثم يزول إما بالموت أو بتغير الأحوال، مع هذا هي كادحة إلى ربها ولابد لها من لقائه، ولا سعادة بلقائه إلا إذا حققت العبودية قبل اللقاء.

فالعبد بغير عبادة ميت، وإن كان حيًّا بالجسد، والعبادة تجعله يمشي بين الناس بنور البصيرة والطمأنينة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) يشير إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]. أضواء البيان (٧/ ٤٤٦).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتًا، أي في الضلالة هالكًا حائرًا فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان وهداه له ووفقه لاتباع رُسله ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به، والنور: هو القرآن وقيل: الإسلام، والكل صحيح، ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: لا يهتدي إلى منفذ ولا مُخلَصٌ مما هو فيه(١).

وقوله:

ويفْعَلُوا الفِعْلَ الذي به أَمَرَ حَتمًا ويترُكُوا الذي عَنْهُ زَجَر

الحَتْم في اللغة: اللازم الواجب الذي لا بد من فعله(٢).

يعني: يجب على العباد أن يفعلوا الطاعة الذي أُمر بها على سبيل الإلزام والوجوب، وقد يكون الأمر على سبيل الاستحباب وهذا التفريق محله كتب الأصول والفقه، يعرف بالأدلة التي بها يفرق بين الواجب والمستحب.

ويتركوا الشيء الذي عنه سبحانه وتعالى: «زجر» أي: نهى الله عنه.

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٤).

(٢) النهاية (ص: ١٨٦).

فصل: في الكلام عن القضاء والقدر

٧٦- وكـلُّ مـا قـدّرَ أو قـضاهُ فواقـعٌ حَتمًـا كمـا قَـضاهُ

٧٧- وليس واجبًا على العبد الرِّضا بكُـلِّ مَقْـضيٍّ ولكـن بالقـضا

٧٨- لأنَّـه مـن فعْلـه تعـالى وذاك مـن فِعْـل الـذي تقَـالى

الشرح

سبق أن ذكرنا الأدلة من الكتاب والسنة على أن كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، وأن الله سبحانه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وبناء على هذا فإن كل ما قدره الله تعالى أو قضاه واقع (حتمًا) أي: لازمًا كما قضاه، قال تبارك وتعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

وقال رَسولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ القَلَمُ بِمَا أَنْتَ لاَقٍ»[(١)].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإيمان بالقدر على درجتين:

أحدهما: الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر، وطاعة ومعصية، قبل خلقهم وإيجاده، ومن هو منهم من أهل الجنة

(١) أخرجه البخاري معلقًا (٥٠٧٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومن أهل النار، وأعدَّ لهم الثواب والعقاب جزاءً لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم، وأنه كتب ذلك عنده وأحصاهُ وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابه.

الدرجة الثانية: أن الله تعالى خلق أفعال عباده كلها من الكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، وشاءها منهم، فهذه الدرجة يثبتها أهل السنة والجماعة، وينكرها القدرية، والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية ونفاها غلاتهم كمعبد الجهنيِّ، الذي سُئل ابن عمر عن مقالته، وكعمرو بن عبيد وغيره[1].

وقوله: «وليس واجبًا على العبد الرضا بكل مقضي...»:

وليس واجب على العبد المكلف الرضا، وهو سكون القلب وطمأنينته «بكل مقضي» بل فيه تفصيل:

لأنه إما أن يكون مقضيًّا دينيًّا شرعيًّا، فالواجب على العبد ألا يختار في هذا النوع غير ما اختاره الله له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فاختيار العبد خلاف ذلك منافٍ لإيمانه وتسليمه ورضاه بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا ومحمد رسولًا.

وأما أن يكون كونيًّا قدريًا: كالمصائب التي يبتلى بها العبد، فهذا لا

(١) جامع العلوم والحكم (ص: ٦٥، ٦٦).

يضره فراره منها إلى القدر الذي يرفعها عنه ويكشفها وليس في ذلك منازعة لربوبيته، وإن كان فيه منازعة للقدر بالقدر، قاله ابن مانع.

وقوله: «ولكن بالقضاء...»:

أي: يجب الرضا بالقضاء، «لأنه من فعله تعالى» فبين سبب وجوب الرضا بالقضاء أنه من فعله تعالى، وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمة، فالمخذول الذي يعتقد أن الخير في غير ما قضاه الله لأنه الحكيم.

قال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في معنى الحكيم: إنه الذي لا يقولُ ولا يفعلُ إلا الصواب، وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة وصَنعَه متقنٌ ولا يظهر الفعل المتقن السديدُ إلا من حكيم[(١)].

وقوله: «وذاكَ من فعلِ الذي تقالى»:

القِلَى لغة: البُغض، يُقال: قلاه يقليه قِلىً وقَلىً، إذا أبغضه[(٢)].

أي: وذلك المقضي من فعل الشخص الذي أتى بما يبغضه الله، وفعله الأشياء المبغوضة لله لا يجوز الرضا بها إجماعًا، بل الرضا بالقدر الجاري على العبد باختياره وفعله من أنواع الظلم والفسوق مما يكرهه الله ويسخطه وينهى عنه، ويعاقب عليه، لا يجوز الرضى به، ولله سبحانه في ظهور المعاصي وترتب آثارها من الحكم ما يشهده أولو الأبصار.

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (ص: ٥٥).

(٢) النهاية (ص: ٧٧٠).

وأما الرضا بالقضاء الكوني القدري: الجاري على خلاف مراد العبد كالفقر والمرض فمستحب، ومن أجَلّ الأمور وأشرف أنواع العبودية، ولم يطالب به العموم لعجزهم ومشقته عليهم.

وقيل: يجب، فتستوي النعمة والبلية عنده في الرضا بها، وهو من مقامات الصديقين، واختار شيخ الإسلام استحبابه، وقال: لم يجيء الأمر به كما جاء بالصبر وإنما جاء الثناء على أصحابه ومدحهم.

والرضا بالقدر الكوني الموافق لمحبة العبد: وإرادته ورضاه من الصحة والغنى ونحو ذلك فأمر لازم بمقتضى الطبيعة وليس الرضا به عبودية، وعلى العبد أن يوافق ربه، فيبغض الذنوب ويمقتها، لأن الله يبغضها، ويرضى بالحكمة التي خلقها الله لأجله...قاله ابن مانع.

فصل: في الكلام على الذنوب ومتعلقاتها

قال صاحب النظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٩- ويفسُقُ المذنبُ بالكبيرة ... كذا إذا أَصَرَّ بالصغيرة

٨٠- لا يخرجُ المرءُ من الإيمان ... بموبقات الذنب والعصيان

٨١- وواجبٌ عليه أن يتُوبا ... من كُلِ ما جَرّ عليه حُوبَا

٨٢- ويقبلُ المولَى بمحض الفضلِ ... من غير عبدٍ كافرٍ منفصلِ

٨٣- ما لم يتُب من كُفرِه بضدِّهِ ... فيرتجعْ عن شِرْكِهِ وصدِّه

الشرح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الأبيات جملة من الأحكام، فبينها ههنا بشيء من التفصيل بأدلة الكتاب والسنة وأقوال أئمة العلم.

قوله: «ويفسُق المذنبُ بالكبيرة...»:

الفسق لغة: الفاء والسين والقاف كلمة واحدة، وهي الفِسقُ، وهو الخروج عن الطاعة(١).

قال الكفوي رَحِمَهُ اللَّهُ: في معرض بيانه وجوه الفسق:

وكله راجع في اللغة إلى الخروج، من قولهم: فسقت الرطبة عن القشر(٢).

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٩١).

(٢) الكليات (ص: ٥٨٤).

واصطلاحًا: الخروج عن الطاعة بارتكاب الذنب وإن قل، ولكن تعورف فيما إذا كان كبيرة، وأكثر ما يقال عن الفاسق لمن التزم حكم الشرع، وأخل بأحكامه، قاله المناوي(١).

والفسق في القرآن على وجوه:

١- **بمعنى الكفر**: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف]. وقال جل ذكره في شأن قوم فرعون: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف] ومن المعلوم أن قوم فرعون كانوا كفارًا.

٢- **الكذب**: قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات: ٦].

والآية نزلت في رجل مسلم، كذا أورد الإمام أحمد في مسنده من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي(٢).

وقال: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور].

٣- **الإثم**: نحو قوله: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٤- **السيئات**: كقوله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٥٥٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٧٩) والبخاري في «تاريخه الأوسط» (١/ ٩١) وابن قانع في معجم الصحابة (١/ ١٧٧) والطبراني في «الكبير» (٣٣٩٥) وهو حسن لشواهده.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنى قوله: ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ النهي عن معصية الله في إصابة الصيد، وفعل ما نهى الله المحرم عن فعله في حال إحرامه(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ...**»(٢).

فقد يكون الفسوق كفرًا، وقد يكون إثمًا، فانتبه.

فقوله:

ويفسُق المذنب بالكبيرة كذا إذا أصَر بالصّغيرة

أي: أن المذنب المسلم يكون فاسق أي يأثم بارتكاب الكبائر من الذنوب، وأيضًا إذا أصر على الصغيرة يفسق، خلافًا للمرجئة فعندهم مرتكب الكبائر كامل الإيمان، وقد بسطت عقيدتهم والرد على شبهم في موضع آخر(٣).

مسألة: ما هو ضابط الكبيرة؟

قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ**»(٤).

---

(١) جامع البيان (٢/ ٣٦٩).
(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٦) ومسلم (٦٤).
(٣) راجع – إن شئت- كتابي «عقائد الفرق الضالة» وكتابي «الدرر البهية».
(٤) أخرجه البخاري (٢٧٦٦) ومسلم (٨٩).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ» (١)

اختلف العلماء في ضابط الكبيرة اختلافًا كثيرًا.

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: إذا ثبت انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر فقد اختلفوا في ضبطها اختلافًا كثيرًا منتشرًا جدًّا.

فروي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنه قال: الْكَبَائِرُ كُلُّ ذَنْبٍ خَتَمَهُ اللهُ تعالى بِنَارٍ، أَوْ غَضِبٍ، أَوْ لَعْنَةٍ، أَوْ عَذَابٍ. ونحوه عن الحسن البصري.

وقال آخرون: هي ما أوعد الله عليها بنار أو حد في الدنيا.

وقال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ في «البسيط»: والضابط الشامل المعنوي في ضبط الكبيرة، أن كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف وحذار ندم، كالمتهاون بارتكابها، والمتجرئ عليها اعتيادًا فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة، وما يحمل على فلتات النفس أو اللسان وفترة مراقبة التقوى، ولا ينفل عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ فهذا لا يمنع العدالة وليس هو بكبيرة.

وقال الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رَحِمَهُ اللهُ **في «فتاويه الكبيرة»**: كل ذنب كبر وعظم عظمًا يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيمًا على الإطلاق، قال: فهذا حد الكبيرة، ثم لها أمارات منها: إيجاب الحد، ومنها: الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب والسنة،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٣) ومسلم (٩٠).

ومنها: وصف فاعلها بالفسق نصًّا، ومنها: اللعن، كلعن الله سبحانه وتعالى من غيَّر منار الأرض.

وقال الشيخ الإمام أبو محمد بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب القواعد: إذا أردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة، فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها، فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر، وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو ربت عليها فهي كبائر... إلى أن قال: وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بأنها كل ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن فعلى هذا كل ذنب علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به الوعيد أو الحد أو اللعن أو أكثر من مفسدته فهو كبيرة ثم قال: والأولى أن تضبط الكبيرة بما يشعر بتهاون مرتكبها في دينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها، والله أعلم [١].

قال الإمام أبو الحسن الواحدي المفسر رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره: الصحيح أن حد الكبيرة غير معروف، بل ورد الشرع بوصف أنواع من المعاصي بأنها كبائر، وأنواع بأنها صغائر، وأنواع لم توصف، وهي مشتملة على صغائر وكبائر، والحكمة في عدم بيانها أن يكون العبد ممتنعًا من جميعها مخافة أن يكون من الكبائر، قالوا: وهذا شبيه بإخفاء ليلة القدر، وساعة الجمعة وساعة إجابة الدعاء من الليل، واسم الله الأعظم ونحو ذلك مما أُخفي، والله أعلم [٢].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ٣٦٣-٣٦٤).

(٢) المصدر السابق.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: فكل ذنب عظّم الشرع التوعد عليه بالعقاب وشدده، أو عظّم ضرره في الوجود كما ذكرنا فهو كبيرة وما عداه صغيرة، فهذا يربط لك هذا الباب ويضبطه، والله أعلم[(١)].

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: بعد أن ذكر جملة من أقوال أهل العلم لا تخرج على ما ذكرنا:

والصحيح - إن شاء الله تعالى - أن كل ذنب أطلق الشرع عليه أنه كبير أو عظيم، أو أخبر بشدة العقاب عليه، أو علق عليه حدًّا، أو شدد النَّكير عليه وغلّظه، وشهد بذلك كتاب الله أو سنة أو إجماع فهو كبيرة[(٢)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء رحمهم الله: والإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة، وروي عن عمر وابن عباس وغيرهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار.

معناه: أن الكبيرة تُمحى بالاستغفار، والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار[(٣)].

وقوله:

لا يخرجُ المرء من الإيمان ... بموبقات الذنبِ والعصيانِ

يخبر صاحب النظم في هذا البيت أن المؤمن لا يخرج من دائرة الإيمان بارتكاب الموبقات وهي الكبائر، ردًّا على الخوارج والمعتزلة الذين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ١٦٥).

(٢) المفهم (١/ ٢٨٤).

(٣) شرح النووي على مسلم (١/ ٣٦٤).

يخرجون مرتكب الكبيرة من الإيمان.

والفرق بين الخوارج والمعتزلة في هذه المسألة أن الخوارج يعتقدون أن من ارتكب كبيرة خرج من دائرة الإيمان ودخل في دائرة الكفر، فهم يكفرون مرتكب الكبيرة.

أما المعتزلة فيقولون: مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين لا هو مسلم ولا كافر، وعندهم يخلد في النار إن مات ولم يتب، وكلاهما مبتدع ضال خارج عن الصراط المستقيم الذي جاء به رسول الله ﷺ.

وقد بسطت هذه المسألة أكثر من مرة، وذكرت أدلة كل فريق، وكذا الشبهات التي أوردها والرد عليها، فلله الحمد والمنّة[(١)].

وعقيدة أهل السنة والجماعة أن مرتكب الكبيرة مسلم ولكنه فاسق مذنب إن مات بغير توبة فهو في المشيئة إن شاء الله عذبه ثم دخل الجنة، وإن شاء غفر له، وسيأتي ذكر الأدلة على ذلك قريبًا بإذن الله [(٢)].

وقوله:

وواجب عليه أن يتوبا ... من كل ما جرَّ عليه حُوبا

الحَوْبُ لغة: الإثم، والحوبة: حاجة تحمل صاحبها على ارتكاب الإثم، والحوْباء، النفس المرتكبة للحوب، وهي النفس الأمارة[(٣)].

أي: أن التوبة واجبة على كل الناس، فيجب على مرتكب المعاصي أن

---

(١) راجع – إن شئت – كتابي: «عقائد الفرق الضالة وعقيدة الفرقة الناجية»، وكذا كتابي: «الدرر البهية».

(٢) عند شرح البيت الرابع والعشرين بعد المائة.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٤٨).

يتوب من كل ما حصل له به الإثم، وتحقيق ذلك بفعل الطاعات وترك المنكرات قبل أن يأتيه الموت.

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء].

وقال جل ذكره: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم].

قوله:

ويقبلُ المولى بمحض الفضلِ   من غير عبدٍ كافرٍ منفصلِ

اعلم أن قبول الله تعالى توبة العبد من باب الإحسان، فليس لأحد من الخلق حق على الله.

فالعبد إن لم يُوفَّق إلى التوبة بفضل الله لن يستطيع أبدًا ترك المعاصي وذلك راجع إلى مشيئته ومقتضى حكمته وسابق علمه بالعبد الذي يستحق التوبة ممن لا يستحق، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ﴾ [التوبة: ١١٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وتوبة العبد إلى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها، وتوبة بعدها، فتوبته بين توبتين من ربه سابقة ولاحقة، فإن تاب عليه أولًا إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا، فتاب العبد فتاب الله عليه ثانيًا قبولًا وإثابة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة].

فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين، فكانت سببًا مقتضيًا لتوبتهم، فدل على أنهم ما تابوا حتى تاب الله تعالى عليهم، والحكم ينتفي لانتفاء علته[(١)].

وقوله:

....	مــن غيــر عبــدٍ كــافر مُنفــصل
مــا لــم يتُــب مــن كُفــره بــضدِّه	فيرتجــعْ عــن شــركه وصــدِّه

أي: غير كافر بالله ورسوله منفصل عن الدين إما بردة أو كفر أصلي، فلا تقبل توبته من الذنوب، ما لم يتب من كفره فيشهد الشهادتين، ويتصف من بعد رجوعه عن الكفر بضده، أي الإسلام فإن كان مرتدًا بإنكار ما علم من الدين بالضرورة فيرجع عن إنكار ذلك، ويقر ويذعن، وإن كان شركًا فلا يقبل منه، ما لم يرجع عن شركه الذي كان متصفًا به، «وصده» أي: إعراضه عن الدين، وانقياده للشريعة، قاله ابن قاسم.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٨٣، ٢٨٤).

ودليل قبول توبة جميع الناس بما فيهم الكافر: قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال].

وقال جل وعلا: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

وسبب نزول هذه الآية كما رواه البخاري، من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً فَنَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾ [الفرقان: ٦٨] وَنَزَلَتْ ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٥٣] [(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه... ثم ساق حديث ابن عباس المتقدم وغيره من الأدلة[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢، ٥٣).

مسألة: ما هي شروط التوبة؟

معنى التوبة: الرجوع من الذنب، قاله الجوهري[(١)].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

قال الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: والأحاديث في شأن التوبة والحث عليها وفي تكفيرها للذنوب كثيرة جدًّا لها مصنفات مستقلة، وحيث ذكرت من الآيات والأحاديث فإنما المراد بها التوبة النصوح[(٢)] وهي التي اجتمع فيها ثلاثة شروط.

الأول: الإقلاع عن الذنب.

والثاني: الندم على فعله.

والثالث: العزم على ألاَّ يعود فيه.

فإن كان في ذلك ذنب حق آدمي لزم استحلاله منه إن أمكن، للحديث الذي قدمنا «**مَن كَانَ عِنْدَه لأخِيهِ مَظْلَمةٌ فَلْيَتَحَلَّل مِنهُ اليَوم، فَإِنَّه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهم**»[(٣)(٤)].

هل تصح التوبة من ذنب دون آخر؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه قولان لأهل العلم، وهما روايتان عن أحمد، ولم يطلع على الخلاف من حكى الإجماع على صحتها، كالنووي وغيره

---

(١) الصحاح (ص: ١٣١).

(٢) ذكر القرطبي أن العلماء اختلفوا في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولًا- انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٩) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٤) معارج القبول (٢/ ١٠٤٤).

والمسألة مشكلة، ولها غَور، ويحتاج الجزم بأحد القولين إلى دليل يحصل به الجزم... وساق الخلاف بين أهل العلم ثم قال:

والذي عندي في هذه المسألة، أن التوبة لا تصح من ذنب مع الإصرار على آخر من نوعه، وأما التوبة من ذنب مع مباشرة آخر لا تعلق له به، ولا هو من نوعه فتصح.

كما إذا تاب من الربا، ولم يتب من شرب الخمر مثلًا فإن توبته من الربا صحيحة، وأما إن تاب من الربا الفضل، ولم يتب من ربا النسيئة وأصر عليه أو بالعكس أو تاب من تناول الحشيش، وأصر على شرب الخمر، أو بالعكس، فهذا لا تصح توبته[1].

هل يشترط في صحة التوبة أن لا يعود إلى الذنب أبدًا أم ليس ذلك بشرط؟

للعلماء في هذه المسألة قولان:

الأول: يشترط في صحة التوبة عدم معاودة الذنب، فإذا بطلت توبته، عاد إليه إثم الذنب الأول.

الثاني: لا يشترط عدم العودة إلى الذنب وإنما صحة التوبة تتوقف على الإقلاع عن الذنب، والندم عليه، والعزم على عدم العودة إليه، فإذا ضعف عزمه وعاد إلى الذنب الذي قد تاب منه، لا تبطل التوبة التي مضت.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والأكثرون على أن ذلك ليس بشرط وإنما تتوقف على الإقلاع عن الذنب والندم عليه، والعزم الجازم على ترك المعاودة.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٥٢، ٢٥٣).

قالوا: وقد علق الله سبحانه قبول التوبة بالاستغفار، وعدم الإصرار، دون المعاودة فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران] والإصرار: عقد القلب على ارتكاب الذنب متى ظفر به، فهذا الذي يمنع مغفرته.

قالوا: وأما استمرار التوبة: فشرط في صحة كمالها ونفعها، لا شرط في صحة ما مضى.

ونكتة المسألة: أن التوبة المتقدمة حسنة، ومعاودة الذنب سيئة، فلا تبطل معاودته هذه الحسنة كما لا تبطل ما قارنها من الحسنات.

قالوا: وهذا على أصول أهل السنة أظهر، فإنهم متفقون على أن الشخص الواحد يكون فيه ولاية لله، وعداوة من وجهين مختلفين، ويكون محبوبًا لله مبغوضًا له من وجهين أيضًا، بل يكون فيه إيمان ونفاق، وإيمان وكفر[(١)]، ويكون إلى أحدهما أقرب منه إلى الآخر، فيكون من أصله كما قال تعالى: ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقال: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف]، أثبت لهم الإيمان، مع مقارنة الشرك[(٢)]، فإن كان هذا الشرك تكذيبًا لرسله لم ينفعهم ما معهم من الإيمان بالله.

---

(١) يشير إلى الكفر الأصغر الذي لا يُخرج صاحبه من الإسلام كما في قوله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» وحكمه كحكم الكفر الأصغر.

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٥٣-٢٥٩) باختصار، وانظر تفسير القرطبي (١٨/ ١٩٠-١٩١)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٤٨١).

قال صاحب النظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٨٤- ومَن يَمُتْ ولم يَتُب من الخَطَا فـأمره مُفَـوّضٌ لـذِي العَطَا

٨٥- فَإِن يَشَأ يَعفُ وَإن شَاءَ انْتقَمَ وَإِن يَشَأ أَعطَى وَأَجزَل النِّعَمْ

الشرح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الأبيات أصلًا من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وهو أن من مات بغير توبة فهو في المشيئة إن شاء الله عذبه ثم دخل الجنة وإن شاء غفر له، ولم يخرج من دائرة الإسلام بكل ذنب- ما لم يستحل الذنب- وأدلة ذلك كثيرة نذكر منها:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبًا كثيرة، صغائر وكبائر، فإنه لا يكفر بها، وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله عز وجل؛ إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة، سالمًا غانمًا غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه ثم استصحبه- إلى يوم القيامة- من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار[(١)] انتهى كلام الشيخ.

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٧٦).

هذا الإمام – أبو عثمان الصابوني – من أئمة السلف وقد لقبه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بشيخ الإسلام[(١)] وإليك نقل إجماع أهل السنة في هذه المسألة.

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**»[(٢)].

قال أبو العباس رَحِمَهُ اللَّهُ: في ثنايا شرحه للحديث:

وهذا صريح بأن ارتكاب الكبائر ليس كفرًا لأن الكفر لا يغفر لمن مات عليه بالنص والإجماع، وهو حُجة لأهل السنة على المُكَفِّرة للذنوب وهم الخوارج وأهل البدع[(٣)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لحديث أبي هُرَيْرَة أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(٤)]:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٩٢) ومسلم (١٧٠٩) وغيرهما.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ١٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧).

وظاهر هذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة وغيرهم ممن يخرجون عن الإيمان بارتكاب الكبائر، غير أن أهل السنة يعارضوهم بظواهر أخرى أولى منها، كقوله ﷺ في حديث أبي ذر أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق[1] وحديث عبادة بن الصامت... وساق الحديث المتقدم ثم قال ويعضِّد هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦][2] انتهى.

ومن أظهر الأدلة التي يحتج بها على الخوارج والمعتزلة - الذين يقولون إن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، وكذا المرجئة الذين يقولون لا يدخل مسلم النار، وإن مات على أكبر الكبائر لأن عندهم هو كامل الإيمان - حديث أَنَسِ ابن مَالِك أن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً»[3].

وكذا حديث الشفاعة الطويل الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٧) ومسلم (٩٤) وغيرهما.

(٢) المفهم لأبي عباس القرطبي (١/ ٢٤٧).

(٣) أخرجه مسلم (٣٢٤/ ١٩٣).

«... فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ..»[(١)].

فالحديث فيه رد على الخوارج والمعتزلة، وفيه رد على غلاة المرجئة الذين ينفون دخول أي مسلم النار مهما بلغت ذنوبه.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

فصل

في ذكر مَن قيل بعدم قبول إسلامه من طوائف الملحدين

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨٦- وقيلَ فِي (الدُّروزِ) وَ(الزَّنادِقَهْ) وسائِرِ (الطَّوائِفِ الْمُنافِقَهْ)

٨٧- وَكُلُّ (داعٍ لابتِداعٍ) يُقتَلُ كَمَن تَكَرَّرْ نَكثُهُ لا يُقبَلُ

٨٨- لأَنَّهُ لَم يُبْدِ مِن إِيْمانِهِ إِلاَّ الَّذي أَذاعَ مِن لِسانِهِ

الشرح

وقوله: «وقيل»:

قال ابن مانع رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو المذهب فقهًا «في» طوائف «الدروز» من الحمزاوية أتباع حمزة اللباد المدعو عندهم بهادي المستجيبين، وهم القائلون بإلهية الحاكم العبيدي، ومثلهم البابية القائلون بإلهية الباب وغيره من طواغيتهم، وهم أربع فرق:

الأولى: البابية الخُلص: أي الذين اتبعوا الباب فقط، وهو محمد بن علي الشيرازي، ولد سنة ١٢٣٥هـ ألف ومائتين وخمس وثلاثين، وكان تلميذًا لأحد تلامذة أحمد الإحسائي، وهو كاظم الرشتي الذي مزج التصوف والفلسفة بالشريعة، وجمع بين اعتقاد الإمامية والأصول الفلسفية على نمط جديد...

الثانية: البابية الأزلية: القائلون بخلاف تلميذ الباب ليحيى الملقب: بصبح أزل، لقبه به الباب.

الثالثة: البابية البهائية: القائلون بإلهية البهاء الميرزا حسين المازندراني، وهو أخو ليحيى المتقدم، وقد نُفي إلى عكا كما نفي أخوه إلى قبرص، مات سنة ١٣٠٩هـ ألف وثلاث مائة وتسع سنين.

الرابعة: البابية العباسية: القائلون بإلهية عباس بن البهاء الذي قبله.

وإنما ألحقت البابية بالدروز، لأن الحكم يدور مع علته، وكلاهما قد ارتد عن الإسلام، وتأله المخلوق المربوب دون الخالق رب العباد فحكمهم حكم الدروز.

«**والزنادقة**»: جمع زنديق، وهو الذي يُظهر الإسلام ويخفي الكفر.

«**وسائر**» أي: بقية «**الطوائف**» جمع طائفة، وهي القطعة أو الواحد فصاعدًا «**المنافقة**» من النفاق وهو اختلاف السر والعلانية وكان من أظهر الإسلام وأبطن خلافه يسمى منافقًا، وأما اليوم فيسمى زنديقًا، «وكل داع» «لـ» انتحال «ابتداع مكفر» «يقتل» لعدم قبول توبته ظاهرًا.

ذكر القاضي وأصحابه من علماء المذهب رواية عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تقبل توبة داعية إلى بدعة مضلة، والصحيح: أنها تقبل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: لأن الله قد بيَّن في كتابه وسنة رسوله أنه يتوب على أئمة الكفر الذين هم أعظم من أئمة البدع، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ١٠﴾ [البروج]، قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم عذبوا أولياءه وفتنوهم ثم هو يدعوهم إلى التوبة[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١١٢).

قال العلامة الشيخ منصور في حاشية المنتهي: قال المجد: الصحيح أن كل بدعة كفَّرنا فيها الداعية، فإنا نفسق المقلد فيها، كمن يقول بخلق القرآن، أو بأن ألفاظنا به مخلوقة، أو أن علم الله به مخلوق، أو أن أسماء الله مخلوقة، أو أنه لا يرى في الآخرة، أو يسب الصحابة تدينًا، أو أن الإيمان مجرد الاعتقاد، وما أشبه ذلك.

فمن كان عالمًا بشيء من هذه البدع يدعو إليها، ويناظر عليها فهو محكوم بكفره، نص أحمد على ذلك صريحًا في مواضع واختلف عنه في تكفير القدرية بنفي خلق المعاصي على روايتين، وله في الخوارج كلام يقتضي في تكفيرهم روايتين، نقل حرب: لا يجوز شهادة صاحب بدعة.

قلت: وإنما قيد نفي القدرية بالمعاصي جريًا على المشهور لدى الجمهور.

والصحيح: أن القدرية ينفون خلق أفعال العباد مطلقًا، بل غلّظ شيخ الإسلام ابن تيمية حفيد المجد من خص النفي بالمعاصي فقط [١]. انتهى.

وقوله: «كَمن تكرر نكثه لا تُقبلُ»:

أي: كَمن تكرر نقضه للإسلام، بأن تكررت ردته، صرح المؤلف أنه لا يُقبل منه الإسلام.

وللعلماء في مسألة قبول من تكرر ردته قولان:

أحدهما: لا تُقبل، وحجتهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ

---

(١) انظر: شرح السفارينية لجمع من العلماء (ص: ٤٨٤-٤٨٦).

سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء] وهذا اختيار طائفة من الحنابلة.

الثاني: تقبل توبته، لعموم الأدلة الدالة على قبول توبة جميع العباد- كفار ومنافقين- قال الله تبارك وتعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر] وقد سبق بيان سبب نزول الآية وأنها نزلت في كفار أرادوا الإسلام وخافوا ذنوبهم لكثرتها، وهذا اختيار شيخ الإسلام وجمع قبولها، لأن التائب راجع عن الكفر.

وقوله:

لأنه لم يبدُ من إيمانه إلا الذي أذاع من لسانهِ

أي: لأنه لم يظهر من إيمانه الذي زعم أنه دخل به الإسلام إلا قول اللسان الذي كان يقوله قبل توبته مع أنه يعتقد الكفر في باطنه، قال كلمة الإسلام بلسانه ليحمي نفسه مما يؤاخذ به، وهذا هو المنافق نفاقًا عقديًّا، يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

ومع ذلك إن تاب وأصلح وأخلص التوبة قبلت توبته، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء].

وعَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: «كُنَّا فِي حَلْقَةِ عَبْدِ اللهِ فَجَاءَ حُذَيْفَةُ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَ النِّفَاقُ عَلَى قَوْمٍ خَيْرٍ مِنْكُمْ»، قَالَ الأَسْوَدُ: سُبْحَانَ اللهِ إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، فَتَبَسَّمَ عَبْدُ اللهِ، وَجَلَسَ حُذَيْفَةُ فِي نَاحِيَةِ المَسْجِدِ، فَقَامَ عَبْدُ اللهِ فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ،

فَرَمَانِي بِالحَصَا، فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: «عَجِبْتُ مِنْ ضَحِكِهِ، وَقَدْ عَرَفَ مَا قُلْتُ، لَقَدْ أُنْزِلَ النِّفَاقُ عَلَى قَوْمٍ كَانُوا خَيْرًا مِنْكُمْ ثُمَّ تَابُوا، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ»[(١)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: قوله: «لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم» أي: ابتلوا به لأنهم كانوا من طبقة الصحابة فهم خير من طبقة التابعين لكن الله ابتلاهم فارتدوا ونافقوا فذهبت الخيرية منهم، ومنهم من تاب فعادت له الخيرية، فكأنّ حذيفة حذر الذين خاطبهم وأشار لهم أن لا يغتروا فإن القلوب تتقلب، فحذرهم من الخروج من الإيمان؛ لأن الأعمال بالخاتمة.

ويُستفاد من قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ صحة توبة الزنديق وقبولها على ما عليه الجمهور، فإنها مستثناة من المنافقين من قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥][(٢)].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ **-في معرض شرحه للآية-**: استثناء ممن نافق، ومن شرط التائب من النفاق أن يصلح في قوله وفعله، ويعتصم بالله، أي: يجعله ملجأ ومعاذًا ويخلص دينه لله، كما نصت عليه الآية، وإلا فليس بتائب[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٠٢).

(٢) الفتح (٨/ ١١٦).

(٣) تفسير القرطبي (٥/ ٤٢٣).

قال صاحب النظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٨٩- كمُلحدٍ وساحر وساحرة ... وهم على نياتهم في الآخرة

٩٠- قلتُ وإن دلت دلائلُ الهدى ... كما جرى للعَيْلَبُوني اهتدى

٩١- فإنه أَذاع من أسرارهم ... ما كان فيه الهتكُ عن أستارهم

٩٢- وكان للدين القويم ناصرًا ... فصار منا باطنًا وظاهرًا

٩٣- فكل زنديق وكُل مارق ... وجاحد ومُلحد مُنافق

٩٤- إذا استبانَ نُصحُه للدين ... فإنه يُقبَل عن يقين

الشرح

معنى الإلحاد لغة: الميل والعدول عن الشيء... وفي حديث دفن النبي ﷺ: «أَلْحِدُوا لِي لَحْدًا»(١). اللحد: الشَّق الذي يُعمل في جانب القبر لموضع الميت، لأنه قد أُميل عن وسط القبر إلى جانبه، يقال: لحدت وألحدت(٢).

قال الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول: ينافي الإيمان ويبطله، والثاني: يوهن عراهُ ولا يبطلُه، ومن هذا النحو قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج] وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) قال سعد بن أبي وقاص في مرضه الذي هلك فيه: «أَلْحِدوا لي لَحْدًا» مسلم (٩٦٦/ ٩٠).

(٢) النهاية (ص: ٨٢٩).

والإلحاد في أسمائه على وجهين:

أحدهما: أن يوصف بما لا يصح وصفه به.

والثاني: أن يتأوّل أوصافه على ما لا يليق به، والتحد إلى كذا مال إليه، قال تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ٢٧﴾ [الكهف]. أي: التجاء أو موضع التجاء[1].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾ [الحج].

«والمراد بالإلحاد في الآية: أن يميل ويحيد عن دين الله الذي شرعه، ويعمّ ذلك كل ميل وحيدة عن الدين، ويدخل في ذلك دخولًا أوليًّا الكفر بالله، والشرك به في الحرم، وفعل شيء مما حرّمه وترك شيء مما أوجبه، ومن أعظم ذلك: انتهاك حرمات الله...»[2].

والمعنى: أن الملحد والساحر والساحرة يقتلوا، أما السحر ففيه تفصيل نذكره ههنا.

السحر في اللغة: كل ما لطف مأخذه ودق[3].

والسحر، مصدر قولهم: سحره يسحره أي: خدعه، والسحر: هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال: هو الخديعة.

والسحر: عمل تُقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، وأصل السحر:

---

(١) المفردات (ص: ٤٩٥).

(٢) أضواء البيان (٤/ ٢٩٤).

(٣) القاموس المحيط (ص: ٣٦٥) مادة (س-ح-ر)

صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، وسحره بكلامه، استماله برقته وحسن تركيبه[١].

وفي الاصطلاح: هو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه الساحر أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه، أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة، فمنه ما يقتل وما يمرض، وما يأخذ الرجل من امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب بين اثنين، قاله ابن قدامة[٢].

عمل السحر، وتعلمه وتعليمه:

عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع... وأن رسول الله ﷺ عده من السبع الموبقات، ومختصر ذلك أنه قد يكون كفرًا، وقد لا يكون كفرًا بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر، وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فحرام[٣].

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: وتعليمه محرم محظور؛ لأن تعلمه داعٍ إلى فعله والعمل به، وما دعا إلى المحظور كان محظورًا[٤].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: ويحرم تعلمه لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[٥]، فذمهم على تعليمه، ولأن تعلمه يدعو

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١٣٨) واللسان (٤/ ٥٠٩) والصحاح (٣/ ٦٧٩).

(٢) المغني (٨/ ١٠٥).

(٣) مسلم بشرح النووي (٧/ ٤٣٢).

(٤) الحاوي الكبير (١٣/ ٩٧).

(٥) سورة البقرة، (آية: ١٠٢).

إلى فعله، وفعله محرم، فحرم ما يدعو إليه(١).

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: وتعلم السحر والعمل به حرام(٢).

أما حكم الساحر:

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة].

فللعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

الأول: أن الساحر يكفر بسحره ويكون مرتدًّا يجب قتله ولا تقبل توبته، لأنه زنديق يستتر بالكفر، وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة.

الثاني: الساحر لا يكفر ولكن يحبس ويعزر ويستتاب لعله يرجع، وهذا قول لأحمد.

الثالث: الساحر لا يكون كافرًا بالسحر إلا أن يكون ما يسحر به كفرًا فيقتل بالكفر كمن يسخر الشياطين ويعتقد أنها تفعل له ما يشاء، وهذا مذهب الشافعي وغيره.

---

(١) المجموع شرح المهذب (١٩/ ٢٤١).
(٢) الكافي في فقه الإمام أحمد (٤/ ٦٥).

أقوال الفقهاء في المسألة:

قال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وأصحابه: أن الساحر كافر بالله تعالى، قال مالك: هو كالزنديق إذا عمل السحر بنفسه قتل ولم يستتب، ومن لم يباشر عمل السحر وجعل من يعمله له ففي الموازية، يؤدب أدبًا شديدًا.

قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يقتل الساحر حتى يثبت أن ما يفعله هو من السحر الذي وصفه الله بأنه كفر[(١)].

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: اختلاف الفقهاء في حكم الساحر على ثلاثة مذاهب.

مذهب الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الساحر لا يكون كافرًا بالسحر، ولا يجب به قتله، إلا أن يكون به كفرًا فيصير باعتقاد الكفر كافرًا يجب قتله بالكفر لا بالسحر[(٢)].

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: ويكفر الساحر بتعلمه وفعله، سواء لمعتقد تحريمه أو إباحته، وروي عن أحمد ما يدل على أنه لا يكفر. فإن حنبلًا روى عنه، قال: قال عمي في العراف والكاهن والساحر: أرى يستتاب من هذه الأفاعيل كلها، فإنه عندي في معنى المرتد، فإن تاب ورجع يعني يخلى سبيله، قلت له: يقتل؟ قال: لا، لعله يرجع، وهذا يدل على أنه لم يكفره، لأنه لو كفر لقتله، وقوله في معنى المرتد يعني في الاستتابة... ولم يرد الشافعي عليه في القتل بمجرد السحر، وهو قول ابن المنذر، ورواية عن

---

(١) مواهب الجليل شرح مختصر خليل (٦/ ٣٢٤).

(٢) الحاوي الكبير (١٣/ ١٦٥).

أحمد [١].

قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يكفر، ولا يقتل من يسحر بأدوية وتدخين، وسقى شيئًا يضر، لأن الأصل العصمة، ولم يثبت ما يزيلها (ويعزر) ساحر بذلك (بليغًا) لينكف هو ومن مثله بحيث لا يبلغ به القتل على الصحيح من المذهب [٢].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التحقيق في المسألة هو التفصيل، فإن كان السحر مما يُعظم فيه غير الله، كالكواكب والجن وغير ذلك، مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلا نزاع.

ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت المذكور في سورة البقرة فإنه كفر بلا نزاع، كما دل عليه قوله تعالى... وذكر الآية المذكورة أول المسألة.

وإن كان السحر لا يقتضي الكفر، كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهانات وغيرها، فهو حرام حرمة شديدة ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر، وهذا هو الحق إن شاء الله تعالى في هذه المسألة التي اختلف فيها العلماء [٣].

وهذا هو الراجح عندي: وهو ما ذهب إليه الشافعي وابن المنذر والنووي وطائفة من المالكية، وهو الصحيح من مذهب أحمد والله تعالى أعلم.

---

(١) المغني لابن قدامة (٨/ ١٠٥).
(٢) مطالب أولي النهى (٩/ ٩٨).
(٣) أضواء البيان (٤/ ٥٠).

قوله: «وهم علي نياتهم في الآخِرة»:

أي: أن هـؤلاء الزنادقة والدروز والمنافقين ونحوهم ممن أظهر الإسلام تقبل توبته عند جماهير العلماء[١]، كما تقبل توبة الكافر، فإن صدقوا في توبتهم في الظاهر والباطن نفعهم ذلك في الآخرة، وإن كانوا غير صادقين في الباطن لن تنفعهم توبة الظاهر في الآخرة.

وقوله:

قلتُ وإن دلت دلائلُ الهدى ... كما جرى للعيلبوني اهتدى

فإنه أَذاع من أسرارهم ... ما كان فيه الهتكُ عن أستارهم

وقد توسط الناظم في المسألة، حيث قال: «قلت: وإن دلت من الشخص التائب «دلائل الهدى» وقرائن الأحوال على صدق توبته ورجوعه «كما جرى لـ» حسن «العيلبوني» نسبة إلى عيلبون بلدة في الشام- كانت لطائفة من الدروز ومسكنًا لهم- فتاب من إلحاده حيث أنه كان درزيًّا، و«اهتدى» وأنقذه الله من الضلال «فإنه» أي: العيلبوني «أذاع» أي: أظهر «من أسرارهم» أي: من أسرار الدروز «ما» أي: شيئًا «كان فيه» أي: في ذلك الشيء المذاع «الهتك» أي: الكشف «عن أستارهم» التي كانوا يكتمونها من الوقوع على المحارم، كالبنات والأخوات، وأكل الخنزير ورفض العبادات، وإنكار الشرائع، واعتقادهم أن كل ما حرمته الشريعة فهو مباح لهم.

---

(١) وقد سبقت المسألة في شرح البيت السابع والثمانين.

وقوله:

وكـان للـدين القـويم ناصـرًا فـصار منـا باطنًـا وظـاهرًا

«وكان» أي: العيلبوني «للدين القويم» والهدى المستقيم «ناصرًا» باتباعه «فصار منا» أهل الحق «باطنًا» أي: في الباطن، «وظاهرًا» فهو مسلم مقبول الإسلام.

وكان العيلبوني شاعرًا لبيبًا، أخذ من علماء مصر ودمشق وجاور بها، ثم ارتحل إلى عكا ومات بها سنة ألف وخمس وثمانين رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله:

فكـل زنـديق وكُـل مـارق وجاحـد ومُلحـد مُنـافق

«فكل زنديق» لا يتدين بدين، و«كل مارق» من أهل البدع، «و» كل «جاحد» من درزي ودهري وغيرهما، «و» كل «ملحد» في آيات الله، ومنكر لشيء مما ثبت بالضرورة من الشريعة.

«منافق» أي: ذي نفاق.

وقوله:

إذا اسـتبانَ نُـصحُه للـدين فإنـه يُقبَـل عـن يقـين

«إذا» تاب مما هو عليه، و«استبان» أي: بان وظهر صحة إيمانه و«نصحه للدين» القويم، «فإنه» أي: هذا التائب «يقبل» منه ذلك الرجوع والتوبة «عن يقين» وهو الحكم الجازم المطابق للواقع، وسنده قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة: ١٦٠] الآية. قاله ابن مانع.

الخلاصة:

أن كل من استبان توبته- من ملحد أو زنديق أو ساحر أو كافر- وصار مسلمًا في الظاهر، ودلت القرائن على أنه لا يبطن الكفر، تقبل توبته، لعموم الأدلة الدالة على قبول توبة الكافر كما سبق بيانه.

مسألة: حكم من سب الله -تعالى- أو استهزأ بالله، ومن سب الرسول ﷺ، هل تقبل توبته؟

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة].

أجمعت الأمة على أن من سب الله تعالى أو رسوله فقد كفر ويجب قتله.

قال الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله أحد الأئمة الأعلام: أجمع المسلمون على أن من سب الله ورسوله ﷺ أو دفع شيئًا مما أنزل الله عز وجل أو قتل نبيًّا من أنبياء الله عز وجل أنه كافر بذلك، وإن كان مقرًّا بكل ما أنزل الله.

قال الخطابي رحمه الله: لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله[1].

قال ابن تيمية رحمه الله: وتحرير القول فيه: أن الساب إن كان مسلمًا فإنه يكفر ويُقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم[2].

---

(١) الصارم المسلول لابن تيمية (ص: ١١، ١٢).

(٢) المصدر السابق.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: إن سب الله أو رسوله كفر ظاهرًا وباطنًا، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلًّا له، أو كان ذاهلًا عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل [(١)].

وهل تقبل توبة الساب؟

السّاب لله تعالى إما أن يكون مسلمًا أو كافرًا.

أما الكافر: فقد أجمع العلماء على أن الكافر إن سب الله تعالى ثم تاب فإن توبته تقبل ويسقط عنه القتل، وحُجتهم في ذلك: أن الكفار سبوا الله تعالى ولم يأمر سبحانه بقتلهم، وسنذكر أدلة ذلك.

أما توبة المسلم: فإن الناس مجمعون على أن من سب الله تعالى من المسلمين يقتل، وإنما اختلفوا في توبته[(٢)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فيمن سب الله تعالى: فإن كان مسلمًا وجب قتله بالإجماع، لأنه بذلك كافر مرتد، وأسوأ من الكافر، فإن الكافر يعظم الرب ويعتقد أن ما هو عليه من الدين الباطل ليس باستهزاء بالله ولا مسبة له.

ثم اختلف أصحابنا وغيرهم في قبول توبته، بمعنى أنه هل يستتاب كالمرتد ويسقط عنه القتل إذا أظهر التوبة من ذلك بعد رفعه إلى السلطان وثبوت الحد عليه؟ على قولين: أحدهما أنه بمنزلة سباب الرسول، فيه الروايتان في سباب الرسول، هذه طريقة أبي الخطاب وأكثر من احتذى حذوه من المتأخرين، وهو الذي يدل عليه كلام الإمام أحمد حيث قال:

---

(١) الصارم المسلول (ص: ٣٨٤)

(٢) المصدر السابق.

كل من ذكر شيئًا يعرض بذكر الرب تبارك وتعالى فعليه القتل؛ مسلمًا كان أو كافرًا، وهذا مذهب أهل المدينة، فأطلق وجوب القتل عليه ولم يذكر استتابته وذكر أنه قول أهل المدينة ومن وجب عليه القتل يسقط بالتوبة، وقول أهل المدينة المشهور أنه لا يسقط القتل بتوبته، ولو لم يرد هذا لم يخصه بأهل المدينة، فإن الناس مجمعون على أن من سب الله تعالى من المسلمين يقتل وإنما اختلفوا في توبته.

فلما أُخذ بقول أهل المدينة في المسلم كما أخذ بقولهم في الذمي علم أنه قصد محل الخلاف بإظهار التوبة بعد القدرة عليه كما ذكرناه في سبّ الرسول.

وأما الرواية الثانية: فإن عبد الله قال: سُئل أبي عن رجل قال «يا ابن كذا وكذا أنت ومن خلقك» قال أبي: هذا مرتد عن الإسلام، قلت لأبي: تضرب عنقه؟ قال: نعم تضرب عنقه، فجعله من المرتدين.

والرواية الأولى: قول الليث بن سعد، وقول مالك، وروى ابن القاسم عنه قال: من سب الله تعالى من المسلمين قتل، ولم يستتب، إلا أن يكون افترى على الله بارتداده إلى دين دان به وأظهره فيستتاب، وإن لم يظهره لم يستتب، وهذا قول ابن القاسم، ومطرف، وعبد الملك، وجماهير المالكية.

والثاني: أنه يستتاب وتقبل توبته بمنزلة المرتد المحض، وهذا قول القاضي أبي يعلي، والشريف أبي جعفر، وأبي علي بن البناء، وابن عقيل، مع قولهم: إن من سب الرسول لا يستتاب، وهذا قول طائفة من المدنيين: منهم محمد بن مسلمة، والمخزومي، وابن أبي حازم، قالوا: لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني، فإن تابوا قُبل

منهم، وإن لم يتوبوا قتلوا، ولابد من الاستتابة، وذلك كله كالردة وهو الذي ذكره العراقيون من المالكية.

وكذلك ذكر أصحاب الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قالوا: سبّ الله ردة، فإذا تاب قُبلت توبته، وفرقوا بينه وبين سب الرسول ﷺ على أحد الوجهين، وهذا مذهب الإمام أبي حنيفة.

وأما من استتاب السّاب لله ولرسوله، فمأخذه أن ذلك من أنواع الردة.

ومن فرّق بين سب الله وسب الرسول قالوا: سب الله تعالى كفر محض، وهو حق لله وتوبة من لم يصدر منه إلا مجرد الكفر الأصلي أو الطارئ مقبولة مسقطة للقتل بالإجماع.

ويدل على ذلك أن النصارى يسبون الله بقولهم: هو ثالث ثلاثة، وبقولهم: إن له ولدًا كما أخبر النبي ﷺ عن الله عز وجل أنه قال: « **شَتَمَنِي ابْن آدم وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ذَلك، وَكَذبَنِي ابْن آدم وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ذلك، أَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُه: إِنَّ لِي وَلَدًا وَأَنا الله الأَحَدُ الصَّمَدُ** »[(١)] وقال سبحانه ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ [المائدة: ٧٣، ٧٤] وهو سبحانه قد عُلم منه أنه يسقط حقه عن التائبة فإن الرجل لو أتى من الكفر والمعاصي بملء الأرض ثم تاب، تاب الله عليه، وهو سبحانه لا تلحقه بالسّب غضاضة ولا معرة، وإنما يعود ضرر السب على قائله، وحرمته في قلوب العباد أعظم من أن يهتكها جرأة الساب..[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٣) وغيره، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) الصارم المسلول (٤٠٧، ٤٠٨).

وأما التوبة من سب النبي ﷺ فقد أجمع العلماء على وجوب قتل من سب النبي ﷺ سواء كان مسلمًا أو كافرًا، واختلفوا في قبول توبته، فالجمهور على أنها تقبل ولا يسقط عنه حدّ القتل فيقتل حدًّا لأن الحدود لا تسقط بالتوبة.

قال القاضي أبو محمد بن نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته أن النبي ﷺ بشر، والبشر جنس تلحقه المعرة إلا من أكرمه الله بنبوته، والبارئ تعالى منزه عن جميع المعايب قطعًا، وليس من جنس تلحق المعرةُ بجنسه، لا حق فيه لغيره من الآدميين، فقبلت توبته، ومن سب النبي ﷺ تعلق فيه حق الآدمي، فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده أو يقذف، فإن توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف[١].

قال أبو الحسن القابسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أقر بالسبّ وتاب منه – وأظهر التوبة– قتل بالسب، لأنه هو حدُّه[٢].

وقال ابن سحنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من شتم النبي ﷺ من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل [٣].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد قدمنا ما هو سبّ وأذى في حقه ﷺ وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك، وقائله أو تخيير الإمام في قتله أو صلبه.

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص: ٤٥٧).
(٢) الشفا (ص: ٤٥٦).
(٣) المصدر السابق.

وبعد؛ فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه، وقول السلف وجمهور العلماء قتله لا كفرًا إن أظهر التوبة منه، ولهذا لا تقبل عندهم توبته... وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله، أو جاء تائبًا من قبل نفسه، لأنه حدّ وجب لا تُسقطه التوبة كسائر الحدود[١].

الخلاصة:

أن من سب الله تعالى أو رسوله فقد كفر، ووجب قتله إن لم يتب، سواء كان مسلمًا أو كافرًا، وهذا مما أجمع عليه أهل العلم.

أما الكافر إذا سب الله ثم تاب سقط عنه حد القتل بالتوبة، وإن كان مسلمًا فالراجح أن تقبل توبته ولا يقتل.

وأما من سب الرسول ﷺ فقد كفر، ويجب قتله بالإجماع، فإن تاب قُبلت توبته عند أكثر أهل العلم، ولا يسقط عنه القتل بالتوبة، بل يقتل حدًّا وإن تاب.

---

(١) المصدر السابق.

فصل: في الكلام عن الإيمان

قال الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٩٥- إيمانُنا قولٌ وقصدٌ وعملُ   تزيدُه التقوى وينقص بالزَّلَل

الشرح

الإيمان لغة: أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان.

أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها: سكون القلب والآخر: التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان [١].

قال الفيروزآبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمن به إيمانًا: صدَّقه، والإيمان: الثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة [٢].

قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضده التكذيب، يقال: آمن به قوم وكذب به قوم [٣].

وشرعًا: الإقرار والتصديق بالقلب، وعمل الجوارح، وعمل اللسان.

قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلموا رحمنا الله تعالى وإياكم، أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان وعمل الجوارح.

ثم اعلموا: أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق، إلا أن يكون معه

(١) مقاييس اللغة (١/ ١٣٣-١٣٥).
(٢) القاموس المحيط (ص: ١٠٦٠).
(٣) اللسان (١/ ١٠٧).

عمل الجوارح، فإن كملت فيه هذه الخصال الثلاثة كان مؤمنًا[(١)].

الأدلة على أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: حقيقةُ الإيمانِ مركبةٌ من قولٍ وعملٍ.

والقولُ قسمان: قولُ القلبِ وهو الاعتقادُ، وقولُ اللسانِ وهو التكلمُ بكلمةِ الإسلامِ.

والعملُ قسمان: عملُ القلبِ وهو نيَّتُه وإخلاصُه، وعملُ الجوارحِ.

فإذا زالت هذه الأربعةُ زالَ الإيمانُ بكمالِه، وإذا زالَ تصديقُ القلبِ لم تنفعْ بقيةُ الأجزاءِ، فإنَّ تصديقَ القلبِ شرطٌ في اعتقادِها وكونِها نافعةً.

وإذا زالَ عملُ القلبِ مع اعتقادِ الصدقِ، فهذا موضعُ المعركةِ بينَ المرجئةِ وأهلِ السُّنَّةِ. فأهلُ السُّنَّةِ مجمعون على زوالِ الإيمانِ وأنَّه لا ينفعُ التصديقُ مع انتفاءِ عملِ القلبِ وهو محبتُه وانقيادُه، كما لم ينفعْ إبليسَ وفرعونَ وقومَه واليهودَ والمشركين الذين كانوا يعتقدون صِدقَ الرسولِ بل ويقرُّون به سرًّا وجهرًا، ويقولون: ليس بكاذبٍ ولكنْ لا نتَّبعُه ولا نؤمنُ به.

وإذا كان الإيمانُ يزولُ بزوالِ عملِ القلبِ، فغيرُ مستنكرٍ أنْ يزولَ بزوالِ أعظمِ أعمالِ الجوارحِ، ولا سيَّما إذا كان ملزومًا لعدمِ محبةِ القلبِ وانقيادِه الذي هو ملزومٌ لعدمِ التصديقِ الجازمِ كما تقدَّم تقريرُه، فإنَّه يلزمُ عدم طاعةِ القلبِ عدم طاعةِ الجوارحِ، إذ لو أطاعَ القلبُ وانقادَ أطاعت الجوارحُ وانقادتْ، ويلزمُ من عدمِ طاعتِه وانقيادِه عدمُ التصديقِ المستلزمُ للطاعةِ، وهو حقيقةُ الإيمانِ، فإنَّ الإيمانَ ليس مجردَ التصديقِ (كما تقدَّمَ

---

(١) الشريعة (٢/ ٦١١).

بيانُه) وإنَّما هو التصديقُ المستلزمُ للطاعةِ والانقيادِ[١]. انتهى

فمن قال بلسانِه ولمْ يصدِّقْ قلبُه، فهو كافرٌ أو منافقٌ نفاقًا عَقَدِيًّا[٢] يخرجُه من الملَّةِ.

قال جلَّ ذكرُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة]. أي: يقولون ذلكَ قولًا ليس وراءَه شيءٌ آخرُ[٣] كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون].

قال الشنقيطيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (المنافقون) جمعُ منافقٍ وهو: من يُظهرُ الإيمانَ ويُسرُّ الكفرَ... وأصلُ الشهادةِ: أنْ يواطئَ اللسانُ القلبَ وهذا بالنطقِ وذلك بالاعتقادِ، فكذَّبهم اللهُ وفضحَهم بقولِه: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ أي: لم تواطئْ قلوبُهم ألسنتَهم على تصديقِك[٤].

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن عَرَفَ بقلبِه فحسب وتركَ قولَ اللسانِ وعملَ القلبِ وعملَ الجوارحِ بالكلِّيةِ فهو كافرٌ ككفرِ فرعونَ واليهودِ؛ لأنَّ فرعونَ كان على يقينٍ أنَّ ما جاءَ به موسى عليه السلامُ ليس سحرًا ومع ذلك لم

---

(١) الصلاة وحكم تاركها (ص٤٤).

(٢) النفاق نوعان: نفاق عقدي يخرج صاحبه من الملة، ونفاق عملي لا يخرج صاحبه من الملة.

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦).

(٤) أضواء البيان (٨/ ١٨٨).

يتبعْه فلم تنفعْه معرفةُ القلبِ، واليهودُ كانوا يعلمونَ صدقَ النبيِّ عليه السلامُ ولم يتَّبعُوه فلم تنفعْهم هذه المعرفةُ بل هي حجةٌ عليهم قال اللهُ تعالى في كفرِ فرعونَ وقومِه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل: ١٤].

أي: تيقَّنوا أنَّها من عندِ اللهِ وأنَّها ليست سحرًا، ولكنَّهم كفروا بها وتكبَّرُوا أنْ يؤمنُوا بموسى، وهذا يدلُّ على أنَّهم كانوا معاندين، و﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ منصوبان على نعتِ مصدرٍ محذوفٍ، أي: وجحدُوا بها جحُودًا ظلمًا وعلوًّا[١].

وقال سبحانَه في اليهودِ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة].

قال ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبرُ تعالى أنَّ علماءَ أهلِ الكتابِ يعرفون صحةَ ما جاءَهم به الرسولُ عليه السلامُ كما يعرِفُ أحدُهم ولدَه، والعربُ كانت تضربُ في صحَّةِ الشيءِ بهذا[٢].

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعرفونه» في موضعِ الحالِ، أي: يعرفون نبوَّتَه وصدقَ رسالتِه، والضميرُ عائدٌ على محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ، قاله مجاهدٌ وقتادةُ وغيرُهما[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٧٤).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٢).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٦٧).

عَنْ عُثْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

وقال النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرضِ شرحِه للحديثِ: وفي قوله ﷺ: «**وهو يعلمُ**» إشارةٌ إلى الردِّ على من قال من غلاةِ المرجئةِ: إنَّ مُظْهِرَ الشهادتين يدخلُ الجنةَ وإنْ لم يعتقدْ ذلك بقلبِه. وقد قُيِّدَ ذلك في حديثٍ آخرَ بقوله ﷺ: «**غيرَ شاكٍّ فيهما**» وهذا يؤكدُ ما قلنا(٢).

قال القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد يحتجُّ من يرَى أنَّ مجردَ معرفةِ القلبِ نافعةٌ دونَ النطقِ بالشهادتين لاقتصارِه على العلمِ.

ومذهبُ أهلِ السُّنَّةِ: أنَّ المعرفةَ مرتبطةٌ بالشهادتين لا تنفعُ إحداهما ولا تنْجِي من النارِ دونَ الأخرَى(٣).

قال البربهاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإيمانُ بأنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، وعملٌ وقولٌ ونيَّةٌ وإصابةٌ، يزيدُ وينقصُ، يزيدُ ما شاءَ اللهُ، وينقصُ حتى لا يبقَى منه شيءٌ(٤).

ونذكرُ هاهنا الأدلةَ من الكتابَ والسُّنَّةِ على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦) وغيره.

(٢) شرح مسلم للنووي (١/ ٢٥٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) شرح السنة (ص: ٥٢).

أولاً: الدليلُ على أنَّ الإيمانَ قولٌ:

اعلمْ أنَّ القولَ يشملُ قولَ اللسانَ وقولَ القلبِ، لا يصحُّ أحدُهما بغيرِ الآخرِ كما سبقَ بيانُه.

١- دليلُ قولِ اللسانِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة].

وقال جلَّ ثناؤُه: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤﴾ [آل عمران].

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [الحجرات].

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ: غَيْرَكَ - قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»(١).

عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «مَنِ الوَفْدُ أَوْ مَنِ القَوْمُ؟» قَالُوا: رَبِيعَةُ

(١) أخرجه مسلم (٦٢-٣٨) وغيره.

فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِالقَوْمِ أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى**» قَالُوا: إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، وَلاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، نَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ. فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَتُعْطُوا الخُمُسَ مِنَ المَغْنَمِ**» وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ وَالحَنْتَمِ وَالمُزَفَّتِ. قَالَ شُعْبَةُ: رُبَّمَا قَالَ: «**النَّقِيرِ**» وَرُبَّمَا قَالَ: «**المُقَيَّرِ**» قَالَ: «**احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ**»(١)(٢).

فعدَّ النبيُّ ﷺ النطقَ بشهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ - وهو قولٌ - إيمانًا، فدلَّ ذلك على أنَّ قولَ اللسانِ داخلٌ في مسمَّى الإيمانِ.

وقال النبيُّ ﷺ في حديثِ شعبِ الإيمانِ: «**الإيمانُ بِضْعٌ وَسبعونَ أَو بِضْعٌ وستُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضلُها قولُ لا إلهَ إلا اللهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣، ٨٧، ٥٢٣، ١٣٩٨، ٣٠٩٥، ٣٥١٠)، ومسلم (٢٣-١٧).

(٢) فائدة: الإشكال في كونه ﷺ قال: «**آمركم بأربع**» والمذكور في أكثر الروايات خمس، واختلف العلماء في الجواب عن هذا على أقوال أظهرها: ما قاله ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ في شرح صحيح البخاري، قال: أمرهم بالأربع التي وعدهم بها ثم زادهم خامسة، يعني: أداء الخمس، لأنهم كانوا مجاورين لكفار مضر فكانوا أهل جهاد وغنائم وذكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح نحو هذا - مسلم بشرح النووي (١/ ٢١٩) وفتح الباري (١/ ١٦١).

الطَّريقِ، وَالحَياءُ شُعبةٌ مِنَ الإيمَانِ»(١).

أعْلَى شُعَبِ الإيمانِ قولُ لا إلهَ إلا اللهُ كما جاءَ في الحديثِ. فدلَّ ذلك على أنَّ قولَ اللسانِ داخلٌ في مسمَّى الإيمانِ.

٢- دليلُ قولِ القلبِ:

«فأمَّا قولُ القلبِ: فهو التصديقُ الجازمُ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ، ويدخلُ فيه الإيمانُ بكلِّ ما جاءَ به رسولُ اللهِ ﷺ.

ثمَّ الناسُ في هذا على أقسام: منهم من صدَّقَ به جملةً ولم يعرف التفصيلَ، ومنهم من صدَّقَ جملةً وتفصيلًا»(٢). انتهى.

الدليلُ على ذلك:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات].

وقال جلَّ ثناؤه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِن أَحدٍ يَشهدُ أنَّ لا إلهَ إلا اللهُ وأنّ محمدًا رسولُ اللهِ صِدْقًا من قلبِهِ إلا حرَّمه اللهُ على النارِ»**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٩) باختصار ومسلم (٥٨-٣٥) واللفظ لمسلم.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧١).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٢) واللفظ للبخاري.

وفي روايةٍ: «أشهدُ أنّ لا إلهَ إلا اللهُ وأنّي رسولُ اللهِ، لا يَلقَى اللهَ بهِما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلا دخلَ الجنةَ»[(١)].

قال أبو العباسِ رَحِمَهُ اللهُ: ومعنى صدقِ القلبِ: تصديقُه الجازمُ بحيثُ لا يخطرُ له نقيضُ ما صدَّقَ به[(٢)].

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ...»[(٣)].

ثانيًا: دليلُ أنّ الإيمانَ عملٌ:

والعملُ يشملُ عملَ القلبِ وعملَ الجوارحِ:

١- دليلُ عملِ القلبِ:

أعمالُ القلوبِ كثيرةٌ جدًّا، أعظمُها حبُّ اللهِ وتعظيمُه وحبُّ الرسولِ ﷺ وتوقيرُه، ومنها خشيةُ اللهِ والإنابةُ إليه والإخلاصُ له والتوكلُ عليه إلى غيرِ ذلك، وقد جاءتْ أعمالُ القلوبِ في القرآنِ والسُّنّةِ مجملةً ومفصلةً.

أمَّا على وجهِ الإجمالِ، فقال اللهُ تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ

(١) أخرجه مسلم (٤٤ – ٢٧).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٠٨).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٤٢٠، ٤٢٤)، وأبو داود (٤٨٨٠)، وأبو يعلى (٧٤٢٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٤٧)، وفي «الشعب» (٦٧٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٤).

﴿ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة]. وكلُّ ما ذكرَ في الآيةِ من أعمالِ القلوبِ إجمالًا.

وقال جلَّ ذكرُه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾ [المؤمنون].

وقال سبحانه: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(١).

فدلَّ الحديثُ على أنَّ إنكارَ المنكرِ بالقلبِ من أعمالِ القلوبِ.

وعن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(٢).

وقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثِ جبريلَ عليه السلامُ لمَّا قال له: فأخبرْني عن الإيمانِ. قال: «أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسلِهِ واليومِ الآخرِ وتؤمنَ بالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٠).

(٣) أخرجه مسلم (٨) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

٢- دليلُ عمل الجوارح:

الأدلَّةُ من الكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ الأمةِ على أنَّ عملَ الجوارحِ من الإيمانِ كثيرةٌ جدًّا، نذكرُ منها:

قول اللهِ تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف]، وقال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل].

وقوله جلَّ ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنفال].

وقوله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم].

قال الآجريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلمُوا – رحِمَنا اللهُ وإياكم – يا أهلَ القرآنِ، ويا أهلَ العلمِ، ويا أهلَ السُّنَنِ والآثارِ، ويا معشرَ من فقَّههم اللهُ تعالى في الدينِ، بعلمِ

الحلالِ والحرامِ، إنَّكم إنْ تدبَّرتم القرآنَ كما أمركم اللهُ تعالى علِمتم أنَّ اللهَ تعالى أوجبَ على المؤمنين بعدَ إيمانِهم به وبرسولِه العملَ، وأنَّه تعالى لم يُثْنِ على المؤمنين بأنَّه قد رضيَ عنهم وأنَّهم قد رضُوا عنه وأثابَهم على ذلك الدخولَ إلى الجنَّةِ والنجاةَ من النارِ إلا بالإيمانِ والعملِ الصالحِ، وقَرَنَ مع الإيمانِ العملَ الصالحَ، لم يدخلْهم الجنَّةَ بالإيمانِ وحدَه، حتى ضمَّ إليه العملَ الصالحَ الذي قد وفَّقهم له، فصارَ الإيمانُ لا يتمُّ لأحدٍ حتى يكونَ مصدقًا بقلبِه، وناطقًا بلسانِه، وعاملًا بجوارحِه لا يخفَى، ومن تدبرَ القرآنَ وتصفحَه وجدَه كما ذكرتُ.

واعلمُوا -رحِمَنا اللهُ تعالى وإياكم- أنِّي قد تصفحتُ القرآنَ فوجدتُ فيه ما ذكرتُه في ستةٍ وخمسين موضعًا من كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ. أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى لم يُدخل المؤمنينَ الجنَّةَ بالإيمانِ وحدَه، بل أدخلَهم الجنَّةَ برحمتِه إياهم وبمَا وفَّقهم له من الإيمانِ به والعملِ الصالحِ، وهذا ردٌّ على من قال: الإيمانُ المعرفةُ، وردٌّ على من قال: المعرفةُ والقولُ وإنْ لم يعملْ[(١)]، نعوذُ باللهِ من قائلِ هذا... ثم ذكرَ جملةً من الآياتِ التي تدلُّ على أنَّ عملَ الجوارحِ من الإيمانِ[(٢)].

وقد دلَّتِ السُّنَّةُ على أنَّ الإيمانَ عملٌ:

قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ**»[(٣)].

---

(١) يشير إلى عقيدة المرجئة وهي من الفرق الضالة وسيأتي الكلام عليها في موضعه بإذن الله.

(٢) الشريعة (ص: ٩٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣) والترمذي (٣٥١٧) وأحمد (٥/ ٣٤٢) وغيرهم، من

وقد أخرجَ البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحَيهِما من حديثِ البراءِ بنِ عازبٍ؛ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَإِنَّهُ صَلَّى - أَوْ صَلاَّهَا - صَلاَةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ. قَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾[(١)].

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قولُه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾ اتَّفقَ العلماءُ على أنَّها نزلتْ فيمن ماتَ وهو يصلِّي إلى بيتِ المقدسِ، كما ثبتَ في البخاريِّ من حديثِ البراءِ...

ورَوى ابنُ وهبٍ وابنُ القاسمِ وابنُ عبدِ الحكمِ عن أشهبَ عن مالكٍ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾. قال: صلاتكم[(٢)].

قال البيهقيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدَ أنْ ساقَ حديثَ البراءِ المتقدمَ: وفي هذا دلالةٌ على أنَّه سمَّى صلاتَهم إلى بيتِ المقدسِ إيمانًا، وإذا ثبتَ ذلك في الصلاةِ ثبتَ ذلك في سائرِ الطاعاتِ، وقد سمَّى رسولُ اللهِ ﷺ الطهورَ إيمانًا، فقالَ

=

حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٦) ومسلم (٥٢٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٦٢).

في حديثِ أبي مالكٍ الأشعريِّ: «الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ»[(١)(٢)].

وفي الصحيحَين عن ابنِ عباسٍ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لوَفدِ عبدِ القَيْسِ: «آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانِ بِاللهِ»، ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ، فَقَالَ: «شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنَّ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ: الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُقَيَّرِ» زَادَ خَلَفٌ فِي رِوَايَتِهِ: «شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[(٣)]، وَعَقَدَ وَاحِدَةً.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[(٤)].

ثالثًا: دليلُ أنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ:

قدَّمْنا الأدلةَ من الكتابِ والسُّنَّةِ على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ على ما ذكرنَا من تفصيلٍ، ونذكرُ هاهنا الأدلةَ من الكتابِ والسُّنَّةِ على أنَّ الإيمانَ يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ والتقصيرِ في فعلِ الطاعاتِ.

قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة].

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (ص: ١٩٤).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ للبخاري.

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

وقال سبحانه: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]

وقال: ﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وغيرُ ذلك من الآياتِ الدالةِ على زيادةِ الإيمانِ.

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا[١].

وعن حَنْظلةَ الأُسَيْديِّ (وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ) قال: لقِيَني أبو بكرٍ فقالَ: كيفَ أنتَ يا حنظلةُ؟ قالَ: قلتُ: نافقَ حنظلةُ. قال: سبحانَ اللهِ! ما تقولُ؟ قالَ: قلتُ: نكونُ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ يُذَكِّرُنا بالنارِ والجنَّةِ حتَّى كأنَّا رَأْيُ عَينٍ، فإذا خَرَجْنا مِن عندِ رسولِ اللهِ ﷺ، عافَسْنا[٢] الأزواجَ والأولادَ والضَّيْعاتِ[٣] فنسِينا كثيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ

---

(١) صحيح: سنن ابن ماجه (٦١)، والخلال في السنة (٧٩٩، ١٥٩٣)، وابن بطة في الإبانة (١١٣٦)، والبيهقي في الشعب (٥١)، واللالكائي (٥/ ١٧).

(٢) عافسنا: عالجنا وحاولنا، وفي الصحاح: المعافسة: المعالجة، يعني أنهم إذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ اشتغلوا بهذه الأمور، وتركوا تلك الحالة الشريفة التي كانوا يجدونها عند سماع موعظة رسول الله ﷺ ومشاهدته - المفهم (٧/ ٦٧).

(٣) ضيعة الرجل: حرفته وصناعته ومعاشه وكسبه - لسان العرب (٥/ ٥٤٨) مادة (ضيع).

عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فقالَ رسول الله ﷺ: «والّذي نَفْسي بِيَدِهِ، إنْ لَوْ تَدومونَ على ما تكونونَ عِنْدي وفي الذِّكْرِ لَصافَحَتْكُم الملائِكَةُ عَلَى فُرشِكُم وَفي طُرُقِكُمْ ولَكِنْ يا حَنْظَلَةُ ساعةً وساعةً»[1] ثلاث مرات.

وعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»[2].

وَعَن أَبي هُرَيرَةَ؛ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[3].

قال محمدُ بنُ عليٍّ رَحِمَهُ اللهُ: هذا الإسلامُ ودوَّرَ دائرةً في وسطِها أخرَى وهذا الإيمانُ – الذي في وسطِها – مقصورٌ في الإسلامِ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: « لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ...» وساقَ الحديثَ كما تقدمَ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٠).
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤) ومسلم (٨٠).
(٣) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧).

قال: يخرجُ من الإيمانِ إلى الإسلامِ ولا يخرجُ من الإسلامِ، فإذا تابَ تابَ اللهُ عليه ويرجعُ إلى الإيمانِ(١).

قال ابنُ بطَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا القولُ من أبي جعفرٍ محمدِ بنِ عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أوضحِ الدلائلِ وأفصحِها على زيادةِ الإيمانِ ونقصانِه، وذلك أنَّ الإيمانَ يزيدُ بالطاعاتِ فيحصنُه الإيمانُ، وينقصُ بالمعاصي فيحرِقُ الإيمانَ ويكونُ غيرَ خارجٍ من الإسلامِ(٢)، وذلك أن الإسلامَ لا يجوزُ أنْ يقالَ فيه يزيدُ وينقصُ(٣).

قال الآجريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد رُويَ عن جماعةٍ ممن تقدموا أنَّهم قالوا: إذا زَنَى نُزِعَ منه الإيمانُ، فإن تابَ ردَّه اللهُ إليه. كلُّ ذلك دليلٌ على أنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ(٤).

قال أبو عثمان الصابونيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مذهبُ أهلِ الحديثِ: أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ومعرفةٌ، يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ(٥).

قال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعتُ أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وسُئِلَ عن الإرجاءِ؟ فقال: نحنُ نقولُ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ، إذا زنَى وشربَ الخمرَ نقصَ إيمانُه(٦).

---

(١) الإبانة لابن بطة (١/ ٤١١).
(٢) وستأتي الأدلة على أن مرتكبي الكبائر - ما لم يستحلها - لا يخرج من الملة ولا يخلد في النار.
(٣) الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة (١/ ٤١١).
(٤) الشريعة (ص: ٩٠).
(٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٦٤).
(٦) السنة (ص: ٢٦٤) حديث رقم (٥٨٥).

قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد حكى غيرُ واحدٍ إجماعَ أهلَ السُّنَّةِ والحديثِ على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ. قال أبو عمر بنُ عبدِ البرِّ في «التمهيد»: أجمعَ أهلُ الفقهِ والحديثِ على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، ولا عملَ إلا بنيةٍ، والإيمانُ عندَهم يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ، والطاعاتُ كلُّها عندَهم إيمانٌ إلَّا ما ذكرَ عن أبي حنيفةَ وأصحابِه، فإنَّهم ذهبُوا إلى أنَّ الطاعةَ لا تُسمَّى إيمانًا، قالوا: إنَّما الإيمانُ التصديقُ والإقرارُ، ومنهم من زادَ المعرفةَ وذكرَ ما احتجُّوا به... إلى أنْ قال: وأمَّا سائرُ الفقهاءِ من أهلِ الرأيِ والآثارِ بالحجازِ والعراقِ والشامِ ومصرَ، منهم مالكُ بنُ أنسٍ، والليثُ بنُ سعدٍ، وسفيانُ الثوريُّ، والأوزاعيُّ، والشافعيُّ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ، وإسحاقُ بنُ راهويهِ، وأبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلامٍ، وداودُ بنُ عليٍّ والطبريُّ، ومن سلكَ سبيلَهم[1].

فقالوا: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، قولُ اللسانِ وهو الإقرارُ واعتقادُ القلبِ وعملُ الجوارحِ مع الإخلاصِ بالنيَّةِ الصادقةِ.

قالوا: وكلُّ ما يطاعُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- به من فريضةٍ ونافلةٍ فهو من الإيمانِ، والإيمانُ يزيدُ بالطاعاتِ وينقصُ بالمعاصِي، وأهلُ الذنوبِ عندَهم مؤمنون غيرُ مستكملي الإيمانِ من أجلِ ذنوبِهم، وإنَّما صاروا ناقصِي الإيمانِ بارتكابِهم الكبائرَ، ألا ترى قولَ النبيِّ ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[2] الحديث، يريدُ مستكملَ الإيمانِ ولم يردْ به نفيَ جميعِ الإيمانِ عن فاعلِ ذلك؟[3].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٢٩).

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٢٩).

الخلاصة:

أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ، وأنَّ الأعمالَ من الإيمانِ، وهذا إجماعٌ من الصحابةِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ.

قال ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمشهورُ عن السلفِ وأهلِ الحديثِ، أنَّ الإيمانَ: قولٌ وعملٌ ونيةٌ، وأنَّ الأعمالَ كلَّها داخلةٌ في مسمَّى الإيمانِ.

وحكَى الشافعيُّ على ذلك إجماعَ الصحابةِ والتابعينَ ومن بعدَهم ممن أدركَهم، وأنكرَ السلفُ على من أخرجَ الأعمالَ عن الإيمانِ إنكارًا شديدًا، وممَّن أنكرَ ذلك على قائلِه، وجعلَه قولًا مُحدَثًا: سعيدُ بنُ جبيرٍ، وميمونُ بنُ مهرانَ، وقتادةُ، وأيوبُ السختيانيُّ، وإبراهيمُ النخعيُّ، والزهريُّ، ويحيى بنُ أبي كثيرٍ وغيرُهم[(١)].

قال الثوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو رأيٌ محدثٌ، أدركنا الناسَ على غيرِه[(٢)].

وقال الأوزاعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان منْ مضَى من السَّلفِ لا يفرقونَ بينَ الإيمانِ والأعمالِ[(٣)].

وكتبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى عَديِّ بنِ عديٍّ: إنَّ للإيمانِ فرائضَ وشرائعَ وحدودًا وسننًا، فمن استكملَها استكملَ الإيمانَ، ومن لم يستكملْها لم يستكملِ الإيمانَ[(٤)].

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرضِ كلامِه عن أنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ:

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص: ٦١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر.

(٤) فتح الباري (١/ ٦٠) كتاب الإيمان.

وما نُقلَ عن السَّلفِ صرَّحَ به عبدُ الرزَّاقِ في مصنَّفِه عن سفيانِ الثوريِّ، ومالكِ بنِ أنسٍ، والأوزاعيِّ، وابنِ جريجٍ، ومعمرٍ، وغيرِهم، وهؤلاءِ فقهاءُ الأمصارِ في عصرِهم.

وكذا نقلَ اللالكائيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «كتابِ السُّنَّة» عن الشافعيِّ، وأحمدَ بنِ حنبلٍ، وإسحاقَ بنِ راهويهِ، وأبي القاسمِ وغيرِهم من الأئمةِ، ورَوى بسندِه الصحيحِ عن البخاريِّ قال: لقيتُ أكثرَ من ألفِ رجل من العلماءِ بالأمصارِ، فما رأيتُ أحدًا منهم يختلفُ في أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، ويزيدُ وينقصُ.

وأطنبَ ابنُ أبي حاتمٍ واللالكائيُّ في نقلِ ذلك بالأسانيدِ عن جمعٍ كثيرٍ من الصحابةِ والتابعين وكلِّ من يدورُ عليه الإجماعُ من الصحابةِ والتابعينَ، وحكاه فضيلُ بنُ عياضٍ ووكيعٌ عن أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ[١].

---

(١) الفتح (١/ ٦١-٦٢).

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٦- ونحــنُ في إيمانِنَا نَستثْني   مِن غيرِ شكٍّ فَاسْتَمعْ واسْتَبِنْ

الشرح

معنى الاستثناءِ في الإيمانِ: هو أنْ يقولَ الرجلُ: أنا مؤمنٌ إنْ شاءَ اللهُ[1].

أو يقولَ: «آمنتُ باللهِ» أو «أرجُو» أو نحوَ ذلك من الصيغِ.

حكمُه:

اختلفَ النَّاسُ في هذه المسألةِ على ثلاثةِ أقوالٍ:

الأولُ: أنَّ الاستثناءَ واجبٌ، حتى في الأشياءِ التي لا شكَّ فيها، وحجتُهم في ذلك قولُ اللهِ تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقولُ اللهِ تعالى بالدخولِ الآمنِ ليس فيه شكٌّ.

وقولُه تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم].

وقولُ رسولِ اللهِ ﷺ حينَ وقفَ على المقابرِ: «**السّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مؤمنينَ وإنّا إنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقونَ**»[2]، والموتُ ليسَ فيه شكٌّ ومع هذا استثنى رسولُ اللهِ ﷺ بقولِه: «**إنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقونَ**».

قالوا: لأنَّ الإيمانَ المطلقَ يتضمَّنَ فعلَ كلِّ ما أمرَ اللهُ به عبدَه وتركَ كلِّ ما نهاهُ عنه، فإذا قالَ الرجلُ أنا مؤمنٌ فقد شهدَ لنفسِه أنَّه من القائمينَ بجميعِ ما أُمروا به وتركِ كلِّ ما نُهوا عنه وفي هذا تزكيةٌ للنفسِ قد نَهَى اللهُ عنها،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا قولُ من ذهبَ إلى وجوبِ الاستثناءِ من السَّلفِ[١]، منهم اللالكائيُّ[٢] والقاضي في عيونِ المسائلِ[٣] وعبدُ الرحمنِ بن مهديٍّ وابنُ بطَّةَ[٤]، وغيرُهم.

القولُ الثاني: أنَّ الاستثناءَ حرامٌ، وحجتُهم أنَّ الإيمانَ شيءٌ واحدٌ، وهؤلاءِ هم المرجئةُ والجهميةُ؛ لأنَّ الإيمانَ عندَهم قولٌ بلا عملٍ والاستثناءُ فيه يعدُّ شكًّا، وأجابوا على الاستثناءِ الذي في قولِه تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ بأنَّه يعودُ على الأمنِ والخوفِ، فأما الدخولُ فلا شكَّ فيه، وقيل: لتدخُلُنَّ جميعُكم أو بعضُكم، لأنَّه علمَ أنَّ بعضَهم يموتُ.

وممن ذهبَ إلى هذا أيضًا الماتريديةُ[٥] والأحنافُ.

قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأبو حنيفةَ وأصحابُه لا يجوِّزون الاستثناءَ في الإيمانِ بكونِ الأعمالِ منه ويذمُّون المرجئةَ، والمرجئةُ عندَهم الذين لا يوجبون الفرائضَ ولا اجتنابَ المحارمِ؛ بل يكتفون بالإيمانِ وقد علَّلَ تحريمَ الاستثناءَ فيه بأنَّه لا يصحُّ تعليقُه على الشرطِ؛ لأنَّ المعلقَ على الشرطِ لا يوجدُ إلا عندَ وجودِه كما قالوا في قولِه: أنتِ طالقٌ إنْ شاءَ اللهُ. فإذا عُلِّقَ الإيمانُ بالشرطِ كسائرِ المعلقاتِ بالشرطِ لا يحصلُ إلا عندَ

---

(١) انظر شرح الطحاوية (ص: ٣٣٥).
(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٥/ ٢٤٥).
(٣) انظر مجموع الفتاوى (٧/ ٦٦٦).
(٤) الإبانة (١/ ٤٢٣).
(٥) انظر التوحيد للماتريدي (ص: ٣٨٨)، وتأويلات أهل السنة له أيضًا (ص: ٢٦٥).

حصولِ الشرطِ.

قالوا: وشرطُ المشيئةِ الذي يترجَّاهُ القائلُ لا يتحققُ حصولُه إلى يوم القيامةِ فإذا عُلِّقَ العزمُ بالفعلِ على التصديقِ والإقرارِ فقد ظهرتِ المشيئةُ وصحَّ العقدُ فلا معنى للاستثناءِ؛ ولأن الاستثناءَ عقيبَ الكلامِ يرفعُ الكلامَ فلا يبقَى الإقرارُ بالإيمانِ والعقدِ مؤمنًا وربَّما يتوهمُ هذا القائلُ القارنُ بالاستثناءِ على الإيمانِ بقاءَ التصديقِ وذلك يزيلُه.

«قلت»: فتعليلُهم في المسألةِ إنَّما يتوجهُ فيمن يعلِّقُ إنشاءَ الإيمانِ على المشيئةِ كالذي يريدُ الدخولَ في الإسلامِ فيقالُ له: آمِنْ. فيقولُ: أنَا أُومنَ إنْ شاءَ اللهُ أو آمنتُ إنْ شاءَ اللهُ أو أسلمتُ إنْ شاءَ اللهُ أو أشهدُ إنْ شاءَ اللهُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ إنْ شاءَ اللهُ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ.

والذين استثْنَوْا من السَّلفِ والخلفِ لم يقصدُوا في الإنشاءِ وإنَّما كان استثناؤُهم في إخبارِه عمَّا قد حصلَ له من الإيمانِ فاستثْنَوْا إمَّا أنَّ الإيمانَ المطلَقَ يقتضِي دخولَ الجنَّةِ وهم لا يعلمُونَ الخاتمةَ كأنَّه إذا قيلَ للرجلِ: أنتَ مؤمنٌ. قيل له: أنتَ عندَ اللهِ مؤمنٌ من أهلِ الجنَّةِ فيقولُ: أنا كذلك إنْ شاءَ اللهُ. أو لأنَّهم لا يعرفونَ أنَّهم أتَوْا بكمالِ الإيمانِ الواجبِ.

ولهذا كانَ من جوابِ بعضِهم إذا قيلَ له أنتَ مؤمنٌ: آمنتُ باللهِ وملائكتِه وكتبِه فيجزمُ بهذا ولا يعلِّقُه أو يقولُ: إنْ كنتَ تريدُ الإيمانَ الذي يعصمُ دمِي ومالي فأنَا مؤمنٌ وإنْ كنتَ تريدُ قولَه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال]، وقولَه: ﴿إِنَّمَا

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات] فأنا مؤمنٌ إنْ شاءَ اللهُ وأمَّا الإنشاءُ فلم يستثن فيه أحدٌ ولا شُرِعَ الاستثناءُ فيه؛ بل كلُّ من آمنَ وأسلمَ آمنَ وأسلمَ جزمًا بلا تعليقٍ.

فتبيَّنَ أنَّ النزاعَ في المسألةِ قد يكونُ لفظيًّا فإنَّ الذي حرَّمَهُ هؤلاءِ غيرُ الذي استحسنَهُ وأمرَ بِهِ أولئكَ ومنْ جزمَ جزمَ بما في قلبِه من الحالِ وهذا حقٌّ لا ينافِي تعليقَ الكمالِ والعاقبةِ ولكنَّ هؤلاءِ عندَهم الأعمالُ ليستْ من الإيمانِ فصارَ الإيمانُ هو الإسلامَ عندَ أولئك. والمشهورُ عندَ أهلِ الحديثِ أنَّه لا يستثنَى في الإسلامِ. وهو المشهورُ عن أحمدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقد رُوِيَ عنه فيه الاستثناءُ كما قد بُسِطَ هذا في شرحِ حديثِ جبريلَ وغيرِه من نصوصِ الإيمانِ التي في الكتابِ والسُّنَّةِ.

ولو قال لامرأتِه: أنتِ طالقٌ إنْ شاءَ اللهُ؛ ففيهِ نزاعٌ مشهورٌ وقد رجَّحنا التفصيلَ؛ وهو أنَّ الكلامَ يرادُ به شيئان يرادُ به إيقاعُ الطلاقِ تارةً ويرادُ به منعُ إيقاعٍ تارةً فإنْ كانَ مرادُه أنتِ طالقٌ بهذا اللفظِ. فقولُه: إن شاءَ اللهُ مثلُ قولِه بمشيئةِ اللهِ وقد شاءَ اللهُ الطلاقَ حينَ أتى بالتطليقِ فيقعُ وإنْ كانَ قد عَلَّقَ لئلا يقعَ أو علَّقَه على مشيئةٍ توجدُ بعدَ هذا لم يقعْ به الطلاقُ حتى يطلِّقَ بعدَ هذا فإنَّه حينئذٍ شاءَ اللهُ أنْ تطلَّقَ.

وقولُ من قالَ المشيئةُ تنجزُهُ ليس كما قال، بل نحن نعلمُ قطعًا أنَّ الطلاقَ لا يقعُ إلَّا إذا طُلِّقتِ المرأةُ بأنْ يطلِّقَها الزوجُ أو من يقومُ مقامَه من وليٍّ أو وكيلٍ فإذا لم يوجدْ تطليقٌ لم يقعْ طلاقٌ قطُّ فإذا قالَ أنتِ طالقٌ إنْ شاءَ اللهُ وقصدَ حقيقةَ التعليقِ لم يقعْ إلا بتطليقٍ بعدَ ذلك وكذلك إذا قصدَ

تعليقَه لئلا يقعَ الآنَ. وأمَّا إنْ قصدَ إيقاعَه الآنَ وعلَّقَه بالمشيئةِ توكيدًا وتحقيقًا فهذا يقعُ به الطلاقُ.

وما أعرفُ أحدًا أنشأَ الإيمانَ فعلَّقَه على المشيئةِ فإذا علَّقَه فإنْ كان مقصودُه أنا مؤمنٌ إن شاءَ اللهُ أنا أومنُ بعدَ ذلك فهذا لم يصرْ مؤمنًا مثلَ الذي يقالُ له: هل تصيرُ من أهلِ دينِ الإسلامِ فقالَ أصيرُ إن شاءَ اللهُ فهذا لم يُسلمْ بل هو باقٍ على الكفرِ. وإنْ كانَ قصدُه أنِّي قد آمنتُ وإيماني بمشيئةِ اللهِ صارَ مؤمنًا لكنَّ إطلاقَ اللفظِ يحتملُ هذا وهذا فلا يجوزُ إطلاقُ مثلِ هذا اللفظِ في الإنشاءِ وأيضًا فإنَّ الأصلَ أنَّه إنَّما يُعلَّقُ بالمشيئةِ ما كان مستقبلًا فأمَّا الماضي والحاضرُ فلا يُعلَّقُ بالمشيئةِ والذين استثْنَوْا لم يستثْنُوا في الإنشاءِ كما تقدَّمَ كيف وقد أُمروا أنْ يقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فأخبرَ أنَّهم آمنُوا فوقعَ الإيمانُ منهم قطعًا بلا استثناءٍ. وعلى كلِّ أحدٍ أنْ يقولَ: آمنَّا باللهِ وما أُنزلَ إلينا كما أمرَ اللهُ بلا استثناءٍ وهذا متفقٌ عليه بين المسلمينَ ما استثْنَى أحدٌ من السلفِ قطُّ في مثلِ هذا وإنَّما الكلامُ إذا أخبرَ عن نفسِه بأنَّه مؤمنٌ كما يخبرُ عن نفسِه بأنَّه برٌّ تقيٌّ فقولُ القائلِ له: أنتَ مؤمنٌ هو عندَهم كقولِه: هل أنتَ برٌّ تقيٌّ؟ فإذا قالَ: أنا برٌّ تقيٌّ فقد زكَّى نفسَه. فيقولُ: إنْ شاءَ اللهُ وأرجو أنْ أكونَ كذلك وذلك أنَّ الإيمانَ التامَّ يتعقبُهُ قبولُ اللهِ له وجزاؤُه عليه وكتابةُ المَلَكِ له فالاستثناءُ يعودُ إلى ذلك لا إلى ما عَلِمَه هو من نفسِه وحصلَ واستقرَّ؛ فإنَّ هذا لا يصحُّ تعليقُه بالمشيئةِ؛ بل يقالُ: هذا حاصلٌ بمشيئةِ اللهِ وفضلِه

وإحسانِه وقولُه فيه إنْ شاءَ اللهُ بمعنى إذْ شاءَ اللهُ وذلك تحقيقٌ لا تعليقٌ.

والرجلُ قد يقولُ: واللهِ ليكونَنَّ كذا إنْ شاءَ اللهُ وهو جازمٌ بأنَّه يكونُ فالمعلَّقُ هو الفعلُ كقولِه: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ واللهُ عالمٌ بأنَّهم سيدخلونه وقد يقولُ الآدميُّ لأفعلنَ كذا إنْ شاءَ اللهُ وهو لا يجزمُ بأنَّه يقعُ لكنْ يرجوه فيقولُ: يكونُ إنْ شاءَ اللهُ ثم عزمُهُ عليه قد يكونُ جازمًا ولكنْ لا يجزمُ بوقوعِ المعزومِ عليه وقد يكونُ العزمُ مترددًا معلَّقًا بالمشيئةِ أيضًا ولكنْ متى كان المعزومُ عليه معلَّقًا لزِمَ تعليقُ بقاءِ العزمِ فإنَّه بتقديرِ أنَّ تعليقَ العزمِ ابتداءً أو دوامًا في مثل ذلك؛ ولهذا لم يحنث المطلِّقُ المعلِّقُ وحرفُ «إنْ» لا يُبقِي العزمَ فلا بدَّ إذا دخلَ على الماضي صارَ مستقبلًا تقولُ: إنْ جاءَ زيدٌ كان كذلك ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وإذا أُريدَ الماضي دخلَ حرفُ «إنْ» كقولِه: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] فيفرَّقُ بينَ قولِه: أنا مؤمنٌ إنْ شاءَ اللهُ وبينَ قولِه إنْ كان اللهُ شاءَ إيماني. وكذلك إذا كان مقصودُه أنِّي لا أعلمُ بماذا يُختَمُ لي كما قيل لابنِ مسعودٍ: إنَّ فلانًا يشهدُ أنَّه مؤمنٌ. قال: فليشهدْ أنَّه من أهلِ الجنَّةِ فهذا مرادُه إذا شهدَ أنَّه مؤمنٌ عندَ اللهِ يموتُ على الإيمانِ وكذلك إنْ كان مقصودُه أنَّ إيماني حاصلٌ بمشيئةِ اللهِ. ومن لم يستثنِ قال أنَا لا أشكُّ في إيمانِ قلبي فلا جناحَ عليه إذا لم يُزَكِّ نفسَه ويقطعْ بأنَّه عاملٌ كمَا أُمِرَ وقد تقبلَّ اللهُ عملَه وإنْ لم يقلْ إنَّ إيمانَه كإيمانِ جبريلَ وأبي بكرٍ وعمرَ ونحوِ ذلك من أقوالِ المرجئةِ(١). وهو قولُ المعتزلةِ كذلك.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٤١-٤٧).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقالت المعتزلةُ: لا يجوزُ الاستثناءُ فيه بل هو شكٌّ»(١).

القولُ الثالثُ: يجوزُ الاستثناءُ ويجوزُ تركُه، فإنْ أرادَ بالاستثناءِ تَرْكَ تزكيةَ النفسِ والخوفَ من ألّا يكونَ قد استكملَ الإيمانَ فهو جائزٌ، وأمَّا من أرادَ بالاستثناءِ الشكَّ في إيمانِه فلا يجوزُ، وهذا مذهبُ جماهيرِ أهلِ السُّنَّةِ، لأنَّ الاستثناءَ جاءَ في الكتابِ والسُّنَّةِ.

قال ابنُ أبي العزِّ الحنفيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أمَّا من يجوِّزُ الاستثناءَ وتركَهُ، فهم أسعدُ بالدليلِ من الفريقين وخيرُ الأمورِ أوسطُها، فإنْ أرادَ المستثني الشكَّ في أصلِ إيمانِه مُنع من الاستثناءِ، وهذا مما لا خلافَ فيه، وإنْ أرادَ أنَّه مؤمنٌ من المؤمنين الذين وصفهم اللهُ في قولِه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات].

فالاستثناءُ حينئذٍ جائزٌ، وكذلك من استثنَى وأرادَ عدمَ علمِه بالعاقبةِ، وكذلك من استثنَى تعليقًا للأمرِ بمشيئةِ اللهِ، لا شكًّا في إيمانِه، وهذا القولُ في القوةِ كما ترى(٢).

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٦٦٦).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٣٦-٣٣٧).

قال الآجريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من صفةِ أهلِ الحقِّ، ممن ذكرْنَا من أهلِ العلمِ: الاستثناءُ في الإيمانِ، لا على جهةِ الشكِّ - نعوذُ باللهِ من الشكِّ في الإيمانِ - ولكن خوفَ التزكيةِ لأنفسِهم من الاستكمالِ للإيمانِ، لا يدري أهو ممَّنْ يستحقُّ حقيقةَ الإيمانِ أم لا؟ وذلك أنَّ أهلَ العلمِ من أهلِ الحقِّ إذا سُئلوا: أمؤمنٌ أنت؟ قال: آمنتُ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ والجنَّةِ والنَّارِ. وأشباهِ هذا، والناطقُ بهذا والمصدِّقُ به بقلبِه مؤمنٌ، وإنَّما الاستثناءُ في الإيمانِ لا يدري أهو ممَّن يستوجبُ ما نعتَ اللهُ - عزَّ وجلَّ - به المؤمنين من حقيقةِ الإيمانِ أم لا؟

وهذا طريقُ الصحابةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين لهم بإحسانٍ، عندَهم أنَّ الاستثناءَ في الأعمالِ لا يكونُ في القولِ والتصديقِ بالقلبِ وإنَّما الاستثناءُ في الأعمالِ الموجبةِ لحقيقةِ الإيمانِ، والناسُ عندهم على الظاهرِ مؤمنون به يتوارثون، وبه ويتناكحون، وبه تجري أحكامُ ملَّةِ الإسلامِ، ولكنَّ الاستثناءَ منهم على حسبِ ما بيَّناه لك وبيَّنه العلماءُ من قبلِنا[(١)].

قال ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمأثورُ عن الصحابةِ وأئمةِ التابعين، وجمهورِ السلفِ، وهو مذهبُ أهلِ الحديثِ، وهو المنسوبُ إلى أهلِ السُّنَّةِ: أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ، يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ، وأنَّه يجوزُ الاستثناءُ فيه»[(٢)].

الأدلةُ من الكتابِ والسنةِ على جوازِ الاستثناءِ في الإيمانِ:

قولَ اللهِ تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ

---

(١) الشريعة (ص: ١١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥)، وانظر الفتاوى (٧/ ٤٤٨).

ﱡﭐٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ٢٧ﱠ [الفتح].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤﴾ [الكهف].

وقوله جلَّ ذكره: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠٦﴾ [التوبة].

وقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾ [الأنعام].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف].

وأمَّا السُّنَّة: فقولُه ﷺ عندَ دخولِ المقبرةِ: «السّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مؤمنينَ وإنّا إنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقونَ»(١).

وقال ﷺ: «وَاللهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي»(٢).

وفي الصحيحين عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، وَأَرَدْتُ إِنْ شَاءَ اللهُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) أخرجه مسلم (١١١٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨-٣٣٥).

وفي روايةٍ: «فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ نَبِيُّ اللهِ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ - أَوِ الْمَلَكُ -: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ، فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ غُلَامٍ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَلَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لَهُ فِي حَاجَتِهِ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٣٩)، ومسلم (١٦٥٤).

ثم قال صاحب النظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩٧- نُتابع الأخيارَ مِن أهلِ الأثرْ ونَقْتَفي الآثارَ لا أَهْلَ الأَشَرْ

٩٨- ولا تَقُل إيمانُنا مخلوقُ ولا قديمٌ هَكَذَا مَطلُوقُ

٩٩- فإنه يشملُ للصَّلاةِ ونحوِهَا مِن سَائِرِ الطَّاعَاتِ

١٠٠- ففعلُنا نحوَ الركوعِ مُحدَثُ وكلُّ قرآنٍ قديمٌ فَابحَثُوا

الشرح

معنى الخيار لغة: الخيارُ: بالكسر، خلاف الأشرار، وهو أيضًا الاسمُ من الاختيار... ورجل خَيِّرٌ وخَيْرٌ: مثلُ هيّنٌ وهَيْنٌ وكذا امرأةٌ خيِّرٌ وخيْرٌ، قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ﴾ جمع خَيْرٍ وهي الفاضلة من كل شيء، وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠﴾[١] أي: أننا نتبع الأخيار وهم الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان لقول رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[٢].

وأئمة «أهل الأثر» الذين هم على نهج رسول الله ﷺ.

وقوله: «وَنَقْتَفي الآثار لا أهْلَ الأشْر»:

أي: نتبع الآثار المأثورة عن الله وعن رسوله ﷺ، لا نتابع أهل الأشر، أي: البطر من كل متحذلق من الجهمية، والمرجئة، والكرامية، وسائر المبتدعة فبيننا وبينهم من الفرق كما بين الحركة والسكون قاله ابن مانع.

---

(١) مختار الصحاح (ص: ٧٨).

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه.

وقوله: «لا تقل إيمانُنا مخلوق..»:

أي لا تقل - أيها الأثري المقتفي أثر السلف الصالح المتمسكون بنصوص الكتاب والسنة- إيماننا مخلوق، لأن اللفظ مشترك يحتمل حقًّا وباطلًا، فإيماننا يشمل قول اللسان وعمل الجوارح وعمل القلب، ولا شك أن هذه الأفعال مخلوقة، وقد سبق استيفاء المسألة، لكن قول لا إله إلا الله من كلام الله وهو غير مخلوق، وهذه المسألة تكلم بها الناس بعد مقالات الجهمية وزعمهم أن القرآن مخلوق.

وبناء على ذلك لا يجوز أن نتكلم بهذه المقالات أصلًا لأن السلف من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم لم يتكلموا بها.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الإيمان: هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟

الجواب: أن هذه المسألة نشأ النزاع فيها لما ظهرت محنة الجهمية في القرآن، هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ وهي محنة الإمام أحمد وغيره من علماء المسلمين، وقد جرت فيها أمور يطول وصفها هنا، لكن لما ظهر القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وأطفأ الله نار الجهمية المعطلة صارت طائفة يقولون: إن كلام الله الذي أنزله مخلوق، ويعبرون عن ذلك باللفظ فصاروا يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة أو تلاوتنا أو قراءتنا مخلوقة وليس مقصودهم مجرد كلامهم وحركاتهم، بل يدخلون في كلامهم نفس كلام الله الذي نقرأ بأصواتنا وحركاتنا، وعارضهم طائفة أخرى فقالوا: ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، فرد الإمام أحمد على الطائفتين، وقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع.

وتكلم الناس حينئذ في الإيمان، فقالت طائفة: الإيمان مخلوق، وأدرجوا في ذلك ما تكلم الله به من الإيمان مثل قول: لا إله إلا الله، فصار مقتضى قولهم أن نفس الكلمة مخلوقة، ولم يتكلم الله بها فبدَّع الإمام أحمد هؤلاء، وقال: قال النبي ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله**»[1] أفيكون قول: لا إله إلا الله مخلوقًا.

ومراده أن من قال: هي مخلوقة مطلقًا، كان مقتضى قوله أن الله لم يتكلم بهذه الكلمة، كما أن من قال: إن ألفاظنا وتلاوتنا وقراءتنا للقرآن مخلوقة، كان مقتضى كلامه: أن الله لم يتكلم بالقرآن الذي أنزله، وأن القرآن المنزل ليس هو كلام الله... وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن القرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله تعالى، وإن كان مسموعًا من المبلغ عنه... إلى أن قال: وهذه الأقوال كلها مبتدعة مخترعة لم يقل السلف شيئًا منها، كلها باطلة شرعًا وعقلًا...»[2].

وقوله: «ولا قديم هكذا مطلُوق...».

أي: لا تقل إيماننا مخلوق ولا غير مخلوق، ولا تقل قديم لأن أفعال العباد مخلوقة وليست قديمة.

وقوله:

فإنه يشملُ للصَّلاةِ ونحوِهَا مِن سَائِرِ الطَّاعَاتِ

ومنها الصلاة والركوع وسائر الأعمال، بل قل كلمة الإيمان مطلقة بغير قيود.

---

(١) البخاري (٩) وأحمد في المسند (٨٩١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٥٤، ٦٥٦).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وإذا قال: الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل له: ما تريد بالإيمان؟ أتريد به شيئًا من صفات الله وكلامه كقوله: «لا إله إلا الله» وإيمانه الذي دل عليه اسمه المؤمن، فهو غير مخلوق، أو تريد شيئًا من أفعال العباد وصفاتهم فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة.

ولا يقول هذا من يتصور ما يقول، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدي وبان السبيل.

والواجب على الخلق أنه ما أثبته الكتاب والسنة أثبتوه، وما نفاه الكتاب والسنة نفوه، وما لم ينطق به الكتاب والسنة لا بنفي ولا إثبات، استفصلوا فيه قول القائل، فمن أثبت ما أثبته الله ورسوله فقد أصاب، ومن نفى ما نفاه الله ورسوله فقد أصاب، ومن أثبت ما نفاه الله، أو نفى ما أثبته الله، فقد لبس دين الحق بالباطل [(١)].

وقوله: «وكل قرآن قديم فابحثوا»:

أي: أن كل ما كان من القرآن فهو كلام الله غير مخلوق، وقد سبق استيفاء المسألة والرد على شبهات أهل البدع، «فابحثوا» أي: فتش عن دقائق المعاني، ونقص الحق فعلى كل مسلم عاقل ألا يقبل كلام أحد قبل أن يعرف منهجه ودليله في المسألة، فالعالم يستدل له لا يستدل به، أي أن العالم الذي معه دليل من الكتاب السنة نأخذ بقوله ونقول هو معه دليل

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٦٣، ٦٦٤).

فيستدل له على صحة قوله بما عنده من أدلة صحيحة ولا يستدل به.

أي: لا نقول العالم فلان قال كذا، فنأخذ بقوله وإن كان دليله مرجوحًا، وهذه حمية يجب على طالب العلم تركها، فالعالم يستدل له، لا يستدل به، فانتبه.

ثم قال المؤلف:

١٠١- ووكَّلَ الله من الكرامِ اثْنين حافظينِ للأنامِ

١٠٢- فيكتبانِ كلَّ أفعالِ الورى كما أتى في النصِ من غيرِ امْترا

الشرح

الوكيل، لغةً: الحافظ(١)، أي: من الإيمان الواجب على العبد أن يعلم أن الله تعالى وكَّل من الملائكة الكرام اثنين حافظين لأعمال وأقوال العباد.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن عليكم رقباء حافظين يحفظون أعمالكم، ويحصونها عليكم: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ يقول: كرامًا على الله كاتبين يكتبون أعمالكم(٢).

قوله: «فيكتبان كلَّ أفعال الورى...».

أي أن الملكين يكتبان كل ما يصدر عن الإنسان، واحد عن يمينه، وآخر عن شماله، وهذا «كما أتى في النص» أي: في الكتاب من غير «امترا» أي من غير شك.

قال جل ذكره: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

---

(١) اللسان (٩/ ٣٩٢) مادة (وكل).

(٢) جامع البيان (١٥/ ١١٠).

تنبيه:

رقيب عتيد: صفتان للملكين، أي أن كل من الملكين رقيب على أعمال العباد أي يرقبها وعتيد لذلك، أي: معتد لرقابة أعمال وأقوال العباد ليكتبها، فهاتان صفتان للملكين، لا اسمان لهما كما يظن البعض.

قال الحسن ومجاهد وقتادة رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «المتلقيان» ملكان يتلقيان عملك: أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك، قال الحسن: إذا مت طويت صحيفة عملك وقيل لك يوم القيامة ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء].

وقال مجاهد: وكل الله بالإنسان مع علمه بأحواله ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله(١) ويكتبان أثره إلزامًا للحجة، أحدهما: عن يمينه يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيئات، فذلك قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧﴾ [ق]. وقال سفيان: بلغني أن كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا أذنب العبد قال: لا تعجل لعلّه يستغفر الله، وروي معناه من حديث أَبِي أُمَامَةَ، قال: قال النبي ﷺ: «**كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ عَنْ يَمِينِ الرَّجُلِ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ أَمِيرٌ عَلَى**

---

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**» أخرجه البخاري (٥٥٥) ومسلم (٦٣٢).

كَاتِبِ السَّيِّئَاتِ، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً قَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ: دَعْهُ حَتَّى يُسَبِّحَ أَوْ يَسْتَغْفِرَ»[1].

والمراد بالقعيد ههنا الملازم الثابت لا ضد القائم[2].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (ما يلفظ) أي: ابن آدم (من قول)، أي: ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾ أي: إلا ولها من يرقبها، مُعتد لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ١٢﴾ [الانفطار].

وقد اختلف العلماء هل يَكتب الملك كل شيء من الكلام؟ أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب؟

على قولين: وظاهر الآية الأول، لعموم قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾.

وعن بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[3][4].

---

(١) أخرجه الروياني في مسنده (١٢١٥)، وأعلّه الزيلعي في (تخريج الكشاف) (٣/ ٢٥٨، ٢٥٩) بإسماعيل بن عياش، وانظر: السلسلة الضعيفة (٢٢٣٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٣-١٤) باختصار وتصرف يسير.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٩)، وأخرجه بنحوه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٨).

مبحث عن عالم الملائكة[(١)]:

الملائكة عالم من عوالم الغيب، والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان يجب على العبد الإيمان به، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة].

وفي حديث جبريل عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال ﷺ: «أَنْ تُؤمِنَ بالله وَمَلائِكَتِه وَكُتُبِه وَرُسُلِه واليومِ الآخِرِ وَأَن تُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيرِه وشَرِه»[(٢)].

وقد أثنى الله تعالى على عباده الذين يؤمنون بالغيب، وعدَّ الإيمان بالغيب أول صفات المتقين، قال جل وعلا: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة] ونذكر في هذا المبحث أمورًا تتعلق بالملائكة.

التعريف بالملائكة وصفاتهم و أعدادهم وقدراتهم:

معنى الملك في اللغة: الميم واللام والكاف: أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة[(٣)].

قال الليث رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الملَكُ واحد الملائكة، إنما هو تخفيف المَلأَك واجتمعوا على حذف همزة، وهو مفعلٌ من الألُوك.

---

(١) استفدت بعض النقاط في هذا المبحث من كتاب عالم الملائكة للدكتور عمر الأشقر.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) مقاييس اللغة (٥/ ٣٥٢) مادة (ملك).

قال الكسائي رَحِمَهُ اللَّهُ: أصله مَألَكٌ بتقديم الهمزة من الألُوك: وهي الرسالة. قال ابن منظور: ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل: ملكٌ فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا: ملائكة(١).

وفي الشرع: هم عباد الله المكرمون، طاعتهم لله مطلقة، لا يعصون الله ما أمرهم، ولا يستكبرون عن عبادته ولا يملون ولا يفترون، خلقهم الله من نور فهم ليسوا إناثًا ولا بنات الله- تعالى الله عما يقول الكافرون علوًّا كبيرًا- وليس لهم من خصائص الربوبية ولا الإلوهية شيء، بل هم عباد من عباد الله عز وجل.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

وقال جل في علاه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء].

وقال جل ذكره: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ إلى قوله تعالى:

---

(١) لسان العرب (٨/ ٣٦٥).

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف].

ما ذكرناه هو الإيمان بالملائكة على وجه الإجمال وهو الواجب على كل مسلم، ونذكر ههنا مزيدًا من التفصيل لعالم الملائكة ليزداد العبد المؤمن إيمانًا.

صفات الملائكة الخلقية:

الملائكة خلق عظيم، خلقهم الله تعالى من نور، وخلق لهم أجنحة؛ مثنى وثلاث ورباع، ومنهم من له ست مائة جناح، فنؤمن أن لهم أجسامًا ولا نعلم كيفيتها فلم يرد نص بذلك.

قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر].

وفي حديث ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «**رَأَى جِبْرِيلَ، ولَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ**»[(١)].

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ**»[(٢)].

لم يعط الله تعالى القدرة لبشر على رؤية الملائكة على حقيقتها إلا رسول الله ﷺ، فقد أعطاه الله تعالى القدرة على رؤية الملائكة في صورتها الحقيقية الملائكية، فقد رأى جبريل عليه السلام في صورته الملائكية مرتين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير].

يعني: ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح[(١)].

والمرة الثانية: في رحلة الإسراء والمعراج، عندما عرج به إلى السموات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم].

وعن مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»[(٢)].

ومن صفاتهم أنهم يتمثلون في صورة بشر ولا يأكلون ولا يشربون:

قد أعطاهم الله تبارك وتعالى هذه القدرة، وهذا ثابت في الكتاب وصحيح السنة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧/ ١٧٧).

قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: والمراد بقوله: «رُوحنا» جبريل، ويدل لذلك قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء].

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ تمثله لها بشرًا سويًّا المذكور في الآية يدل على أنه ملك وليس بآدمي، وهذا المدلول صرّح به تعالى في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥][(١)]. انتهى.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ [هود].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ من الملائكة، قال السّدي: بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط، أقبلت تمشي في صورة رجال شباب حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه[(٢)].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى ذكره: ولما جاءت ملائكتنا لوطًا ساءه مجيئهم وهو «فعل» من السوء، وضاق بهم بمجيئهم ذرعًا، يقول: وضاقت نفسه غمًّا بمجيئهم وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله في حال ما ساءه

---

(١) أضواء البيان (٣/ ٣٨٧).

(٢) جامع البيان (٨/ ٨٩-٩٤) باختصار.

مجيئهم وعلم من قومه ما هم عليه من إيتائهم الفاحشة وخاف عليهم[(١)].

فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عُمَر بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[(٢)].

وعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «... **رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا أَقْرَبُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهًا دَحْيَةُ**». وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ: «**دَحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ**»[(٣)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (١/ ٨) واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه مسلم (١٦٧).

وقصة ثلاثة من بني إسرائيل - أبرص وأقرع وأعمى -أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا في صورة رجل[(١)].

وقال جل ذكره حكاية عن المشركين: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فكأنهم أرادوا منه صفة الملائكة أن يكون متلبسًا بها، فإن الملائكة صُمّد لا يأكلون ولا يشربون والبشر لهم أجواف يأكلون ويشربون[(٢)].

من صفاتهم الخَلقية: أن لهم أجسامًا عظيمة ولهم قوة:

قال سبحانه وتعالى في وصف جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ [التكوير].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والرسول الكريم جبريل، قاله الحسن وقتادة والضحاك، والمعنى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ عن الله ﴿كَرِيمٖ﴾ على الله، وأضاف الكلام إلى جبريل عليه السلام ثم عداه عنه بقوله: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠﴾ ليعلم أهل التحقيق، في التصديق أي لله عز وجل، فروي عن ابن عباس قال: من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوائم جناحه[(٣)].

وقد تقدم حديث ابْنِ مَسْعُودٍ، وفيه: أنه ﷺ **«رَأَى جِبْرِيلَ ولَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»**[(٤)].

---

(١) انظر صحيح البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٨٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٢٩).

(٤) **متفق عليه**: تقدم تخريجه قريبًا.

وعن جابرٍ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ»(١).

أعداد الملائكة:

لا يعلم عدد الملائكة إلا الله جل في علاه، قال عز وجل ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

فأعداد الملائكة كثيرة جدًّا، وقد دل على ذلك السنة أيضًا، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الذي أخبر فيه رسول الله ﷺ عن رحلة الإسراء والمعراج مع جبريل عليه السلام، وفيه: «... ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»(٢).

وعن عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، وقال الهيثمي في المجمع (١ / ٨٠): رواه أبو داود (٤٧٢٧) ورواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في الصحيحة (١٥١)، وصحيح الجامع (٨٥٤).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٥٩/ ١٦٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

أحمر أسود (٤٥٨)

أسماء وأعمال الملائكة التي ورد فيها نص من الكتاب أو السنة:

تقدم أن أعداد الملائكة كثيرة جدًّا ولا يعلمها إلا الله تعالى، وأما أسماء الملائكة فلا نعلم منها إلا ما جاء به نص وهم قليلون، وأما أعمالهم فقد دلت نصوص الكتاب والسنة أن كل صنف من أصناف الملائكة موكل بعمل، فمنهم من وكّل بالوحي ومنهم من وكّل بالسحاب والمطر، ومنهم من وكّل بالجبال، ومنهم من وكّل بحفظ الإنسان، ومنهم من وكّل بقبض الأرواح إلى غير ذلك، فالملائكة أعظم وأقوى وأشد جنود الله تعالى، ونذكر ههنا أسماء الملائكة التي جاء فيها نص، وكذا بعض أصناف الملائكة والأعمال التي وكّلوا بها.

جبريل عليه السلام:

أشرف الملائكة، وهو الذي وكّله الله تعالى بالوحي.

الوحي لغة: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكّل ما ألقيته إلى غيرك، يقال: وَحَيْتُ إليه الكلام وأَوحَيْتُ ووحى وحيًا.. وأوحى إليه: ألهمه وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ وفيه ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ أي: إليها، فمعنى هذا أمرها[(١)].

وشرعًا: الإعلام بالشرع، وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أي: الموحى، وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ[(٢)].

---

(١) اللسان (٩/ ٢٤٣) مادة (وحي).
(٢) الفتح (١/ ١٤، ١٥).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء].

وقال جل ذكره: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧﴾ [البقرة].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ وهو جبريل عليه السلام، قاله غير واحد من السلف، وهذا ما لا نزاع فيه: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ أي القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل[(١)].

عن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**»[(٢)].

ميكائيل عليه السلام:

من أشرف الملائكة وقد ذكره الله تعالى في كتابه العزيز مع الملائكة وجبريل في قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة] وميكائيل هو الموكل بالمطر والنبات.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٢-٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢)، ومسلم (٨٧/ ٢٣٣٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عطفهما على الملائكة لشرفهما، فجبريل ملك عظيم وقد تقدم ذكره، وأما ميكائيل فموكّل بالمطر والنبات وهو ذو مكانة عند ربه عز وجل، ومن أشرف الملائكة المقربين[١]. انتهى.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ، عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَاتَّبَعْنَاكَ. فسألوا عن أشياء إلى أن قَالُوا: صَدَقْتَ، إِنَّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الَّتِي نُبَايِعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: «جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ»، قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوُّنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، لَكَانَ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[٢].

إسرافيل عليه السلام:

الموكّل بالنفخ في الصور، وليس بمصرَّح باسمه في القرآن، وقد جاء اسمه في بعض الأحاديث، والصور: قرن ينفخ فيه فيصعق جميع الخلق إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه مرة آخري فيقوم الناس للحساب على الخلاف بين أهل العلم هل هما نفختان أو ثلاثة؟ وسيأتي بيان ذلك[٣].

قال الله تعالى: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٥٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٧٤)، والترمذى (٣١١٧)، والنسائي في «الكبرى» (٩٠٧٢) وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٧٢).

(٣) باب الإيمان باليوم الآخر إن شاء الله.

وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٧٣﴾ [الأنعام].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧﴾ [النمل].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا الصُّورُ؟ قَالَ: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»(١).

وعن أَبِي سَعِيدٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا».

وفي رواية: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَ الصُّورَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ»(٢).

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ - تعني رسول الله ﷺ - افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٢، ١٩٢)، وأبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠)، والدارمي (٢٨٠١)، وابن حبان (٧٣١٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٨٠) و«صحيح الجامع» (٣٨٦٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٧)، والترمذي (٢٤٣١/ ٣٢٤٣)، والحميدي (٧٥٤) وابن حبان (٨٢٣)، وأبو يعلى (١٠٨٤)، والحاكم (٤/ ٦٠٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٧٩).

وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[(١)].

وقال رسُولُ الله ﷺ لعليٍّ ولأبي بكر يوم بدر: «مَعَ أَحَدِكُمَا جِبْرِيلُ، وَمَعَ الْآخَرِ مِيكَائِيلُ، وَإِسْرَافِيلُ مَلَكٌ عَظِيمٌ يَشْهَدُ الْقِتَالَ» أو قَالَ: «يَشْهَدُ الصَّفَّ»[(٢)].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام[(٣)].

خزنة النار، مالك والزبانية:

الموكلون بالنار وهم الزبانية، ومقدمهم تسعة عشر، وخازنها مالك، وهو مقدم على جميع الخزنة، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٤٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف»(٦/ ٣٥١)، (٧/ ٣٥٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢١٧)، وأبو يعلى (٣٤٠)، والبزار (٧٢٩)، والحاكم (٣/ ٤٤، ٧٢)، وصححه ووافقه الذهبي والألباني في الصحيحة (٣٢٤١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٤).

يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحريم].

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر][1].

وقال جل ذكره: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي خزنة جهنم لأخذه وعقوبته[2].

وعن شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»[3].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -قال في حديث طويل وفيه-: «**فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ**»[4].

وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رؤية رآها النبي ﷺ وفيها قال: «... **فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآةِ، كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا**» قَالَ: «**قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟... قالا: فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ**»[5].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١/ ٦٣، ٦٤).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٣٠).
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).
(٤) أخرجه مسلم (١٧٢).
(٥) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

هاروت وماروت:

قال جل وعلا: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة].

من الملائكة المنصوص على أسمائهم في القرآن هاروت وماروت في قول جماعة كثيرة من السلف، وقد ورد في قصتهما وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبها إسرائيليات[(١)].

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: وما كفر سليمان قط ولا سحر، ولكن الشياطين كفروا بسحرهم، وأنهم يُعلِّمونه الناس... ويعلمون الناس ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وما كان الملكان يعلمان أحدًا حتى يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ الآية.

فإن قيل: كيف أنزل الله تعالى الباطل والكفر؟

قلنا: كل خير أو شر أو طاعة أو معصية أو إيمان أو كفر مُنزَّل من

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٦١، ٦٢).

عند الله تعالى، قال النبي ﷺ في الصحيح: «سُبْحَانَ اللهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّينَ - رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ»(١).

فأخبر عليه السلام عن نزول الفتن على الخلق(٢).

قال ابن جرير بعد أن ذكر خلاف أهل العلم في تفسير الآية: فإذا فسدت هذه الوجوه التي دللنا على فسادها، تبين أن معنى «ما» التي في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ بمعنى «الذي» وأن هاروت وماروت مترجم بهما عن الملكين، ولذلك فتحت أواخر أسمائهما، لأنهما في موضع خفض على الردّ على الملكين ولكنهما لما كانا لا يجرّان فتحت أواخر أسمائهما.

فإن التبس على ذي غباء ما قلنا، فقال: وكيف يجوز لملائكة الله أن تعلم الناس التفريق بين المرء وزوجه؟ أم كيف يجوز أن يضاف إلى الله تبارك وتعالى إنزال ذلك على الملائكة؟ قيل له: إن الله جل ثناؤه عرّف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه، ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون وينهون عنه، ولو كان الأمر على غير ذلك لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم، فالسحر مما قد نهى عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٩).
(٢) أحكام القرآن (١/ ٥٩، ٦٠).

لعباده من بني آدم كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه وعن السحر فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما، ويكون الملكان في تعليمهما من علّما ذلك لله مطيعين(١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين بأرض بابل من أرض العراق، أنزل عليهما السحر امتحانًا وابتلاءً من الله لعباده فيعلمانهم السحر(٢).

منكر ونكير:

هما ملكان أسودان أزرقان موكلان بسؤال العبد إذا وضع في قبره جاء ذلك عن نبينا ﷺ، وسيأتي بيان سؤال القبر في بابه إن شاء الله.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ

(١) تفسير الطبري (١/ ٦٣٧، ٦٣٨).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦١).

يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[(١)].

ذكر أسماء بعض الملائكة التي لم يُصرَّح بذكر أسمائهم في القرآن أو السنة:

اعلم أن بعض الملائكة لها أعمال وأسماء معلومة، وبعضها لها أعمال معلومة ولا نعلم أسماءهم، والبعض لا نعلم أسماءهم ولا أعمالهم ونؤمن بذلك ونعلم أن ذلك مقتضى حكمة الله تعالى ومشيئته، ونذكر ههنا بعض أعمال الملائكة التي لم يأت ذكر أسمائهم في القرآن أو السنة:

ملك الموت وأعوانه:

هو الملك الموكّل بقبض أرواح بني آدم ومعه أعوان، وهذا ثابت بأدلة الكتاب والسنة، وليس بمصرح باسمه، وأما ما انتشر عند العامة أن الذي

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان في الموارد (٨٧٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٦٤)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢١٣٩)، والآجري في الشريعة (٩١٣)، وقال الألباني: إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفيه: ابن إسحاق، وهو العامري القرشي مولاهم كلام لا يضر- السلسلة الصحيحة (١٣٩١).

يقبض الأرواح اسمه «عزرائيل» فهذا ليس عليه دليل صحيح من الكتاب أو السنة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة].

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام].

وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام].

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال].

وعن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ - مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ

مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ. قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ» قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ،

فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ». قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ»(١).

وفي حديث القاتل التسعة والتسعين نفسًا وفيه: «.. فَاخْتَصَمت فِيهِ مَلَائِكة الرَّحمَة ومَلَائِكة العذابِ»(٢).

الملك الموكل بنفخ الروح في الجنين وهو في بطن أمه:

عن عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُود قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧، ٢٩٦،٢٩٥،٢٨٨)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والنسائي (٢٠٥٨)، والترمذي (١٠٧١)، والحاكم (١/ ٣٧-٤٠)، وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٧٦)، و«أحكام الجنائز» (١٩٨-٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

الملائكة المعقبات:

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي ملائكة يتعاقبون عليه؛ حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير وشر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه وآخر من قُدَّامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلًا، حافظان وكاتبان... وساق حديث «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ» كما تقدم.

وروي عن بعض أهل العلم: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»[(١)].

وقوله: «يحفظونه من أمر الله» قيل: المراد حفظهم له من أمر الله، وهذا رأي الأكثرين، وقال بعضهم: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ بأمر الله[(٢)].

الملائكة حملة العرش:

وهم ثمانية ولا يعلم عظم خلقهم إلا الله تبارك وتعالى، ومع هذا هم يستغفرون للمؤمنين والتائبين ويدعون لهم فانظروا إلى فضل وكرم ورحمة الله بعباده الموحدين.

قال جل ذكره: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٤).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٩٣).

ملائكة تلتمس حلق الذكر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ» قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» قَالَ: «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْكَ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا» قَالَ: «يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟» قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً» قَالَ: «فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» قَالَ: «يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩)، واللفظ للبخاري.

مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١).

ملائكة تصلي على المؤمنين:

قال جل ذكره: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب] وعن الْبَرَاء ابْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْأُولَى»(٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ، تَقُولُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، وَأَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ»(٣).

وعَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ، إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٦٦٤)، وأحمد (٤/ ٢٩٦)، والدارمي (١٢٦٤)، والنسائي (٨١٠)، وابن ماجه (٩٩٧)، وابن خزيمة (١٥٥٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود وانظر: «صحيح الجامع » (١ / ٣٧٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٩) ومسلم (٦٤٩/ ٢٧٣).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٤٦،٤٤٥)، وابن ماجه (٩٠٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع » (٥٧٤٤)، وصحيح ابن ماجه.

وقد سبق بيان أن الصلاة من الله تعالى على العبد هي: الثناء عليه في الملأ الأعلى، وصلاة الملائكة على العبد: الدعاء له [(١)].

وإذا عمدت إلى الكتاب والسنة لجمع أعمال الملائكة التي أُخبرنا بها لطال المرام، وقد قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الشورى].

وقال ﷺ: «أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ»[(٢)].

وفي حديث المعراج: قال رسولُ الله ﷺ: «فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»[(٣)].

---

(١) راجع شرح البيت الرابع.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣٧٨)، والترمذي (٢٣١٢)، وأحمد (٥/ ١٧٣)، وابن ماجه (٤١٩٠)، والحاكم (٢/ ٥١٠)، والبيهقي في «الشعب» (٧٨٣،٧٨٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٦٠،١٠٥٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه.

أحمر أسود (٤٧٦)

الفِهرِسُ

أحمر أسود (٤٧٨)

الفهرس

مقدمة ٥

ترجمة العلامة محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ٩

متن العقيدة السفارينية ٢١

ثناء صاحب النظم على الله تعالى ورسوله، وثناؤه على الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ ٤٣

الفرق بين الحمد والشكر ٤٥

هل القديمُ من أسماء الله تعالى؟ ٤٧

هل الباقي من أسماء الله تعالى؟ ٥١

الفرق بين القدرة والقوة ٥٦

الأحكام التعبدية ٦٧

الأحكامُ المعقولة المعنى ٦٧

وأيهما أقوى في التعبد، الامتثال للحكم التعبدي، أو للحكم المعقول المعنى؟ ٦٧

كيفية الصلاة والسلام على النبي ﷺ؟ ٧٠

مسألة: كيف طلب النبي له من الصلاة مثل ما لإبراهيم عليه السلام، وهو أفضل منه؟ ٧٠

هل يجوز الصلاة على غير الأنبياء؟ ٧١

أحمر أسود (٤٨٠)

ما الحكمة في تأكيد السلام على النبي ﷺ دون الصلاة عليه؟ ٧٧
نُكتة بديعة ٧٨
من أدلة اصطفاء الله تعالى للنبي ﷺ من الكتاب والسنة................ ٨١
هل المصطفى من أسماء النبي ﷺ؟ وما هي أسماء النبي ﷺ؟......... ٨٣
مسألة هل بين النبي والرسول مغايرة، وهل بينهما فرق؟ ٨٤
هل زوجات النبي ﷺ يدخُلن في آله؟ ٩٧
مراتبُ التعلم ستة، وحرمان العلم بستة.............................. ١٠٢
ركنا كلمة التوحيد، وهما الإثبات والنفي............................ ١٠٥
بما تنال الإمامة في الدين؟.. ١٢٠
مقدمة: في ترجيح مذهب السلف على مذهب الخلف والفرقة الناجية على سائر الفرق ١٢٩
مسألة: هل قولُ الصحابي حُجّة؟ ١٣٦
مسألة: كيف نعلم أننا الفرقة الناجية؟............................. ١٤١
أقسام التعطيل ١٤٥
مسألة: اعلم أنّ النفي المَحضَ ليس كمالًا؛ فلا بُد من إثبات كمال الضد ١٥٩
منهجُ القرآن إثباتُ صفات الكمال لله تعالى على وجه التفصيل، ونفي صفات النقص عن الله تعالى على وجه الإجمال..................... ١٦٠

الباب الأول: في معرفة الله تعالى

أنواع الصفات، وما نصف به الله تعالى منها ٢٠٢
من أصول اعتقاد أهل السنة أن صفات الله تعالى توقيفية ٢٠٥
المبحث الأول: أسماء الله تعالى كُلّها حُسنى ٢٠٦
المبحث الثاني: أسماء الله سبحانه وتعالى أعلام وأوصاف ٢٠٧
المبحث الثالث: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد ٢٠٩
فائدة ٢١١
المبحث الرابع: أسماء الله تعالى توقيفية ٢١٢
تنبيه ٢١٤
المبحث الخامس: باب الأسماء أضيق من باب الصفات ٢١٥
المبحث السادس: أسماء الله تعالى لها ثلاث دلالات ٢١٦
مباحث في صفة الكلام ٢١٨
المبحث الأول: الكلام من صفات الله تعالى، وذكر الأدلة من الكتاب
والسنة، وأقوال الأئمة في ذلك ٢١٨
أقوال أهل السنة بأن الله تعالى يتكلم بصوت يُسمَع ٢٢٢
المبحث الثاني: القرآن كلام الله غير مخلوق ٢٢٣
المبحث الثالث: شبهات المعتزلة والجهمية في مسألة خلق القرآن، والرد
عليها ٢٢٧
المبحث الرابع: إبطال دعوى أن الكلام معنى قائم بذات الله ٢٣٤

أحمر أسود (٤٨٢)

أولاً: الإرادة الدينية الشرعية ٢٣٩
ثانيًا: الإرادة الكونية القدَرية ٢٤٠
مسألة: الفرق بين المحبة والرضا، والمشيئة والإرادة ٢٤١
الأول: مذهب الجبرية القدَرية ٢٤١
الثاني: مذهب القدَرية النُّفاة ٢٤١
الثالث: مذهب أهل السنة والجماعة ٢٤١
مسألة: هل القرآنُ كُلّه مُحكم؟ ٢٥٥
مسألة: هل القرآنُ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ؟ ٢٥٩
فصل: في ذكر الصفات التي يثبتها لله أئمةُ السلف دون غيرهم من الخلف وأهل الكلام ٢٦٢
ذكر الآيات التي جاء فيها الاستواء على العرش ٢٦٥
ذكرُ أقوال بعض السلف في إثبات صفة الاستواء ٢٦٦
أقوالُ السلف في معنى الاستواء ٢٦٨
مسألة: إبطالُ تأويل استوى بمعنى استولى ٢٦٩
فائدة جليلة ٢٧١
مسألة: الردُّ على مَن تأول اليد على أنها القوة أو النعمة ٢٨٤
فائدة ٢٨٩
مبحث: هل في اللغة العربية مجاز؟ وهل يصح أن يُقال: إن في القرآن مجازًا؟ ٢٩٦
معنى المجاز عند مَن قال: إنّ في اللغة مَجازًا ٣٠٢

حُجة مَن قال: إنّ في القرآن مجازًا، والردُّ عليهم ٣٠٣
ومن حُجَجهم أيضًا ٣٠٣
الخلاصة في مسألة المجاز ٣٠٦
ثمرات الولاية الخاصة ٣١٤
ومن ثمرات الولاية ٣١٦
خاتمة في ذكر أهمية الاعتصام بالقرآن والسنة للنجاة من الضلال ٣١٦
فصل: في ذكر الخلاف في صحة إيمان المقلد في العقائد وفي جوازه
وعدمه ٣١٨
الخلاصة ٣٢١
مسألة: هل بين أهل السنة والجماعة خلاف في مسائل الاعتقاد؟ ٣٢٤

الباب الثاني: في الأفعال المخلوقة

فائدة ٣٥٥
درء التعارض بين الإيمان بأن الأرزاق والآجال مقدرة ومكتوبة، وبين
الأخذ بالأسباب ٣٥٩
تأويل حديث: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ...» ٣٦٢

الباب الثالث: في الأحكام

أنواع العبادة ٣٦٨
أقسام العبادة ٣٦٩

حاجة العبد إلى العبادة ٣٧٠
فصل: في الكلام عن القضاء والقدر ٣٧٢
فصل: في الكلام على الذنوب ومتعلقاتها ٣٧٦
مسألة: ما هو ضابط الكبيرة؟ ٣٧٨
مسألة: ما هي شروط التوبة؟ ٣٨٦
هل تصح التوبة من ذنب دون آخر؟ ٣٨٦
هل يشترط في صحة التوبة أن لا يعود إلى الذنب أبدًا أم ليس ذلك بشرط؟ ٣٨٧
فصل: في ذكر مَن قيل بعدم قبول إسلامه من طوائف الملحدين ٣٩٣
عمل السحر، وتعلمه وتعليمه ٤٠٠
أما حكم الساحر ٤٠١
أقوال الفقهاء في المسألة ٤٠٢
الخلاصة ٤٠٦
مسألة: حكم من سب الله تعالى أو استهزأ بالله، ومن سب الرسول ﷺ، هل تقبل توبته؟ ٤٠٦
وهل تقبل توبة الساب؟ ٤٠٧
الخلاصة ٤١١
فصل: في الكلام عن الإيمان ٤١٢
أولًا: الدليلُ على أنَّ الإيمانَ قولٌ ٤١٧

١- دليلُ قولِ اللسانِ ٤١٧

٢- دليلُ قولِ القلبِ ٤١٩

ثانيًا: دليلُ أنَّ الإيمانَ عملٌ ٤٢٠

١- دليلُ عملِ القلبِ ٤٢٠

٢- دليلُ عملِ الجوارحِ ٤٢٢

وقد دلَّتِ السُّنَّةُ على أنَّ الإيمانَ عملٌ ٤٢٣

ثالثًا: دليلُ أنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ ٤٢٥

الخلاصة ٤٣٠

الأدلةُ من الكتابِ والسنةِ على جوازِ الاستثناءِ في الإيمانِ.. ٤٣٩

مبحث عن عالم الملائكة ٤٥٠

التعريف بالملائكة وصفاتهم و أعدادهم وقدراتهم.. ٤٥٠

صفات الملائكة الخَلقية ٤٥٢

أعداد الملائكة.. ٤٥٧

أسماء وأعمال الملائكة التي ورد فيها نص من الكتاب أو السنة........ ٤٥٨

ذكر أسماء بعض الملائكة التي لم يُصرَّح بذكر أسمائهم في القرآن أو السنة ٤٦٧

ملك الموت وأعوانه.. ٤٦٧

الملك الموكل بنفخ الروح في الجنين وهو في بطن أمه ٤٧٠

الملائكة المعقبات ٤٧١

الملائكة حملة العرش ٤٧٢

ملائكة تلتمس حلق الذكر ٤٧٣

ملائكة تصلي على المؤمنين ٤٧٤

الفهرس ٤٧٧

أحمر أسود (٤٨٧)

أحمر أسود (٤٨٨)

التعليقات الجلية

على

العقيدة السفارينية

للعلامة الشيخ

محمد بن أحمد بن سالم السفاريني

المتوفى سنة ١١٨٨هـ

شرح

الدكتورة/ عزة بنت محمد

(أم تميم)

الجزء الثاني

دار الآثار
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ م

رقم الإيداع: ٢١٢٢١/ ٢٠٠٨

الترقيم الدولي: 978-977-791-093-9

دار الآثار للنشر والتوزيع

العنوان: شارع البيطار - خلف جامع الأزهر الشريف - القاهرة

ت: 0020225125184

E.MAIL: TAREK-TTTT@HOTMAIL.COM
TAREK_XPPP@YAHOO.COM

الباب الرابع

ذكر البرزخ والقبور، وأشراط الساعة والحشر والنشور

أحمر أسود (٤٩٢)

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠٣- وكُلُّ ما صحَّ منَ الأخبارِ   أو جاءَ في التَّنْزيلِ والآثارِ

١٠٤- مِن فِتنَةِ البَرزَخِ والقُبورِ   ومَا أتَى في ذَا مِنَ الأمورِ

الشرح

أي: كل ما صح من الأحاديث التي أُخبرنا بها عن رسول الله ﷺ وثبت أنها مروية عنه بأسانيد صحيحة، أو ما جاء في «التنزيل» أي: القرآن وكذا الآثار، أي: ما روي عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأسانيد صحيحة نقبله ولا نرد منه شيئًا، فهذه ثلاثة شروط وضعها صاحب النظم للأخذ بما يُخبر به عن فتنة القبور، احترازًا من الأحاديث الضعيفة والآثار التي أخذت من الإسرائيليات كما جاء في بعض الكتب.

والفتنة لغة: الامتحان والاختبار، تقول: فتنت الذهب، إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته[١].

والبرزخ لغة: الحاجز بين الشيئين، ومن وقت الموت إلى القيامة[٢].

والبرزخ: أعم من القبر؛ لأن البرزخ يراد به ما بين موت الإنسان إلى قيام الساعة، فليس كل من مات دُفن وكان له قبرًا، فبعض الناس يموت في البحر ويأكله الحوت، ولا يبقى من بدنه شيئًا فهذا لم يُقبر، وفي بعض البلدان إذا مات الإنسان حرقوه وسحقوه حتى يصير ترابًا فيوضع في

(١) الصحاح للجوهري (ص: ٧٩٥).
(٢) القاموس المحيط (ص: ٢٢٦).

زجاجة فهذا ليس له قبراً ولكن هو في البرزخ، والكلُّ سوف يُسأل ويحاسب سواء دفن في قبر أم لم يدفن.

مبحث هام: في الإيمان بالسؤال في القبر وعذاب القبر ونعيمه:

سبق بيان معنى الفتنة، وهي الاختبار والامتحان، فالعبد يُختبر في قبره بالسؤال عن ربه وعن نبيه- فإن عاش على التوحيد ومات على ذلك- فيُجيب ربيَ الله ونبيي محمد ﷺ وما أسهل الرد على هذا السؤال في الدنيا، أما بعد الموت وفي القبر فلن يستطيع أحد من الناس الرد إلا من عاش على التوحيد وحققه ومات عليه والإيمان بذلك كله واجب وأدلته ثابتة في الكتاب والسنة والإجماع، وأنكره المعتزلة[(١)] ومن وافقهم خلافاً لأهل السنة والجماعة ونذكر ههنا ما يتعلق بهذا المبحث من مسائل.

ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة على فتنة القبر:

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

قال البراء بن عازب رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمد ﷺ، فذلك قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾[(٢)].

وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٢٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩)، ومسلم (٧٣/ ٢٨٧١) واللفظ له.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في معرض تفسيره للآية-: وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب والعذاب الموجه إليهم إنما هو عند الاحتضار، وقبيل الموت وبعده.

وفيه دليل على أن الروح جسم يدخل ويخرج ويخاطب، ويساكن الجسد ويفارقه، فهذه حالهم في البرزخ(١).

وقال جل ذكره في قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

وقال جل وعلا في شأن المنافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قيل العذاب الأول: الفضيحة باطلاع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم، على ما يأتي بيانه في المنافقين، والعذاب الثاني: عذاب القبر.

قال الحسن وقتادة: عذاب الدنيا، وعذاب القبر.

قال ابن زيد: الأول بالمصائب في أموالهم وأولادهم، والثاني: عذاب القبر.

وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

---

(١) تفسير السعدي (٢٦٥).

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: معناه: أنهم لما أرادوا أن يمكروا بهذا المؤمن وقاه الله مكرهم، وردّ العاقبة السيئة عليهم، فردّ سوء مكرهم إليهم، فكان المؤمن المذكور ناجيًا في الدنيا والآخرة، وكان فرعون وقومه هالكين في الدنيا والآخرة والبرزخ.

فقال في هلاكهم في الدنيا: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [الأنفال: ٥٤] وأمثالها من الآيات.

وقال من مصيرهم في البرزخ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، وقال في عذابهم في الآخرة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر][1].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: الجمهور على أن هذه الآية في البرزخ، واحتج بعض أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦] ما دامت الدنيا، كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم.

قالوا: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر][2].

عن قتادة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه حَدَّثَهم: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا

---

(١) أضواء البيان (٦/ ٣٨٨، ٣٨٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٠٥).

المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا - قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا: أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ: **وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ**»[(١)].

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ القَبْرِ، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ القَبْرِ، فَقَالَ: «**نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ**». قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلاَةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، زَادَ غُنْدَرٌ: «**عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ**»[(٢)].

وعن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ سَمِعَ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، تَقُولُ: «قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطِيبًا فَذَكَرَ فِتْنَةَ القَبْرِ الَّتِي يَفْتَتِنُ فِيهَا المَرْءُ، فَلَمَّا ذَكَرَ ذَلِكَ ضَجَّ المُسْلِمُونَ ضَجَّةً»[(٣)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٢)، ومسلم (٥٨٦).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٣)، ومسلم (٩٠٥) مطولًا.
(٤) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨) واللفظ للبخاري.

وعن ابن عبَّاسٍ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» ثُمَّ قَالَ: «**بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا**» أَوْ: «**إِلَى أَنْ يَيْبَسَا**» (١).

وقال رسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْه**»(٢).

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**»(٣).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النبي ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ قُولُوا: «**اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**»(٤)

ذكر حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه الاحتضار وقبض الروح وفتنة القبر:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صفي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢) وغيرهما.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٨٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري، عن زيد بن ثابت.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩).

(٤) أخرجه مسلم (٥٩٠).

الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ «هَاهُنَا» وَقَالَ: «وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟» قَالَ هَنَّادٌ: قَالَ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ - زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ - فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم: ٢٧]» الْآيَةُ - ثُمَّ اتَّفَقَا - قَالَ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ» قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا» قَالَ: «وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ» قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ» فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: «وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ» قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا» قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ» زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا» قَالَ: «فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا» قَالَ: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»(١).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨)، وأبو داود (٤٧٥٣).

الشهيد يُجار من فتنة القبر:

عن سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»(١).

وعَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»(٢).

وعَنْ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»(٣).

مسألة: ما اسم الملكين اللذين يسألان العبد في قبره؟ وأقوال السلف في ثبوت عذاب القبر:

تواتر عند السلف أن اسمهما: منكر ونكير، كما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٣).

(٢) أخرجه النسائي (٤/ ٩٩)، وحسنه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٥/ ٧٤٣)، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص: ٥٠).

(٣) أخرجه الترمذي (١٦٦٣)، وأحمد (٤/ ١٣١)، وابن ماجه (٢٧٩٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦٤)، وفي الشعب (١٠٨٢٣، ١٠٨٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٨٢)، وفي أحكام الجنائز (٣٥، ٣٦).

رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»(١).

قال البربهاري رحمه الله: والإيمان بعذاب القبر ومنكر ونكير(٢).

قال اللالكائي رحمه الله: سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن المسلمين إذا دلوا في حفرتهم يسألهم منكر ونكير، وأن عذاب القبر حق، والإيمان به واجب(٣).

عن حنبل قال: سمعت أبا عبد الله يعني - أحمد بن حنبل - يقول: إذا صير العبد إلى لحده وانصرف عنه أهله أعيد إليه روحه في جسده فيسأل حينئذ في قبره، وهو قول الله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه - راجع شرح البيت الثاني بعد المائة.
(٢) شرح السنة (ص: ٤٣).
(٣) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ٤٣٦).

ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم: ٢٧] يعني القبر.

فنسأل الله أن يثبتنا على طاعته ويبارك لنا في تلك الساعة عند المساءلة فالسعيد من أسعده الله عز وجل، قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: ونؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير[(١)].

وعن حنبل أيضًا: قال: سمعت علي بن عبد الله المديني سنة إحدى وعشرين ومائتين بالبصرة يقول: نؤمن بعذاب القبر ونقول: إنه حق، وأن هذه الأمة تفتن في قبورها، ويُسأل عن النبي ﷺ، ونؤمن بمنكر ونكير[(٢)].

قال الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم نقول: كل ما أخبر به محمد ﷺ من عذاب القبر، ومنكر ونكير، وغير ذلك من أهوال القيامة... فهو حق، لأنه ممكن، وقد أخبر الصادق فليزم صدقه[(٣)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلامه عن القسم بغير الله تعالى من مخلوقاته: لو فرق مفرق بين ما يؤمن به، وبين ما لا يؤمن به، قيل له: فيجب الإيمان بالملائكة والنبيين ويؤمن بكل ما أخبر به الرسول مثل منكر ونكير، والحور العين، والولدان وغير ذلك[(٤)].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن عذاب القبر حق، ومساءلة أهل القبور حق[(٥)].

---

(١) أخرجه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٢١٥٨).

(٢) المصدر السابق (٢١٥٨).

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (ص: ٦٦٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٢٩٥، ٢٩٦).

(٥) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٢٦٠).

هل عذاب القبر هو عذاب البرزخ؟

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قُبر أم لم يُقبر، أكلته السباع، أو احترق حتى صار رمادًا ونُثر في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبر.

وما ورد من إجلاسه، واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يُفهم عن رسول الله ﷺ مرادهُ من غير غلوٍّ ولا تقصير فلا يُحمَّل كلامه ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدي والبيان.

وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علمًا، وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير، وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه، وغيبه عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولَمَا تدافن الناس، كما في الصحيح عنه ﷺ: «**لَوْلا أَن لا تَدَافَنُوا لَدَعوتُ الله أَنْ يُسْمِعَكُم مِن عَذَابِ القَبْرِ مَا أَسْمَعَ**»[(١)].

ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته، قاله ابن أبي العز[(٢)].

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٣٩٠، ٣٩١) باختصار.

مسألة: هل عذاب القبر ونعيمه للروح فقط أم للروح والجسد معًا؟

أجمع أهل السنة أن عذاب القبر ونعيمه للروح والجسد معًا، تنعم النفس وتعذب مفردة في بعض الأوقات ومتصلة بالجسد في بعض الأوقات، والأدلة على أن النعيم والعذاب يحصل للروح والجسد معًا ما روي عن رسول الله ﷺ من السنة الصحيحة كما سبق بيانه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما يكون للروح منفردة عن البدن.

وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث، قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، وإن البدن لا ينعم ولا يعذب، وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين... إلى أن ساق جملة من الأحاديث الصحيحة التي ذكرناها أول المسألة(١).

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: وليس السؤال في القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح، والأحاديث الصحيحة ترد القولين.

وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن معًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردةً عن البدن ومتصلة به(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٣).

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٣٨٩، ٣٩٠).

مسائل تتعلق بفتنة القبر اختلف فيها العلماء:

اختلف العلماء في سؤال القبر، هل لجميع الأمم أم لأمة محمد ﷺ فقط؟ وفي الأطفال وغير المكلف، هل يُسألون في قبورهم أو لا؟ وفي عذاب القبر هل يدوم أو ينقطع؟ وكذلك اختُلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة.

سُئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن الصغير، هل يحيا ويُسأل؟ أو يحيا ولا يُسأل؟ وبماذا يُسأل عنه؟ وهل يستوي في الحياة والسؤال من يكلف ومن لا يكلف؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين، أما من ليس مكلفًا كالصغير والمجنون فهل يمتحن في قبره ويسأله منكر ونكير؟ على قولين للعلماء:

أحدهما: أنه يمتحن وهو قول أكثر أهل السنة، ذكره أبو الحسن بن عبدوس عنهم، وذكره أبو حكيم النهراوني وغيرهما.

والثاني: أنه لا يُمتحن في قبره، كما ذكره القاضي أبو يعلى، وابن عقيل وغيرهما، قالوا: لأن المحنة إنما تكون لمن يكلف في الدنيا.

ومن قال بالأول يستدل بما في الموطأ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صلى عَلَى صغير لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ، فقال: «اللهُمَّ قِهِ عَذَابَ الْقَبْرِ وَفِتْنَةَ الْقَبْرِ»[(١)]، وهذا يدل على أنه يُفتن[(٢)].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: وللناس في سؤال منكر ونكير: هل هو خاص بهذه الأمة أم لا؟ ثلاثة أقوال: الثالث: التوقف، وهو قول جماعة منهم

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٩٨) بلفظ: «اللهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨١).

أبو عمر بن عبد البر، فقال: وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا**»(١) منهم من يرويه «تُسأل» وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خُصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع عليه، ويظهر عدم الاختصاص والله أعلم(٢).

وكذلك اختلفوا في سؤال الأطفال أيضًا.

وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟

جوابه أنه نوعان: منه ما هو دائم، كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، وكذا في حديث البراء بن عازب، في قصة الكافر: «**ثم يُفْتَحُ له بَاب إلى النَّارِ، فيَنظرُ إلى مقعَدِه فِيها حتى تَقُومَ السَّاعَة**»(٣).

النوع الثاني: أنه مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه.

وقد اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة:

فقيل: أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار.. وذكر أقوال أُخر ثم قال:

ويتلخص من أدلتها: أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم التفاوت.

فمنها: أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت.

(٢) وهذا هو الصحيح، دليل ذلك الأحاديث التي قدمناها في سؤال القبر وفيها سؤال الكافر، وقوله ﷺ: «**يهود تعذب في قبورها**» وقد تقدم.

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه.

ومنها: أرواح في حوصل طير خُضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا كُلهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، كما في «المسند» عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاذَا لِي إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قال: «**الجنة**». فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: «**إِلَّا الدَّيْنَ، سَارَّنِي بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا**»[(١)].

ومن الأرواح ما يكون محبوسًا على باب الجنة، كما في الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**رأيت صَاحِبَكُم محبوسًا على بَابِ الجنة**»[(٢)].

ومنهم يكون محبوسًا في قبره، ومنهم من يكون محبوسًا في الأرض، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر دم تسبح فيه

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٥٠)، والنسائي (٧/ ٣١٤) وغيرهما، وله شاهد عند مسلم (١١٧/ ١٨٨٥) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ. وفيه: أن الجهاد في سبيل الله والإيمان أفضل الأعمال... فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ**».

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٦، ٥/ ٧)، وابن ماجه (٢٤٣٣) وغيرهما. ولفظ الحديث: عَنْ سَعْدِ بْنِ الْأَطْوَلِ، أَنَّ أَخَاهُ مَاتَ وَتَرَكَ ثَلَاثَمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا، فَأَرَدْتُ أَنْ أُنْفِقَهَا عَلَى عِيَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَخَاكَ مُحْتَبَسٌ بِدَيْنِهِ، فَاقْضِ عَنْهُ**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَدَّيْتُ عَنْهُ إِلَّا دِينَارَيْنِ، ادَّعَتْهُمَا امْرَأَةٌ وَلَيْسَ لَهَا بَيِّنَةٌ، قَالَ: «**فَأَعْطِهَا فَإِنَّهَا مُحِقَّةٌ**».

وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة[١]. والله أعلم.

---

(١) كما في حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ الطويل عند البخاري (٧٠٤٧) وفيه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا» قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَانِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، - قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ: فَيَشُقُّ» قَالَ: «ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى» قَالَ: «قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَانِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ - قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ» قَالَ: «فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآةِ، كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ

وأما الحياة التي اختص بها الشهيد، وامتاز بها عن غيره، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران].

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا

=

رَأَيْتُهُمْ قَطُّ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا مَا هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ» قَالَ: «قَالَا لِي: ارْقَ فِيهَا» قَالَ: «فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ» قَالَ: «قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ» قَالَ: «وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» قَالَ: «قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ» قَالَ: «فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ» قَالَ: «قَالَا لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ، قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلَهُ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟» قَالَ: «قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْآةِ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ ذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ» قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرٌ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ».

تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ [البقرة].

فهي: أن الله تعالى جعل أرواحهم في أجواف طير خضر، كما في حديث عبد الله بنِ عبَّاس، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ، جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ عَرْشِ الرحمَنِ»[(١)]، الحديث رواه أحمد وأبو داود، وبمعناه في حديث ابن مسعود، رواه مسلم[(٢)].

فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه، أعاضهم منها في البرزخ أبدانًا خيرًا منها، تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان، أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها.

ولهذا كان نَسَمة المؤمن في صور طير أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير، وتأمل لفظ الحديثين، ففي «الموطأ» أن كعب بن مالك كان يُحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ نَسَمَةَ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ يَوْمَ الْبَعْثِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦)، وأبو داود (٢٥٢٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٨٨، ٢٩٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة (٤/ ٥٦٥)، وابن أبي عاصم في الجهاد (١٩٣، ١٩٤، ١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٧) عن عبد الله بن مسعود، وقال فيه: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا».

(٣) أخرجه النسائي (٤/ ١٠٨)، وابن ماجه (٤٢٧١)، ومالك في الموطأ (١/ ٢٤٠)، =

فقوله: «نسمة المؤمن»:

تعمُّ الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: «هي في جوف طير خضر» ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار، فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فُرشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجةً من كثير منهم، فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو من دونه، والله أعلم.

وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في «السنن»[1]، وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مُدد من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تُربته إلى يوم محشره، ويُحتمل أنه يُبلى مع طول المدة، والله أعلم، وكأنه والله أعلم كما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول[2].

وقوله: «وما أتى في ذا من الأمور»:

أي: كل ما يتعلق بالقبر والبرزخ، وخروج الروح وغير ذلك من الأمور التي تتعلق بهذه المسألة نؤمن به ولا نرد منه شيئًا لأن الأدلة جاءت صحيحة وصريحة في ذلك كله كما تقدم بيانه.

=
وأحمد في المسند (٣/ ٤٥٥).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٨)، وأبو داود (٢/ ١٨٤)، والنسائي (٣/ ٩١)، وابن ماجه (١٦٣٦) وغيرهم من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**».

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٩١، ٣٩٦) باختصار.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٠٥- وأنَّ أرواحَ الـوَرَى لَـم تُعْـدَمِ   مَـعْ كَوْنِهـا مَخلوقَـةً فاسْـتَفهِمِ

١٠٦- فكُلُّ ما عَـنْ سَيِّدِ الْخَلـقِ وَرَد   مِـنْ أمـرِ هٰـذا البـابِ حـقٌّ لا يُـرد

الشرح

المعنى: أن أرواح بني آدم: «لـم تُعـدم» أي: لـن تفنـى في المستقبل مع كونها مخلوقة، نعم نؤمن أن أرواحنا مخلوقة، فهي ليست أزلية، فكل شيء سوى الله -جل وعلا- مخلوق، وهذا مما أجمع عليه أهل السنة، ونقل الإجماع على ذلك محمد بن نصر المروزي، وابن قتيبة[١]، وهذا خلافًا للفلاسفة الذين يقولون: الروح قديمة وأنها ليست حادثة، وهذا اعتقاد فاسد يخالف النقل والعقل، وقد تقدم الأدلة على أن: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢][٢].

ونؤمن أيضًا بأن أرواح العباد لن تفنى كالجنة والنار، وهذا بنص القرآن والسنة.

فقـد أخـبر سـبحانه أن أهـل الجنـة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الدخان: ٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض شرحه للآية: فهذا الاستثناء هو لتحقيق دوام الحياة وعدم ذوق الموت[٣].

(١) انظر: شرح الطحاوية (ص: ٣٨٠).
(٢) راجع - إن شئت- شرح البيت الثامن والخمسين والتاسع والخمسين.
(٣) بدائع التفسير (٤/ ١٤٤).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا استثناء يُؤكد النفي، فإنه استثناء منقطع، ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدًا، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]، وَهَؤُلاَءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلِ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم]»[(١)][(٢)].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره خلاف الناس في الروح هل تموت أم لا؟

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تُعدم أو تفنى بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب، وساق الأحاديث التي تدل على نعيم الروح وعذابها كما تقدم[(٣)][(٤)].

وقال أيضًا - في ماهية الروح-: الروح تُوصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال وهذا شأن المخلوق المحدث... إلى أن قال: والدليل

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٨٠، ١٨١).
(٣) راجع المبحث السابق.
(٤) شرح الطحاوية (ص: ٣٨٥).

على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] ففيها الإخبار بتوفّيها وإمساكها وإرسالها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ [الأنعام: ٩٣] ففيها بسط الملائكة أيديهم لتناولها، ووصفها بالإخراج والخروج، والإخبار بعذابها ذلك اليوم، والإخبار عن مجيئها إلى ربها.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠] ففيها الإخبار بتوفي النفس بالليل وبعثها إلى أجسادها بالنهار، وتوفّي الملائكة لها عند الموت.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ [الفجر].

ففيها وصفها بالرجوع والدخول والرضا.

وقال ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»(١) ففيه وصفه بالقبض وأن البصر يراه.

وقال ﷺ في حديث بلال: «قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ»(٢).

وقال ﷺ: «نَسَمَةُ المؤمن طَائِرٌ يَعْلَقُ في شَجَرِ الجنَّة»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٩٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥)، ومسلم (٦٨١) مطولًا باختلاف.

(٣) صحيح: تقدم تخريجه.

وسيأتي في الكلام على عذاب القبر[١] أدلة كثيرة من خطاب ملك الموت لها، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطر من في السقاء، وأنها تصعد ويوجد منها من المؤمن كأطيب ريح، ومن الكافر كأنتن ريح، إلى غير ذلك من الصفات وعلى ذلك أجمع السلف، ودل العقل، وليس مع من خالف سوى الظنون الكاذبة والشُّبه الفاسدة، التي لا يُعارض بها ما دل عليه نصوص الوحي والأدلة العقلية[٢].

أقسام الروح:

مسمى الروح يطلق على عدة أشياء كما جاء ذلك في القرآن.

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الروح: فروح الأجساد الذي يقبضه الله عند الممات.

والروح: جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] يعني جبريل، وقال: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣] أي: جبريل.

والروح: فيما ذكره المفسرون، ملكٌ عظيم من ملائكة الله[٣]، يقوم

---

(١) سبق بيان ذلك في مبحث: عذاب القبر ونعيمه.

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٣٨٠-٣٨٣) باختصار.

(٣) للعلماء في معنى الروح في هذه الآية ست أقوال، قال ابن كثير: أحدها: أنهم أرواح بني آدم، الثاني: هم بنو آدم، الثالث: أنهم خلق من خلق الله على صورة بني آدم وليسوا بملائكة ولا بشر، وهم يأكلون ويشربون، الرابع: هو جبريل، ويشهد لهذا القول بقوله عز وجل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء] الخامس: أنه القرآن، قاله ابن زيد كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] الآية، والسادس: أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات، وتوقف ابن

وحده فيكون صفًّا وتقوم الملائكة صفًّا، قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨] وقال عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥].

ويقال للملائكة الروحانيون: لأنهم أرواح، نُسبوا إلى الروح -بالألف والنون- لأنها نسبةُ الخلقة(١).

والروح: النفخ: سُمي رُوحًا لأنه ريح تخرج عن الروح.

والمسيح: رُوحُ الله: لأنه نفخه جبريل في درع مريم، ونُسب الروح إلى الله لأنه بأمره كان، يقول الله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]، يعني نفخة جبريل، وقد يجوز أن يكون سُمّي رُوح الله لأنه بكلمته كان، قال تعالى: «كن» فكانت.

وكلام الله رُوحٌ: لأنه حياة من الجهل وموت الكفر، قال: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [غافر: ١٥].

ورحمة: وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

الله رُوحٌ: قال تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾ [المجادلة: ٢٢] أي: برحمة، كذلك قال المفسرون، إلى أن قال: وقد تكون الروح الرحمة،

=

جرير فلم يقطع بواحدة من هذه الأقوال كلها، والأشبه عنده - والله أعلم- أنهم بنو آدم- تفسير ابن كثير (٤/ ٥٨٥).

(١) في اللسان (٣/ ٣٩١): وفي الحديث الملائكة الروحانيون يروى بضم الراء وفتحها، كأنه نسبٌ إلى الرُّوح أو الرَّوح وهو نسيم الريح، والألف والنون من زيادات النسب، ويريد به أنهم أجسام لطيفة لا يدركها البصر.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] أي: من رحمته سمّاها روحًا لأن الروح والراحة يكونان بها[(١)].

تنبيه: لا يجوز لأحد أن يسأل عن شيء ليس عليه دليل من الكتاب أو السنة.

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء].

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثبت عن النبي ﷺ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وغيره قال: بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ الْيَهُودُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالَ: مَا رَأْيُكُمْ إِلَيْهِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي فَلَمَّا نَزَلَ الوَحْيُ، قَالَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء][(٢)].

قال ابن وهب عن مالك: لم يأته في ذلك جواب، وقد قال بكر بن مُضر في رواية ابن وهب عنه: إن اليهود قالوا: سلوه عن الروح، فإن أخبركم فليس بنبيًّ، وإن لم يخبركم فهو نبي، فسألوه، فنزلت الآية[(٣)].

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٤٤١- ٤٤٦) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢١). والعَسِيب: عصا من جريد النخل- الفتح (١/ ٢٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٥)، ومسلم (٢٧٤٩).

ومعنى هذا: أن الأنبياء لا يتكلمون مع الخلق في المتشابهات، ولا يفضون معهم في المشكلات، وإنما يأخذون في البيِّن من الأمور المعقولات، والروح خلق من خلق الله تعالى جعله الله في الأجسام، فأحياها به، وعَلِمها وأقدرها وبنى عليها الصفات الشريفة... فإذا أراد العبد إنكارها لم يقدر لظهور آثارها وإذا أراد معرفتها وهي بين جنبيه لم يستطع، لأنه قصر عنها وقصر به دونها[(١)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وليس في الكتاب والسنة أن المسلمين نهوا أن يتكلموا في الروح بما دل عليه الكتاب والسنة، لا في ذاتها ولا في صفاتها، وأما الكلام بغير علم فذلك محرم في كل شيء، ولكن ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود.. وساق الحديث المتقدم[(٢)].

وقوله: «فكل ما عن سيد الخلق ورد».

أي: كل شيء عن «سيد الخلق»، والسيد ذو الشرف والجاه والمراد به وهو نبينا ﷺ «ورد» أي: جاء في حديث صحيح ثابت عن رسول الله ﷺ: «من أمور هذا الباب» أي: بما يتعلق بهذا الباب أي: المسألة، فهو «حق لا يرد»؛ لأن الذي أخبر به الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، ففتنة القبر حق، وحياة البرزخ حق، وسؤال الملكين حق، وكل ما جاء في كتاب ربنا وأخبرنا به نبينا ﷺ حق سواء أدركته عقولنا وحواسنا أم لا.

---

(١) أحكام القرآن (٣/ ٢٣٣-٢٣٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٣١).

مسألة: هل النبي ﷺ سيد ولد آدم فقط أم سيد الخلق أجمعين؟

ثبت في حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم في صحيحه[(١)]، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَة**».

أما كونه سيد الخلق أم سيد ولد آدم فقط، فهذا الحكم يترتب على الراجح من أقوال العلماء، هل البشر أفضل من الملائكة أم لا ؟[(٢)].

والراجح أن بني آدم أفضل من الملائكة، فرسول الله ﷺ أفضل من الملائكة وهو سيد الخلق أجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٢) سيأتي تفصيل المسألة عند شرح البيت التاسع والستين بعد المائة.

فصل

في أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ومجيئها

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٠٧- وَمَا أَتَى فِي النَّصِّ مِنْ أَشْرَاطِ   فكلُّهُ حَقٌّ بِلَا شِطَاطِ
١٠٨- مِنهَا الإمَامُ الخَاتَمُ الفَصِيحُ   مُحمَّدُ الْمَهدِيُّ وَالمَسِيحُ
١٠٩- وَأَنَّهُ يَقتُلُ الدَّجَّال   بِبَابِ لُدٍّ خَلِّ عَنِ جِدالِ
١١٠- وَأَمْرُ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ اثْبِتِ   فإِنَّهُ حَقٌّ كَهَدْمِ الكَعْبَةِ
١١١- وَأَن مِنْهَا آيَةُ الدُّخانِ   وَأَنَّهُ يُذهَبُ بالْقُرْآنِ
١١٢- طُلُوعُ شَمسِ الْأُفقِ مِن دَبورِ   كَذَاتِ أَجيَادٍ عَلَى الْمَشْهُورِ
١١٣- وَآخِرُ الْآيَاتِ حَشْرُ النَّارِ   كَمَا أَتَى فِي مُحكَمِ الْأَخْبَارِ
١١٤- فَكُلُّهَا صَحَّت بِهَا الْأَخْبَارُ   وَسطَّرَتْ آثارَهَا الأخيارُ

الشرح

أي: ما أتى في «النص» أي القرآن أو الأحاديث الصحيحة من «أشراط»- والشرط: العلامة ومنه أشراط الساعة[1]- حق بلا «شطاط».

الشَطَاط لغة: البعد واعتدال القامة أيضًا، والشِّطاطِ أيضًا بالكسر[2].

والمعنى: أن كل ما ثبت بالنص من أشراط الساعة، فهو حق، لا يبعد

---

(١) انظر الكليات (ص: ٤٤٤).

(٢) الصحاح (٥٤٨) مادة (شطط).

وقوعه؛ لأن الذي أخبر به الله تعالى ورسوله ﷺ.

والساعة معناها: جزء من أجزاء الزمان، ويعبر به عن القيامة قال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥]، تشبيهًا بذلك لسرعة حسابه به، كما قال: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام]، أو لما نبَّه عليه بقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات]، ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الروم: ١٢]، فالأولى هي القيامة، والثانية الوقت القليل من الزمن[١].

وقوله: «منها الإمام الخاتم... إلى آخر الأبيات»:

أي: من علامات الساعة وإمارتها، المهدي، ونزول المسيح عليه السلام، وخروج الدجال... إلى غير ذلك من العلامات التي ذكرها صاحب النظم، والمسألة تحتاج إلى تفصيل، أذكره ههنا في مباحث.

المبحث الأول: أشراط الساعة:

اعلم أن أشراط الساعة تنقسم إلى قسمين: أشراط صغرى، وأشراط كبرى.

أما الأشراط الصغرى: فبعضها ظهر وانتهى كبعثة النبي وموته ﷺ وغير ذلك، ومنها ما هو حاضر نعيشه، كتطاول الرعاء في البنيان وظهور الكاسيات العاريات، وشرب الخمر، واستحلال المعازف وغيره، ومنها ما لم يظهر بعد، كاستفاضة المال، وكون خمسين امرأة لهم قيمٌ واحد، وهدم

(١) المفردات (٢٧٢، ٢٧٣).

الكعبة، وردة أقوام آخر الزمان، وغير ذلك من الأشراط الصغرى التي لم تقع حتى الآن.

أما الأشراط الكبرى: فهي عشرة ولم يقع منها شيئًا، وسأذكر جملة من الأحاديث لبيان المسألة.

واعلم -أيضًا- أن ترتيب الأشراط ليس عليه دليلًا أي لا يشترط أن تنتهي الأشراط الصغرى ثم تأتي الكبرى، بل الثابت أن من الأشراط الصغرى ما يظهر مع الأشراط الكبرى، ومنها ما يظهر بعد الأشراط الكبرى، ومنها ما ظهر ومضى.

أولاً: ذكر جملة من أشراط الساعة الصغرى.

ست خِلالٍ بين يدي الساعة، منها موت النبي ﷺ:

عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ المَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ العَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**»(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: **قوله «سِتًّا»** أي: ست علامات لقيام الساعة أو لظهور أشراطها المقتربة منها.

قوله: «ثم مُوتان» بضم الميم وسكون الواو، قال القزاز: هو الموت. وقال

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٦).

غيره الموت الكثير الوقوع، ويقال بالضم لغة تميم، وغيرهم يفتحونها.

قوله: «**كُعقاص الغنم**» بضم العين المهملة، وتخفيف القاف وآخره مهملة، وهو: داء يأخذ الدواب، فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة، وقال أبو عبيدة: ومنه أخذ الإقعاص وهو القتل مكانه، وقال ابن فارس: العُقاص: داء يأخذ في الصدر كأنه يكسر العنق، ويقال أن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس.

قوله: «**ثم استفاضة المال**» **أي** كثرته وظهرت في خلافة عثمان عند تلك الفتوح العظيمة، والفتنة المشار إليها افتُتِحت بقتل عثمان واستمرت الفتن بعده والسادسة لم تجيء بعد.

قوله: «**هدنة**» بضم الهاء وسكون المهملة بعدها نون، هي الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه.

قوله: «**بني الأصفر**» هم الروم.

قوله: «**غاية**» أي راية، وسميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف، ووقع في حديث ذي مخبر بكسر الميم، وسكون المعجمة، وفتح الموحدة عند أبي داود في نحو هذا الحديث بلفظ «راية» بدل غاية.

قال المهلب: فيه أن الغدر من أشراط الساعة، وفيه أشياء من علامات النبوة قد ظهر أكثرها.

وقال ابن المنير: أما قصة الروم فلم تجتمع إلى الآن ولا بلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد فهي من الأمور التي لم تقع بعد، وفيه بشارة ونذارة، وذلك أنه دل على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش، وفيه أن عدد

جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه.

ووقع في رواية للحاكم من طريق الشَّعبي عن عَوْفِ بن مَالك في هذا الحديث «أن عوف بن مالك قال لمعاذ في طَاعون عَمْوَاس أنَّ رَسول الله ﷺ قال لي: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ»، فقَد وَقَعَ منهن ثَلاث، يعني موته ﷺ، وفَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ والطَّاعون، قال: وبقي ثلاث فقال له معاذ: إن هذا أهلًا» ووقع في الفتن لنعيم بن حماد أن هذه القصة تكون في زمن المهدي على يد ملك من آل هرقل[(١)].

قتال اليهود:

عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**تُقَاتِلُكُمُ اليَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الحَجَرُ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَاقْتُلْهُ**»[(٢)].

وفي رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**»[(٣)].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: الغرقد: نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود[(٤)].

---

(١) فتح الباري (٦/ ٣٢١، ٣٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٩٣)، ومسلم (٢٩٢١) واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) واللفظ له.

(٤) مسلم بشرح النووي (٩/ ٢٧٤).

كثرة القتل وتمني الموت:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمَقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ»(٢).

ادعاء النبوة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ»(٣).

بعثة النبي ﷺ وموته:

عن سَهْلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» ويشير بإصبعيه فيمدهما(٤).

وفي حديث عَوفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه المتقدم: «اعدُد سِتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ: مَوتِي»(٥).

غربة الإسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا،

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧) واللفظ للبخاري.
(٢) أخرجه مسلم (٥٦/ ٢٩٠٨).
(٣) أخرجه مسلم (٨٤/ ١٥٧).
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١).
(٥) صحيح: تقدم تخريجه قريبًا.

وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[(١)].

قلة العلم وفشو الجهل وموت العلماء:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا**»[(٢)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[(٣)].

استحلال الحرام، وتسميته بغير اسمه:

عن أَبِي بَكْرِ بْنِ حَفْصٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ مُحَيْرِيزٍ، يُحَدِّثُ عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا**»[(٤)].

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ الأَشْعَرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَامِرٍ أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ، وَاللهِ مَا كَذَبَنِي: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) وغيره.
(٢) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).
(٣) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).
(٤) أخرجه النسائي (٨/ ٣١٢)، وأحمد (٤/ ٢٣٧).

القِيَامَةِ»[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «**لَيَنزِلَنَّ أَقْوَامٌ إلى جَنبِ عَلَم**» بفتحتين والجمع أعلام، وهو الجبل العالي، قيل رأس الجبل.

قوله: «**يروح عليهم**» كذا فيه بحذف الفاعل، وهو الراعي بقرينه المقام، إذ السارحة لابد لها من حافظ.

قوله: «**بسارحة**» بمهملتين: الماشية التي تسرح بالغداة إلى رعيها وتروح، أي ترجع بالعشي إلى مألفها.

قوله: «**يأتيهم لحاجة**» كذا فيه بحذف الفاعل أيضًا.

قال الكرماني: التقدير الآتي أو الراعي أو المحتاج أو الرجل، قلت: وقع عند الإسماعيلي «يأتيهم طالب حاجة» فتعين بعض المقدرات.

قوله: «**فيبيتهم الله**» أي يهلكهم ليلًا، والبيات هجوم العدو ليلًا.

قوله: «**ويضع العلم**» أي يوقعه عليهم، وقال ابن بطال: إن كان العلم جبلًا فيدكدكه، وإن كان بناء فيهدمه ونحو ذلك..

قوله: «**ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**» يريد ممن لم يهلك في البيات المذكور، أو من قوم آخرين غير هؤلاء الذين بيتوا... «ويمسخ منهم آخرين» قال ابن العربي: يحتمل الحقيقة كما وقع للأمم السالفة، ويحتمل أن يكون كناية عن تبدل أخلاقهم قلت: والأول أليق بالسياق.

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (٥٥٩٠)، ووصله ابن حبان (٦٧٥٤)، والطبراني في الكبير (٣٤١٧)، وصحيح سنن أبي داود (٤٠٣٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٣٧٤٨) واللفظ للبخاري.

وفي هذا الحديث وعيد شديد على من يتحيل في تحليل ما يحرم بتغيير اسمه، وأن الحكم يدور مع العلة، والعلة في تحريم الخمر الإسكار فمهما وجد الإسكار وجد التحريم ولو لم يستمر الاسم.

قال ابن العربي: هو أصل في أن الأحكام إنما تتعلق بمعاني الأسماء لا بألقابها، ردًّا على من حمله على اللفظ[1].

قلة الرجال وكثرة النساء وظهور الزنا وكثرة التبرج:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[3].

وهذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ.

---

(١) الفتح (١٠/ ٥٧، ٥٨) باختصار.
(٢) أخرجه البخاري (٨١)، ومسلم (٢٦٧١).
(٣) أخرجه مسلم (٢١٢٨).

تغير أحوال الناس ورفع الأمانة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَبْلَ السَّاعَةِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»(١).

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ فَقَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ نَوْمَةً فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ تَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ»، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ، قَالَ: «فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ وَأَظْرَفَهُ وَأَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ، وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا، وَفُلَانًا(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٢٩١، ٣٣٨)، وابن ماجه (٤٠٣٦)، والحاكم (٤/ ٥١٢،٥٥٧) وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٨٨،٢٢٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٨٦)، ومسلم (١٤٣).

والجذر: الْأَصْل، وَمِنْه جذر الْحساب، كَقَوْلِك: عشرَة فِي عشرَة مائَة، فالعشرة جذر الْمِائَة أَي: أَصْلهَا الَّذِي يقوم مِنْهُ هَذَا الْعدَد. وَقَالَ أَبُو عبيد: الجذر: الأَصْل من كل شَيْء - بِفَتْح الْجِيم وَكسرهَا.

=

تقارب الزمان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ - وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ»[(١)].

تباهي الناس في المساجد:

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ»[(٢)].

انحسار الفرات عن كنز من ذهب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ[(٣)] عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا»[(٤)].

=

والوكت: أثر الشَّيْء الْيَسِير، وَمِنْه: بُسْر موكِت بِكَسْر الْكَاف: إِذا بدا فِيهِ شَيْء من الإرطاب.

والمجل: أثر الْعَمَل فِي الْكَفّ، يُقَال: مجلت يَده ومجلت، لُغَتَانِ.

وَقَوله: فتراه منتبرًا: أَي منتفطًا، يَعْنِي ارْتِفَاع الْجلد وَلَا شَيْء تَحْتَهُ.

وَقَوله: «فَلَا يكَاد أحد يُؤَدِّي الْأَمَانَة» أَي: يقل من يُؤَدِّيهَا. ويكاد بِمَعْنى يُقَارب.

وَقَوله: ليردنه على ساعيه: أَي: رئيسه الَّذِي يحكم عَلَيْهِ وينصفني مِنْهُ.

انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (١/ ٣٨٠، ٣٨١).

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٤، ٢٨٣، ٢٣٠، ١٥٤)، وأبو داود (٤٤٩)، وابن ماجه (٧٣٩)، والدارمي (١/ ٣٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٢١).

(٣) يحسر: ينكشف، عون المعبود (١١/ ٢٩٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٣٠/ ٢٨٩٤).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَل، قَالَ: كُنْتُ وَاقِفًا مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، فَقَالَ: لَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفَةً أَعْنَاقُهُمْ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، قُلْتُ: أَجَلْ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ سَارُوا إِلَيْهِ، فَيَقُولُ مَنْ عِنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْهُ لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَيَقْتَتِلُونَ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ**»(١).

قال العظيم آبادي رَحِمَهُ اللهُ في معرض شرحه حديث أبي هريرة: هذا يشعر بأن الأخذ منه ممكن، وعلى هذا فيجوز أن يكون دنانير، ويجوز أن يكون قطعًا، ويجوز أن يكون تِبرًا والذي يظهر أن النهي عن أخذه لما ينشأ عن أخذه من الفتنة، والقتال عليه، وساق الحديثين كما تقدم، ثم قال: هذا تلخيص ما قاله الحافظ في الفتح (٢). انتهى.

تقارب الأسواق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُوشِكُ أَنْ لَا تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ**»(٣).

في هذا الحديث إشارة لما وقع في هذا الزمان من تقارب الأسواق، وتقاربها- والله أعلم- هو سهولة البيع والشراء عبر الإنترنت، وكذا يمكن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩٥).

(٢) عون المعبود (١١/ ٢٩٤).

(٣) أخرجه ابن حبان «موارد الظمآن» (١٨٨٢) وأحمد (٢/ ٥١٩) وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٢٧): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سمعان وهو ثقة. وصحَّح إسناده الأرناؤوط في تحقيقه على المسند.

لأي إنسان معرفة أحوال الأسواق في أنحاء العالم ومعرفة أسعار السلع، وأخبار الأسواق المالية- من سعر العملة وأحوال البورصة وغير ذلك- فالسلع الآن تنتقل عبر القارات، وتصل إلى المشتري وهو في بيته، فالحديث آية من آيات النبوة.

المبحث الثاني: خروج المهدي:

من أشراط الساعة كما ذكر صاحب النظم في قوله: «منها الإمام الخاتم الفصيح» فلا إمام بعد للمسلمين لأن ظهوره عند اقتراب القيامة، وهو فصيح اللسان لأنه من العرب أهل اللغة والبلاغة، واسمه محمد المهدي، كما سيأتي في الأحاديث.

وعَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ**» قَالَ زَائِدَةُ فِي حَدِيثِهِ: «**لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ**»، ثُمَّ اتَّفَقُوا: «**حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي**» - أَوْ «**مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**» - **يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي**» زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «**يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**» وَقَالَ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ: «**لَا تَذْهَبُ، أَوْ لَا تَنْقَضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي**»[١].

وعَنْ عَلِي رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ،**

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣١)، وابن حبان «موارد الظمآن»، وأحمد (١/ ٣٧٦، ٣٧٧) (١٨٧٦-١٨٧٩) مختصرًا وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

لَبَعَثَ اللهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا»[(١)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُمْلَأَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَجَوْرًا وَعُدْوَانًا، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مَنْ يَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا»[(٢)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، أَجْلَى أَقْنَى، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ قَبْلَهُ ظُلْمًا، يَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ»[(٣)].

قال العظيم آبادي رَحِمَهُ اللهُ: واعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار، أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى المهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدي في صلاته[(٤)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: وأحاديث المهدي معروفة، رواها أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم.. وساق الأحاديث كما ذكرناها[(٥)] انتهى.

---

(١) **صحيح**: سنن أبي داود (٤٢٨٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٧، ٥٥٨)، وأحمد (٣/ ٣٦)، وابن حبان (١٨٨٠).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ١٧) وإسناده حسن.

(٤) عون المعبود (١١/ ٢٤٣).

(٥) منهاج السنة (٤/ ٩٥).

اعلم أن اعتقاد أهل السنة والجماعة في المهدي على ما جاء في الأحاديث الصحاح، وليس المهدي كما يزعم الشيعة البغضاء أنه دخل السرداب بسامرَّاء وهم ينتظرون خروجه ومعه القرآن الكامل، فهم يزعمون أن القرآن الذي بين أيدينا ناقص ومحرف -تعالى الله عما يقول هؤلاء علوًّا كبيرًا- ولذلك هم يسمونه «بالمهدي المنتظر» وهو- أي المهدي- ولد الحسن بن عليّ العكسري.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أهل العلم بالأنساب والتواريخ: أن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب، والإمامية الذين يزعمون أنه كان له ولد يدَّعون أنه دخل السرداب بسامرَّاء وهو صغير، منهم من قال: عمره سنتان، ومنهم من قال: ثلاث، ومنهم من قال: خمس سنين، وهذا لو كان موجودًا معلومًا، لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن والسنة والإجماع أن يكون محضونًا عند من يحضنه في بدنه كأمه وأم أمه، ونحوهما من أهل الحضانة، وأن يكون ماله عند من يحفظه، إما وصى أبيه إن كان له وصي، وإما غير الوصي... إلى أن قال: فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إمامًا لجميع المسلمين معصومًا، لا يكون أحد مؤمنًا إلا بالإيمان به؟

ثم إن هذا باتفاق منهم: سواء قُدِّر وجوده أو عدمه، لا ينتفعون به، لا في دين ولا في دنيا، ولا عَلَّم أحدًا شيئًا ولا يعرف له صفة من صفات الخير ولا الشر، فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ولا مصالحها، لا الخاصة ولا العامة.

وهذا المنتظر لم يحصل به لطائفته إلا الانتظار لمن لا يأتي، ودوام الحسرة والألم، ومعاداة العالم، والدعاء الذي لا يجيبه الله، لأنهم يدعون له بالخروج والظهور من مدة أكثر من أربع مائة وخمس سنة(١).

المبحث الثالث: أشراط الساعة الكبرى:

وهي عشرة كما جاءت في حديث حذيفة، ولم يأت نصٌّ صريحٌ يبين ترتيب هذه الأشراط، ونذكر هنا الأحاديث التي جاء فيها الأشراط الكبرى.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»(٢).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى**»(٣).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله ﷺ «وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» وفي رواية «نار تخرج من قعره عدن» هكذا هو في الأصول (قعره) بالهاء والقاف مضمومة، ومعناه: من أقصى قعر أرض

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٨٧-٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٣٩/ ٢٩٠١)، وأبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣)، وابن ماجه (٤٠٤١) مختصرًا.

(٣) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).

عدن، وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن.

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: سُميت عدنًا من العدون، وهي الإقامة؛ لأن تُبَّعًا كان يحبس فيها أصحاب الجرائم، قال النووي: وهذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن هي الحاشرة للناس، كما صرح به في الحديث.

أما قوله ﷺ في الحديث الذي بعده: (**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى**) فقد جعلها القاضي عياض حاشرة، قال: ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس، قال: أو يكون ابتداء خروجها من اليمن ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز هذا كلام القاضي.

وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر، بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة، وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت نارًا عظيمة جدًّا من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة[1]، انتهى.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ**»[2].

وعنه أنه ﷺ، قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ**

(١) مسلم بشرح النووي (٩/ ٢٥٦).
(٢) أخرجه مسلم (١٢٨/ ٢٩٤٧) وغيره.

الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ(١)**، وَخُوَيْصَّةَ**(٢) **أَحَدِكُمْ»**(٣).

سبق بيان أن ترتيب الأشراط ليس فيه نص، ولكن يمكن معرفة ترتيب بعض الأشراط من خلال حدوث بعضها إثر بعض، كما قال رسول الله ﷺ: «**خُرُوجُ الآيَاتِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ يَتَتَابَعْنَ كَمَا يَتَتابَعُ الْخَرَزُ**»(٤).

خروج الدجال وبيان صفته:

الدجال واحد من البشر غير أنه أكبر الخلق، له صفات جاءت في أحاديث نذكر ما صح منها، أما خروجه فمن قبل المشرق، ويكون معه جنة ونار فناره جنة، وجنته نار، أكثر أتباعه النساء واليهود، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن وإن كان أُمي، يدخل جميع البلاد إلا مكة والمدنية؛ لأن الملائكة تحرسونهما، ويهلكه الله في زمان عيسى عليه السلام.

ذكر بعض الأحاديث التي جاء فيها صفات الدجال:

عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ**» (٥).

وفي رواية: «**لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ**

---

(١) قال قتادة: أمر العامة: القيامة- مسلم بشرح النووي (٩/ ٣١٣).

(٢) قال هشام: خاصة أحدكم: الموت، وخويصة تصغير خاصة- المصدر السابق.

(٣) أخرج مسلم (١٢٩/ ٢٩٤٧).

(٤) أخرجه ابن حبان في «موارد الظمآن» (١٨٨٣)، والطبراني في الأوسط (٤٢٧١)، وصححه الألباني لشواهده في الصحيحة (٣٢١٠).

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ؛ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»(١).

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ، وَلَا حَجْرَاءَ، فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٢).

وعن جُنَادَةَ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، أنه قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقُلْنَا لَهُ: حَدِّثْنَا بِمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا تُحَدِّثْنَا بِمَا سَمِعْتَ مِنَ النَّاسِ قَالُوا: قَالَ: فَشَدَّدُوا عَلَيْهِ فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أُنْذِرُكُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، أُنْذِرُكُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، وَهُوَ رَجُلٌ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: أَظُنُّهُ قَالَ: الْيُسْرَى، يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، مَعَهُ جِبَالُ خُبْزٍ وَأَنْهَارُ مَاءٍ، يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَنْهَلٍ، لَا يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ - فَذَكَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَالطُّورَ، وَالْمَدِينَةَ - غَيْرَ أَنَّ مَا

(١) أخرجه مسلم (١٠٥/ ٢٩٣٤).

(٢) سنن أبي داود (٤٣٢٠).

معاني الألفاظ: أفحج: من الفحج، وهو تباعد ما بين الساقين أو الفخذين، وقيل: تداني صدور القدمين مع تباعد العقبين، وقيل: هو الذي في رجله اعوجاج.
حجراء: ليست متصلبة، وروي (جحراء): أي عميقة، انخسفت فبقي مكانها غائرًا كالجحر.

انظر: فتح الباري (١٣/ ٩٧)، معالم السنن (٤/ ٣٤٦)، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري للشنقيطي (١٤/ ٢٤٤).

كَانَ مِنْ ذَلِكَ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، لَيْسَ اللهُ بِأَعْوَرَ، لَيْسَ اللهُ بِأَعْوَرَ» قَالَ ابْنُ عَوْنٍ: وَأَظُنُّ فِي حَدِيثِهِ: «يُسَلَّطُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْبَشَرِ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، وَلَا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهِ» (١).

وفي رواية: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٤٣٤).

أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(١).

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ بِعَيْنِ الشِّمَالِ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ الْأُمِّيُّ وَالْكَاتِبُ»(٢).

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٨).

وعَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ»[(١)].

مدة مكثه في الأرض:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أُحَدِّثُكُمْ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ الصادق الْمَصْدُوقِ؟ «إِنَّ الأعْوَرَ الدَّجَّالَ مَسِيحَ الضَّلالَةِ يَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فِي زَمَانِ اخْتِلاَفٍ مِنَ النَّاسِ وَفُرْقَةٍ، فَيَبْلُغُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الأَرْضِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، اللهُ أعْلَمُ مَا مِقْدَارُهَا، اللهُ أَعْلَمُ مَا مِقْدَارُهَا - مرتين - وَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَؤُمُّهُمْ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: سَمِعَ الله لِمَنْ حَمِدَهُ، قَتَلَ اللهُ الدَّجَّالَ وأظْهَرَ الْمُؤْمِنِينَ»[(٢)].

الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»[(٣)].

أكثر أتباع الدجال اليهود والنساء:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّقَنَاةَ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا، مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في «موارد الظمآن» (١٩٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٨١)، ومسلم (٢٩٤٣).

الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ، لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوِ الْحَجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»(٢).

من حفظ أول سورة الكهف كان له حرزًا من الدجال:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»(٣).

التعوذ من فتنة الدجال:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو: «أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ وَالكَسَلِ، وَأَرْذَلِ العُمُرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَفِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ» (٤).

وعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَفِتْنَةِ المَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٤).

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٠٧)، ومسلم (٢٧٠٦).

غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»[١].

نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان:

ينزل عيسى عليه السلام عند المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وذلك بعد خروج الدجَّال، فيقاتل مع الطائفة المنصورة ويقتل الدجال، ويكون حكمًا عدلًا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، ويفيض المال، ويأتم بالمهدي في صلاته، ويهل بالحج أو العمرة، ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به.

ذكر الأدلة من القرآن على نزول عيسى عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وما المعنيّ بها، ومن ذكر ما هي، فقال بعضهم: هي من ذكر عيسى وهي عائدة عليه، وقالوا: معنى الكلام: وإن عيسى ظهوره علم يُعلم به مجيء الساعة؛ لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا وإقبال الآخرة، ثم ساق جملة من الآثار عن من قال بهذا القول، منهم ابن عباس، والحسن، وقتادة، وأبي مالك، والضحاك[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).
(٢) جامع البيان (١٣/ ١١٥، ١١٦).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة (١). انتهى.

وقال تعالى ذكره: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ [النساء].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ففي هذه الآيات إبطال لدعوى اليهود أنهم قتلوه أو صلبوه، فكذبهم الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ وإن كل واحد من أهل الكتاب سيؤمن به قبل موته أي موت عيسى عليه السلام، على الراجح من أقوال أهل العلم.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير آية آل عمران المتقدمة: فرفع الله عبده ورسوله عيسى إليه، وألقى شبهه على غيره، فأخذوا من ألقى شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباؤوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله (٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: اختلف المفسرون، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٦١).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٣٢).

فقال قتادة وغيره: هذا من المقدم والمؤخر، تقديره إني رافعك إلى، ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني: بعد ذلك.

وقال الأكثرون: المراد بالوفاة ههنا: النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِى لَمۡ تَمُتۡ فِى مَنَامِهَاۖ﴾ [الزمر: ٤٢].

وكان رسول الله ﷺ يقول إذا قام من النوم: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ١٥٦ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ [النساء].

والضمير في قوله: «قبل موته» عائد على عيسى عليه السلام، أي: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة[(٢)].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما قوله جل ثناؤه: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ فإنه يعني: بل رفع الله المسيح إليه، يقول: لم يقتلوه، ولم يصلبوه، ولكن الله رفعه إليه،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٢).

فطهره من الذين كفروا... إلى أن قال: «وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى»(١).

ذكر الأحاديث التي جاءت في نزول عيسى عليه السلام:

عَن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ١٥٩﴾ [النساء]»(٢).

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**»(٣).

وعَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، قَالَ: «**فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ**»(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٢٤-٢٩) باختصار.
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (٢٤٥/ ١٥٥) واللفظ للبخاري.
(٤) أخرجه مسلم (١٥٦).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «حَكمًا» أي حاكمًا، والمعنى أنه ينزل حاكمًا بهذه الشريعة فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ بل يكون عيسى حاكمًا من حكام هذه الأمة(١).

قال أبو الحسن الخسعي الأبدي رَحِمَهُ اللَّهُ في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه(٢).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: لو تقدم عيسى إمامًا لوقع في النفس إشكال ولقيل: أتراه تقدم نائبًا أو مبتدئًا شرعًا، فصلى مأمومًا لئلا يتدنس بغبار الشبهة، وجه قوله: «**لا نَبِيَّ بَعْدِي**»(٣).

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا**»(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ: دِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُعَطِّلُ الْمِلَلَ، حَتَّى تَهْلِكَ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلُ كُلُّهَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ الْكَذَّابَ، وَتَقَعُ**

---

(١) الفتح (٦/ ٥٦٧).

(٢) فتح الباري (٦/ ٥٦٩).

(٣) المصدر السابق.

(٤) أخرجه مسلم (١٢٥٢) وغيره.

الْأَمَنَةُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْإِبِلُ مَعَ الْأُسْدِ جَمِيعًا، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ وَالْغِلْمَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيَمْكُثُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ»(١).

عيسى عليه السلام يقتل الدجال:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ(٢)، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، أحمد في المسند (٢/ ٤٠٦)، واللفظ لأحمد.
(أولاد علات): قال العلماء: أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان. قال جمهور العلماء: معنى الحديث أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف - فتح الباري (٦/ ٥٦٤).

(٢) الأعماق ودابق: موضعان بالشام قرب حلب، مسلم بشرح النووي (٩/ ٢٤٩).

لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»(١).

خروج يأجوج ومأجوج:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤].

وقال تعالى ذكره: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قَالَ: فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوِ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الحِمَارِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢/ ٣٧٩).

وعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَزِعًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا»، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخُبْثُ»(١).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦]، فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ، وَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهَرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ، حَتَّى يَتْرُكُوهُ يَبَسًا، حَتَّى إِنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهَرِ فَيَقُولُ: قَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ، قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: «ثُمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخْتَضِبَةً دَمًا، لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، بَعَثَ اللهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ، كَنَغَفِ الْجَرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسًّا، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ فَيَنْظُرَ مَا فَعَلَ هَذَا الْعَدُوُّ. قَالَ: «فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ قَدْ أَظَنَّهَا عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَيَنْزِلُ، فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَلَا أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ. فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ،

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).

وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إِلَّا لُحُومُهُمْ، فَتَشْكَرُ عَنْهُ كَأَحْسَنِ مَا تَشْكَرُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطُّ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللهُ، وَيَسْتَثْنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيُنَشِّفُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ شُكْرًا مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ»(٢).

طلوع الشمس من مغربها:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٧٧)، وابن ماجه (٤٠٧٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥١٠)، والترمذي (٣١٥٣)، والحاكم (٤/ ٤٨٨)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (١١٨/ ٢٩٤١) وغيره.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨﴾ [يس][1].

أي علامة من العلامات إذا ظهرت انقطعت التوبة؟

قال الله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٥٨﴾ [الأنعام].

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ذَلِكَ حِينَ تَطْلُعُ الشَّمسُ مِن مَغْرِبِهَا**».

أما قوله: ﴿أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾ فإنه يعني: أو عملت في تصديقها بالله خيرًا من عمل صالح تصدق قيله وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها، لا ينفع كافرًا لم يكن آمن بالله قبل طلوعها، كذلك إيمانه بالله إن آمن وصدق بالله ورسله، لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار بالله العظيم لهول الوارد عليهم من أمر الله، فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار، ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقًا ولفرائض الله مضيعًا غير

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩).

مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا هي طلعت من مغربها أعماله عمل، وكسبه إن اكتسب لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾** [الأنعام: ١٥٨]»(٢).

وفي رواية أنه ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ**»(٣).

الخسوفات الثلاثة:

الخسف لغة: خَسَف المكانُ يَخْسِفُ خسوفًا: ذهب في الأرض وخسف الله به الأرض خسفًا، أي غاب به فيهما، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١](٤).

أما الخسوفات الثلاثة فهي من علامات الساعة الكبرى، كما جاء في حديث حُذَيفة بن أَسيد وقد تقدم وفيه: «... **ثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»(٥).

---

(١) جامع البيان (٥/ ١٣٦)، وانظر تفسير القرطبي (٧/ ١٤٣).
(٢) أخرجه البخاري (٥٦٠٦)، ومسلم (١٥٧).
(٣) أخرجه مسلم (١٥٨).
(٤) الصحاح (ص: ٢٩٥).
(٥) **صحيح**: تقدم تخريجه.

خروج الدابة:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل].

وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو المتقدم، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا**»(١).

وقد تقدم ذكر الدابة، في حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ** - فَذَكَرَ - **الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ...**» الحديث(٢).

وقد ذكر المصنف الدابة بقوله: «كذات أجياد على المشهور».

وأجياد هو: شعب بمكة مشهور، وسمي بذلك لما قيل: إن موضع خيل تبع، أو لمجيء الخيل الجياد منه إلى إسماعيل، وقيل: إن مضاضًا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة، وأضافها إلى أجياد (أي: الدابة) على القول المشهور، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تَخرجُ دَابَةَ الأرضِ مِنْ أَجْيَاد**»(٣).

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه عند ذكر أول الأشراط الكبرى.

(٣) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٣٥٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه الفاكهي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (٢٣٤٨)، وأخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٨٦٤)، وابن أبي شيبة في المصنف عن عائشة رضي الله عنها (١٥/ ١٨١) وهي أحاديث =

والأحاديث في ذلك لا تصح، والله أعلم، لكن خروجها ثابت.

الدخان:

قال الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١﴾ [الدخان].

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ، سِتًّا: الدَّجَالَ وَالدُّخَانَ..**»[(١)].

وفي حديث حُذَيفَةَ المتقدم «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُول عِيْسى**» الحديث[(٢)].

نار تخرج وتحشر الناس من المشرق إلى المغرب:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلاَمٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخْوَالِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ**» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: ذَاكَ عَدُوُّ اليَهُودِ مِنَ المَلاَئِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الشَّبَهُ فِي الوَلَدِ: فَإِنَّ**

=

ضعيفة، انظر: «السلسلة الضعيفة» (١١٠٩).

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَهُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لَهَا» قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ، إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بَهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ اليَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ البَيْتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ**» قَالُوا: أَعْلَمُنَا، وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخْيَرُنَا، وَابْنُ أَخْيَرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ**» قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا، وَابْنُ شَرِّنَا، وَوَقَعُوا فِيهِ[1].

تنبيه: اختلفت الروايات التي جاء فيها ذكر أول الأشراط العشرة ظهورًا، ففي بعض الروايات أول آية طلوع الشمس من مغربها، وفي رواية الدجال، وفي بعض الروايات خروج نار من المشرق، وقد جمع طائفة من العلماء بين هذه الأحاديث الصحيحة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: ذكر الحليمي أن أول الآيات الدجال ثم نزول عيسى؛ لأن طلوع الشمس من المغرب لو كان قبل نزول عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم في زمانه ولكنه ينفعهم، إذ لو لم ينفعهم لما صار الدين واحدًا بإسلام من أسلم منهم.

قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ: وهو كلام صحيح، لو لم يعارض الحديث الصحيح المذكور أن «أول الآيات طلوع الشمس من المغرب»، وفي حديث عبد الله ابن عمرو: «طلوع الشمس أو خروج الدابة»، وفي حديث أبي حازم عن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٩).

أبي هريرة «الجزم بهما وبالدجال في عدم نفع الإيمان».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن كان في علم الله طلوع الشمس سابق احتمل أن يكون المراد نفي النفع عن أنفس الذين شاهدوا ذلك، فإذا انقرضوا وتطاول الزمان وعاد بعضهم إلى الكفر عاد تكليفه الإيمان بالغيب، وكذا في قصة الدجال لا ينفع إيمان من آمن بعيسى عند مشاهدة الدجال وينفعه بعد انقراضه.

وإن كان في علم الله طلوع الشمس بعد نزول عيسى، احتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث عبد الله بن عمرو آيات أخرى غير الدجال ونزول عيسى، إذ ليس في الخبر نص على أنه يتقدم عيسى[1].

قلت (ابن حجر): وهذا الثاني المعتمد والأخبار الصحيحة تخالفه، ففي صحيح مسلم من رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفعه «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطلُعَ الشَّمس مِن مَغْرِبِهَا تَابَ الله عَلَيهِ**» فمفهومه أن من تاب بعد ذلك لم تقبل... وساق جملة من الأحاديث الدالة على عدم قبول التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها[2].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ: بعد ذكر أحاديث الباب، أي: أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجَّال، ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، أما خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف، ثم

(١) انظر: الفتح (١١/ ٣٦٢).
(٢) المصدر السابق.

مخاطبتُها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر[(١)]، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عادتها المألوفة، أول الآيات السماوية[(٢)].

وقوله «كهدم الكعبة»:

هدم الكعبة من أشراط الساعة، وذكر المؤلف هذه العلامة بعد ذكر أمر يأجوج ومأجوج، وقد تقدم في المباحث السابقة ذكر أشراط الساعة الكبرى، ثم أذكر ههنا الدليل على هدم الكعبة آخر الزمان، وأن هدمها من أشراط الساعة، ويكون ذلك على يد الأحباش.

عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»[(٣)].

قال البدر العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: يستفاد منه قطعًا قصد هذا الجيش تخريب

---

(١) يشير إلى حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ وفيه: «**تخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها ملمعة ذات وبر وريش، لم يدركها طالب ولن يفوتها هارب، تتسم الناس مؤمن وكافر**...» الحديث رواه ابن جرير الطبري (٢٠/ ١١) وهو ضعيف: فيه عاصم بن رواد وهو ضعيف، وفيه أبوه رواد بن الجراح قد روى هذا الحديث عن سفيان الثوري، وفي روايته عن سفيان الثوري ضعف، وقد روي بنحو هذا الإسناد استعجبه أهل العلم واستنكروه- أحاديث الفتن والملاحم (ص: ٥٩٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٥٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٤) بنحوه.

الكعبة، ثم خسفهم بالبيداء وعدم وصولهم إلى الكعبة لإخبار الصادق بذلك[(١)]. انتهى.

أما هدم الكعبة: فيكون على يد رجل من الحبشة، يسمى بذي السُّويقتين[(٢)].

عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يُبَايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَ خَرَابًا لَا يُعْمَرُ بَعْدَهُ أَبَدًا وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ**»[(٣)].

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُخَرِّبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ**»[(٤)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ**[(٥)]، **يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا**»[(٦)].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه للحديثين: وفيه إخبار عما يكون من الحدثان والأشراط، وذلك يكون في أوقات مختلفة، فحديث عائشة هو في

---

(١) عمدة القاري (٨/ ٣٩٨).

(٢) السُّويقتين: هما تصغير ساقي الإنسان لرقتهما، وهي صفة سوق السودان غالبًا- مسلم بشرح النووي (٩/ ٢٧٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٩١، ٣١٢،٣٢٨،٣٥١)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٦٢)، والطيالسي (٢٣٧٣)، وابن حبان (٦٨٢٧)، والبغوي في «مسند ابن الجعد» (٢٨١٠)، والحاكم (٤/ ٤٥٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (١٥٩٦)، ومسلم (٢٩٠٩).

(٥) الفحج: بالتحريك تباعد ما بين الساقين- عمدة القاري (٧/ ١٦٤).

(٦) أخرجه البخاري (١٥٩٥).

وقت غير هدمها، ويمكن أن يكون هدمه لها عند اقتراب الساعة، ولا يدل ذلك على انقطاع الحج، فقد سلف من حديث أبي سعيد أنه يحج بعد خروج يأجوج ومأجوج[(١)]، وعيسى يحج ويعتمر بعد ذلك[(٢)].

وقوله: «وأنه يذهب بالقرآن»:

اتفق علماء السلف على أن القرآن كلام الله، منه بدأ- أي أنه سبحانه الذي تكلم به- وإليه يعود، أي: يرفع في آخر الزمان فلا يبقى منه آية، لا في المصاحف، ولا في الصدر، وذلك حين لم يبق في الأرض إلا شرار الناس فتقوم عليهم الساعة.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ[(٣)] الثَّوْبِ، حَتَّى لا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلا صَلاةٌ، وَلا نُسُكٌ، وَلا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا**» فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «**يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ**» ثَلَاثًا[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٣) وفيه «**لَيُحَجَّنَّ البَيتُ ولَيُعْتَمَرَنَّ بعد خُرُوجِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ**».

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١١/ ٣٥١).

(٣) الوشى: من الثياب معروف، قاله الجوهري. قال ابن سيده: وهو يكون من كل لون- اللسان (٩/ ٣١٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، رواه =

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «كلام الله منه بدأ» وكذلك قال غيره من السلف، ويقولون: «منه بدأ وإليه يعود»... وإليه يعود: أنه يرفع من الصدر والمصاحف فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واتفق سلف الأمة وأئمتها على أن القرآن كلام الله منزل، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود... وساق حديث حذيفة المتقدم(٢).

قيام الساعة على شرار الخلق، وحتى لا يقال في الأرض: الله الله.

عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**»(٣).

عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»(٤).

=

أحمد في «مسنده» عن أبي عوانة عن أبي مالك بإسناده ومتنه، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٧٣، ٥٤٥)، عن طريق كريب عن أبي معاوية به، وقال: صحيح على شرط مسلم- سنن ابن ماجه (ص: ٤٣٦)، وقوى إسناده الحافظ في الفتح (١٣/ ١٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٧).

(١) شرح الطحاوية (١٤٢).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ٧٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٩).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٥، ٤٥٤)، وابن حبان في «الموارد» (٣٤٠)، وابن خزيمة (٢/ ٦)، وابن أبي شيبة (٣/ ٣٠)، وأبو يعلى (٩/ ٢١٦)، والبزار (٥/ ١٣٦)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٨٨)، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ١٤٣): =

وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللهُ، اللهُ»[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ رِيحًا مِنَ الْيَمَنِ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ، فَلَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ: مِثْقَالُ حَبَّةٍ، وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ»[(٢)].

دفع توهم قد يقع:

قد يقال كيف تقوم الساعة على شرار الناس، ورسول الله ﷺ قال: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(٣)].

وفي رواية «حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُم كَذَلِك»[(٤)].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في ثنايا شرحه حديث «لا تَزَال عِصَابة مِنَ المسلمين...» الحديث كما تقدم:

إن المراد بقوله ﷺ: «حتى يأتي أمر الله» من الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة، وأن المراد برواية من روى (حتى تقوم الساعة) أي:

=

إسناده حسن والشطر الأول من الحديث عند البخاري معلقًا في كتاب الفتن (٧٠٦٧).

(١) أخرجه مسلم (١٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (١١٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٥/ ١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (١٧٠/ ١٩٢٠) من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تقرب الساعة، وهو خروج الريح[١].

قيامة الساعة بغتة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللِّقْحَةَ، فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْبَ، فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِطُ فِي حَوْضِهِ، فَمَا يَصْدُرُ حَتَّى تَقُومَ**»[٢].

---

(١) شرح مسلم للنووي (٧/ ٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٤)، وانظر: البخاري (٦٥٠٦) وفيه: «**ولتقُومَنَّ السَّاعَةَ وقد رَفَعَ أحدكم أَكْلَته إلى فِيه فلا يطعمها**».

فصل

في أمر المعاد

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٥ - واجـزِمْ بـأمرِ البَعـثِ والنُّشـورِ والحَشْـرِ جَزمـًا بعـدَ نفـخِ الصُّـورِ

١١٦ - كـذا وُقـوفُ الخلـقِ للحِسـابِ والصُّحفِ والْميزانِ للثَّوابِ

الشرح

قوله: «واجزم بأمر البعث والنشور..»:

حاصل ما ذكره المؤلف في هذا البيت أربعة أشياء:

البعث والنشور، والحشر، والنفخ في الصور، ونشرع في بيان هذه الأربعة، وأولها النفخ في الصور ثم البعث والنشور ثم الحشر.

أما النفخ في الصور: فالموكل به هو إسرافيل كما سبق بيانه[(١)] فعن عبدِ اللهِ بن عَمرو عَنِ النبي ﷺ قال: «**الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**»[(٢)].

والصور: كهيئة البوق، قاله مجاهد، وقيل: البوق بلغة أهل اليمن[(٣)].

---

(١) راجع شرح البيت الواحد بعد المائة، والثاني بعد المائة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠)، وأحمد (٢/ ١٦٢، ١٩٢)، وصححه الدارمي (٢٨٠١)، والنسائي في الكبرى (١١٣١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٦٣)، والصحيحة (١٠٨٠).

(٣) تفسير القرطبي (١٣/ ٢٤٩).

عدد النفخات: اختلف العلماء في عدد النفخات، فمنهم من قال ثلاث، وحجتهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل].

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

فقالوا: نفخ الفزع، ونفخ الصعق، ونفخ البعث، وحديث عن أبي هريرة روي بسند ضعيف(١).

وقال فريق: إن نفخ الفزع والصعق واحد، ثم ينفخ ثانيًا فيقومون من قبورهم للوقوف بين يدي الله للحساب، وحجتهم حديث عبد الله بن عمرو، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «... **فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٥/ ٣٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٣٨٦ - ٣٨٨)، والطبري في تفسيره (٤/ ٤٠٣٩)، وابن أبي الدنيا في الأهوال (٥٥، ٦٤، ٧١)، والبيهقي في البعث (٦٠٩)، وفي الشعب (١/ ٣٥٣)، وضعفه الألباني في تعليقه على الطحاوية (٢٣٢).

قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»(١).

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَينَ النَّفْخَتينِ أَرْبَعُونَ»(٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في ثنايا شرحه لآية سورة النمل: ذكر حديث لأَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وفيه أنه قال: يَا رَسُولَ الله مَا الصُّورِ؟ قال: «قَرْنٌ وَاللهِ عَظِيمٌ وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ إِنَّ عُظْمَ دَارَةٍ فِيهِ كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَيَنْفُخُ فِيهِ ثَلَاثَ نَفَخَاتٍ النَّفْخَةُ الْأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ والثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْقِ وَالثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْبَعْثِ وَالْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»(٣).

وذكر الحديث ذكره علي بن معبد، والطبري، والثعلبي، وغيرهم، وصححه ابن العربي، وقد ذكرته في كتاب «التذكرة» وتكلمنا عليه هناك.

وأن الصحيح في النفخ في الصور أنها نفختان لا ثلاث، وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لازمان لهما، أي: فزعوا فزعًا ماتوا منه، أو إلى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره، فإنه قال في كلامه على هذه الآية: المراد النفخة الثانية، أي يحيون فزعين يقولون: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۗ﴾ [يس: ٥٢] ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويفزعهم،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٤، ٤٩٥٣)، ومسلم (١٤١/ ٢٩٥٥).

(٣) **ضعيف**: سبق تخريجه.

وهذا النفخ كصوت البوق لتجتمع الخلق في أرض الجزاء، قاله قتادة وقال الماوردي[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي حديث الصور: إن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله تعالى، فينفخ فيه أولًا نفخة الفزع ويطولها، وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس الأحياء فيفزع من في السموات ومن في الأرض «إلا من شاء الله» وهم الشهداء فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون... وساق حديث عبد الله بن عمرو كما تقدم أول المسألة ثم قال: فهذه نفخة الفزع، ثم بعد ذلك نفخة الصعق وهو: الموت، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين وهو: النشور من القبور لجميع الخلائق[(٢)].

الراجح عندي: أنهما نفختان، نفخة الفزع والصعق واحدة، ثم النفخة الثانية نفخة القيام لرب العالمين، لحديث عبد الله بن عمرو المتقدم، وكذا حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، فهو صحيح وصريح في أنهما نفختان، والله أعلم.

أما البعث والنشور:

فالنشر في اللغة: البسط.

قال الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: نشر الثوب، والصحيفة، والسحاب، والنعمة والحديث: بسطها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾ [التكوير][(٣)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٤٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٢، ٤١٣) باختصار.

(٣) المفردات (ص: ٥٤٥).

والبعث لغة: بَعَثَهُ يَبْعَثُهُ بَعْثًا: أرسله وحده، وبعث به: أرسله مع غيره، وابتعثه أيضًا، أي: أرسله فانبعث... يقال: انبعث فلان لشأنه: إذا ثار ومضى ذاهبًا لقضاء حاجته(١).

وشرعًا: إحياء الله تعالى الموتى من قبورهم فيُنزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت الزرع.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين] وغيرها من الآيات وهي كثيرة جدًّا تركتها خشية الإطالة.

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: «**ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ**»(٢) قال: «**وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ(٣)، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٤).

---

(١) اللسان (١/ ٤٤٩).

(٢) البقل: من النبات ما ليس بشجر دقّ ولا جل، قاله ابن سيده- اللسان (١/ ٤٧٦).

(٣) عجْبُ الذنب: هو بفتح العين وإسكان الجيم، أي: العظم اللطيف الذي أسفل الصلب وهو رأس العصعص- ويقال له (عجم) بالميم وهو أول ما يخلق من الآدمي وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه- مسلم بشرح النووي (٩/ ٣١٨).

(٤) **متفق عليه:** تقدم تخريجه قريبًا.

أما الحشر: فهو جمع الخلق -الجن والإنس- إلى أرض المحشر لفصل القضاء، فريق في الجنة، وفريق في السعير، وتحشر الدواب ولا تحاسب بل للقصاص بينهم كما سيأتي، وهذا كله مما أجمعت عليه الأمة، والإيمان به واجب، وأنكره الكفار.

قال جل ذكره: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى: ٧] والآيات التي تدل على البعث والنشور والحشر كثيرة جدًّا.

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ**[1]**، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ**[2]» قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «**لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**[3]»[4].

مسألة: أصناف الناس الذين أنكروا البعث:

منكرو البعث على أربعة أصناف: صنف أنكروا المبدأ والمعاد، وزعموا أن الأكوان بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها، ليس لها ربّ يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، وهؤلاء جمهور الفلاسفة الدهرية الطبائعية.

---

(١) العفراء: بيضاء إلى حمرة- شرح مسلم للنووي (٩/ ١٤٨).

(٢) النقي: هو الدقيق الحوري، وهو الدرمك، وهو الأرض الجديدة- المصدر السابق.

(٣) ليس فيها علم لأحد: أي: ليس بها علامة سكنى أو بناء أو أثر- نفس المصدر.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٨/ ٢٧٩٠).

والصنف الثاني: من الدهرية يقال: لهم الدورية، وهم منكرون للخالق أيضًا، ويعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا في المعقول وكذبوا المنقول، قبحهم الله تعالى.

وهاتان الطائفتان يعمهم قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ولهذا عن السلف الصالح فيها تفسيران: الأول معنى قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [المؤمنون: ٢٧] أي: يموت الآباء ويحيا الأبناء هكذا أبدًا، وهو قول الطائفة الأولى.

والمعنى الثاني: أنهم عنوا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم ويتكرر ذلك منهم أبدًا، ولا حساب ولا جزاء بل ولا موجد، ولا معدم ولا محاسب ولا مجازي وهذا قول الدورية.

الصنف الثالث: الدهرية من مشركي العرب ومن وافقهم، وهم مقرون بالبداءة، وأن الله تعالى ربهم وخالقهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] ومع هذا قالوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الدخان]، فأقروا بالبداءة والمُبدي وأنكروا البعث والمعاد، وهم المذكورون في حديث أبي هريرة الصحيح «**وأمّا تَكْذيبُهُ إيَّاي فقوله: لَن يعيدني كما بَدَأَني ولَيْس أوّل الخَلق بِأَهون عَلَيَّ مِن إعَادَتهُ**»[1].

والصنف الرابع: ملاحدة الجهمية ومن وافقهم، أقروا بمعاد ليس على

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧٤) وغيره.

ما في القرآن، ولا فيما أخبرت به الرسل عن الله عز وجل، بل زعموا أن هذا العالم يعدم عدمًا محضًا وليس المعاد هو بل عالم آخر غيره، فحينئذ تكون الأرض التي تُحدث أخبارها وتُخبر بما عمل عليها من خير وشر ليست هي هذه وتكون الأجساد التي تعذب وتجازى وتشهد على من عمل بها المعاصي ليست هي التي أعيدت بل هي غيرها، والأبدان التي تنعم في الجنة وتثاب ليست هي التي عملت الطاعة ولا أنها تحولت من حال إلى حال، بل هي غيرها تبتدأ ابتداء محضًا، فأنكروا معاد الأبدان وزعموا أن المعاد بداءة أخرى[(١)].

وقوله: «كذا وقوف الخلق للحساب»:

يعني: أنه كما يجب الجزم بالنفخ في الصور، والبعث والنشور والحشر، يجب أيضًا أن نؤمن بوقوف الخلق للحساب، وهذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر]، وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦]، وقال تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص]. وقال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ

(١) معارج القبول للحكمي (٢/ ٧٧٦، ٧٧٧).

رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة].

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود]»[(١)].

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[(٢)].

من نوقش الحساب عذب:

عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق] قَالَ: «ذَلِكِ العَرْضُ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).

يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، يَوْمًا قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلَأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ» ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ القَوْمُ، وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمْ، أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»(١).

الحساب يختلف بحسب أعمال العباد:

وقد دلت النصوص على ذلك وهم ينقسمون إلى أربعة أقسام:

الأول: الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهم سبعون ألفًا، كما جاء في حديث ابن عباس المتقدم.

الثاني: من يحاسب حسابًا يسيرًا، وهم المؤمنون أهل اليمين الذي يأخذون كتابهم بأيمانهم.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

الثالث: الذين يناقشون الحساب، فيذكرهم الله تعالى بذنوبهم ومعاصيهم، وهؤلاء لا نجاة لهم بل يهلكوا، قد دل على ذلك حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المتقدم.

الرابع: الكفار وحسابهم حساب توبيخ وتقرير لكفرهم، فهم ليس لهم حسنات والعياذ بالله، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

فينبغي للعاقل ألا يغفل عن يوم الحساب، وإن يحاسب نفسه في الدنيا لكي يخفف عنها الحساب في يوم مقداره خمسون ألف سنة، يوم لا ينفع فيه المال، ولا الجاه، ولا السلطان ولا الأنساب، إنما هي الحسنات والسيئات.

وقوله: «والصحف»:

بعد الحساب تتطاير الصحف التي كتبت الملائكة فيها أعمال العباد، وهذه الصحف هي التي في أيدي الملائكة، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].

وقوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾ [التكوير] أي: بسطت لكي يحاسب كل إنسان، فأما الأشقياء فيقولون كما قال سبحانه عنهم: ﴿يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

ثم يأخذ أحدهم كتابه بشماله أو من وراء ظهره، وقد أحاط به العذاب والخزي والإهانة فيندم غاية الندم على ما فرط في حق الله، قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ

أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الانشقاق].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

وقال جل وعلا: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة].

وأما السعيد: فيأخذ كتابه بيمينه فحينئذ يكون في غاية السعادة والفرح، ومن شدة فرحه -بالفوز بالجنة والنجاة من النار- يريد أن يقرأ الجميع كتابه الذي كُتب فيه الحسنات، ويا لها من فرحة تستحق ورب العزة أن يهلك الإنسان نفسه في الحق من أجلها.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة].

وقوله: «والميزان والثواب»:

عقيدة أهل السنة والجماعة أن الأعمال توزن على الحقيقة بأن توضع في الميزان، والميزان ميزان حقيقي حسي- كما هو ظاهر من أدلة الكتاب والسنة- وليس الميزان هو إقامة العدل كما زعمت المعتزلة، وحجتهم أن الأعمال شيء معنوي والذي يوزن هو الشيء الحسي، فقدموا العقل على النقل فضلوا وأضلوا.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء] وقال: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة]، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].

وقال: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون].

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف].

أما الكافر: فلا يقيم الله تعالى له يوم القيامة وزنًا، ولا يقبل منه عدلًا ولا صرفًا، وعمله الذي عمله في الدنيا يجعله الله يوم القيامة هباءً منثورًا.

قال جل ثناؤه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى ذكره: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى،

فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها[١].

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاص، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[٢].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[٣].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٧/ ١٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢ / ٢١٣،٢٢١، ٢٢٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٥).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٤٢١،٤٢٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٥٥)، والطيالسي (٣٥٥)، وابن حبان (٧٠٦٩)، وأبو يعلى (٥٣٦٥)، والبزار (١٨٢٧)، والحاكم (٣/ ٣١٧)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وأخرجه أحمد (١/ ١١٤)، وابن أبي شيبة (٣٢، ٣٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٩) عن علي رضي الله عنه، =

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»(١).

قال أبو إسحاق الزجاج رَحِمَهُ اللهُ: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان(٢) وكفتان، ويميل بالأعمال.

وأنكرت المعتزلة الميزان وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين(٣).

وأقوال السلف في ذلك يصعب استيفاؤها فتركتها خشية الإطالة(٤).

مسألة: هل الأعمال هي التي توزن أو صحائف الأعمال، أو صاحب الأعمال؟

للعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

الأول: أن الأعمال هي التي توزن، وحجتهم في ذلك النصوص التي

=

وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٥٠، ٣١٩٢).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦، ٦٦٨٢، ٧٥٦٣)، ومسلم (٣١/ ٢٦٩٤).

(٢) حديث البطاقة يدل على أن الميزان له كفتان، أما ما ذكر أن له لسانًا لم يأت به نص وإنما هو اجتهاد من العلماء.

(٣) الفتح (١٣/ ٥٤٨).

(٤) انظر: اعتقاد أهل السنة للالكائي (٦/ ٤٧٦)، وشرح السنة للبربهاري (ص: ٤٢)، وأصول السنة لابن أبي زمنين (١٦٢)، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني (ص: ٢٥٨) وغيرها.

جاء فيها وزن الأعمال كما تقدم، وهذا قول الجمهور.

الثاني: الذي يوزن صحائف الأعمال، وحجتهم في ذلك حديث البطاقة المتقدم فتوضع البطاقة في كفة، والسجلات في كفة... الحديث، فدل ذلك على أن الصحائف توزن.

الثالث: الذي يوزن هو صاحب العمل، وحجتهم في ذلك حديث ابن مسعود المتقدم.

قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قيل إنما توزن الصحف، وأما الأعمال فإنها أعراض فلا توصف بثقل ولا خفة[1].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: والحق عند أهل السنة أن الأعمال حينئذ تُجسد أو تجعل في أجساد فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة، وأعمال المسيئين في صورة قبيحة ثم توزن.

ورجح القرطبي: أن الذي يوزن الصحائف التي تكتب فيها الأعمال، ونقل عن ابن عمر، قال: توزن صحائف الأعمال، قال: فإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيرتفع الإشكال، ويقويه حديث البطاقة...

وفيه: «فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة»[2]. انتهى.

والصحيح أن الأعمال هي التي توزن، وقد أخرج أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان عن أبي الدَّرْدَاء عن النبي ﷺ قال: «**مَا يُوضَع فِي المِيزَانِ يَومَ القِيَامَةِ أَثْقَل مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ**»[3].

---

(١) الفتح (١٣/ ٥٤٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه (٦، ٤٤٢، ٤٤٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٠)، وأبو داود =

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عندما سُئل عن الميزان: هل هو عبارة عن العدل أم له كفتان؟

فأجاب: الميزان: هو ما يوزن به الأعمال، وهو غير العدل كما دل على ذلك الكتاب والسنة... وذكر النصوص كما تقدم.. إلى أن قال: وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس، فهو ما به تبين العدل، والمقصود بالوزن: العدل كموازين الدنيا.

وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب[١].

=

(٢٠٠٢، ٢٠٠٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٧٦).

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٢).

ثم قال صاحب النظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١٧- كَذا الصِّراطُ ثم حَوضُ المُصطفَى ... فيـا هَنَـا لِمَـن بـهِ نَـالَ الشِّفا

١١٨- عنـه يَـذادُ المُفتـري كمـا وَرَدْ ... وَمَـن نَحـا سُبُلَ السـلامةِ لـم يُـرَد

١١٩- فكُنْ مطيعًا واقْفُ أهْلَ الطاعة ... في الحَوضِ والكَوثَرِ والشَّفَاعَة

١٢٠- فإنَّهـا ثابتَـةٌ للمُصطفَى ... كَغَيْـرِهِ مِـنْ كُـلِّ أَربَـابِ الوَفَـا

١٢١- مِـن عَـالمٍ كالرُّسـلِ والأَبْـرَارِ ... سِـوَى التِـي خصَّـت بـذِي الأَنـوَار

الشرح

الصراط لغة: الطريق، قاله الجوهري(١).

وشرعًا: جسر ممدود على ظهري جهنم، قال أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ»(٢)، يمر عليه الأولون والآخرون، وعليه كلاليب وشوك، وأول من يمر عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته، فالمؤمنون ينجون، أما المنافقون والكافرون فيسقطون فيها، أمّا أصحاب المعاصي إذا سقطوا في النار خرجوا منها إمّا بشفاعة أو بإنهاء عقوبتهم، وسرعة المرور على الصراط بحسب الأعمال، فمنهم من يمر كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل، ومنهم المدفوع في النار، ولا يتكلّم أحَد حال المرور على الصراط لشدة الأهوال، ودعوى

---

(١) الصحاح (٥٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٧١) موقوفًا على أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانظر: الفتح (١١/ ٤٦٢).

الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم، وهذا مما أجمع عليه سلَف الأمة وأئمتها.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين إنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم، في عرصات القيامة بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، قال: «**عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ يَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، مِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ النَّخْلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الرَّجُلِ الْقَائِمِ، وَأَدْنَاهُمْ نُورًا مَنْ نُورُهُ فِي إِبْهَامِهِ يَتَّقِدُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ أُخْرَى**»[(١)].

قال السّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا كان يوم القيامة، وكوّرت الشمس، وخسف القمر، وصار الناس في الظلمة، ونصب الصراط على متن جهنم فحينئذ

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٧)، والأثر أخرجه الطبرى فى «تفسيره» (٢٧/ ٢٢٣)، والحاكم فى «المستدرك» (٢/ ٤٧٨)، وعزاه السيوطى فى «الدر المنثور» (٨/ ٥٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى: على شرط البخاري.

ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم فيمشون بأيمانهم ونورهم، في ذلك الموقف الهائل الصعب، كل على قدر إيمانه... فإذا رأى المنافقون نور المؤمنين يمشون به، وهم قد طفئ نورهم وبقوا في الظلمات حائرين، قالوا للمؤمنين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ أي: أمهلونا لننال من نوركم ما نمشي به، لننجو من العذاب، فـ«قيل» لهم: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ أي: إن كان ذلك ممكنًا، والحال أنّ ذلك غير ممكن بل هو من المحالات[1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَعَن أَبِي مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ»، قَالَ: «فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ،

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨٣٩).

وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا»، قَالَ: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ» وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا [(١)].

وفي حديث الشفاعة الطويل، وفيه: «ثم يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ...»[(٢)].

وفي رواية: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»[(٣)].

وفي رواية: «وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا، أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥).
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) واللفظ له، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه مسلم (٣١٦ - ١٩١) من حديث جابر رضي الله عنه.

القنطرة والقصاص:

القنطرة:

إذا نجا المؤمنون من السقوط في النار بعد أن جازوا على الصراط، يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض.

عن أبي سَعِيد الخُدْري ﵁ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**»[(١)].

قال القرطبي ﵀: هؤلاء المؤمنون هم الذين علم الله أن القصاص لا يستنفد حسناتهم.

قلت (ابن حجر): ولعل أصحاب الأعراف منهم على القول الراجح آنفًا، وخرج من هذا صنفان من المؤمنين: من دخل الجنة بغير حساب، ومن أوبقه عمله[(٢)].

القصاص لغة: هو القود وهو القتل بالقتل، أوالجرح بالجرح... وتقاصَّ القوم إذا قاصَّ كل واحد منهم صاحبه في حساب أو غيره... يقال: أقصه الحاكم يقُصه إذا مكنه من أخذ القصاص، وهو أن يفعل به مثل فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح، والقصاص الاسم[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٥).

(٢) الفتح (١١/ ٤٠٦).

(٣) اللسان (٧/ ٣٩٠، ٣٩١).

فمن كمال عدل الله تعالى، وما اقتضته حكمته أن يقتص للمظلوم من الظالم، فيأخذ المظلوم حسنات من الظالم بقدر مظلمته، فإذا فنيت حسنات الظالم، وبقي للمظلوم مظلمة طرح عليه من سيئاته ثم يطرح في النار، وهذا القصاص بين جميع الخلق، حتى بين الدواب، كما سيأتي في الأحاديث.

عن أبي هُرَيْرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّ رَسُول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١).

وعن أبي هُرَيْرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»(٢).

وعن جَابِر بن عَبْد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله ﷺ قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩-٢٥٨١).
(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).
(٣) أخرجه مسلم (٥٦-٢٥٧٨).

وعن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»[1].

وقوله:

..........ثُم حَوضُ المُصطَفَى فَيا هَنَا لمن بِهِ نَالَ الشِّفا

أي: نجزم بثبوت حوض النبي المصطفى، وقد سبق بيان الأدلة على اصطفاء النبي ﷺ[2]، وذلك لأن أحاديث الحوض بلغت حد التواتر، وأجمع على ذلك أهل السنة، وأنكره الخوارج[3] وبعض المعتزلة من شرب من الحوض شربة لم يظمأ بعدها، لذا قال المؤلف (فيا هنا لمن به نال الشفا) أي: أنه نال الشفا من ظمأ يوم الحساب، وكذا من الظمأ بعده، فلن يظمأ بعد أن يشرب من الحوض أبدًا.

بعض الأحاديث التي جاءت في الحوض، وصفته، وحرمان أقوام من الشرب منه:

عن عَبْد الله بن عَمْرو بن العَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا**»[4].

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ:

---

(١) أخرجه مسلم (٦٠-٢٥٨٢).
(٢) راجع شرح البيت الرابع.
(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٧٥).
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٩) ومسلم (٢٢٩٢).

«مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ»(١).

عن مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ الحَوْضَ فَقَالَ: «كَمَا بَيْنَ المَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ»(٢).

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قُلتُ: يا رَسُولَ الله، مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»(٣).

عن أبي حَازِمٍ رضي الله عنه، قال: سَمِعتُ سَهْلًا يقول: سَمِعتُ النبي ﷺ يقول: «أَنَا فَرَطُكُمْ(٤) عَلَى الحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»(٥).

وفي رواية، قال: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ قَالَ: «إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠١).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩١، ٦٥٩٢) ومسلم (٣٣-٢٢٩٨).
(٣) أخرجه مسلم (٣٦-٢٣٠٠) وغيره.
(٤) فرطكم: أي سابقكم إليه، كالمهيئ له- مسلم بشرح النووي (٨/ ٦٨).
(٥) أخرجه البخاري (٧٠٥٠، ٧٠٥١) ومسلم (٢٦-٢٢٩٠).
(٦) أخرجه البخاري (٧٠٥٠) ومسلم (٢٢٩١).

وعن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي عَلَى الحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ**»(١).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض شرحه لأحاديث الباب: أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان بها فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، ولا يتأول ولا يختلف فيه، قال القاضي: وحديثه متواتر النقل، رواه خلائق من الصحابة(٢).

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وظاهر هذا الحديث وغيره من الأحاديث أن الورود على هذا الحوض، والشرب منه، إنما يكون بعد النجاة من النار، وأهوال القيامة؛ لأن الوصول إلى ذلك المحل الشريف، والشرب منه، والوصول إلى موضع يكون فيه النبي ﷺ ولا يمنع عنه من أعظم الإكرام وأجل الإنعام، ومن انتهى إلى مثل هذا كيف يعاد إلى حساب أو يذوق بعد ذلك تنكيل خزي وعذاب؟ فالقول أو هي من السراب(٣).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد قال القاضي عياض: ظاهر قوله ﷺ في حديث الحوض: «**مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا**» يدل على أن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار، لأن ظاهر حال من لا يظمأ أن لا يعذب بالنار، ولكن يحتمل أن من قدر عليه التعذيب منهم أن لا يعذب فيها بالظمأ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩٣) ومسلم (٢٢٩٣).
(٢) شرح مسلم للنووي (٨/ ٦٨) وانظر المفهم (٦/ ٩٠) والفتح (١١/ ٤٧٥).
(٣) المفهم (٦/ ٩١).

بل بغيره، قلت: ويدفع هذا الاحتمال أنه وقع في حديث أبي بن كعب عند ابن أبي عاصم في ذكر الحوض: «**وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ لَمْ يَرْوَ أَبَدًا**».

وعند عبد الله بن أحمد في زيادات المسند في الحديث الطويل عن لقيط ابن عامر أنه: وفد على رسول الله ﷺ هو ونهيك بن عاصم... إلى أن قال... الحديث بطوله في صفة الجنة والبعث وفيه: «**ثُمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيُّكُمْ ويَنْصَرِفُ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ، فَيَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ يَطَأُ أَحَدُكُمُ الْجَمْرَةَ فَيَقُولُ**: حَسْ، **فَيَقُولُ رَبُّكَ** - أَوْ إِنَّهُ قَالَ: **فَيَطَّلِعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ عَلَى أَظْمأ**... الحديث، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة والطبراني والحاكم، وهو صريح في أن الحوض قبل الصراط»[(١)].

حرمان أقوام من الشراب من الحوض:

وقوله:

عَنــهُ يَــذادُ المُفتــري كمــا وَرَدْ   وَمَـن نَحَـا سُـبُلَ السلامةِ لـم يُـرَد

سبق بيان أن أقوامًا يردون الحوض ثم يدفعوا عنه، ويمنعوا من الشرب منه، إما لأنهم أهل الردة، أو أنهم أصحاب البدع الذين بدلوا في دين الله، واستبدلوا بالسنة البدعة، لذا قال صاحب النظم: (من نحا سُبل السلامة لم يرد)، أي: لم يدفع عن الحوض بل يشرب منه كما تقدم في الأحاديث.

قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض شرحه لبعض أحاديث الباب: هذا دليل لصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة، ولهذا قال فيهم: سحقًا سحقًا، ولا يقول ذلك في مذنبي الأمة بل يشفع لهم، ويهتم لأمرهم، قال: وقيل: هؤلاء

(١) فتح الباري (١١/ ٤٧٤-٤٧٥) باختصار، وانظر لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٩٥).

صنفان: أحدهما: عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام، وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة.

والثاني: مرتدون إلى الكفر حقيقة، ناكصون على أعقابهم، واسم التبديل يشمل الصنفين[١].

وقوله:

فَكُـن مطيعًـا واقْـفُ أهْـل الطاعـة ... في الحَــوْضِ والكَــوثَرِ والشَّــفَاعَة

أي: كن مطيعًا لله ولرسوله باتباع أهل الطاعة من أهل السنة والجماعة الذين أثبتوا الحوض والكوثر والشفاعة.

مسألة: هل الكوثر هو حوض النبي ﷺ؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر].

عَن أَنَس بن مَالِك رضي الله عنه قال: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً[٢] ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**» فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر] ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُوم، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ؟**»[٣].

---

(١) شرح مسلم للنووي (٨/ ٧٣).

(٢) أغفى إغفاءه: أي نام- مسلم شرح النووي.

(٣) أخرجه مسلم (٥٣-٤٠٠) وغيره.

عن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبي ﷺ قالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ**»[(١)].

اختلف أهل التأويل في المراد بالكوثر، فذهب فريق إلى أنه نهر أعطاه الله لنبينا ﷺ؛ لحديث أنس الذي رواه البخاري كما تقدّم.

وقال آخرون: هو الخير الكثير[(٢)]، فالعرب تسمى كل شيء كثير في العدد والقدر والخطر: كوثرًا، فيسمى الحوض أو النهر كوثرًا لكثرة الواردة والشاربة من أمة محمد ﷺ[(٣)].

وقيل: الكوثر هو الحوض، وحجّتهم حديث أنس الذي رواه مسلم كما تقدّم، وهذه أشهر الأقوال، وثمَّ أقوال أخر.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: واختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ على ستة عشر قولًا:

الأول: أنه نهر في الجنة، رواه البخاري عن أنس... وساق الحديث كما تقدم.

الثاني: أنه حوض النبي ﷺ في الموقف قاله عطاء، وفي صحيح مسلم عن أنس... ثم ساق الحديث كما تقدّم.

وذكر سائر الأقوال، ثم قال: قلت: أصح هذه الأقوال الأول والثاني،

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨١).
(٢) انظر تفسير الطبري (١٥/ ٤١٧-٤١٨).
(٣) انظر تفسير القرطبي (٢٠/ ٢١٤).

لأنه ثابت عن النبي ﷺ نصٌّ في الكوثر[(١)].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأولى الأقوال بالصواب عندي، قول من قال: هو اسم النهر الذي أُعطيه رسول الله ﷺ في الجنة، وصفه الله بالكثرة لعظم قدره[(٢)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في معرض شرحه لأحاديث الحوض**: الكوثر نهر داخل الجنة كما تقدم ويأتي[(٣)]، وماؤه يصب في الحوض ويطلق على الحوض الكوثر لكونه يمد منه[(٤)].

الراجح عندي: ما ذكره الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لأنه فيه جمع بين الأحاديث الصحاح، والله تعالى أعلم.

هل لكل نبي حوض؟

ومن أهل العلم من قال: هو خاص بالنبي ﷺ للأحاديث التي تواترت بذكر حوضه[(٥)]، ومنهم من قال: بأن لكل نبي حوضًا، وحجتهم حديث رواه الترمذي، واختلف في صحته عن رسول الله ﷺ.

عن الحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ قال: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»[(٦)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢١٥-٢١٦) باختصار.

(٢) جامع البيان (١٥/ ٤١٨).

(٣) يشير إلى حديث قتادة عن أنس الذي رواه البخاري كما ذكرناه.

(٤) الفتح (١١/ ٤٧٤).

(٥) انظر الفتح (١١/ ٤٧٥).

(٦) سنن الترمذي (٢٤٤٣)، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٧٣٤) والطبراني

وقوله: «والشفاعة»:

الشفاعة لغة: الشفعُ ضمُّ الشيء إلى مثله، ويقال للمشفوع: شفعٌ، ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ [الفجر: ٣]....

والشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصرًا له، وسائِلًا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حُرمَةً ومرتبةً إلى من هو أدنى، ومنه: الشفاعة يوم القيامة... ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً ﴾ [النساء: ٨٥]، ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً ﴾ [النساء: ٨٥] أي: من انضمَّ إلى غيره وعاونه وصار شفعًا له أو شفيعًا في فعل الخير والشر، فعاونه وقواهُ وشاركه في نفعه وضره[1].

وشرعًا: سؤال الخير للغير، وهي ثابتة لنبينا ﷺ وسائر الأنبياء والرسل والملائكة، والشهداء، والصالحين وغيرهم، يشفعون عند الله تعالى - بإذنه ولمن رضي قوله وعمله - للعباد، وهذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

والشفاعة عند الله تعالى تكون بشرطين:

الأول: الأذن من الله جل في علاه، قال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ۝١٠٩﴾ [طه].

=

في الكبير (٧/ ٢١٢) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٥٨٩) بمجموع طرقه، وأعله الحافظ بالإرسال، قال أبو عيسى الترمذي: الحديث عن الحسن عن النبي مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح - جامع الترمذي (٤٠٠) وانظر تحفة الأحوذي (٧/ ١١٣).

(١) المفردات في غريب القرآن (٢٩٠).

وقال: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾ [يونس: ٣].

الثاني: رضى الله عن المشفوع فيه، ولا بد أن يكون من الموحدين فالشفاعة لا تكون لكافر- باستثناء شفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب- فخُفف عنه العذاب مع خلوده في النار.

قال تعالى ذكره: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال جل في علاه: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم].

أما الكافر: فإن الله لا يقبل فيه شفاعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر]، وقال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾ [غافر].

ذكر الأحاديث التي جاءت فيها الشفاعة:

ذكرنا بعض الآيات الدالة على الشفاعة، ونذكر هنا بعض الأحاديث الدالة على ثبوت الشفاعة للأنبياء والملائكة والمؤمنين ففي حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل أنّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «... فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ

نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا». وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء: ٤٠]، «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ، أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ»[(١)].

وحديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه: «ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (٣٠٢-١٨٣).
(٢) أخرجه مسلم (٣١٦-١٩١).

شفاعة الشهيد لأقاربه:

عن المِقْدَاد بن مَعْدي كَرِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ**»[1].

وقوله:

فَإِنَّهَا ثَابِتَةٌ لِلْمُصْطَفَى ... كَغَيْرِهِ مِنْ كُلِّ أَرْبَابِ الوَفَا

أي: فإن الشفاعة العظمى، وغيرها من سائر الشفاعات- الآتي ذكرها- ثابتة بالنقل المتواتر للمصطفى ﷺ كما أنها ثابتة لغيره من كل أصحاب الوفاء، بامتثال الأوامر والانتهاء عن الزواجر.

قوله: «من عالمٍ كالرسلِ والأبرار»:

أي: الشفاعة ثابتة لأرباب الوفا (من عالم) عامل بعلمه، معلم لغيره، وهم الربانيون، وهؤلاء هم ورثة الأنبياء، فكما نفعوا الناس في الدنيا بالتعليم، كذلك ينفعونهم بالشفاعة عند الله.

(كالرسل): جمع رسول، وهو من أُوحي إليه بشرع وأُمِر بتبليغه، وكذا الأنبياء[2]، وهؤلاء هم خواص الخلق عند الله و(الأبرار) وهم الأتقياء

---

(١) **صحيح**: سنن الترمذي (١٦٦٣) وابن ماجه (٢٧٩٩).

(٢) للعلماء في الفرق بين الرسول والنبي خمسة أقوال- وقد سبقت المسألة – راجع شرح البيت الرابع.

الأخيار.

فيجب أن نعتقد: أن غير النبي ﷺ من سائر الرسل والأنبياء والملائكة، والصحابة والعلماء، والشهداء والصالحين، والأولياء، والأفراط، وغيرهم يشفعون عند الله لمن رضي قوله وعمله، كما ثبتت بذلك الأخبار عن النبي ﷺ وأجمع عليه المسلمون، قاله ابن قاسم.

وقوله: «سوى التي خصت بذي الأنوار»:

أي: سوى الشفاعات (التي خصت بذي الأنوار) أي: بصاحب الأنوار، وهو نبينا محمد ﷺ، فلا يشاركه فيها أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صديق ولا شهيد، ولا غيرهم، فهي خاصة بالنبي ﷺ، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنِ النبي ﷺ قالَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، وَخَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

وعَن أبي هُرَيْرَة قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الآخِرَةِ**»(٢).

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٦﴾ [إبراهيم]، وَقَالَ عِيسَى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «**يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ،**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠١) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٩).

فَسَلْهُ: مَا يُبْكِيكَ؟» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ»(١).

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ»(٢).

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على ثبوت الشفاعة لنبينا ﷺ، وهي أنواع:

النوع الأول: الشفاعة العظمى:

وهي المقام المحمود الذي ذُكر في القرآن في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ البَابِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ مَقَامًا مَحْمُودًا، يَحْمَدُهُ أَهْلُ الجَمْعِ كُلُّهُمْ»(٣).

وهي التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل، حتى تنتهي إلى نبينا ﷺ وذلك حين يذهب الناس إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند ربهم لفصل القضاء بين العباد ليريحهم من مقامهم في الموقف كما في حديث الشفاعة الطويل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٧٥).

عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ

غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[(١)].

النوع الثاني: شفاعتهُ أن يؤذن للمؤمنين بدخول الجنة:

كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مُسلم في صحيحه، وفيه أنّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٦).

النوع الثالث: شفاعته في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب:

وهؤلاء هم السبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب كما جاء في حديث أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هِيَ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ القَمَرِ**»(١).

النوع الرابع: تخفيف العذاب عن بعض الناس:

كشفاعته في عمه أبي طالب، كما جاء في حديث العَبَّاس بن عَبد المطَّلِب، أنه قال: قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»(٢).

النوع الخامس: شفاعته لأهل الكبائر من أمته:

وقد دلّ على هذه الشفاعة، حديث أَنَس بن مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»(٣).

قال العظيم آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ابن رسلان: لعل هذه الإضافة بمعنى «الـ» التي للعهد، والتقدير: الشفاعة التي أعطانيها الله تعالى، ووعدني بها لأمتي أدخرها (لأهل الكبائر من أمتي) أي الذين استوجبوا النار بذنوبهم الكبائر فلا يدخلون بها النار، وأخرج من أدخلته كبائر ذنوبه النار ممن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، كذا في السراج المنير(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨١١) ومسلم (٢١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٠٨) ومسلم (٢٠٩).

(٣) صحيح: سنن أبي داود (٤٧٣٩)، ومسند أحمد (٣/ ٣١٣).

(٤) عون المعبود (١٣/ ٥١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ساق جملة من أحاديث الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ:

فقد تضمنت هذه الأحاديث خمسة أنواع من الشفاعة:

أحدها: الشفاعة العامة التي يرغب الناس إلى الأنبياء؛ نبيًّا بعد نبي، حتى يريحهم الله من مقامهم.

النوع الثاني: الشفاعة في فتح باب الجنة لأهل الجنة.

النوع الثالث: الشفاعة في دخول من لا حساب عليهم الجنة.

النوع الرابع: الشفاعة في إخراج قوم من أهل التوحيد من النار.

النوع الخامس: في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار.

ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس:

أحدهما: في قوم استوجبوا النار فيشفع أن لا يدخلوها، وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه[(١)]، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول، فلا يدخلون، فلم أظفر فيه بنص.

والنوع الثاني: شفاعته ﷺ لقوم من المؤمنين في زيادة الثواب ورفعة الدرجات، وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي ﷺ لأبي سَلمَة، وقوله: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ**»[(٢)].

وقوله في حديث أبي موسى: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ، واجْعَلْهُ يَوْمَ**

---

(١) هذا النوع ذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨)، وابن أبي العز في شرح الطحاوية (٢٠٤)، وعبد الرحمن آل الشيخ في فتح المجيد (٢١٩) وغيرهم.

(٢) أخرجه مسلم (٩٢٠) كتاب الجنائز.

الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ»[(١)]، انتهى كلام ابن القيم[(٢)].

وهذه الشفاعة -شفاعة النبي ﷺ- لأهل الكبائر ينكرها المعتزلة؛ لأن عندهم صاحب الكبيرة الذي مات ولم يتوب منها هو في منزلة بين المنزلتين- لا هو كافر ولا هو مسلم- ويخلد في النار ولا يخرج منها.

وعند الخوارج صاحب الكبيرة كافر ويخلد في النار، ولا يخرج منها، والفريقين على ضلال مبين، فقد خالفوا الكتاب والسنة وسلف الأمة وأئمتها.

وأما أهل السنة والجماعة فعقيدتهم كما بينا، فالزم طريق أهل الحق، وتمسك بما كانوا عليه تسلم.

اختلف الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال:

الأول: المشركون والمبتدعون ومن وافقهم، ويجعلون الشفاعة عند الله يوم القيامة لمن كانوا يعظمونهم في الدنيا- سواء كانت أصنامًا أو مشايخ أو إنسانًا، كما فعلت النصارى- وغير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر].

«قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: الأصنام، والخبر محذوف، أي قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (١٦٥- ٢٤٩٨).

(٢) عون المعبود (١٣/ ٥٥-٥٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٢٣).

قال قتادة: كانوا إذا قيل لهم: من ربكم وخالقكم؟ ومن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء؟ قالوا: الله فيقال لهم: ما معنى عبادتكم الأصنام؟ قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى، ويشفعوا لنا عنده[1].

وقال جل ذكره: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس].

«ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ظانِّين أن تلك الآلهة تنفعُهم شفاعتُها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تضر ولا تنفع، ولا تملك شيئًا ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبدًا»[2].

القول الثاني: قول المعتزلة والخوارج- كما أسلفت- أنهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر، لأنهم يعتقدون أن صاحب الكبيرة مخلد في النار، لا يخرج منها.

القول الثالث: قول أهل السنة، كما بينا في هذا المبحث.

الشفاعة عند المخلوقين:

في قضاء حوائجهم عند الأمراء، والملوك، وأصحاب المناصب وغيرهم ممن يكون للعباد مصالح لا تقضى إلا بإذنهم.

وهذه الشفاعة جائزة إذا كانت في مقدور الإنسان، أي طُلب منه ما يقدر عليه، وهي نوعان: حسنة، وسيئة، كما جاء في القرآن والسنة.

قال جل ثناؤه: ﴿ مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ

(١) المصدر السابق.
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥٦).

شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بُردَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ: «**اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ**»[(١)].

وعَن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كانَ زَوْج بَرِيرَةَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعبَّاسٍ: «**يَا عَبَّاسُ، أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا**» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ رَاجَعْتِهِ**»، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «**إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ**» قَالَتْ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ[(٢)]. وغيرهما من الأحاديث.

قال أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: اختُلف في قوله: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً﴾ على ثلاثة أقوال:

الأول: من يزيدُ عملًا إلى عمل.

الثاني: من يُعين أخاه بكلمة عند غيره، في قضاء حاجة.

قال النبي ﷺ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا...**»، وساق الحديث كما تقدّم.

الثالث: قال الطبري في معناه: من يكن يا محمد شفعيًا لوتر أصحابك في الجهاد للعدو، يكن له نصيب في الآخرة من الأجر، ومن يشفع وترًا من الكفار في جهادك، يكن له كفلٌ في الآخرة من الإثم ثم قال:

والصحيح عندي: أنها عامة في كل ذلك، وقد تكون الشفاعة غير جائزة وذلك فيما كان سعيًا في إثم أو إسقاط حد بعد وجوبه فيكون حينئذ شفاعة

---

(١) أخرجه البخاري (٧٦٥) ومسلم (٢٦٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨٣).

سيئة[(١)].

وروت عَائِشَة أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ ابْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ**»، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وكل من أعان غيره على أمر بقوله أو فعله فقد صار شفيعًا له.

والشفاعة للمشفوع له، هذا أصلها، فإن الشافع يشفع صاحب الحاجة فيصير له شفعًا، في قضائها لعجزه عن الاستقلال بها، فدخل في حكم هذه الآية كل متعاونين على خير أو شر بقول أو عمل ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

وتأمل قوله تعالى في الشفاعة الحسنة: ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ﴾ وفي السيئة ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ فإن لفظ (كفل) يشعر بالحمل والثقل، ولفظ (النصيب) يشعر بالحظ الذي ينصب طالبه في تحصيله، وإن كان كل منهما يستعمل في الأمرين عند الانفراد، ولكن لما قرن بينهما حسن اختصاص حظ الخير بالنصيب وحظ الشر بالكفل[(٣)].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٤/ ٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(٣) بدائع التفسير (٢/ ٦٤- ٦٥) باختصار، وانظر: روضة المحبين (٣٤٥-٣٤٦).

فصل

في الكلام عن الجنة والنار

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٢٢- وكُـلُّ إنسَـانٍ وَكُـلُّ جِنَّـةٍ   فِي دَارِ نَـارٍ أو نَعِيمِ جَنَّـةِ

الشرح

أي: أن كل إنسان من بني آدم ذكر أو أنثى.

قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعني بالإنسان آدم... والجمع: الناس، مذكر، وفي التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١]، وقد يؤنث على معنى القبيلة أو الطائفة، حكى ثعلب: جاءت الناس، معناه: جاءتك القبيلة أو القطعة...

وروي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: إنما سُمي الإنسان إنسانًا لأنه عهد إليه فنسي[(١)].

والإنسُ: جماعة الناس، والجمع أُناسٌ وهم الإنس[(٢)].

وقوله: «وكل جنَّة»:

الجانُّ: أبو الجِنِّ خُلق من نار...، والجنةِ بالكسر: اسم للجنِّ[(٣)].

قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن].

---

(١) لسان العرب (١/ ٢٤٠-٢٤١). مادة (أنس).

(٢) المصدر السابق.

(٣) اللسان (٢/ ٢٣٣).

مبحث: عن الشيطان والجن والعفريت:

الشيطان والجن والعفريت عالم واحد مخلوقون من نار، وأبوهم إبليس.

معنى الشيطان لغة: الشيطان النون فيه أصلية، وهو من شَطَنَ.

أي: تباعد... وقيل: النون فيه زائدة من شَاطَ يشيطُ، احترق غضبًا، فالشيطان مخلوق من النار كما دلت عليه ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن].

وقال أبو عبيدة: الشيطان اسم لكل عارم من الجن والإنس، والحيوانات، قال: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]...

وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤] أي: أصحابهم من الجن والإنس.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات]، قيل: هي حيةٌ خفيفة الجسم، وقيل: أراد به عارم الجن فَتُشَبَّهَ به لقُبح تصورها...[(١)] انتهى.

وبناء على هذا، فالشيطان من الجن الكافر، ولا يكون مؤمنًا، ويطلق أيضًا على الإنسان كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: لهم أعداء من شياطين الإنس والجن، ومن

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص (٢٨٧، ٢٨٨)، وانظر القاموس المحيط (ص: ١٠٩٠).

هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء، قبحهم الله ولعنهم[١].

معنى الجن لغة: جن الشيء يجنه جنًّا، ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك، وجنه الليل يجنه جنًّا وجنونًا وجن عليه يجب بالضم جنونًا، وأجنه ستره، وبه سُمي الجنين لاستتاره في بطن أمه[٢].

أما الجن: فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، قال تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن].

ومن خصائص الجن: أنه يرانا، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ﴾ [الأعراف: ٢٧].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني جل ثناؤه بذلك: إن الشيطان يراكم هو، و«الهاء» في ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائدة على الشيطان، و«قبيله»، يعني: وصنفه وجنسه الذي هو منه واحد جمع جيلًا وهم الجن[٣].

ومن خصائصه: أنه قد يتشكل في صورة إنسان:

كما جاء في حديث أبي هُرَيرَة الذي أخرجه البخاري مُعلقًا، وفيه أنَّ أبَا هُرَيرَة قال: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣١٩).
(٢) لسان العرب (١٣/ ٩٢).
(٣) جامع البيان (١٢/ ٣٩٦).

شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ**»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لَا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**مَا هِيَ**»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**»، قَالَ: لَا، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»(١).

(١) أخرجه البخاري معلقًا (٢٣١١).

ومنها: أنه يتشكل في صورة حيوان:

عن أَبِي السَّائِبِ، مَوْلَى هِشَامِ بْنِ زُهْرَةَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي بَيْتِهِ، قَالَ: فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ، فَسَمِعْتُ تَحْرِيكًا فِي عَرَاجِينَ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا حَيَّةٌ فَوَثَبْتُ لِأَقْتُلَهَا، فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنِ اجْلِسْ فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَشَارَ إِلَى بَيْتٍ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: أَتَرَى هَذَا الْبَيْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: كَانَ فِيهِ فَتًى مِنَّا حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَتَى يَسْتَأْذِنُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِأَنْصَافِ النَّهَارِ فَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَأْذَنَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُذْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ قُرَيْظَةَ**»، فَأَخَذَ الرَّجُلُ سِلَاحَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فَإِذَا امْرَأَتُهُ بَيْنَ الْبَابَيْنِ قَائِمَةً فَأَهْوَى إِلَيْهَا الرُّمْحَ لِيَطْعُنَهَا بِهِ وَأَصَابَتْهُ غَيْرَةٌ، فَقَالَتْ لَهُ: اكْفُفْ عَلَيْكَ رُمْحَكَ وَادْخُلِ الْبَيْتَ حَتَّى تَنْظُرَ مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي، فَدَخَلَ فَإِذَا بِحَيَّةٍ عَظِيمَةٍ مُنْطَوِيَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فَأَهْوَى إِلَيْهَا بِالرُّمْحِ فَانْتَظَمَهَا بِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَرَكَزَهُ فِي الدَّارِ فَاضْطَرَبَتْ عَلَيْهِ، فَمَا يُدْرَى أَيُّهُمَا كَانَ أَسْرَعَ مَوْتًا الْحَيَّةُ أَمِ الْفَتَى، قَالَ: فَجِئْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ وَقُلْنَا: ادْعُ اللهَ يُحْيِيهِ لَنَا، فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِصَاحِبِكُمْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ جِنًّا قَدْ أَسْلَمُوا، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَآذِنُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ**»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٩-٢٢٣٦).

أما العفريت: من كل شيء المبالغ، يقال: فلان عفريت نِفريْتٌ، وعفرية نفريةٌ... والعفرية: الداهية(١).

قال النحاس رَحِمَهُ اللَّهُ: يقال للشديد إذا كان معه خبث ودهاء: عِفر وعفرية وعفريت وعفارية... والعفريت من الشياطين: القوي المارد والتاء زائدة(٢).

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [النمل: ٣٩].

إمكان رؤية الإنس الجن، والجمع بين أحاديث الباب والآية:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٧﴾ [الأعراف].

وعن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ جَعَلَ يَفْتِكُ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ، لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ اللهَ أَمْكَنَنِي مِنْهُ فَذَعَتُّهُ، فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى جَنْبِ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ - أَوْ كُلُّكُمْ - ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ [ص: ٣٥]، فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئًا»(٣).

اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة هو إمكان رؤية الإنس الجن إذا تشكلوا في غير صورهم التي خلقوا عليها، وحجتهم في ذلك الأحاديث

---

(١) الصحاح (٧٢٠).

(٢) انظر معاني القرآن للنحاس (٥/ ١٣٣)، وتفسير القرطبي (١٣/ ٢١١-٢١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦١، ١٢١٠، ٣٢٨٤، ٤٨٠٨)، ومسلم (٣٩-٥٤١).

التي أوردتها آنفًا، وأنكرت المعتزلة[١] إمكان رؤية الإنس للجن.

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «**تفلت**» أي: تعرض لي فلتة، أي: فجأة، وفيه دليل على أن رؤية الجن غير مستحيلة، فأما قوله تعالى وتقدس: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، فإنه حكم الأعم والأغلب من الآدميين، امتحنهم بذلك ليفزعوا إليه عز وجل ويستعيذوا به من شرهم[٢].

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا شك أن الله تعالى أوجدهم على صور تخصهم ثم مكنهم من التشكل في صور مختلفة[٣]، فيتمثلون في أي صورة شاءوا أو شاء الله ... ثم قال في سياق شرحه لحديث أبي هريرة المتقدم وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن عفريتًا من الجن جعل يتفلت عليَّ البارحة...**»، وفي هذا دليل على رؤية بني آدم الجن، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، إخبار عن غالب أحوال بني آدم معهم، والله تعالى أعلم[٤].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي في القرآن أنهم يرون الإنس من حيث لا يراهم الإنس، وهذا حق يقتضي أنهم يرون الإنس في حال لا يراهم الإنس فيها، وليس فيه أنهم لا يراهم أحد من الإنس بحال، بل قد يراهم الصالحون

---

(١) انظر عمدة القاري للبدر العيني (٧/ ١٠٢).
(٢) شرح السنة للبغوي (٣/ ٢٧٠).
(٣) تقدم ذكر الأحاديث الدالة على ذلك آنفًا.
(٤) المفهم (٢/ ١٥٠).

وغير الصالحين أيضًا، لكن لا يرونهم في كل حال[1].

هل يمكن للإنس رؤية الجن على صورهم التي خلقوا عليها؟

اختلف العلماء في إمكان رؤية الإنس الجن على صورهم التي خلقوا عليها.

فذهب فريق إلى نفي رؤية الإنس الجن على صورهم الأصلية، وحجتهم في ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، أما إذا تشكلوا في غير صورهم أمكن رؤيتهم، كما دلت الأحاديث التي أوردتها في المسألة على ذلك، أما رؤيتهم على صورهم الأصلية، فهذا مما اختص به الأنبياء.

وهذا مذهب الشافعي، والحافظ ابن حجر، وابن بطال، والبدر العيني، والقاضي عياض.

وقال آخرون: لا مانع من رؤية الإنس الجن على صورهم التي خلقوا عليها، وحجتهم في ذلك حديث أبي هريرة المتقدم في المسألة، وهذا مذهب النووي.

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن أبطلت شهادته؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، إلا أن يكون نبيًّا[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/ ٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للشافعي (٢/ ١٩٤) جمع البيهقي.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر كلام الشافعي:

وهذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها، وأما من ادعى أنه يرى شيئًا منهم بعد أن يتطور على صور شتى من الحيوان فلا يقدح فيه، وقد تواردت الأخبار بتطورهم في الصور(١).

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ورؤيته عليه السلام للعفريت هو ما خُص به كما خُص برؤية الملائكة، فقد أخبر أن جبريل له ستمائة جناح... ورأى الشيطان في هذه الليلة وأقدر عليه لتجسمه؛ لأن الأجسام ممكن القدرة عليها، ولكنه ألقى في روعه ما وُهِب سليمان فلم ينفذ ما قوي عليه من حبسه رغبة عما أراد سليمان الانفراد به، وحرصًا على إجابة الله دعوته، وأما غير الرسول ﷺ من الناس فلا يُمكَّن من هذا، ولا يرى أحد الشيطان على صورته غير الرسول؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، لكنه يراه سائر الناس إذا تشكل في غير شكله، وتصور في غير صورته، كما تشكل الذي طعنه الأنصاري حين وجده في بيته في صورة حية فقتله، فمات الرجل به(٢).

وهذا ما ذهب إليه البدر العيني، والقاضي عياض(٣).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله ﷺ: «**فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ، حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ - أَوْ كُلُّكُمْ**» فيه دليل على أن الجن موجودون، وأنهم

---

(١) فتح الباري (٦/ ٣٩٦).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ١٠٩-١١٠).

(٣) انظر على الترتيب: عمدة القاري للعيني (٨/ ٦٩٧-٦٩٨)، وإكمال المعلم للقاضي عياض (٢/ ٤٧٣).

قد يراهم بعض الآدميين.

وأما قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فمحمول على الغالب، فلو كانت رؤيتهم محالًا لما قال النبي ﷺ ما قال من رؤيته إياه، قال القاضي: وقيل: إن رؤيتهم على خلقهم وصورهم الأصلية ممتنعة لظاهر الآية، إلا للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ومن خرقت له العادة، وإنما يراهم بنو آدم، في صور غير صورهم، كما جاء في الآثار.

قلت (النووي): هذه دعوى مجردة، فإن لم يصح لها مستند فهي مردودة[1].

الراجح: هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من نفي رؤية الإنس الجن على صورهم التي خلقوا عليها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ أما إذا تشكلوا على غير صورهم أمكن للإنس رؤيتهم، وقد دلت الأحاديث على ذلك، وعلى هذا فالآية تحمل على منع رؤيتهم في حال دون حال، وهذا القول يجمع بين الآية والأحاديث، والله تعالى أعلم.

وقوله: «في دار نارٍ أو نعيم جَنَّة»:

أي: أن كلًّا من الإنس والجن مآلهم إما إلى نار، وهي دار الخزي والعار والبوار، وإما إلى جَنَّة وهي دار النعيم، أعدها الله تعالى لعباده الصالحين.

وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة في دخول أمم من الجن والناس،

(١) شرح مسلم (٣/ ٣٤).

الجنة أو النار، أما دخول عصاة الجن النار فهو ثابت بالنص والإجماع، وأما دخول مؤمنهم الجنة ففيه نزاع، والراجح دخولهم الجنة لأنه يوافق عدل الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وقال تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن].

وقال جل ذكره حكاية عنهم أيضًا: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه لآية الأحقاف: منطوق هذه الآية أن من أجاب داعي الله محمدًا ﷺ وآمن به وبما جاء به من الحق غفر الله له ذنوبه، وأجاره من العذاب الأليم، ومفهومها أعني: مفهوم مخالفتها المعروف بدليل الخطاب، أن من لم يجب داعي الله من الجنّ ولم يؤمن به لم يغفر له، ولم يجره من عذاب أليم، بل يعذبه ويدخله النار، وهذا المفهوم جاء مصرحًا به مبينًا في آيات أخر، كقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود]، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة]... وذكر آيات أخرى.

ثم قال: أما دخول المؤمنين المجيبين داعي الله من الجنّ الجَنَّة فلم تتعرض له الآية الكريمة بإثبات ولا نفي، وقد دلت آية أخرى على أن

المؤمنين من الجنّ يدخلون الجنة، وهي قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن].

وبه تعلم أن ما ذهب إليه بعض أهل العلم، قائلين إنه يفهم من هذه الآية أن المؤمنين من الجن لا يدخلون الجنة- وأن جزاء إيمانهم وإجابتهم داعي الله هو الغفران وإجارتهم من العذاب الأليم فقط، كما هو نص الآية- كله خلاف التحقيق..

وقد تمسك جماعة من العلماء منهم: الإمام أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- بظاهر هذه الآية، فقالوا: إن المؤمنين المطيعين من الجن لا يدخلون الجنة، مع أنه جاء في آية أخرى ما يدل على أن مؤمنيهم في الجنة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ لأنه تعالى بين شمولها للجن والإنس بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ ويستأنس لهذا بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمن] فإنه يشير إلى أن في الجنة جنًّا يطمثون النساء كالإنس... إلى أن قال: ولو سلّمنا أن قوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ يفهم منه عدم دخولهم الجنة، فإنه يدل عليه بالمفهوم، وقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ يدل على دخولهم الجنة بعموم المنطوق. والمنطوق مقدم على المفهوم كما تقرر في الأصول[1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح آية الأحقاف: وقد استدل بهذه الآية من ذهب من أهل العلم إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة، وإنما جزاء

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٢٣٦، ٢٣٧).

صالحيهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة، ولهذا قالوا: في هذا المقام، وهو مقام تبجح ومبالغة فلو كان لهم جزاء على الإيمان أعلى من هذا لأوشك أن يذكروه.

والحق: أن مؤمنيهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة، كما هو مذهب جماعة من السلف، وقد استدل بعضهم لهذا بقوله عز وجل ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۝٥٦﴾ [الرحمن]، وفي هذا الاستدلال نظر، وأحسن منه قوله جل وعلا: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧﴾ [الرحمن] فقد امتنَّ تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة، وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس، فقالوا: ولا بشيء من آلآئك ربنا نكذب فلك الحمد، فلم يكن تعالى ليمتنَّ عليهم بجزاء لا يحصل لهم، وأيضًا فإنه إذا كان يجازي كافرهم بالنار وهو مقام عدل، فلأن يجازي مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأحرى[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر جملة من الآيات الدالة على أن الجن مكلفون:

فإذا علم تكليفهم بشرائع الأنبياء ومطالبتهم بها، وحشرهم يوم القيامة للثواب والعقاب، علم أن محسنهم في الجنة كما أن مسيئهم في النار.

وقد دل على ذلك قوله تعالى حكاية عن مؤمنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣﴾ [الجن] وبهذه الآية احتج البخاري.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٠).

ووجه الاحتجاج بها أن البخس المنفي هو: نقصان الثواب، والرهق الزيادة في العقوبة على ما عمل، فلا ينقص من ثواب حسناته، ولا يزيد في سيئاته، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه] أي لا يخاف زيادة سيئاته، ولا نقصان حسناته، وأيضًا فقد قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن]، وذكر ما في الجنتين إلى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ وهذا يدل على أن ثواب محسنهم الجنة من وجوه... وساق أربعة أوجه لذلك(١).

وهذا هو الراجح عندي؛ لأنه يوافق مقتضى عدل الله ورحمته وفضله، والله أعلم.

أما الملائكة فهم يدخلون الجنة، ولا يدخلون النار، وهم في الجنة مسخرون لأهلها.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

اختصاص النبوة بالإنس دون الجن:

إن الله تعالى شرف الرسل وأكرمهم بالنبوة والرسالة، فهم أفضل الخلق، أما الجن فمن ذرية إبليس وخلقوا من نار.

وقال جل ذكره عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

---

(١) طريق الهجرتين (٤٢٤، ٤٢٥) وما بعدها.

فكل الأنبياء والرسل من ذريته، وغير ذلك من الأدلة.

وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض شرحه للآية: وقد استدل بهذه الآية على أنه في الجن نذر، وليس فيهم رُسُل، ولا شك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولًا، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقال عز وجل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقال عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] فكل نبي بعثه الله تعالى بعد إبراهيم من ذريته وسلالته، فأما قوله تبارك وتعالى في الأنعام: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] فالمراد من مجموع الجنسين، فيصدق على أحدهما وهو الإنس، كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن] أي أحدهما، ثم إنه تعالى فسر إنذار الجن لقومهم، فقال مخبرًا عنهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠]... وقولهم: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب المنزلة على الأنبياء قبله(١).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٨-٢٠٩).

وقوله:

١٢٣ - هُما مَصيرُ الخَلْقِ مِنْ كُلِّ الوَرَى   فالنَّـــارُ دَارُ مَـــنْ تَعـــدَّى وَافتَـــرَى

انتقل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر نهاية الثقلين، إما إلى جنة، وإما إلى نار، فبين في هذا البيت مصير الخلق من الورى، أي: الخلق من الجن والإنس مرجعهم ومصيرهم إلى النار إذا تعدوا حدود الله ولم يجيبوا داعي الله.

قوله: «وافترى»:

فيما عبد من دون الله، صنم أو حجر أو ملك أو إنسان أو أتى بأي نوع من أنواع الكفر الذي يخرج من الملة، ولم يتب ومات على الكفر، فهو خالد في النار.

مبحث: في الجنة والنار:

اعلم أن من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان، ولا يفنيان، فوجودهما أبدي وليس أزليًّا، واعلم أن أهل الجنة مخلدون فيها أبدًا، وأهل النار- أي أصحاب النار وهم الكفار- مخلدون فيها أبدًا، وهذا ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

الدليل على وجود الجنة والنار:

أولاً: دليل وجود النار الآن:

فقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى ذكره: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران] وقوله: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الفرقان] وغيرها من الآيات وهي كثيرة.

ثانيًا: دليل وجود الجنة الآن:

من القرآن: قال جلا وعلا: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

أما السنة: ففي حديث كسوف الشمس الطويل، وفيه أنّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ، لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ الَّتِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، ثُمَّ جِيءَ بِالْجَنَّةِ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدَّمْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي مَقَامِي، وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ لَا أَفْعَلَ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلَاتِي هَذِهِ»(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ...»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٠-٩٠٤) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١١٢٠، ٦٣١٧، ٧٣٨٥)، ومسلم (٧٦٩).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ» قَالَ: «فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»(٢).

وفي حديث الإسراء الطويل، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «...ثُم أُدْخِلتُ الجنَّة فَإذَا فِيهَا جَنَابِذ اللُؤلُؤ وَإذَا تُرابها المِسْك...»(٣).

وحديث أَسْمَاء بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفيه أنّ رَسُولَ الله ﷺ: سَجَدَ، فَأَطَالَ السُّجُودَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَقَالَ: «قَدْ دَنَتْ مِنِّي الجَنَّةُ، حَتَّى لَوِ اجْتَرَأْتُ عَلَيْهَا، لَجِئْتُكُمْ بِقِطَافٍ مِنْ قِطَافِهَا، وَدَنَتْ مِنِّي النَّارُ حَتَّى قُلْتُ: أَيْ رَبِّ، وَأَنَا

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩ - ١٩١٤) بعد حديث رقم (٢٦١٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٤٤)، وأحمد (٢/ ٣٨٢)، والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٧/ ٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٩، ١٦٣٦)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس بن مالك وأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مَعَهُمْ؟ فَإِذَا امْرَأَةٌ - حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ - تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ، قُلْتُ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، لاَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشِيشِ - أَوْ خَشَاشِ الأَرْضِ»(١).

وعن أبي هُرَيرَة قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ»(٢).

وغيرها من الأحاديث الصحيحة وهي كثيرة.

الدليل على أن الجنة والنار باقيتان لا يفنيان، وأن أهل الجنة خالدين فيها أبدًا، وأهل النار- وهم الكفار- خالدين فيها أبدًا:

جاءت نصوص كثيرة تدل على ذلك، نذكر منها بعض النصوص التي جاء فيها أن الخلود فيهما أبدي، أما النصوص التي جاء فيها الخلود فيهما مطلقًا فهي كثيرة جدًّا يصعب استيفاؤها.

أولاً: من القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥).
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٠) ومسلم (٦١٧).

قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧].

وقال سبحانه في أهل الجنة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى ذكره: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ [الدخان] وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر].

وقال سبحانه وتعالى في أهل النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزخرف].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الشورى].

وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن]، وقال: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى].

ثانيًا: من السنة:

عن عَبْد الله بن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ**»[(١)].

وفي حديث أبي هُرَيْرَة أن النبي ﷺ قال: «...**يُقَالُ لِأَهْلِ الجنَّة يَا أَهْلَ الجنَّة خُلُودٌ لا مَوْتَ، ولأهلِ النَّارِ خُلُودٌ لا مَوت**»[(٢)].

أما المسلمون، فقد قدمنا الأدلة على أنهم لا يخلدون في النار، ولكن تمسهم بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها، ولا يخلدون فيها برحمة أرحم الراحمين ثم بشفاعة من أذن لهم سبحانه بالشفاعة، وقد سبقت المسألة.

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان، لا تفنيان أبدًا، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدًا، وكذلك أهل النار- الذين هم أهلها خلقوا لها- لا يخرجون منها

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٨) ومسلم (٢٨٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٥).

أبدًا... واستدل بحديث ابن عمر المتقدم(١).

قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن قول أهل السنة أن الجنة والنار قد خلقتا، وقال عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]... وساق أدلة أخرى...

ثم قال: وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا تفنيان، ولا يموت أهلوها، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت]... وذكر أدلة أخرى(٢).

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإيمان بأن الجنة والنار حق، والجنة والنار مخلوقتان؛ الجنة في السماء السابعة وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السابعة السفلى(٣)، وهما مخلوقتان قد علم الله عدد أهل الجنة ومن

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٦٤).

(٢) أصول السنة (١٣٩).

(٣) قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطففين]، وفي حديث الْبَرَاءِ في الاحتضار أنّ رسُولَ الله ﷺ قال، وَذَكَرَ نَفْسَ الْفَاجِرِ، وَأَنَّهُ يُصْعَدُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ فُلَانٌ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف]، فَيَقُولُ اللهُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٩٧)، والطبري في جامع البيان (١٥/ ١٢٠).

يدخلها، وعدد أهل النار ومن يدخلها[١]، لا تفنيان أبدًا، بقاؤهما مع بقاء الله تبارك وتعالى أبد الآبدين، في دهر الداهرين، وآدم كان في الجنة الباقية المخلوقة، فأخرج منها بعد ما عصى الله[٢].

(١) كما جاء في حديث عَليّ بن أبي طَالِب رضي الله عنه، وفيه أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: «**أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل]، أخرجه البخاري (١٣٦٢) ومسلم (٢٦٤٧).

(٢) شرح السنة (٤٨، ٤٩).

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

١٢٤- ومَن عَصى بِذَنبِهِ لَم يَخْلُدِ وإنْ دَخَلْها يا بَوارَ الْمُعتَدِي

١٢٥- وجَنَّةُ النَّعيمِ لِلأبرارِ مَصونَةٌ عَن سائِرِ الكُفَّارِ

١٢٦- واجزِمْ بِأَنَّ النَّارَ كالْجَنَّةِ فِي وُجُودِها وأنَّها لَم تَتْلَفِ

الشرح

أي: أن المسلم الذي عصى ربه باقتراف الذنوب، ثم مات على الكبائر، ولم يتب منها، فهو في المشيئة، إن شاء الله عذبه ثم يخرج من النار بالشفاعة أو برحمة أرحم الراحمين، وإن شاء عفى عنه، فلا يخلد في النار من مات مسلمًا موحدًا، سواء أكانت ذنوبه متعلقة بالشهوات- كشرب الخمر والزنى والربى وغير ذلك- أو بالشبهات كالبدع بأنواعها ما لم تكن كفرًا.

وهذا ثابت بالنص والإجماع، وخالف أهل السنة، المعتزلة والخوارج فهم يكفرون مرتكب الكبيرة وينكرون الشفاعة لأهل الكبائر، ويقولون بخلودهم في النار، وقد سبق بيان مذهبهم أكثر من مرة.

الأدلة من الكتاب والسنة على أن من مات من المسلمين على الكبائر لا يخلد في النار، لأنه لم يخرج من دائرة الإسلام:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ فإن الله لا

يغفر الشرك به والكفر، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام(١).

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني يغفر ما دون الشرك لمن يشاء بلا عقوبة، وقد يعاقب بهضم على ما اقترف من الذنوب ثم يعفو عنه ويدخل الجنة بإيمانه(٢).

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**»، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ(٣).

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»(٤).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن ذلك محمول على المستحل لتلك الكبائر،

---

(١) جامع البيان (٤/ ١٧٥)، وانظر تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٦)، وتفسير القرطبي (٥/ ٢٤٧) وغيرهم.

(٢) الاعتقاد (٢١٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤).

(٤) **متفق عليه**: تقدم تخريجه.

وقيل: معنى ذلك: أن مرتكب الكبائر يسلب عنه اسم الإيمان الكامل، إذ النافع يفيد صاحبه الانزجار عن هذه الكبائر[(١)].

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: يسلب عنه اسم المدح الذي سُمي به أولياء الله المؤمنون، ويستحق اسم الذم الذي سمي به المنافقون والفاسقون[(٢)].

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: تفسيره أن ينزع عنه نور الإيمان وهو قريب من الأول[(٣)]، انتهى.

وقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً**»[(٤)].

وذكر بنحو هذه الأحاديث في باب الشفاعة، وقد تقدم أيضًا بيان اختلاف العلماء في ضابط الكبيرة[(٥)].

وقوله: «وإن دخلها يا بوار المعتدي»:

البوار: هو الهلاك، والمعنى: وإن دخل المسلم النار لم يخلد فيها، يا أيها المعتدي، وهم المعتزلة والخوارج ومن وافقهم في مذهبهم، ووجه اعتدائه أنه تعدى نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأئمة على أن من مات

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٦/ ٢٤).

(٤) أخرجه البخاري (٧٤١٠) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) راجع شرح البيت التاسع والسبعين.

على الكبائر ولم يتب، هو في المشيئة كما بينا.

وقوله: «وجنة النعيم للأبرار...»

أي: أن جنة النعيم للأبرار المتقين، فلا يدخلها كافر، يتنعم المؤمن فيها ببدنه وروحه، من دخلها يشب فلا يهرم، ويصح فلا يسقم، يحيى فلا يموت، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ليس فيها همّ، ولا حزن ولا غم ولا حسد ولا غل، إخوانًا على سرر مصفوفة.

الجنة عالية لا يسمعون فيها لاغية، فيها ثمار دانية، وأنهار من عسل جارية، وأخرى من لبن لم يتغير طعمه، ثياب أهلها السندس والاستبرق، وأساورهم من فضة، شرابهم طهور، فيها لحم طير مما يشتهون، أما نساء الجنة فلا يعلم حسنهن إلا الخالق البارئ المصور أنشأهن خلقًا آخر، فجعلهن أبكارًا عربًا أترابًا، أما الحور فهن كاللؤلؤ المكنون، وكل ذلك جزاء بما كانوا يعملون، تفضلًا منه وإحسانًا، من غير ما إلزام فهو الكريم المنان.

ذكر بعض الآيات والأحاديث التي جاءت في وصف الجنة ونعيمها:

أولاً: من القرآن:

قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى ذكره: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن].

وقوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الواقعة].

وقال: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة].

وقال سبحانه: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان] وقال جل ثناؤه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

وغيرها من الآيات وهي كثيرة جدًّا، نسأل الله الكريم الرحمن الرحيم النعيم المقيم في جنات النعيم.

أما السنة:

فقد جاءت أحاديث كثيرة تبين عظيم قدر الجنة منها:

ما رواه مسلم من حديث المُغيرة بن شُعْبَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن رَسُول الله ﷺ أَنَّه قالَ: «**سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ**

نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، قَالَ: «وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة]» الْآيَةَ[(١)].

وقال رسُولُ الله ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[(٢)].

وعن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»[(٣)].

وقال رَسُولُ الله ﷺ لأم حارِثة عندما سَألَت عَن ابنِهَا الذي خَرَج مَع النبي ﷺ في غَزْوَة بَدْرٍ، وقد استُشْهِد، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «وَيْحَكِ، أَوَ هَبِلْتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ»[(٤)] وغيرها.

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٢-١٨٩) باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها.
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٠)، من حديث سهل بن سعد.
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤).
(٤) أخرجه البخاري (٣٩٨٢) وغيره.

وقوله: «مصونة عن سائر الكفار»:

تقدم أن الجنة محرمة على الكفار، وهم مخلدون في النار، نسأل الله تعالى السلامة والعافية والثبات حتى يتوفّنا على الإسلام.

وقوله:

واجـزِمْ بِـأَنَّ النَّـارَ كالْجَنَّـةِ فِـي وُجُودِهـا وأَنَّهـا لَـمْ تَتْلَـفِ

سبق بيان أن الجنة والنار مخلوقتان باقيتان، لا يفنيان أبدًا، وذكرنا الأدلة على ذلك، ولله الحمد.

مبحث: حكم من مات من أطفال المشركين والمسلمين ومن مات في الفَتْرَة:

جاء في حديث سَمُرَة بن جندب الطويل في رُؤيا النبي ﷺ، وفيه: «**فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لاَ أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولاً فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ**» إلى أن سأل النبي ﷺ الملكين عن ذلك، فأجابا «**... وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ**»، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلاَدُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأَوْلاَدُ المُشْرِكِينَ**»(١).

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَوْلاَدِ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «**اللهُ إِذْ خَلَقَهُمْ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٣) ومسلم (٢٦٦٠).

وفي رواية أبي هريرة، قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[(١)].

اختلف العلماء في حكم من مات من أولاد المشركين اختلافًا كثيرًا[(٢)]، وأظهر هذه الأقوال- والله أعلم- قولان:

الأول: أنهم في الجنة، لحديث سمرة بن جندب المتقدم وهو في الصحيحين.

والثاني: أنهم يُختبروا يوم القيامة، لقوله ﷺ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**» وقد تقدم الحديث.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: اختلف العلماء قديمًا وحديثًا، في هذه المسألة على أقوال:

أحدها: أنهم في مشيئة الله تعالى، وهو منقول عن الحمّادين[(٣)] وابن المبارك وإسحاق، ونقله البيهقي في «الاعتقاد»[(٤)] عن الشافعي في حق أولاد الكفار خاصة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: وهو مقتضى صنيع مالك، وليس عنده في هذه المسألة شيء منصوص، إلا أن أصحابه صرحوا بأن أطفال المسلمين في الجنة، وأطفال الكفار خاصة في المشيئة، والحجة فيه حديث: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٤) ومسلم (٢٦-٢٦٥٩).

(٢) قال ابن القيم: «وأما أولاد المشركين، فاختلف أهل العلم فيهم على عشرة مذاهب... ثم ساق هذه المذاهب كلها - انظر: أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠٨٦).

(٣) الحمادان هم: حماد بن زيد وحماد بن سلمة.

(٤) انظر: الاعتقاد للبيهقي (١٧٩-١٨٧).

كَانُوا عَامِلِينَ»[(١)].

ثانيها: أنهم تبع لآبائهم، فأولاد المسلمين في الجنة، وأولاد المشركين في النار، وحكاه ابن حزم عن الأزارقة من الخوارج واحتجوا بقوله تعالى: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح] وتعقبه بأن المراد قوم نوح خاصة، وإنما دعا بذلك لما أوحى الله إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، وأما الحديث: «**هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ**» أو «**هُمْ مِنْهُمْ**»[(٢)] فذاك ورد في حكم الحربي.

وروى أحمد من حديث عائشة: سَأَلْتُ رسُولَ الله ﷺ عن ولدان المُسْلِمين، قال: «**فِي الجَنَّة**»، وعَن أوْلَاد المُشْرِكِين، قال: «**فِي النَّار**» فقلت: يا رسُولَ الله لم يُدْرِكُوا الأعْمَال، قالَ: «**رَبّك أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ، ولو شِئْتِ أَسْمَعْتُكِ تَضَاغِيَهُمْ فِي النَّارِ**»، وهو حديث ضعيف جدًّا، لأن في إسناده أبا عقيل مولى بهية، وهو متروك.

ثالثها: أنهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار، لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة، ولا سيئات يدخلون بها النار.

رابعها: خدم الجنة، وفيه حديث عن أنس ضعيف أخرجه أبو داود والطيالسي، وأبو يعلى، وللطبراني والبزار من حديث سَمُرَة مرفوعًا: «**أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ خَدَمُ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، وإسناده ضعيف.

خامسها: أنهم يصيرون ترابًا، روي عن ثمامة بن أشرس.

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٢، ٣٠١٣)، ومسلم (٢٦ - ١٧٤٥) من حديث ابن عباس عن الصعب ابن جَثَّامة رضي الله عنهم.

سادسها: هم في النار، حكاه عياض عن أحمد، وغلطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه، ولا يحفظ عن الإمام أصلًا.

سابعها: أنهم يُمتحنون في الآخرة، بأن ترفع لهم نار، فمن دخلها كانت بردًا وسلامًا، ومن أبى عذب، أخرجه البزار من حديث أنس وأبي سعيد، وأخرجه الطبراني من حديث معاذ بن جبل، وقد صحّت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات على الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في كتاب «الاعتقاد» أنه المذهب الصحيح، وتعقب بأن الآخرة ليست دار تكليف، فلا عمل فيها ولا ابتلاء، وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار في الجنة أو النار، وأما في عرصات القيامة فلا مانع من ذلك، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم].

وفي الصَّحيحين: «**أنَّ النَّاسَ يُؤمَرون بالسُّجُود، فيَصِير ظَهْرُ المُنَافِق طَبَقَةً؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْجُدَ**»(١).

ثامنها: أنهم في الجنة، وقد تقدّم القول فيه في «باب فضل من مات له ولد».

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة، فلأن لا يعذب غير

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

العاقل من باب أولى، ولحديث سمرة المذكور في هذا الباب، ولحديث عمة خنساء المتقدم، ولحديث عائشة الآتي قريبًا(١).

تاسعها: الوقف

عاشرها: الإمساك وفي الفرق بينهما دقة(٢).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأطفال الكفار أصح الأقوال فيهم: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(٣) كما أجاب النبي ﷺ في الحديث الصحيح(٤)، انتهى.

وهذا ما ذهب إليه ابن القيم(٥)، وهو الراجح عندي، فهو أظهر الأقوال لكونه موافقًا لحديث رسول الله ﷺ المتفق عليه، والله تعالى أعلم.

حكم من مات من أطفال المسلمين:

أجمع العلماء على أن أطفال المسلمين في الجنة، لحديث جندب المتقدم وغيره.

فعن أبي هُرَيرَة، عن النبي ﷺ قالَ: «**لاَ يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ تَمَسُّهُ النَّارُ، إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ**»(٦).

---

(١) انظر: شرح مسلم للنووي (٨/ ٤٦٢).

(٢) الفتح (٣/ ٢٩٠، ٢٩١) والتمهيد لابن عبد البر (٤/ ٤٠٠، ٤٠١).

(٣) متفق عليه: تقدم تخريجه.

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٣).

(٥) انظر: طريق الهجرتين (٣٩٦-٣٩٩).

(٦) أخرجه البخاري (٦٦٥٦) ومسلم (٢٦٣٢).

وعَن أبي حَسَّان قالَ: قُلتُ لأبي هُرَيرَة: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: نَعَمْ، «**صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ -، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ** - أَوْ قَالَ: **بِيَدِهِ** -، **كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى** - أَوْ قَالَ: **فَلَا يَنْتَهِي** - **حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ**»[١]، وغيرها من الأحاديث.

قال ابنُ عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: قد أجمع العلماء على ما قلنا من أن أطفال المسلمين في الجنة، فأغنى ذلك عن كثير من الاستدلال، ولا أعلم عن جماعتهم في ذلك خلافًا، إلا فرقة شذت من المجبرة، فجعلتهم في المشيئة، وهو قول شاذ مهجور مردود بإجماع الجماعة، وهم الحجة الذين لا تجوز مخالفتهم، ولا يجوز على مثلهم الغلط في مثل هذا[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وأما أطفال المسلمين، فقال الإمام أحمد: لا يختلف فيهم أحد، يعني أنهم في الجنة[٣].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة، لأنه ليس مكلفًا، وتوقف فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا، وأجاب العلماء: بأنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قطع، كما أنكر على

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٣٥) وغيره.
(٢) التمهيد (٤/ ٣٣٦).
(٣) طريق الهجرتين ص (٣٨٧).

سعد بن أبي وقاص في قوله: أعطه إني لأراه مؤمنًا، قال: أو مسلمًا... الحديث[(١)].

ويحتمل أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة، فلما علم قال ذلك في قوله ﷺ: «**مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٌ، يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ**»[(٢)] وغير ذلك من الأحاديث والله أعلم[(٣)].

حكم من مات من أهل الفترة:

الفترة لغة: الانكسار والضعف[(٤)].

قال الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ: الفتور سكون بعد حدة، ولين بعد شدة، وضعف بعد قوة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩] أي سكون حال عن مجيء رسول الله ﷺ وقوله: ﴿لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء] أي: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة[(٥)].

واصطلاحًا: «أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل، ولم يُرسل إليهم الأول، ولا أدركهم الثاني، يشمل بين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧) ومسلم (١٥٠).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) شرح مسلم (٨/ ٤٦٢).
(٤) اللسان (٧/ ١٤) والتوقيف على مهمات التعاريف (٢٥٧) والتعريفات (٢١٢).
(٥) المفردات (٤٠٨).
(٦) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٧٩)، وانظر: الفتاوى =

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض تعريفه أهل الفترة: هي ما بين كل نبيين؛ كانقطاع الرسالة بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ[(١)].

حكمهم:

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

عن الْأَحْنَفِ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سُرَيْعٍ، أنَّ النبي ﷺ قال: «أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -يَعْنِي: يَدُلُّونَ عَلَى اللهِ بِحُجَّةٍ- رَجُلٌ أَصَمُّ لا يَسْمَعُ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونَنِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي فَتْرَةٍ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا آتَانِي الرَّسُولُ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ وَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا مَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ إِلَّا بَرْدًا وَسَلَامًا»[(٢)].

=
الكبرى لابن تيمية (٦/ ٤٥٨).

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٥٧)، والطبراني في «الكبير» (٨٤١)، والبزار في كشف الأستار (٢١٧٤)، والهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢١٦)، والبيهقي في الاعتقاد (ص ١٨٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٣٤) و(٢٤٦٨).

وعن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي**»(١).

عن ثَابِتٍ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «**فِي النَّارِ**»، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»(٢).

واعلم أن بين أهل العلم نزاع في حكم أهل الفترة، فذهب فريق إلى أنهم في النار لعموم الأدلة على خلود الكافر في النار كما في كتاب الله، وكذا حديث أبي هريرة، وحديث أنس كما في الباب.

وقال آخرون: يمتحنون يوم القيامة بأن يرسل إليهم أن ادخلوا النار، فمن أجاب دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وحجتهم الآية وحديث الأسود بن سريع المتقدِّم.

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في معرض شرحه حديث: «... إن أبي وأباك في النار» فيه: أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥-٩٧٦) وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (٣٤٧ - ٢٠٣).

(٣) شرح صحيح مسلم (٢/ ٨١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن لم تبلغه دعوة رسول إليه كالصغير والمجنون والميت في الفترة المحضة فهذا يمتحن في الآخرة كما جاءت بذلك الآثار»(١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾: «والله تعالى أعدل العادلين لا يعذب أحدًا حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة ثم يعاند الحجة، وأما من انقاد للحجة أو لم تبلغه حجة الله تعالى فإن الله تعالى لا يعذبه، واستدل بهذه الآية على أن أهل الفترات وأطفال المشركين، لا يعذبهم الله حتى يبعث إليهم رسولًا لأنه منزه عن الظلم»(٢).

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ **بعد أن ذكر حجة كل فريق:** الظاهر أن التحقيق في هذه المسألة التي هي: هل يعذر المشركون بالفترة أو لا؟ هو أنهم معذورون بالفترة في الدنيا، وأن الله يوم القيامة يمتحنهم بنار يأمرهم باقتحامها، فمن اقتحمها دخل الجنة، وهو الذي كان يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا، ومن امتنع دخل النار وعُذب فيها، وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في الدنيا، لأن الله يعلم ما كانوا عاملين لو جاءتهم الرسل.

وإنما قلنا: إن هذا هو التحقيق في هذه المسألة لأمرين:

الأول: أن هذا ثبت عن رسول الله ﷺ، وثبوته عنه نص في محل النزاع، فلا وجه للنزاع البتة مع ذلك، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية التي نحن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٧٧).

(٢) تفسير السعدي (٤/ ٢٦٦).

بصـددها- بعـد أن سـاق الأحاديـث الكثيـرة الدالـة علـى عـذرهم بـالفترة، وامتحـانهم يـوم القيامـة، ردًّا علـى ابـن عبـد الـبر تضـعيف أحاديـث عـذرهم وامتحانهم بأن الآخرة دار جزاء لا عمـل، وأن التكليـف بـدخول النـار تكليـف بما لا يطاق، وهو لا يمكن- ما نصه:

والجواب عما قال: أن أحاديث هذا الباب منها ما هـو صـحيح كـما قـد نص على ذلك كثير مـن أئمـة العلمـاء، ومنهـا مـا هـو حسـن، ومنهـا مـا هـو ضـعيف يتقـوى بالصـحيح والحسـن، وإذا كانـت أحاديـث البـاب الواحـد متصلة متعاضدة على هذا النمط، أفادت الحجة عند الناظر فيها.

وأما قوله: إن الدار الآخرة دار جزاء، فلا شـك أنهـا دار جـزاء، ولا ينـافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار، كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحـان الأطفـال، وقـد قـال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢].

وقد ثبت في الصّحاح وغيرها: أنّ المُـؤمنين يسـجُدون لله يـوم القيامـة، وأنّ المُنافِقَ لا يَسْتَطيع ذلك، ويعُود ظَهْرُهُ كالصَّفيحَة الوَاحِدة طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ[(١)].

وفي الصّحيحين في الرّجل الذي يكون آخر أهـل النـار خروجًـا منهـا، أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه ألا يسأل غير ما هو فيه، ويتكرر ذلك منه، ويقـول الله تعالى: « يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ»، ثم يَأذن له في دخول الجنة[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢ - ١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢).

وأما قوله: فكيف يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم؟ فليس هذا بمانع من صحة الحديث، فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط.

وأيضًا: فقد ثبتت السنة بأنّ الدَّجَّال يكُون مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ[١]، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى أنه نار فإنه يكون عليه بردًا وسلامًا، فهذا نظير ذلك.

وأيضًا: فإن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم، فقتل بعضهم بعضًا..

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا قبل هذا الكلام بقليل ما نصه: ومنهم من ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة، في عرصات المحشر، فمن أطاع دخل الجنة، وانكشف علم الله فيه، بسابق السعادة، ومن عصى دخل النار داخرًا، وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة.

وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة، الشاهد بعضها لبعض.

وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد[٢]، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه.

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي (١٨٧).

والنقاد. انتهى محل الغرض من كلام ابن كثير - رحمه الله تعالى - وهو واضح جدًّا فيما ذكرنا.

الأمر الثاني: أن الجمع بين الأدلة واجب متى أمكن بلا خلاف، لأن إعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما، ولا وجه للجمع بين الأدلة إلا هذا القول بالعذر والامتحان...»[1].

الراجح: أن أهل الفترة الذين لم تبلغهم دعوة الرسل يمتحنون يوم القيامة لما تقدم من أدلة من الكتاب والسنة، وأقوال أهل العلم.

أما من بلغتهم دعوة الرسل وماتوا على الكفر، فهؤلاء لا يمتحنون بل هم في النار، ومن أظهر ما يستدل به حديث أنس رضي الله عنه المتقدم، وفيه أن رجلًا قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «**في النار**»، فلما قفَّى دعاه، فقال: «**إن أبي وأباك في النار**»، وحديث أبي هريرة المتقدم، قال رسول الله ﷺ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي...**» الحديث.

وقال ابن كثير رحمه الله: وإخباره ﷺ عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من عدة طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة؛ كما بسطناه سندًا ومتنًا من تفسيرنا عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء]، فيكون فيهم من يجيب، ومنهم من لا يجيب، فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا منافاة[2].

---

(١) أضواء البيان (٣/ ٧٣-٧٥) باختصار.

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٤٢٩).

وقال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة في الآخرة وقد كانوا يعبدون الأوثان، حتى ماتوا ولم يدينوا دين عيسى ابن مريم عليه السلام، وكفرهم لا يقدح في نسبه عليه الصلاة والسلام؛ لأن أنكحة الكفار صحيحة، ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهن إذا كان مثله يجوز في الإسلام، وبالله التوفيق(١). انتهى.

وهذا ما ذهب إليه العلامة ابن باز(٢).

حكم أصحاب الأعراف في الآخرة:

الأعراف لغة: جمع عُرف وهو المكان المرتفع.

قال الجوهري رَحِمَهُ اللَّهُ: الجمع عرف وأعراف، ويقال: الأعراف الذي في القرآن: سورٌ بين الجنة والنار(٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: قال غير واحد من العلماء: الأعراف: تلٌّ بين الجنة والنار، حُبس عليه من أهل الذنوب بين الجنة والنار، واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكُلُّها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم: قوم استوت حسناتُهم وسيئاتُهم.

وقد حكى القرطبي وغيره فيهم اثني عشر قولًا منها: أنهم شهدوا أنهم

---

(١) دلائل النبوة (١/ ١٩٢).
(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن باز (١/ ٥٠).
(٣) الصحاح (ص: ٦٩٥).

صُلحاء تفرعوا من فرع الآخرة ودخلوا يطلعون على أخبار الناس، وقيل: هم الأنبياء، وقيل: ملائكة[(١)].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: والصحيح من ذلك أنهم قوم تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، فلا رجحت سيئاتهم فدخلوا النار، ولا رجحت حسناتهم فدخلوا الجنة، فصاروا في الأعراف ما شاء الله، ثم إن الله تعالى يدخلهم برحمته الجنة، فإن رحمته تسبق وتغلب غضبه، ورحمته وسعت كل شيء[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٩٠).

ثم قال صاحب النظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٧ - فنسألُ اللهَ النَّعيمَ والنَّظَر لِرَبِّنا مِن غَيْرِ ما شَيْنٍ غَبَر

١٢٨ - فإنَّهُ يُنظَرُ بالأبصارِ كَما أتى في النَّصِّ والأخبارِ

١٢٩ - لأنَّهُ سُبحانَهُ لَم يُحجَبِ إلَّا عَن الكافِرِ والْمُكَذِّبِ

الشرح

الشين لغة: الشَّيْنُ: معروف خلاف الزين، وقد شانَهُ يَشِينُه شَيْنًا، قال أبو منصور: والعرب تقول وجه فلان زين أي أحسن ذو زَيْنٍ، ووجه فلان شَيْنٌ: أي قبيح ذو شَيْنٍ، وقال الفراء: العَيْنُ والشَّيْنُ والشَّنَارُ: العيب، والمشَاين: المعايب[(١)].

والغَبَرُ لغة: محركة: التراب، وبهاءٍ: الغُبارُ، كالغُبْرةِ بالضم واغبَر اليومُ اغبرارًا: اشتد غُبارُهُ[(٢)].

أي: نسأل الله الكريم الرحيم النعيم المقيم، في جنة الخلد، ونسألة أن يمنَّ علينا بالنظر إليه، (من غير ما شين غبر) أي: من غير سابقة عذاب ولا مناقشة حساب ولا توبيخ وعتاب، ولا خزي ولا خذلان، وكل ما يشين العبد يوم القيامة على رؤوس الخلائق من الحساب وتطاير الصحف.

وقوله: «فإنه يُنظر بالأبصار...»:

أي: أن الله تعالى يراه المؤمنون بالأبصار يوم القيامة وفي الجنة، وهذا اعتقاد أهل السنة قاطبة، وخالفهم المعتزلة فزعموا أن المؤمن لا يرى الله

(١) اللسان (٥/ ٢٥٥) مادة (شين).

(٢) القاموس المحيط (٤٠٤) مادة (غبر).

عز وجل يوم القيامة وقوله: (كما أتى في النص والأخبار) أي أن أدلة ذلك جاءت في الكتاب والسنة والإجماع.

ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على التصريح بنظر المؤمنين لربهم يوم القيامة:

قال تعالى ذكره: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة].

وقال سبحانه: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقال: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق].

وقال تعالى في شأن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين].

وعن جرير قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»[(١)].

وعن صُهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ثم تلا هذه الآية: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[(٢)].

وعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦) ومسلم (٦٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٧-١٨١) وغيره.

يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟**»، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِما**»(١).

وفي الصحيحين عن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن الناس قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**فَهَل تُضَارُّونَ في الشمس ليسَ دُونها سَحَاب**» قالوا: لا يارسول الله، قال: «**فإنَّكم تَرَونَهُ كذلك..**»(٢).

عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»(٣).

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: ذكر البيان أن رؤية الله التي يختص بها أولياءه يوم القيامة، هي التي ذكر في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة].

ويفضل بهذه الفضيلة أولياءه من المؤمنين، ويحجب جميع أعدائه عن النظر إليه، من مشرك، ومتهود، ومتنصر، ومتمجس، ومنافق، كما أعلم في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين].

وهذا نظر أولياء الله إلى خالقهم- جلّ ثناؤه- بعد دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيزيد الله المؤمنين كرامةً وإحسانًا إلى إحسانه تفضلًا منه وجودًا، بإذنه إياهم النظر إليه، ويحجب عن ذلك جميع

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه البخارى (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢).

(٣) أخرجه البخارى (٤٨٧٨) ومسلم (١٨٠).

أعدائه... وساق جملة من الأدلة التي ذكرناها أول المسألة(١).

قال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: مذهب أهل السنة: أن الله عز وجل يكرم أولياءه، برؤيته بأعينهم كما شاء فضلًا منه ومنة.

قال الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

وحكى الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين] لما حجب عنه الكفار دل على أن المؤمنين يرونه.

وروي عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل(٢).

قالوا: وفي قول الله عز وجل: ﴿فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ [الفرقان: ١٦] دلالة أنهم يرونه، لأن المحال أن لا يشاء أولياء الله وأهل طاعته الذين وحدوه وعبدوه أن يروا معبودهم، جل جلاله....(٣).

---

(١) التوحيد ص (١٥٦).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٤٧١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٦٤)، والآجري في الشريعة ص (٢٥٧)، والدارقطني في «الرؤية» (١٩٣، ٢٠١)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ١٢٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٧٣/ ٤٧٤)؛ كلهم عن طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به، وقال الشيخ الألباني: حديث موقوف صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين من الطريق الثانية، وكذا الأولى إلا مسلم بن نُذير وهو لا بأس به، كما قال أبو حاتم لكن أبو إسحاق وهو السبيعي مدلس وقد عنعنه، لكن يشهد له الحديث المرفوع قبله «ظلال الجنة» (١/ ٢٠٦) قلت: يقصد بالحديث الذي قبله حديث صهيب الذي أخرجه مسلم، وقد تقدم أول المسألة.

(٣) الحجة في بيان المحجة (٥١٤، ٥١٥).

قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن قول أهل السنة: أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة وأنه يحتجب عن الكفار والمشركين فلا يرونه... وساق الأدلة كما تقدم من الكتاب والسنة[(١)].

قال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإيمان بالرؤية يوم القيامة يرون الله بأبصار رؤسهم، وهو يحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان[(٢)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ثنايا كلام عن الرؤية: رؤية الله بالأبصار هي للمؤمنين في الجنة، وهي أيضًا للناس في عرصات القيامة، كما تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ... وساق الأحاديث كما تقدم[(٣)].

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ويشهد أهل السنة: أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم، وينظرون إليه، على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ في قوله: «**إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ**»[(٤)].

والتشبيه وقع للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي[(٥)].

قال أبو سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر الآيات والأحاديث كما تقدم أول المسألة:

فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية على تصديقها والإيمان بها، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون

---

(١) أصول السنة ص (١٢٠).
(٢) شرح السنة ص (٤٢).
(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩١).
(٤) **صحيح**: تقدم تخريجه.
(٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٦٣- ٢٦٤).

قديمًا وحديثًا يرْوونها، ويؤمنون بها، ولا يستنكرونها، ولا ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال.

بل كان من أكبر رجائهم، وأجزل ثواب الله في أنفسهم، النظر إلى وجه خالقهم، حتى ما يعدلون به شيئًا من نعيم الجنة[(١)].

أقوال العلماء في رؤية الكفار لله تعالى يوم القيامة:

للعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال، ذكرها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي كما قال:

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر ولا المسرّ له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد، وغيرهم.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغيرهم من أهل الكتاب، وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين، فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة، وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه - سبحانه وتعالى - لهم في الموقف، الحديث المشهور.

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب -كاللص إذا رأى السلطان- ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه، وقول غيرهم، وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل، وأبي سهل بن عبد الله التستري... وساق أدلة كل فريق.

---

(١) الرد على الجهمية ص (١١٣).

أحمر أسود (٦٥٨)

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: والعمدة قوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ فإنه يعم حجبهم عن ربهم في جميع ذلك اليوم، وذلك اليوم ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين] وهو يوم القيامة، فلو قيل: إنه يحجبهم في حال دون حال لكان تخصيصًا للفظ بغير موجب، ولكان فيه تسوية بينهم وبين المؤمنين، فإن الرؤية لا تكون دائمة للمؤمنين، والكلام خرج مخرج بيان عقوبتهم بالحجب وجزائهم به، فلا يجوز أن يساويهم بالمؤمنين في عقاب ولا جزاء سواء، فعلم أن الكافر محجوب على الإطلاق بخلاف المؤمن، وإذا كانوا في عرصة القيامة محجوبين فمعلوم أنهم في النار أعظم حجبًا، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢﴾ [الإسراء] قال: ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه] وإطلاق وصفهم بالعمى ينافي الرؤية التي هي أفضل أنواع الرؤية[(١)].

قوله: «... والْمُكَذِّبِ».

«يحجب أيضًا عن «المكذب» برؤيته وتكليمه لعباده المتقين، وكما أشار الإمام عبد الله بن المبارك في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ [المطففين]، قال: بالرؤية كما ذكره ابن أبي الدنيا»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٨، ٥٠٢) باختصار.

(٢) لوامع الأنوار (٢/ ٢٦١).

الباب الخامس

في ذكر النبوة ومتعلقاتها

أحمر أسود (٦٦٠)

ذكر النبوة ومتعلقاتها

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٣٠ - ومـن عَظِـيم منَّـةِ السـلامِ	ولطفـــــهِ بســـــائر الأنـــــامِ
١٣١ - أن أرشَد الخلق إلى الوصولِ	مبينًـــا للحـــقِّ بالرســـولِ

الشرح

المَنُّ لغة: قال الزجاج: جملة المنُّ في اللغة، ما يَمُنُّ الله عز وجل به مما لا تعب فيه ولا نصب(١).

أي: أن من عظيم منن وإحسان الله «السلام» وهو من أسمائه تعالى، ومعناه: ذو السلامة من كل عيب ونقص(٢)، فله الكمال في الأسماء والصفات والأفعال والأقوال.

و«لطفه»:

أي رفقه ورحمته «بسائر الأنام» أي: بجميع الخلق، «أن أرشد» أي: هدى ودل «الخلق» والمقصود الخلق المكلف وهما الثقلين الإنس والجن «إلى الوصول» أي إلى معرفته وعبادته وتوحيده.

قوله: «مبينًا للحقِّ»:

أي: مظهرًا وموضحًا لمنهج الحق، بالرسول ﷺ، وإرسال الرسل أمر ضروري للعباد، لا غناء لهم عنه في معاشهم ومعادهم، وحاجتهم إليه فوق

---

(١) اللسان (٨/ ٣٧٧).

(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ٤٥).

أحمر أسود (٦٦٢)

حاجتهم إلى الطعام والشراب، فهم روح العالم وحياته وهم حجة الله على عباده.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء]، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء].

ويجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وتصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع على ألسنتهم. قاله «ابن قاسم».

ثم قال صاحب النظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٣٢- وشرطُ من أُكرمَ بالنبوةِ حريةٌ ذكورةٌ كقوةٍ

١٣٣- ولا تُنالَ رتبةُ النبوةِ بالكسبِ والتهذيبِ والفتوة

١٣٤-لكنها فضلٌ من المولى الأجلْ لمن يَشا من خلقهِ إلى الأجلْ

الشرح

والنبوة لها شروط، وقد بين المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيئًا منها، فقال: «وشرط من أكرم بالنبوة حرية» شرط: مبتدأ، حرية: خبره، من أكرم: أي من أكرمه الله وفضله بالنبوة: أي بالرسالة، فالرسالة إذًا إكرام من الله تعالى للعبد، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومن المعلوم أن أعلى أصناف بني آدم هم الرسل عليهم الصلاة والسلام، فالرسالة كرامة من الله عز وجل، سواء تمكن الرسول من بث رسالته وانتفع به الخلق أم لم يتمكن، فإن الرسول ﷺ رأى الأنبياء، رأى النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد، وكلهم مكرمون لكن لا شك أن مَنْ مَنَّ الله عليهم بكثرة الأتباع أعظم إكرامًا ممن دون ذلك.

وقوله: «وشرط من أكرم بالنبوة حرية..»:

شروط النبوة:

الشرط الأول: ذكره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «حرية» يعني شرطه أن يكون حرًّا لا رقيقًا، والرقيق هو المملوك، والعبد الذي يُباع ويشترى، فهذا لا يكون نبيًّا ولا رسولًا، وذلك لأن الرق وصف نازل عن الحرية فالرقيق مملوك يملكه سيده، يباع ويشترى، ويستخدم فلا يمكن أن يكون هذا قائدًا، لأنه هو نفسه مقود، فكيف يكون قائدًا، إذًا لابد أن يكون النبي حرًّا..

الشرط الثاني: قال: «ذكورة» فالنساء ليس منهن رسول، لأنهن لسن أهلًا لتحمل هذه القيادة العظيمة، وإذا كان الرسول ﷺ قال: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**»[1].

ولو بالانتخاب، فإذا انتخبوا امرأة فإنهم لن يفلحوا، فكيف يمكن أن تكون امرأة رسولًا؟ ثم لو قدر أنها صارت نبيًّا والنبي هو الذي يصلي بقومه، فإذا جاءها الحيض فلن تصلي؛ إذًا فلا يصح إطلاقًا أن تكون نبيًّا، لكن يصح أن تكون عالمًا، وهذا هو الدليل العقلي.

أما الدليل السمعي: فلقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾ [الأنبياء: ٧] فأخبر تعالى أنه لا يرسل إلا رجالًا، لا ملائكة، ولا إناثًا.

فإن قال قائل: إن هناك أقوامًا ولّوا أمرهم نساء وأفلحوا فما الجواب عن ذلك؟

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٥) كتاب المغازي.

فالجواب عنه من أحد وجوه:

الوجه الأول: إما أن يراد بقول النبي ﷺ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**» يعني أولئك القوم، فيكون خاصًّا، وإذا كان خاصًّا لم يكن إشكال.

الوجه الثاني: أن تقول: إن هؤلاء النساء لن يتولين الأمر على وجه الإطلاق، بل الذي يدبر الأمر غيرهن، لكن لهن الرئاسة اسمًا لا حقيقة.

الوجه الثالث: أن يُقال: هؤلاء القوم لو أنهم ولُّوا رجلًا لكان أفلح لهم، ويكون المراد بالنفي: لن يفلح قوم نفي الفلاح التام، فيقال: هؤلاء القوم لو أنهم ولّوا رجلًا لكان أفلح لهم.

الوجه الرابع: أن يقال: إن قول النبي ﷺ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ**» هذا بناء على الأغلب والأكثر، وإلا فقد يفلحوا.

فهذه أربعة أوجه في الجواب، عن هذا الحديث والله أعلم.

والشرط الثالث: قال: «كقوة» يعني أن يكون عنده قدرة وقوة على إبلاغ الرسالة فالقوة والطاقة والجمع قوى، فلا يمكن أن يكون أصم، ولا يمكن أن يكون أبكم لا يتكلم، ولا يمكن أن يكون منهك القوى البدنية، بل لا بد أن يكون عنده قوة، لأن إرسال من ليس ذا قوة عبث يُنزه الله عنه، فلا بد أن يكون النبي ذا عقل صحيح، وفهم رجيح، وعلم الأمور الدينية، حسن الخَلْقِ والخُلُق ليسهل عليه تحمل الخلق في مخالطاتهم وتعليمهم لأمور الديانة، فإن الأنبياء منزهون عن جميع الرذائل من البخل والجبن واللهو واللغو وسائر الأخلاق الذميمة[1].

(١) «لوامع الأنوار البهية» (٢ / ٢٦٦).

ولا يشترط أن يكون ذا سيادة في قومه، لكن في الغالب أنه يكون ذا سيادة في قومه، لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ [هود: ٩١] وهذا هو الغالب، وقد لا يكون ذا شرف في قومه وسيادة، لقول لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝٨٠﴾ [هود] كقبيلة مانعة، لمنعتكم، وهذا بحسب الأسباب المحسوسة، وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان وهو الله، الذي لا يقوم لقوته أحد، ولهذا لما بلغ الأمر منتهاه واشتد الكرب[١].

وقوله:

«ولا تَنالُ رتبةُ النبوةِ بالكسبِ والتهذيبِ والفتوة»

بضم أوله، أي: لم تُعط «رتبة» نائب فاعل، والرتبة: المنزلة «النبوة» وكذا الرسالة «بالكسب» والجد والاجتهاد وتكلف أنواع العبادات وتهذيب النفوس.

«و» لا تنال بـ «التهذيب» أي: تنقية البدن وتصفية الأخلاق من الرذائل، والاتصاف بالفضائل، «و» لا تنال بـ «الفتوة» التي هي كرم النفس، وتخليصها من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف الممدوحة، قاله ابن مانع.

وقوله:

«لكنها فضلُ من المولى الأجل لمن يشا من خلقهِ إلى الأجل»

أي: لكن النبوة وكذا الرسالة فضلٌ من المولى الأجل سبحانه وتعالى، يؤتيه لمن يشاء، أي: يكرم بالنبوة من خلقه من اصطفاه لها: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٨٦).

حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فلا يبلغها أحد بعلمه، ولا يستحقها بكسبه، ولا ينالها عن استعداد ولايته.

ومن زعم أنها مكتسبة فهو زنديق مخالف للكتاب والسنة لأن مقتضى كلامه أنها باقية لا تنقطع، وهو خلاف ما دلنا عليه نبينا ﷺ، فإن محمدًا ﷺ خاتم النبيين.

«إلى الأجل» أي: أن النبوة فضل من الله يمن بها على من يشاء، وكان ذلك ممتدًّا من آدم إلى أن بعث الله خاتم النبيين محمدًا ﷺ. قاله ابن قاسم.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣٥- ولم تزل فيما مضى الأنباءُ   من فضلهِ تأتي لمن يشاء

١٣٦-حتى أتى بـ الخاتم الذي ختم   به وأعلانا على كلّ الأمم

الشرح

ولم تزل الأنباء-أى:الأنبياء- في الزمن الذي مضى من الأزمان، من فضل الله ولطفه، تأتي بإبلاغ الشرائع، وإيضاح السبل لمن يشاء من الأمم الماضية، والقرون الخالية، فلم تخل الأرض من داع يدعو إلى الله، من لدن آدم إلى أن بعث محمدًا ﷺ الذي ختم به النبيين والمرسلين، وأكمل به الدين قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وفي الصحيحين عنه قال: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»[(١)] فلا نبي بعده ﷺ.

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى»[(٢)].

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥) ومسلم (٢٢٨٦) وغيرهما، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٤٩-٢٧٦٧).
(٣) أخرجه مسلم (٥١-٢٧٦٧).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أما رواية (يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب) فمعناه: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم، ويضع علي اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم، فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولابد من هذا التأويل لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.. لكن لما أسقط سبحانه وتعالى عن المسلمين سيئاتهم وأبقى على الكفار سيئاتهم، صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين لكونهم حملوا الإثم الباقي، وهو إثمهم.

ويحتمل أن يكون المراد أثامًا كان الكفار سبب فيها، بأنهم سنَّوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى، ويوضع على الكفار مثلها، لكونهم سنوها، ومن سن سنة سيئة كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها، والله أعلم(١).

«وأعلانا» أي: معشر أمة هذا النبي الكريم على كل الأمم الماضية قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال سبحانه ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: عدلًا خيارًا، وجُعل علماؤهم كأنبياء بني إسرائيل يحفظون ما أتى به هذا النبي الكريم ويبلغونه أمته، تقوم بهم حجة الله على خلقه، وفي الصحيحين: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**»(٢).

---

(١) مسلم بشرح النووي (٩/ ٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٠) وغيره.

وفي الصّحيحين: «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١) وفيهما أيضًا: «**أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟**»، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟**» فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(٢).

وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته وهم أسبق الأمم خروجًا من الأرض، وإلى ظل العرش، وإلى القضاء، والجواز على الصراط، وعنه ﷺ: «**أَنْتُمْ مُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ**»(٣) صحّحه أحمد وغيره، قاله ابن قاسم.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧٦) ومسلم (٨٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٠١)، وأحمد في المسند (٥/ ٣)، والحاكم (٦٩٨٧)، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٠١).

فصل

في التنبيه على بعض خصائصه وهي كثيرة جدًّا

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٣٧- وخصَّه بذاكَ كالمقامِ وبعثه لسائرِ الأنامِ

١٣٨- ومَعجز القرآنِ كالمعراجِ حقًّا بلا مينٍ ولا اعوجاجِ

١٣٩- فكم حباه ربُّهُ وفضَّلَه وخصَّهُ سبحانهُ وخوَّلَه

الشرح

أي: خصه الله تعالى دون سائر الأنبياء والمرسلين «بذاك» أي: بكونه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وقال ﷺ: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»(١) وقد سبق بيان أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان لا ينافي أنه ﷺ خاتم النبيين، لأن عيسى لا يحكم إلا بشريعته ولا يقبل إلا الإسلام، وقد سبق بيان ذلك(٢).

ومما خص الله تعالى به نبينا ﷺ المقام المحمود، وهي الشفاعة العظمى، كما قال جمهور أهل العلم.

وقوله: «وبعثه لسائر الأنام...»:

وهذا من خصائصه ﷺ أن الله تعالى بعثه للثقلين المكلفين الإنس

---

(١) متفق عليه: تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) راجع شرح البيت الثامن بعد المائة.

والجن، وكان النبي يرسل إلى قومه خاصة، ولكن رسول الله ﷺ بعثه الله للناس عامة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة:١١٩]، وقال سبحانه ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وكما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان في صحيحيهما أن رسول الله ﷺ قال: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»(١).

وقوله: «ومعجز القرآن كالمعراج...».

أي: أن الله جل في علاه خص نبينا ﷺ بالقرآن، والقرآن معجز، فالعرب أهل فصاحة وبلاغة ومع هذا فقد تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور من مثله، أو حتى بأقصر سورة منه، فعجزوا، قال الله عز وجل: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨ ﴾ [الإسراء] وقوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ [هود: ١٣] وقوله: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالقرآن العظيم معجزة من وجوه كثيرة من فصاحته، وبلاغته، ونظمه، وتراكيبه، وأساليبه، وما تضمنه من الإخبار بالغيوب

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨) ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

الماضيـة والمسـتقبلة، ومـا اشـتمل عليـه مـن الأحكـام المحكمـة الجليـة، فالتحدِّي ببلاغة ألفاظه يخص فصحاء العرب، والتحدِّي بما اشتمل عليه من المعاني الصحيحة الكاملة- وهي أعظم في التحدي عند كثير من العلماء- يعم جميع أهل الأرض من الملتين- أهل الكتابين- وغيرهم من عقلاء اليونان والهند والفرس والقبط وغيرهم من أصناف بني آدم في سائر الأقطار والأعصار[١].

فائدة:

معجزات الأنبياء الأفضل أن تسمى بالآيات كما ذكر الله تعالى[٢].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: لكن هنا ملاحظة على قول المؤلف: (ومعجز القرآن) هذا من باب إضافة الصفة إلى موصوفها لأن المعنى: والقرآن المعجز، وكان ينبغي له ألا يُعبر عن آيات الأنبياء بالإعجاز لأن الإعجاز ليس من خصائص الأنبياء، فإن الساحر يُعجز والبهلواني يعجز، فلما كان اللفظ مشتركًا بين الحق والباطل كان الأولى أن نأتي بلفظ يتعين فيه الحق، وهو ما نطق الله به، وهو (الآيات) كما قال الله تعالى في القرآن ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. فالأولى أن يقول: آيات القرآن بدل: معجزات القرآن، والأولى في جميع ما يسمى بمعجزات الأنبياء أن نسميه آيات الأنبياء...»[٣].

ولا يجوز أن ننكر على من سمى آيات الأنبياء بمعجزات الأنبياء، فقد

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ١٧٦).

(٢) راجع: النبوات لابن تيمية (ص: ١٣) وما بعدها.

(٣) شرح السفارينية (ص: ٥٥٥).

استعمل السلف يرحمهم الله لفظة المعجزة وهذا واضح باستقراء كتبهم، وابن تيمية استعمل لفظ المعجزة، ولكن الأولى قول آيات بدل معجزات، والله أعلم.

وقوله: «كالمعراج»:

عرج: عَرَجَ في الدرجة والسُلّم يعرُج عروجًا إذا ارتقى.

والمعراج: السلم، ومنه ليلة المعراج، والجمع معارج ومعاريج، مثل مفتاح ومفاتيح(١).

ولذلك قال كالمعراج حقًّا ثابتًا بلا امتراء ولا كذب ولا ريب واعوجاج.

فمن خصائص الرسول ﷺ أنه عُرج به إلى السماء السابعة إلى أن بلغ سدرة المنتهى، ووصل إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، فكان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء]. وقال جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم].

وعن جابر بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قال: سَمِعتُ رسُولَ الله ﷺ يقول: «**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلاَ اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**»(٢).

---

(١) الصحاح (ص:٦٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٦) ومسلم (١٧٠).

وعَـنْ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ، عَـنْ مَالِـكِ بْـنِ صَعْصَـعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَبِـيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: «**بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ**، - وَرُبَّمَا قَالَ: **فِي الحِجْرِ** - **مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ**، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: **فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَـذِهِ** - فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - **فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُـمَّ حُشِيَ ثُـمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ، وَفَوْقَ الحِمَارِ أَبْيَضَ**، - فَقَالَ لَهُ الجَارُودُ: هُوَ البُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ - **يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟**

قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ،

وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»(١).

ومن الأهمية بمكان ذكر مباحث تتعلق بهذه المسألة.

المبحث الأول: إثبات أن الإسراء والمعراج وقعا مرة واحدة في ليلة واحدة في اليقظة بروح وجسد النبي ﷺ:

اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة: فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعًا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤) واللفظ للبخاري.

بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل...

وقال بعض المتأخرين: كانت قصة الإسراء في ليلة والمعراج في ليلة متمسكًا بما ورد في حديث أنس من رواية شريك من ترك ذكر الإسراء، وكذا ظاهر حديث مالك بن صعصعة هذا، ولكن ذلك لا يستلزم التعدد بل هو محمول على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر...

وذهب بعضهم إلى أن الإسراء كان في اليقظة والمعراج كان في المنام أو أن الاختلاف في كونه يقظة أو منامًا خاص بالمعراج، لا بالإسراء... ويؤيد وقوع المعراج عقب الإسراء في ليلة واحدة، رواية ثابت عن أنس عند مسلم، ففي أوله: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ**» فذكر القصة إلى أن قال: «**ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**»[(١)].

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند ابن إسْحَاقَ: «**لَمَّا فَرَغْتُ مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أُتِيَ بِالْمِعْرَاجِ**»، فذكر الحديث[(٢)].

ووقع في أول حديث مالك بن صعصعة أنّ النبي ﷺ حدّثهم عن ليلة أسري به، فذكر الحديث، فهو وإن لم يكن فيه الإسراء إلى بيت المقدس فقد أشار إليه وصرح به في روايته، فهو المعتمد، قاله الحافظ ابن حجر[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٢).

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٤٠٣).

(٣) فتح الباري (٧/ ٢٣٧، ٢٣٨) باختصار.

قال في موضع أخر رَحِمَهُ اللَّهُ: بل أُسري بجسده وروحه، وعرج بهما حقيقة في اليقظة لا منامًا ولا استغراقًا[١].

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: ومما خص الله عز وجل به النبي ﷺ مما أكرمه به وعظم شأنه زيادة منه له في الكرامة، أنه أسري بمحمد ﷺ بجسده وعقله حتى وصل إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماوات فرأى من آيات ربه الكبرى، رأى ملائكة ربه عز وجل، ورأى إخوانه من الأنبياء، حتى مولاه الكريم، فأكرمه بأعظم الكرامات وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات، وذلك بمكة في ليلة واحدة... وساق الأدلة من الكتاب والسنة كما تقدم[٢].

قال الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: قال بعض العلماء: قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، سبحان ههنا للتعجب؛ فوجب أن يحمل على ما هو أعجب، ولو كان عرج بروحه دون بدنه لم يكن فيه كبير عجب، لأن الرجل قد يرى في منامه أنه عرج به إلى السماء، فإذا أخبر به لم يتعجب منه، ولم يُنسب إلى الكذب.

وقال أبو حامد المقري رَحِمَهُ اللَّهُ: لو كان ذلك في النوم لما كان دلالة على النبوة، إذ مثل ذلك جائز على غير الأنبياء أن يروها في النوم ولا معنى لرد ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) فتح الباري (٨/ ٤٧٥).

(٢) الشريعة (٣٧٧).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢٦٣).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكره أقوال العلماء في المسألة: والحق من هذا والصحيح- إن شاء الله- أنه أسراء بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدلّ الآية وصحيح الأخبار والاعتبار، ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة، إذ لو كان منامًا لقال: بروح عبده ولم يقل: «بعبده» وقوله تعالى: ﴿مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم] لو كان منامًا لما كانت فيه آية ومعجزة، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه[(١)].

وهذا ما رجّحه أكثر العلماء منهم ابن كثير[(٢)] وابن القيم[(٣)] وغيرهما من المحققين من أهل السنة والجماعة، أن الإسراء والمعراج كان مرة واحدة في ليلة واحدة بجسد وروح النبي ﷺ، والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني: هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج؟

اعتقاد أهل السنة والجماعة قاطبة أن أحدًا من المؤمنين لن يرى الله في الدنيا، وحجتهم قول موسى عليه السلام كما في القرآن: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: في معنى (لن) أنها لنفي التأبيد في الدنيا، جمعًا بين هذه الآية وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة[(٤)]، انتهى.

---

(١) الشفا للقاضي عياض (١/ ١٢٤).
(٢) راجع: تفسير ابن كثير (٢/ ٦٢٣، ٦٢٤).
(٣) راجع: زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٣٩).
(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٦).

وعن ابن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ**»(١).

أما هذه المسألة ففيها نزاع بين السلف، فذهبت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ومَن وافقها أنَّ النبي ﷺ لم يَرَ الله ليلة المعراج، وحُجَّتهم في ذلك حديث أبي ذَرٍّ أنه قال: سَألتُ رَسُولَ الله ﷺ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»(٢).

وفي رواية: «**رَأَيْتُ نُورًا**»(٣).

و عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهْ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ، مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام]، ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ [الشورى: ٥١].

وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا**﴾ [لقمان: ٣٤]. وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾ [المائدة: ٦٧] الآيَةَ وَلَكِنَّهُ «**رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ**»(٤).

وفي رواية، قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣١) وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨) وغيره من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٢-١٧٨) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٥٥) ومسلم (١٧٧).

قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ»[(١)].

وفي رواية: عن مَسْرُوقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم] قَالَتْ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ المَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الأُفُقَ»[(٢)].

ومذهب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومَن وافقه أنَّ النبي ﷺ رأى رَبَّه ليلة المعراج، وحُجَّتهم في ذلك، قول ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَالْكَلَامُ لِمُوسَى، وَالرُّؤْيَةُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ»[(٣)].

وعن عِكْرِمَةَ: سُئِلَ ابنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ قال: «نَعَمْ»[(٤)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾ [النجم]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ [النجم] قال: «رَآهُ بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٤) ومسلم (١٧٧) مطولًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٥) ومسلم (١٧٧).

(٣) أخرجه ابن خزيمة (٢٧٢)، والآجرى (ص:٤٩١)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» (١٤٥)، واللالكائي (٩٠٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٣٣، ٢/ ٣٠٩، ٥٠٩)، قال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.
وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٦٠٨): أخرجه النسائي بإسناد صحيح. وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٤٢). وصححه الألباني.

(٤) سنن الترمذي (٣٢٧٩) وابن خزيمة في التوحيد (٢٧٣) واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٩٢٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٣٧). وصححه الألباني.

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٥-١٧٦).

وثم قول ثالث: هو التوقف عن القطع بالنفي أو الإثبات في هذه المسألة، وقد رجح هذا جماعة منهم القرطبي في المفهم شرح مسلم[(١)].

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال النووي: قال صاحب التحرير رَحِمَهُ اللَّهُ: والحجج في هذه المسألة وإن كانت كثيرة لكنا لا نتمسك إلا بالأقوى منها، وهو حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.... وساق الأحاديث عن ابن عباس كما تقدم، ثم قال والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة، والمرجوع إليه في المعضلات، وقد راجعه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذه المسألة، وراسله هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فأخبره أنه رآه، ولا يقدح في هذا حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول: لم أر ربي، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ ولقول الله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾.

والصحابي إذا قال قولًا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة، وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية، وجب المصير إلى إثباتها، فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن، وإنما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد، وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس، ثم إنّ ابن عباس أثبت شيئًا نفاه غيره، والمثبت مقدَّم

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٢٧٠).

على النافي[١].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر خلاف العلماء: فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء: أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء، لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ﷺ، هذا مما لا ينبغي أن يُتشكك فيه، ثم إن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ ولو كان معها فيه حديث لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات[٢].

قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بعد أن ذكر حديث عائشة المتقدم وغيره-: أكثر ما في هذا أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وأبا ذر، وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وأنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد اختلفوا: هل رأى النبي ﷺ ربه؟ فقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: لم ير النبي ﷺ ربه، وقال أبو ذر، وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: قد رأى النبي ﷺ ربه، وقد أعلمت في مواضع في كتبنا أن النفي لا يوجب علمًا، والإثبات هو الذي يوجب العلم، لم تحكِ عائشة عن النبي ﷺ أنه أخبرها أنه لم ير ربه- عز وجل- وإنما تلت قوله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقوله: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١] ومن تدبر هاتين الآيتين وفق لإدراك الصواب، علم أنه ليس في واحدة من الآيتين ما يستحق رمي من قال: «إن محمدًا رأى ربه» بالفرية على الله، فكيف بأن يقول: قد

(١) انظر شرح مسلم للنووي (٢/ ١٠، ١١).
(٢) المصدر السابق.

أعظم الفرية على الله؟...

إلى أن قال: فقد ثبت عن ابن عباس إثباته أن النبي ﷺ قد رأى ربه، وبيقين يعلم كل عالم أن هذا من الجنس الذي لا يدرك بالعقول، والآراء والجنان والظنون، ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة، إما بكتاب أو بقول نبي مصطفى، ولا أظن أحدًا من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس قال: رأى النبي ﷺ ربه برأي وظن، لا ولا أبو ذر، لا ولا أنس بن مالك، نقول كما قال معمر بن راشد لما ذكر اختلاف عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذه المسألة: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس، نقول: عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله عالمة، فقيهة، كذلك ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ابن عم النبي ﷺ قد دعا النبي ﷺ له أن يرزق الحكمة، وهذا المعنى من الدعاء، وهو المسمى بترجمان القرآن[1].

ومن كان الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأله عن بعض معاني القرآن، فقبل منه وإن خالفه غيره ممن هو أكبر سنًّا منه، وأقدم صحبة للنبي ﷺ وإذا اختلفا فمحال أن يقال: قد أعظم ابن عباس الفرية على الله، لأنه قد أثبت شيئًا نفته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والعلماء لا يطلقون هذه اللفظة وإن غلط بعض العلماء في معنى آية من كتاب الله أو خالف سنة أو سننًا من سنن النبي ﷺ التي لم تبلغه، فكيف يجوز أن يقال: أعظم الفرية على الله من يثبت شيئًا لم ينفه

---

(١) روي عن النبي ﷺ أنه دعا لابن عباس فقال: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ**» رواه البخاري (٧٥)، وبلفظ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» البخاري (١٤٣)، وبلفظ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ**» البخاري (٣٧٥٦).

كتاب ولا سنة فتفهموا هذا، لا تغالطوا...

وقد كنت قديمًا أقول: لو أن عائشة حكت عن النبي ﷺ ما كانت تعتقد في هذه المسألة أن النبي ﷺ لم ير ربه جل وعلا وأن النبي ﷺ أعلمها ذلك، وذكر ابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك، وأبو ذر عن النبي أنه رأى ربه، لعلم كل عالم يفهم هذه الصناعة أن الواجب من طريق العلم والفقه قبول قول من روى عن النبي ﷺ أنه رأى ربه، إذ غير جائز أن تكون عائشة سمعت النبي ﷺ يقول: لم أر ربي، قبل أن يرى ربه – عز وجل – ثم تسمع غيرها يثبت أن النبي ﷺ قد رأى ربه بعد رؤيته ربه، فيكون الواجب من طريق العلم قبول خبر من أخبر أن النبي ﷺ رأى ربه(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد اختلف السلف في رؤية النبي ﷺ ربه، فذهبت عائشة وابن مسعود إلى إنكارها، واختلف عن أبي ذر، وذهب جماعة إلى إثباتها، وحكى عبد الرزاق عن معمر، عن الحسن أنه حلف أن محمدًا رأى ربه، وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها، وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الأحبار والزهري وصاحبه معمر وآخرون، وهو قول الأشعري وغالب أتباعه.

ثم اختلفوا هل رآه بعينه أو بقلبه؟ وعن أحمد كالقولين.

قلت: جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها، فمن ذلك ما أخرجه النسائي بإسناد صحيح وصحّحه الحاكم أيضًا من طريق عِكْرِمَةَ عن ابن عبَّاس، قال: أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ

(١) التوحيد لابن خزيمة (١٨٨-١٩٠) باختصار.

الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَالْكَلَامُ لِمُوسَى، وَالرُّؤْيَةُ لِمُحَمَّدٍ[(١)].

وأخرجه ابن خزيمة بلفظ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ، وَاصْطَفَى مُوسَى بِالْكَلَامِ، وَاصْطَفَى مُحَمَّدًا بِالرُّؤْيَةِ»[(٢)].

وأخرج ابن إسْحَاق من طريق عَبْد الله بن أبي سَلمَة أنَّ ابن عُمَر أرْسَلَ إلى ابن عَبَّاس: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فأرْسَلَ إليه أنْ «نَعَم»[(٣)].

ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ قال: «رَأَى رَبَّه بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»[(٤)].

وله من طريق ابن عباس قال: «رَآهُ بِقَلْبِهِ»[(٥)].

وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عَطَاء أيضًا عن ابْنِ عَبَّاسٍ، قال: «لَمْ يَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبَّهُ بِعَيْنَيْهِ، إِنَّمَا رَآهُ بِقَلْبِهِ»[(٦)].

وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عبّاس، ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب، ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم؛ لأنه ﷺ كان عالمًا بالله على الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت في قلبه

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) أخرجه مسلم (٢٨٤ - ١٧٦).
(٦) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٤٢١).

كما يخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلًا، ولو جرت العادة بخلقها في العين.

وروى ابن خُزيمة بإسنادٍ قويٍّ عن أنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ»(١).

وعند مسلم من حديث أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سَألَ النبي ﷺ عَن ذلك فقال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»(٢).

ولمسلم أيضًا عنه، قال: «رَأَيْتُ نُورًا»(٣).

ولابن خزيمة عنه قال: «رَآهُ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ»(٤).

وبهذا يتبين مراد أبي ذر بذكره النور أي النور حال بين رؤيته له ببصره.

وقد رجح القرطبي في «المفهم» قول الوقف في هذه المسألة، وعزاه لجماعة من المحققين، وقوَّاه بأنه ليس في الباب دليل قاطع، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل، قال: وليست المسألة من العمليات فيكتفي فيها بالأدلة الظنية، وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها إلا بالدليل القطعي.

وجنح ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» إلى ترجيح الإثبات، وأطنب في الاستدلال له بما يطول ذكره، وحمل ما ورد عن ابن عباس على أن الرؤيا وقعت مرتين مرة بعينه ومرة بقلبه، وفيما أوردته من ذلك مقنع.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٨٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد رقم (٣١٠).

ومن أثبت الرؤية لنبينا ﷺ الإمام أحمد، فروى الخلال في «كتاب السنة» عن المروزي: قلت لأحمد: إنهم يقولون إنّ عائشة قالت: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ»(١)، فبأي شيء يدفع قولها؟ قال: بقول رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي»، قول رسول الله ﷺ أكبر من قولها.

وقد أنكر صاحب «الهدي» على من زعم أن أحمد قال: رأى ربه بعين رأسه، قال: وإنما قال مرة: رأى محمد ربه، وقال مرة: بفؤاده.

وحكى عنه بعض المتأخرين: رآه بعيني رأسه، وهذا من تصرف الحاكي، فإن نصوصه موجودة(٢).

قال شمس الدين ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: سمعت شيخ الإسلام أحمد بن تيمية يقول في قوله ﷺ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»(٣) معناه: كان ثَمَّ نور، وحال دون رؤيته نور فأنى أراه؟ قال: ويدل عليه أنّ في بعض ألفاظ الصحيح: هل رأيت ربك؟ فقال: «رَأَيْتُ نُورًا»(٤).

وقد أعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس، حتى صحّفه بعضهم، فقال: «نورًا إني أراه» على أنها ياء النسب، والكلمة كلمة واحدة، وهذا خطأ لفظًا ومعنى، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله ﷺ رأى ربه وكان قوله: «أَنَّى أَرَاهُ» كالإنكار للرؤية،

---

(١) **صحيح**: تقدم تخريجه.
(٢) فتح الباري (٨/ ٤٧٤-٤٧٥).
(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه.
(٤) **صحيح**: تقدم تخريجه.

حاروا في الحديث، ورده بعضهم باضطراب لفظه، وكل هذا عدول عن موجب الدليل.

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه «الرد» له[(١)] إجماع الصحابة على أنه ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس من ذلك، وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة فإن ابن عباس لم يقل: رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين، حيث قال: إنه رآه، لم يقل: بعيني رأسه، ولفظ أحمد كلفظ ابن عباس.

ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر: قوله ﷺ في الحديث الآخر: «**حِجَابُهُ النُّورُ**»[(٢)] فهذا النور هو -والله أعلم- النور المذكور في حديث أبي ذر: «**رَأَيْتُ نُورًا**»[(٣)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الرؤية، فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: «رَأَى مُحَمَّد رَبَّه بِفُؤَادِهِ مَرَّتَيْنِ»[(٤)] وعائشة أنكرت الرؤية، فمن الناس مَن جمع بينهما، فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد.

والألفاظ الثابتة عن ابن عبّاس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول: رآه محمد، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ

---

(١) هو كتاب: «نقض الدارمي على بشر المريسي» (١٦٦، ١٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩) وغيره من حديث أبي موسى الأشعري.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص (١٢- ١٣)، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٥٠٨، ٥٠٩)، وزاد المعاد (٣/ ٣٥).

(٤) **صحيح**: تقدم تخريجه.

صريح بأنه رآه بعينه.

وكذلك الإمام أحمد، تارة يطلق الرؤية، وتارة يقول: رآه بفؤاده، ولم يقل أحد: إنه سمع أحمد يقول: رآه بعينه، لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين، كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهموا منه رؤية العين.

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل، كما في صحيح مسلم عن أَبِي ذَرٍّ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فقال: «نُورٌ، أَنَّى أَرَاهُ»(١).

وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء] ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

وكذلك قوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫﴾، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ⑱﴾ [النجم] ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ»(٢)، وهذه «رؤيا الآيات»؛ لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج، فكان ذلك فتنة لهم؛ حيث صدقه قوم وكذبه قوم، ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه، وليس في شيء من أحاديث

(١) صحيح: تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٨٨) وغيره.

المعراج الثابتة ذكر ذلك، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر دونه[(١)] انتهى كلامه.

وهذا هو الراجح عندي، لموافقته نصوص الكتاب والسنة كما تقدم، والله تعالى أعلم وأعلى.

المبحث الثالث: متى كان الإسراء والمعراج؟

وهل يشرع الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج إن صح تعيين تاريخها؟

لم يرد حديث صحيح في تعيين ليلة الإسراء والمعراج، والذي اشتهر عند الناس أنها ليلة سبعة وعشرين من رجب لا يصح، أما الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، فهو من البدع المحدثة التي لم يأمر بها رسول الله ﷺ أمر إيجاب أو استحباب، ولم يحتفل بها الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعون لهم بإحسان.

قال القرطبي رحمه الله في معرض شرحه لسورة الإسراء: المسألة الثانية: في تاريخ الإسراء، وقد اختلف العلماء في ذلك على ابن شهاب، فروى عنه موسى بن عقبة أنه أُسري به إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بسنة وروى عنه يونس عن عروة عن عائشة قالت: تُوفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة.

قال ابن شهاب: وذلك بعد مبعث النبي ﷺ بسبعة أعوام، وروى عنه الوقاصي قال: أسري به بعد مبعثه بخمس سنين...

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٠، ٥١١).

وقال ابن إسحاق: أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس، وقد فشا الإسلام في مكة في القبائل.

وروى عنه يونس بن بكير، قال: صلت خديجة مع النبي ﷺ وسيأتي.

قال أبو عمر: وهذا يدلك على أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام، لأن خديجة توفيت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل: بثلاث، وقيل بأربع، وقول ابن إسحاق مخالف لقول ابن شهاب، على أن ابن شهاب قد اختلف عنه كما تقدم.

قال الحربي: أسري به ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة، وقال أبو بكر محمد بن علي بن القاسم الذهبي في تاريخه: أسري به من مكة إلى بيت المقدس، وعرج به إلى السماء بعد مبعثه بثمانية عشر شهرًا.

قال أبو عمر: لا أعلم أحدًا من أهل السير قال ما حكاه الذهبي، ولم يسند قوله إلى أحد ممن يضاف إليه هذا العلم منهم، ولا رفعه إلى من يحتج به عليهم[1].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ -في معرض ذكر أقوال أهل العلم في تاريخ ليلة الإسراء والمعراج-:

وقال الواقدي: ليلة سبعة عشر من ربيع الأول.

وقال الحربي: ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر.

وقال ابن قتيبة: بعد سنة ونصف من رجوعه من الطائف.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢١٥، ٢١٦).

وقال القاضي عياض: بعد البعثة بخمسة عشر شهرًا.

وقال ابن فارس: فلما أتت عليه إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسري به.

وعن السدى: كان قبل الهجرة بستة أشهر، حكاه عنه ابن سالم في «ناسخه».

وقال ابن الجوزي في «الوفا»: كان قبل الهجرة بثمانية أشهر، وقيل: كان ليلة سبع وعشرين من رجب.

وعند ابن الأثير: قبل الهجرة بثلاث سنين... وذكر أقوالًا أخر(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر جملة من أقوال العلماء في تاريخ الإسراء والمعراج ورده على من ادعى أنه كان قبل البعثة:

وأشبه هذه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق، إذ لم يختلفوا أن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صلت معه ﷺ بعد فرض الصلاة عليه، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة بمدة قيل: بثلاث سنين، وقيل: بخمس، ومنها أن العلماء مجمعون على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء. فكيف يكون هذا قبل أن يوحى إليه؟(٢).

وهل رأى النبي ﷺ الجنة والنار ليلة الإسراء والمعراج؟

نعم رأى رسول الله ﷺ الجنة ودخلها، ورأى النار، وأدلة ذلك أحاديث، نذكر منها:

حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد تقدّم أوّل المسألة بطوله، وفيه

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٩/ ٦٠، ٦١).

(٢) شرح مسلم للنووي (١/ ٤٩٥).

«ثُمَّ انْطَلَقَ جبريل حَتَّى أَتَى بِي سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ»، قال: «ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ[١] اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ»[٢].

وعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ»[٣].

وعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»[٤].

وقوله:

فكم حباه ربُّه وفضَّله ... وخصه سبحانه وخوَّله

الحباءُ لغة: العطاء[٥].

وخوّل: أي ملَّك، قال الجوهري: خول: الخائلُ: الحافظ للشيء، يُقال:

---

(١) جنابذ: فبالجيم المفتوحة وبعدها نون مفتوحة ثم ألف ثم باء موحدة ثم ذال معجمة وهي: القباب، واحدتها جنبذة، ووقع في كتاب الأنبياء من صحيح البخاري كذلك، ووقع في أول كتاب الصلاة منه (حبائل) بالحاء المهملة والباء الموحدة وآخره لام، قال الخطابي وغيره: هو تصحيف، والله أعلم - مسلم بشرح النووي (١/ ٥٠٢).

(٢) متفق عليه: تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨١).

(٤) سنن أبي داود (٤٨٧٨) ومسند أحمد (٣/ ٢٢٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٣٣).

(٥) الصحاح للجوهري (٢٠٣).

فلان يَخُولُ على أهله، أي يرعى عليهم، وخوَّلَهُ اللهُ الشيء، أي ملكه إياه[(١)].

يعني: ما أكثر ما أعطاه الله تبارك وتعالى لنبينا ﷺ وكرّمه وفضله وخصه بخصائص لم تكن لنبي قبله، منها ما ذكرناه في شرح الأبيات السابقة، ومنها ما سنذكره قريبًا بإذن الله تعالى، وقد صنّف العلماء كتبًا ذكروا فيها من خصائص وفضائل النبي ﷺ[(٢)].

---

(١) الصحاح (٣٢٣) مادة (خول).

(٢) «الشمائل المحمدية» للترمذي، و«زاد المعاد» لابن القيم، و«الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير، و«السيرة النبوية» لابن كثير، و«بداية السُّول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام، و«غاية السُّول في خصائص الرسول» لابن الملقن، و«دلائل النبوة» للبيهقي، وغيرها، وينبغي التنبيه على أن هذه الكتب وغيرها من كتب السيرة تحتاج إلى تحقيق الأخبار والآثار.

فصل

في التنبيه على بعض معجزاته ﷺ

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٠ - ومعجزات خاتم الأنبياء كثيرة تجلُّ عن إحصاءِ

١٤١ - منها كلامُ الله معجزُ الورى كذا انشقاقُ البدر من غير امترا

الشرح

المعجزة لغة: بفتح الجيم وكسرها، مفعلة من العجز: عدم القدرة، وفي الحديث: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ»(١).

والمعجزةُ: واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام(٢).

ومن معجزة النبي ﷺ ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة(٣).

قال ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ: المعجزة اسم فاعل، مأخوذة من العجز المقابل للقدرة، ومعجزة النبي: ما أعجز به الخصم عند التحدي (٤).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: يسميها النظار معجزات، وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك، وإذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود، من لفظ المعجزات ولم يكن لفظ المعجزات موجودًا في

---

(١) أخرجه مسلم (١٨ - ٢٦٥٥)، من حديث ابن عمر.

(٢) اللسان (٦/ ٩٧، ٩٨) مادة (عجز).

(٣) «القاموس المحيط» (ص: ٦٦٣).

(٤) شرح السفارينية لمجموعة من العلماء (ص:٧٣٥).

الكتاب ولا في السنة [(١)].

وقوله: كثيرة تجلُّ عن إحصاءِ:

أي: عن عدي وحفظي لكثرة أفرادها وتنوعها، من الأقوال والأفعال، التي ما سبقت لنبي من الأنبياء، ولم يبلغ أحد منهم ما بلغه ﷺ من أعلام نبوته، ولم يؤت أحد منهم آية أو فضيلة إلا وله ﷺ مثلها وزيادة، وهو دليل على مزيد التشريف والتكريم والاهتمام بشأنه[(٢)].

وقوله: منها كلامُ الله مُعجز الورى..

أي: من معجزات النبي ﷺ «القرآن» الذي هو كلام الله تبارك وتعالى سمعه جبريل من رب العالمين، وسمعه النبي ﷺ من جبريل، «معجز الورى» أي: معجز الخلق جميعًا، إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم أولهم وآخرهم، وقد سبق بيان أن الله جل في علاه تحدى الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثل القرآن، وأعجز العرب- أهل البلاغة- على أن يأتوا بعشر سور مثله أو بسورة واحدة كسور القرآن. فآيات الكتاب فيها من المعجزات ما لا يحصى.

مبحث: الفرق بين معجزات الأنبياء والسحر:

تقدم بيان معنى السحر لغة واصطلاحًا[(٣)]، وكذلك بيان معنى المعجزة، والفروق بينهما كبيرة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالسحر أمر معتاد في بني آدم، كما أن النبوة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤١٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع شرح البيت التاسع والثمانين.

معتادة فيهم، كما أن العقلاء معتادون في بني آدم، والمجانين معتادون فيهم... فإذا قالوا عن شخص: إنه مجنون فإنه يعلم هل هو من العقلاء أو من المجانين بنفس ما يقوله ويفعله، وكذلك يعرف هل هو من جنس الأنبياء أو من جنس السحرة..

فإذا أتى مدعي النبوة بالأمر الخارق للعادة الذي لا يكون إلا لنبي، لا يحصل مثله لساحر ولا كاهن، ولا غيرهما كان دليلًا على نبوته، وكل من الساحر والكاهن يستعين بالشياطين، فإن الكهان تنزل عليهم الشياطين تخبرهم، والسحرة تعلمهم الشياطين، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾ [البقرة].

والساحر: لا يتجاوز سحره الأمور المقدورة للشياطين كما تقدم بيانه، والساحر كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٦٩)﴾ [طه] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] فهم يعلمون أن السحر لا ينفع في الآخرة ولا يقرب إلى الله، وأن من اشتراه ما له في الآخرة من خلاق، فإن مبناه على الشرك والكذب والظلم، ومقصود صاحبه الظلم والفواحش..

وقد علم بصريح العقل مع ما تواتر عن الأنبياء أنهم حرموا الشرك، فمتى كان الرجل يأمر بالشرك وعبادة غير الله أو يستعين على مطالبه بهذا وبالكذب والفواحش والظلم علم قطعًا أنه من جنس السحرة لا من جنس الأنبياء.

وخوارق هذا يمكن معارضتها وإبطالها من بني جنسه، وغير جنسه، وخوارق الأنبياء لا يمكن غيرهم أن يعارضها، ولا يمكن أحدًا إبطالها، لا من جنسهم، ولا من غير جنسهم"[(١)].

وقال في موضع آخر رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد تقدم ذكر بعض الفروق بين آيات الأنبياء وغيرهم، وبينها وبين غيرها من الفروق ما لا يكاد يحصى.

الأول: أن النبي صادق فيما يُخبر به عن الكتب، لا يكذب قط، ومن خالفهم من السحرة والكهان، لابد أن يكذب كما قال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء].

الثاني: من جهة ما يأمر به هذا ويفعله، ومن جهة ما يأمر به هذا ويفعله فإن الأنبياء لا يأمرون إلا بالعدل وطلب الآخرة، وعبادة الله وحده، وأعمالهم البر والتقوى، ومخالفوهم: يأمرون بالشرك والظلم ويعظمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم والعدوان.

الثالث: أن السحر والكهانة ونحوهما: أمور معتادة معروفة لأصحابها، ليست خارقة لعادتهم، وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم، ولمن اتبعهم.

الرابع: أن الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلُّمِهِ وسعيه واكتسابه، وهذا

---

(١) النبوات لابن تيمية (٣٨-٤٠) باختصار.

مجرب عند الناس، بخلاف النبوة فإنه لا ينالها أحد باكتسابها.

الخامس: أن النبوة لو قدّر أنها تُنال بالكسب، فإنما تنال بالأعمال الصالحة والصدق والعدل، والتوحيد، لا تحصل مع الكذب على من دون الله، فضلًا عن أن تحصل مع الكذب على الله، فالطريق الذي تحصل به لو حصلت بالكسب مستلزم للصدق على الله فيما يخبر به.

السادس: أن ما يأتي به الكهان والسحرة، لا يخرج عن كونه مقدورًا للجن والإنس، وهم مأمورون بطاعة الرسل، وآيات الرسل لا يقدر عليها جن ولا إنس، بل هي خارقة لعادة كل من أرسل النبي إليه ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء].

السابع: أن هذه يمكن أن تعارض بمثلها، وآيات الأنبياء لا يمكن لأحد أن يعارضها بمثلها.

الثامن: أن تلك ليست خارقة لعادات بني آدم، بل كل ضرب منها معتاد لطائفة غير الأنبياء، وأما آيات الأنبياء فليست معتادة لغير الصادقين على الله، ولمن صدَّقهم.

التاسع: أن هذه قد لا يقدر عليها مخلوق، لا الملائكة ولا غيرهم، كإنزال القرآن، وتكليم موسى، وتلك تقدر عليها الجن والشياطين.

العاشر: أنه إذا كان من الآيات ما يقدر عليه الملائكة فإن الملائكة، لا تكذب على الله، ولا تقول لبشر إن الله أرسلك ولم يرسله، وإنما يفعل ذلك الشياطين، والكرامات معتادة في الصالحين منا ومن قبلنا، ليست خارقة

لعادة الصالحين، وآيات الأنبياء خارقة لعادة الصالحين، وهذه تنال بالصلاح بدعائهم وعبادتهم ومعجزات الأنبياء لا تنال بذلك، ولو طلبها الناس حتى يأذن الله فيها ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩] ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ [الأنعام: ٣٧].

الحادي عشر: أن النبي قد تقدمه الأنبياء، فهو لا يأمر إلا بجنس ما أمرت به الرسل قبله، فله نظراء يعتبر بهم، وكذلك الساحر والكاهن له نظراء يعتبر بهم.

الثاني عشر: أن النبي لا يأمر إلا بمصالح العباد في المعاش والمعاد، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيأمر بالتوحيد والإخلاص والصدق، وينهى عن الشرك والكذب والظلم، فالعقول والفطر توافقه، كما توافقه الأنبياء قبله فيصدقه صريح المعقول، وصحيح المنقول الخارج عما جاء به، والله أعلم[1] انتهى.

وقوله: كذا انشقاقُ البدرِ من غير امترا:

أي: وكذا من معجزاته ﷺ ودلائل نبوته انشقاق البدر، أي: القمر (من غير امترا) أي: من غير شك ولا مراء ومجادلة، لقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر] فقد انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: «سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ القَمَرِ»[2].

---

(١) النبوات (١٨٠، ١٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٦٧) ومسلم (٤٦-٢٨٠٢).

وعن أنس أيضًا قال: «انْشَقَّ القَمَرُ فِرْقَتَيْنِ»(١).

وقد أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «انْشَقَّ القَمَرُ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ»(٢).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: آية انشقاق القمر من أمهات آيات نبينا ﷺ ومعجزاته، وقد رواها عدة من الصحابة، وظاهر الآية أيضًا وسياقها، وما بعدها من تمادي قريش على التكذيب، يشهد بصحتها لقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر](٣).

قال أبو إسحاق الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد أنكرها بعض أهل البدع، وضاهى ذلك مخالفي الملة، وذلك لما أعمى الله قلبه، ولا إنكار للعقل في جهتها، إذ هو خلق من خلق الله، يفعل به ما يشاء، كما يفنيه ويكوره آخر أمره(٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما قول بعض الملاحدة: لو وقع هذا لنقل متواترًا، واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته، ولم يختص بها أهل مكة، فأجاب العلماء بأن هذا الانشقاق حصل في الليل، ومعظم الناس نيام غافلون، والأبواب مغلقة، وهم متغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر، ومما هو مشاهد معتاد، أن كسوف القمر وغيره من العجائب والأنوار الطوالع والشهب العظام وغير ذلك مما يحدث في

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٦٨) ومسلم (٤٧-٢٨٠٢)

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٦٦) ومسلم (٤٨-٢٨٠٣).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٨/ ٣٣٣).

(٤) المصدر السابق.

السماء في الليل، يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد، ولا علم عندهم غيرهم، لما ذكرناه وكان هذا الانشقاق آية حصلت في الليل لقوم سألوها، واقترحوا رؤيتها، فلم يتنبه غيرهم لها، قالوا: وقد يكون القمر كان حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي ظهرت لبعض الآفاق دون بعض، كما يكون ظاهرًا لقوم غائبًا عن قوم، كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد، والله أعلم(١). انتهى.

ودلائل نبوته ﷺ كثيرة جدًّا، صنف فيها العلماء قديمًا وحديثًا مصنفات لبيان ما خص به رب العالمين نبينا ﷺ من آيات دالات على نبوته، منها: تكثيره للماء وللطعام عند الحاجة، وانقياد الشجر له ﷺ، وحنين الجذع شوقًا له، وتسبيح الحصى في كفه، وشكوى البعير له، وغير ذلك، ونذكر أدلة ذلك من السنة بأسانيد صحيحة عن رسول الله ﷺ.

بعض أحاديث تكثيره ﷺ للماء:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلاَةُ العَصْرِ، فَالْتُمِسَ الوَضُوءُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الإِنَاءِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ، فَرَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ(٢).

وعن البَرَاءِ بن عَازِبٍ قالَ: كُنَّا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا، حَتَّى لَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَفِيرِ البِئْرِ،

---

(١) مسلم بشرح النووي (٩/ ١٦٠).
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٣) ومسلم (٢٢٧٩).

«فَدَعَا بِمَاءٍ فَمَضْـمَضَ وَمَـجَّ فِي البِئْرِ»، فَمَكَثْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُـمَّ اسْتَقَيْنَا حَتَّى رَوِينَا، وَرَوَتْ، أَوْ صَدَرَتْ رَكَائِبُنَا(١).

وتكثيره اللبن والطعام في مواطن:

عن أبي هُرَيْرَةَ أنه كان يقول: أَللهِ الَّـذِي لاَ إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الحَقْ**» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «**مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟**» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ، قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي**» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٧).

طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ، قَالَ: «**يَا أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**» قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ**» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**اقْعُدْ فَاشْرَبْ**» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «**اشْرَبْ**» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «**اشْرَبْ**» حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «**فَأَرِنِي**» فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ(١).

وعن ابن مَسْعُود قال: كُنْتُ أَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟**» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ، قَالَ: «**فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟**» فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ، وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: «**اقْلِصْ**» فَقَلَصَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: «**يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٣٧٩)، وابن أبي شيبة (١١/ ٥١٠) وابن سعد في

وعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ يقول: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا، أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلاثَتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**بِطَعَامٍ**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «**قُومُوا**» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا عِنْدَكِ**» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا(١).

=

الطبقات (٣/ ١/ ١٠٦).

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٤٠).

انقياد الشجر وحنين الجذع شوقًا لرسول الله ﷺ وتسبيح الحصى في كفه:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ، الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لَأَمَ بَيْنَهُمَا - يَعْنِي جَمَعَهُمَا - فَقَالَ: «**الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ**» فَالْتَأَمَتَا.

قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ[١].

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأنصاري قال: كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ[٢].

وعن ابن مسعود قال: «كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠١٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٨٥).
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قال: رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَغْلَتَهُ، وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا تَبَرَّزَ كَانَ أَحَبَّ مَا تَبَرَّزَ فِيهِ هَدَفٌ يَسْتَتِرُ بِهِ، أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ، فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا فِيهِ نَاضِحٌ لَهُ. فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ، حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ وَسَرَاتَهُ، فَسَكَنَ فَقَالَ: «**مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟**» فَجَاءَ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: «**أَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَاكَ إِلَيَّ وَزَعَمَ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**»، ثُمَّ ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فِي الْحَائِطِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ شَيْئًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا، فَحَرَّجْنَا عَلَيْهِ أَنْ يُحَدِّثَنَا، فَقَالَ: لَا أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ حَتَّى أَلْقَى اللهَ[1]. والآيات في هذا كثيرة جدًّا.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٥)، وأبو داود (٢٥٤٩).

فصل

في ذكر فضيلة نبينا وأُولي العزم

وغيرهم من النبيين والمرسلين

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٢- وأفضلُ العالَمِ مِن غَيرِ امتِرا نَبيِّنا الْمَبعوثُ في أمِّ القُرى

١٤٣- وبَعدَهُ الأفضَلُ أهلُ العَزمِ فالرُّسْلُ ثُمَّ الأنْبِيا بالْجَزمِ

الشرح

التفاضل بين الناس واقع ثابت بدليل العقل والنص، فقد فضل الله تعالى الذكر على الأنثى، قال سبحانه: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]. وقال جل جلاله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢].

فالعقل والنص يشهد أن العالم أفضل من العابد، وطالب العلم أفضل من المسلم العامي.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فقد أخرج الترمذي من حديث أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ قال: ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»(١) وغير ذلك من النصوص ليس المقام يتسع لبسطها.

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٧).

وهذا على وجه الإجمال، أما تفضيل شخص بعينه على آخر فهذا اجتهاد بحسب ما يظهر من أخلاق وعلم وتقوى، وقد تخطأ في هذا التفضيل، فقد نفضل عالم على عامي والأمر ليس كذلك، فقد يكون هذا العالم منافق أو مرائي، وقد يكون الآخر قلبه سليم، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]، وقد تفضل رجل لوجاهته على فقير، والأمر خلاف ذلك.

وتشهد السنة بذلك، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا**»(١).

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وذكر فيه أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، فيه: «**رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ**»(٢).

وفي صحيح البخاري عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (١٥٤-٢٢٤٥).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٥٢-١٩٠٥).

فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»[١].

الشاهد أن لا نقطع لأحد بالجنة أو النار، وإنما نقول على أهل الصلاح نحسبهم كذلك ولا نزكي أحدًا على الله، وندعو للعصاة بالتوبة والإقلاع عن المعاصي.

أما الأنبياء: فالتفاضل بينهم ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، قال تبارك وتعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء].

وقوله: «وأفضل العالم من غير امترا...»:

أي: أفضل الخلق من غير شك هو نبينا ﷺ الذي بعثه الله تعالى في أم القرى وهي مكة المكرمة، وتسمى مكة بأسماء كما جاء ذلك من كتاب الله: أم القرى، بكة، مكة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩١).

مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح].

وقد تقدم أن النبي كان يُبعث للناس خاصة، وأن نبينا ﷺ بعث للناس عامة، وبعثه للجن أيضًا، وقد سبق استيفاء ذلك.

ومما يدل على فضله ما رواه مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال: «**أَنَا سَيدُ وَلَد آدم يَومَ القِيَامَة وأولُ من يَنْشَقُّ عنه القَبْرُ، وأولُ شَافِع وأولُ مُشَفَّع**»[1].

وقوله: «وبعده الأفضل أهل العزم....»:

أفضل الأنبياء أُولي العزم من الرسل وأفضل أولي العزم نبينا ﷺ، وأولي العزم من الرسل هم: النبي ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].

وقال جل ذكره: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى].

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض شرحه لآية الأحزاب: «يقول تعالى مخبراً عن أُولي العزم الخمسة وبقية الأنبياء، أنه أخذ عليهم العهد والمثاق، في إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق... إلى أن قال: فبدأ في هذه الآية بالخاتم، لشرفه- صلوات الله عليه- ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم»[(١)].

مبحث: كيف نجمع بين مفاضلة الله عز وجل بين الأنبياء عليهم السلام وبين نهي النبي ﷺ عن المفاضلة بينهم؟

قال الله تعالى: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام].

هذه الآيات تدل على أن الله عز وجل فاضل بين الأنبياء، وجاءت

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٤).

أحاديث صحيحة تدل على النهي عن المفاضلة بين الأنبياء، وسيأتي بيان أنه لا معارضة بين الآيات والأحاديث.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لاَ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى البَشَرِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَبَا القَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلاَنٍ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ: «**لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ**» فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَمْ بُعِثَ قَبْلِي**»[(١)].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النَّبِيّ ﷺ قال: «**لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى**»[(٢)].

وفي رواية أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**»[(٣)].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى**»[(٤)].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٣-٢٣٧٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٠٣).

الْقِيَامَةِ»[١].

جمع العلماء بين الآيات والأحاديث من وجوه منها أن النهي في الأحاديث عن المفاضلة بين الأنبياء إذا كان ذلك يؤدي إلى المجادلة والمخاصمة، أو الانتقاص من قدرهم، أما الآيات ففيها اعتقاد التفاضل بينهم في الدرجات كما جاء ذلك صريحًا في القرآن، فلا تعارض بين النصين (الكتاب والسنة) لا في هذه المسألة ولا أي مسألة من مسائل الدين: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران].

ومن العلماء من قال: نهى النبي ﷺ عن تفضيله على الأنبياء تواضعًا منه، ومنهم من قال: النهي عن المفاضلة إذا كان بالهوى لا بالدليل.

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: ونحن نقول: إنه ليس ههنا اختلاف ولا تناقض، وإنما أراد أنه سيد ولد آدم يوم القيامة، لأنه الشافع يومئذ، والشهيد، وله لواء الحمد، والحوض وهو أول من تنشق عنه الأرض.

وأراد بقوله: «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى يُونُسَ»[٢] طريق التواضع، وكذلك قول أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ»[٣].

وخصّ يونس، لأنه دون غيره من الأنبياء، مثل إبراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم أجمعين؛ يريد فإذا كنت لا أحب أن أفضل على يونس، فكيف غيره ممن هو فوقه[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٣-٢٢٧٨)، وغيره.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الطبراني في تاريخه (٣/ ٢١٠).

(٤) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص (٣٦٨).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء: وقوله ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**» لم يقله فخرًا، بل صرح بنفي الفخر في غير مسلم في الحديث المشهور: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ**»(١) إنما قاله لوجهين:

أحدهما: امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.

والثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه، ويوقروه ﷺ بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى.

وهذا الحديث: دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم، لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة، وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم.

وأما الحديث الآخر: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ**» فجوابه من خمسة أوجه:

أحدهما: أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به.

والثاني: قاله أدبًا وتواضعًا.

والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلي تنقيص المفضول.

والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة، كما هو المشهور في سبب الحديث.

والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص، وفضائل أخرى، ولابد من اعتقاد التفضيل، فقد قال الله تعالى ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣](٢).

قال المازري رَحِمَهُ اللَّهُ: أما قوله: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ**»(٣) فيحتمل أن

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٨)، من حديث أبي سعيد.

(٢) شرح مسلم للنووي (٨/ ٤٢، ٤٣).

(٣) **صحيح**: تقدم تخريجه قريبًا.

يكون ذلك قبل أن يوحى إليه بالتفضيل، وكان بعض شيوخي يقول: يحتمل أن يريد لا تفضلوا بين أنبياء الله تفضيلًا يؤدي إلى نقص بعضهم، وقد خرج الحديث على سبب، وهو لطم الأنصاري وجه اليهودي، فقد يكون ﷺ خاف أن يفهم من هذه الفعلة انتقاص حق موسى عليه السلام فنهى عن التفضيل المؤدِّي إلى نقص الحقوق(١) انتهى.

وجمع رَحِمَهُ اللَّهُ بين حديث: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ» وبين قوله ﷺ: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» على أن ذلك قبل أن يوحى إليه بالتفضيل ثم أوحي بالتفضيل فقال به لم يكن في ذلك تعارض ما يغمض ويفتقر إلى التأويل(٢).

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى هذا ترك التخيير بينهم على وجه الإزراء ببعضهم فإنه ربما أدى ذلك إلى فساد الاعتقاد فيهم والإخلال بالواجب من حقوقهم وبفرض الإيمان بهم، وليس معناه أن يعتقد التسوية بينهم في درجاتهم فإن الله سبحانه قد أخبر أنه قد فاضل بينهم فقال عز وجل ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣](٣).

وقوله: «فالرسل ثم الأنبياء بالجزم».

أي: أفضل الرسل بعد أولي العزم، سائر الرسل - صلوات الله عليهم -

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم للمازري (٣/ ١٣٤).
(٢) انظر: المصدر السابق.
(٣) معالم السنن للخطابي (٤/ ٢٨٦).

ثم الأنبياء، ويجب اعتقاد التفاضل بين الرسل كما سبق بيان ذلك بالأدلة فقد قال سبحانه ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ونعتقد أيضًا التفاضل بين الأنبياء لقوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء: ٥٥].

وقد تكلم العلماء في الفرق بين الرسول والنبي، وقد سبقت المسألة[1].

---

(١) راجع شرح البيت الرابع.

فصل

فيما يجب للأنبياء وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٤- وإنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنهُمْ سَلِمْ مِن كُلِّ ما نَقصٍ ومِن كُفرٍ عُصِمْ

١٤٥- كذاكَ مِن إفكٍ ومِن خِيانَةِ لِوَصفِهِم بِالصِّدقِ والأمانَةِ

١٤٦- وجائزٌ في حقِّ كُلِ الرُّسْلِ النَّومُ والنِّكاحُ مثلَ الأكْلِ

الشرح

قوله: «وأن كل واحد منهم»:

أي: كل واحد من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا - سلم من كل عيب ونقص يقدح في عدالته وديانته، أو يزيل حشمته ويسقط مروءته، فالأنبياء والمرسلون معصومون من ارتكاب الذنوب والمعاصي ومن كل كبيرة، واختلفوا في جواز وقوع الصغائر منهم، والذين جوّزوا وقوعها منهم، قالوا: فإن وقعت منهم - وهذا من النادر - فلا يكون عن قصد ولا إصرار، ولا تكرار، بل سرعان ما يرزقوا التوبة منها بفضل الله عليهم، ولعلمه بهم إنهم أعظم البشر طاعة لله جل في علاه، وأسبقهم إلى فعل الخيرات، وترك المنكرات.

أما في التبليغ عن الله تعالى، فهم معصومون من الخطأ والنسيان، أما الكفر والجهل بالله والشك، فقد عصمهم الله تعالى من هذا، وهذا بإجماع السلف بل عصمهم من ذلك كله قبل النبوة، قال تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا

﴿بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦﴾ [الحاقة].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات، ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه.

وهو مذهب القاضي أبي بكر، ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع، وهو قول الكافة، واختاره الأستاذ أبو إسحاق.

وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ، لأن كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك كافة.

والجمهور قائل بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله، معتصمون باختيارهم وكسبهم...

أما الصغائر جوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين(١).

وذهبت طائفة إلى الوقف وقالوا: العقل لا يحيل وقوعها منهم، ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين.

وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر، قالوا: لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر وإشكال ذلك...

قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال بعض أئمتنا: ولا يجب على القولين أن

---

(١) وهو مذهب ابن تيمية- وسيأتي قريبًا.

يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها، إذا يلحقها ذلك بالكبائر، ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة، وأسقطت المروءة، وأوجبت الإزراء والخساسة فهذا أيضًا مما يُعصم عنه الأنبياء إجماعًا، لأن مثل هذا يحط منصبه المتسم به، ويزري بصاحبه، وينفر القلوب عنه، والأنبياء منزهون عن ذلك.

بل يُلحق بهذا ما كان من قبل المباح، فأدى إلى مثله لخروجه بما أدَّى إليه عن اسم المباح إلى الحظر، وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدًا.

وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم، واتباع آثارهم وسيرهم مطلقًا، وجمهور الفقهاء على ذلك، من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة من غير التزام قرينة، بل مطلقًا عند بعضهم، وإن اختلفوا في حكم ذلك[١].

وقال في موضع آخر رَحِمَهُ اللَّهُ في عصمة الأنبياء قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك: ... وقد تعاضدت الأخبار والآثار، عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان، بل على إشراق المعارف... ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدًا من الأنبياء ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك، ومستند هذا الباب النقل...

---

(١) الشفا للقاضي عياض ص (٣٧١-٣٧٣) باختصار يسير.

وأنا أقول: إن قريشًا قد رمت نبينا بكل ما افترته، وعيَّر كفار الأمم أنبياءهم بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله تعالى عليه، أو نقلته إلينا الرواة، ولم نجد في شيء من ذلك تعييرًا لواحد منهم برفضه آلهته، وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه...

ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلًا إليه، إذ لو كان لنقل، وما سكتوا عنه، كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة، وقالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ﴾ [البقرة: ١٤٢] كما حكاه الله عنهم[١].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فجمهور المسلمين على أن النبي لابد أن يكون من أهل البر والتقوى، متصفًا بصفات الكمال، ووجوب بعض الذنوب أحيانًا مع التوبة الماحية الرافعة لدرجته إلى أفضل مما كان عليه لا ينافي ذلك...

والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها، والجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم، يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها[٢].

وقوله: «كذاك من إفك ومن خيانة»:

الأنبياء مبرؤون من المعاصي كما تقدّم، ومن المعاصي الكذب؛ فلا يمكن أن يكذبوا أبدًا.

---

(١) الشفاء، ص (٣٤٥).

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/ ٣٩٧، ٤٠١).

فإن قيل: إن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات، كما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ**»(١).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ...»(٢).

نقول: لقد تأول العلماء هذه الأحاديث بتأويلات، يتبين منها أنه عليه السلام لم يكذب الكذب المذموم المعهود من أهل الكذب وإنما فعل هذا نصرًا لدين الله، وكف ظلم وأذى الجبار عن زوجته سارة.

قال المازري رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد تأوّل بعض الناس كلماته هؤلاء حتى تخرج عن كونها كذبًا، ولا معنى لأن يتحاشى العلماء... مما لم يتحاشَ منه النبي ﷺ ولكن قد يقال: إن المراد تسميتها كذبًا على ظاهرها عندكم، في مقتضى إطلاقكم عند استعمالكم اللفظ على حقيقته؛ ألا تراه يحكي عن إِبْرَاهِيم، عليه السلام أنه قال لسَارَّةَ: «**أَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ**»(٣).

ومن سمى المسلمة أختًا له قاصدًا أخوة الإسلام فليس بكاذب لكنه ﷺ إنما أطلق عليه لفظة الكذب لما قلنا من أن الأخت في الحقيقة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٧) ومسلم (٢٣٧١)، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٨) ومسلم (١٥٤-٢٣٧١).

(٣) أخرجه مسلم (١٥٤ - ٢٣٧١)، من حديث أبي هريرة.

المشاركة في النسب، وأما المشاركة في الدين فأخت على المجاز، فأراد أنها كذبة على مقتضى حقيقة اللفظ في اللغة، وعلى أن قوله: «إِنَّهَا أُخْتِي» قد يكون في ذات الله إذا أراد بها كف الظلم وصيانة الحريم لكن لما كان له فيها منفعة ميزها ﷺ عن الأولين اللتين لا منفعة له فيهما، هذا الذي يظهر لي في تأويل هذا الحديث [1].

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: وأما قوله ﷺ: «ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ تَعَالى، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَّةَ» [2]، فمعناه: أن الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع، وأما في نفس الأمر فليست كذبًا مذمومًا لوجهين:

أحدهما: أنه ورَّى بها فقال في سارة: «أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ»، وهو صحيح في باطن الأمر...

والوجه الثاني: لو كان كذبًا لا تورية فيه لكان جائزًا في دفع الظالمين، وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنسانًا مختفيًا ليقتله أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غصبًا، وسأل عن ذلك وجب على من علم ذلك إخفاؤه وإنكار العلم به، وهذا كذب جائز بل واجب، لكونه في دفع الظالم، فنبه النبي ﷺ أن هذه الكذبات ليست داخلة في مطلق الكذب المذموم.

وقال رَحِمَهُ اللهُ **ردًّا على كلام المازري المتقدم**: أما إطلاق لفظ الكذب عليها فلا يمتنع لورود الحديث به، وأما تأويلها فصحيح لا مانع فيه، قال العلماء: والواحدة التي في شأن سارة هي أيضًا في ذات الله، لأنها سبب دفع كافر

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ١٣١).
(٢) أخرجه مسلم (١٥٤ - ٢٣٧١).

ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة، وقد جاء ذلك مفسرًا في غير مسلم، فقال: ما فيها كذبة إلا بما حل بها عن الإسلام أي يجادل ويدافع، وقالوا: وإنما خص الثنتين بأنهما في ذات الله تعالى لكون الثالثة تضمنت نفعًا له وحظًّا، مع كونها في ذات الله تعالى[1].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإما إطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قال قولًا يعتقده السامع كذبًا، لكنه إذا حقق لم يكن كذبًا لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين فليس بكذب محض.

فقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات] يحتمل أن يكون أراد إني سقيم، أي سأسقم، واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيرًا، ويحتمل أنه أراد أني سقيم بما قدر عليّ الموت أو سقيم الحجة على الخروج معكم، وحكى النووي عن بعضهم أنه كان تأخذه الحمى في ذلك الوقت، وهو بعيد لأنه لو كان كذلك لم يكن كذبًا -لا تصريحًا ولا تعريضًا- وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] قال القرطبي: هذا قاله تمهيدًا للاستدلال على أن الأصنام ليست بآلهة، وقطعًا لقومه في قولهم أنها تضر وتنفع، وهذا الاستدلال يتجوَّز فيه في الشرط المتصل، ولهذا أردف قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] بقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء].

قال ابن قتيبة: معناه إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا، فالحاصل أنه مشترط بقوله: ﴿إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء]، أو أنه أسند إليه

---

(١) مسلم بشرح النووي (٨/ ١٣٦-١٣٧).

ذلك لكونه السبب...

وقوله: «هَذه أُخْتِي» يعتذر عنه بأن مراده أنها أخته في الإسلام(١).

قال ابن عقيل رَحِمَهُ اللَّهُ: دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقًا به ليعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه، وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك عن إبراهيم عليه السلام- يعني إطلاق الكذب على ذلك- إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه، وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعًا لأعظمهما، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تذم، فإن الكذب وإن كان قبيحًا مخلًّا لكنه قد يحسن في مواضع وهذا منها(٢).

وقوله: «ومن خيانة»:

تقدم بيان أن الأنبياء معصومون من ارتكاب الذنوب: لأن ذلك يقدح في نبوتهم ويفض إلى عدم الثقة فيما ينقلون عن الله تعالى.

فهم مبرءون من الخيانة لأنه من جملة الذنوب المحرمة، فلا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة عين فضلًا أن تكون له خيانة في أفعاله.

فعن مصعب بن سعد عن سعد، قال: لما كان يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ اخْتبَأَ عبد الله بن سعد بن أَبِي سَرْحٍ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فجَاءَ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٥٠-٤٥١).

(٢) المصدر السابق.

رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ بَايِعْ عَبْدَ اللهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «**أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟**» فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا فِي نَفْسِكَ، أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ**»[(١)].

وقوله: «لوصفهم بالصدق والأمانة»:

الصدق والأمانة ضد الكذب والخيانة والضدان لا يجتمعان فالواجب أن نؤمن بأن الأنبياء والمرسلين هم أولى الناس اتصافًا بالصدق والأمانة، فقد اصطفاهم الله تعالى وجعلهم أمناء الوحي وكتب لهم العصمة كما سبق بيانه.

وقوله:

وجائزٌ في حق كل الرسلِ النومُ والنكاحُ مثلُ الأكلِ

الأنبياء بشر، ليس لهم من خصائص الربوبية شيئًا، وليسوا ملائكة لا يأكلون، ولا يشربون بل بشر، جائز في حقهم ما هو جائز في حق البشر، من الاحتياج للنوم والطعام والشراب، والنكاح، وغير ذلك من المباحات، وبالجملة فهم يجري عليهم ما يجري على البشر من الأمور التي ليس فيها عيب ولا نقص في حقهم.

---

(١) سنن أبي داود (٤٣٥٩)، والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٤٤٣). والحاكم في المستدرك (٣/ ٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٠٥)، ومسند البزار (٣/ ٣٥٠)، وأبو يعلى (١/ ٢١٦-٢١٧)، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٤٤٩)، والألباني في الصحيحة (١٧٢٣).

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ۝٢٠﴾ [الفرقان].

وقال جل ثناؤه حكاية عن الرسل: ﴿إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ۝٣٨﴾ [الرعد].

وقال رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ»(١).

وقال ﷺ: «لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ»(٢).

ومن خصائص نبينا ﷺ التي اختصه الله بها، أن عينه تنام ولا ينام قلبه، لكثرة انشغاله بالله جل في علاه وتعلق قلبه به.

قال رسول الله ﷺ لعائشة ﵂ حين قالت له: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي»(٣).

ومما يجوز على الأنبياء والمرسلين، الموت فليس لأحد منهم الخلد.

قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر].

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وقال جل ذكره: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٠١) ومسلم (٥٧٢) باب: السهو في الصلاة والسجود له.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٧) ومسلم (١٢٥-٧٣٨).

أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران].

مسألة: هل الأنبياء أحياء في قبورهم؟

نعم، الأنبياء أحياء في قبورهم حياة برزخية، لا يعلم كنهها إلا الله تعالى، ولا مانع شرعي ولا عقلي من ذلك، فالشهداء أحياء عند ربهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران] ولا شك أن الأنبياء أفضل من الشهداء، فتكون حياتهم في قبورهم أفضل وأكمل من حياة الشهداء.

ولكن حياتهم- صلوات الله عليهم- لا كحياتهم في الدنيا، يأكلون ويشربون ويتزوجون وغير ذلك- من الأمور الجائزة على البشر في الدنيا- كما يزعم أهل الضلال.

ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»(١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٤-٢٣٧٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٥٢٧)، وأبو داود (٢٠٤١)، والبيهقي (٥/ ٢٤٥) =

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**»[(١)].

وعن أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ -يَقُولُونَ: بَلِيتَ-؟ فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»[(٢)].

وعن أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**»[(٣)].

قال ابن المظفر رَحِمَهُ اللهُ: فأما صلاة موسى في قبره فالذي أرى في ذلك أن دار الآخرة هي دار نيل الملاذ، وأن المؤمن قد يجد في صلاته وعبادته من اللذة ما لا توازيه لذة في الدنيا، فكيف بالأنبياء؛ فإن صلاته عليه السلام،

=

والطبراني في «الأوسط» (٤٤٩)، وقال النووي في رياض الصالحين (١٤٠٩): إسناده صحيح، وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٢٧٩): سنده جيد، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٦٦).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٦٧)، وأبو داود (٢٠٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٢٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البزار في المسند (٢٥٦)، وأبو يعلى (٣٤٢٥)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٣٢٧)، والديلمي (١/ ١١٩)، وابن عساكر (١٣/ ٣٢٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٩٠)، وفي السلسلة الصحيحة (٦٢١).

مما قد التذَّ بها، فشرع فيها التذاذًا بها- لا تكليفًا- فغير بعيد؛ ولأن الأنبياء عليهم السلام أحياء في قبورهم[(١)].

قال المُلا عليّ القاري رَحِمَهُ اللهُ: قد قدمنا أن الأنبياء لا يموتون كسائر الأحياء، بل ينتقلون من دار الفناء إلى دار البقاء، وقد ورد به الأحاديث والأنباء، وأنهم أحياء في قبورهم، فإنهم أفضل من الشهداء، وهم أحياء عند ربهم[(٢)].

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون، لأنهم كالشهداء بل أفضل، والشهداء أحياء عند ربهم، وفائدة التقييد بالعندية[(٣)] الإشارة إلى أن حياتهم ليست بظاهرة عندنا، وهي كحياة الملائكة وكذا الأنبياء[(٤)].

وسئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: هل صح أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون؟ و كيفية عرض أعمال الأمة على النبي ﷺ في قبره على روحه الكريمة؟ أم تعاد روحه إلى جسده، وإذا صلَّى عليه أو سلم عليه العبد، هل يرد عليه السلام؟

الجواب: الحمد لله، الأنبياء أحياء في قبورهم، وقد يصلون كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَرَرْتُ بِمُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**»[(٥)] وثبت

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح لابن المظفر (٥/ ٣٧٥).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٣٧٦).

(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران].

(٤) فيض القدير للمناوي (٣/ ١٨٤).

(٥) **صحيح**: تقدم تخريجه.

عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ...»(١) وساق الحديث كما تقدم، وقال: «صَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي»(٢).

وقال: «أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عليّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ...»(٣)، وساق الحديث كما تقدم.

وأما عرض الأعمال عليه فإنها تعرض عليه، وهو حق، وأما محل ذلك فمما لا يتعلق به غرض والله أعلم(٤).

وقال في موضع آخر رَحِمَهُ اللهُ - في معرض ذكره الأدلة على اتخاذ قبور الأنبياء مساجد-: فهذه النصوص الصريحة توجب تحريم اتخاذ قبورهم مساجد مع أنهم مدفونون فيها، وهم أحياء في قبورهم(٥).

قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: اعلم أن الحياة التي أثبتها هذا الحديث(٦) للأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- إنما هي حياة برزخية، ليست من حياة الدنيا في شيء، ولذلك وجب الإيمان بها دون ضرب الأمثال لها ومحاولة تكييفها وتشبيهها بما هو المعروف عندنا في حياة الدنيا، هذا هو الموقف الذي يجب أن يتخذه المؤمن في هذا الصدد: الإيمان بما جاء في الحديث دون

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

(٣) صحيح: تقدم تخريجه.

(٤) جامع المسائل لابن تيمية (٤/ ١٩١)، تحقيق محمد عزيز شمس، إشراف بكر أبو زيد.

(٥) مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/ ٩٧).

(٦) يشير إلى حديث أنس المتقدم أول المسألة.

الزيادة عليه بالأقيسة والآراء، كما يفعل أهل البدع الذين وصل الأمر ببعضهم إلى ادعاء أن حياته ﷺ في قبره حياة حقيقية، قال: يأكل ويشرب ويجامع نساءه، وإنما هي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى...

إلى أن قال في معرض تعليقه على حديث أنس المتقدم: فإذا صلاة الأنبياء في قبورهم عقيدة صحيحة يجب على المسلم أن يؤمن بها، لكن لا يتوسع في محاولة تكييف هذه الصلاة، فلا يقول مثلًا كيف يصلي موسى في قبره، والقبر لا يتسع لقيام موسى في القبر؟ لأننا نقول عالم الغيب لا يقاس على عالم الشهادة، عالم البرزخ لا يقاس إلا على عالم الآخرة، فلكل طبائعه وخواصه، فإذا أخبرنا الصادق المصدوق أنه رأى موسى عليه السلام قائمًا يصلي في قبره صدقناه وآمنا به، ووكلنا معرفة حقيقة هذه الصلاة إلى الله تبارك وتعالى.

وعلى هذا الميزان قوله عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**»(١).

فليست هذه الحياة بالحياة المادية، بحيث أننا إذا خاطبناهم يردون علينا ويسمعون كلامنا كما كانوا يسمعون كلام الناس في الدنيا حينما كانوا أحياء، لا نتوسع في مثل هذه التفاصيل، لأنه كما قلت أنفًا عالم الغيب لا يقاس على عالم الشهادة على عالم المادة(٢).

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.
(٢) موسوعة الألباني في العقيدة (٨/ ١٥٤-١٥٥).

فصل

في ذكر الصحابة الكرام

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٧ - ولـيسَ في الأُمَّـةِ بالتَّحقيقِ   في الفَضلِ والمعروفِ كالصِّدِّيقِ

١٤٨ - وبعدَهُ الفاروقُ مِن غيرِ افتِرا   وبعدَهُ عُثمانُ فاترُكِ الْمِرا

الشرح

قبل أن نشرع في شرح هذه الأبيات، ينبغي أن نعرف معنى الصاحب والصحابي في اللغة والاصطلاح.

الصاحب لغة: صحبة، صحابة، وصحبة: رافقه، ويقال في الدعاء صحبك الله: حفظك ورافقك عنايته ... واصطحب فلانًا اتخذهُ صاحبًا، ويقال: اصطحب القوم، صحب بعضهم بعضًا.

والصاحب: المرافق، ومالك الشيء والقائم على الشيء، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ ويطلق على من اعتنق مذهبًا أو رأيًا فيقال: أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب الشافعي...

والصاحبة: الزوجة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [(١)].

قال الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والصاحب مشتق من الصُّحبة، وهي وإن كانت تعم القليل والكثير، لكن العرف خصصها لمن كثرت ملازمته وطالت

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ٥٠٧).

صحبته[١].

وفي الاصطلاح: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام صغيرًا كان أو كبيرًا، طالت مدة اللقاء أو قصرت، ومن آمن به ولم يره لا يعد من الصحابة، كالنجاشي رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيره.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالستُهُ له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغزُ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرًا، ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى.

وقولنا: به، يخرج من لقيه مؤمنًا بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيبعث أو لا يدخل؟ محل احتمال، من هؤلاء بحيرا الراهب ونظراؤه.

ويدخل في قولنا «مؤمنًا به» كلُّ مكلف من الجن والإنس، فحينئذ يتعين ذكر من حُفظ ذكرُه من الجن الذين آمنوا به بالشروط المذكورة، وأما إنكار ابن الأثير على أبي موسى تخريجه لبعض الجن الذين عرفوا في كتاب الصحابة، فليس بمنكر لما ذكرته.

وقد قال ابن حزم في كتاب الأقضية في المحلى: من ادعى الإجماع، فقد كذب على الأمة، فإن الله تعالى قد أعلمنا أن نفرًا من الجن آمنوا وسمعوا

---

(١) الكليات (ص: ٥٥٨).

القرآن، من النبي ﷺ، فهم صحابةٌ فضلاء، فمن أين للمدعي إجماع أولئك؟

وهذا الذي ذكره في مسألة الإجماع لا نوافقه عليه، وإنما أردت نقل كلامِه في كونهم صحابة... وخرج بقولنا: ومات على الإسلام من لقيه مؤمنًا به ثم ارتد ومات على ردّته – والعياذ بالله – وقد وجد من ذلك عددٌ يسيرٌ، كعبيد الله بن جحش الذي كان زوج أم حبيبة، فإنه أسلم معها وهاجر إلى الحبشة فتنصر هو، ومات على النصرانية، وكعبد الله بن خَطَل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة وكربيعة بن أميّة بن خلف[1].

وقوله:

وليسَ في الأُمَّةِ بالتَّحقيقِ   في الفَضلِ والمعروفِ كالصِّدِّيقِ

أي: أمة محمد ﷺ وهي خير الأمم كما نص القرآن على ذلك.

قال تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

وإذا كانت أفضل الأمم، فالصديق أفضل البشر بعد الأنبياء والرسل.

قوله: «بالتحقيق في الفضل والمعروف كالصديق»:

أي: بالقول المحقق الذي دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، أن أفضل هذه الأمة – بعد نبينا ﷺ – أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهذا مجمع عليه من أهل السنة والجماعة، فهو أول من أسلم وآمن بالنبي ﷺ.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ٧، ٨) وانظر الكليات (ص: ٥٥٨)، والتعريفات للجرجاني ص (١٧٣).

ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأئمة على أن أبا بكر الصديق أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وإنما عنى جل ثناؤه بقوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ رسول الله ﷺ وأبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأنهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش، إذ همُّوا بقتل رسول الله ﷺ واختفيا في الغار.

وقوله: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ يقول: إذ رسول الله ﷺ وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الغار..

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾ يقول: رسول الله لصاحبه أبي بكر ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ لأن الله معنا والله ناصرنا، فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا [(١)].

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي أحد اثنين، وللعرب في هذا مذهب، أن تقول خامس خمسة أي: أحد خمسة، ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ يعني رسول الله ﷺ وأبا بكر حين خرجا من مكة دخلا غارًا في جبل ثور

(١) جامع البيان (١٤/ ٢٥٨).

ليخفيا على من خرج من قريش في طلبهم[١].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: والاثنان أحدهما رسول الله ﷺ والآخر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.... ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ قال الشعبي: عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعًا، في هذه الآية غير أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الزجاج وقوله تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ منصوب على الحال، المعنى: فقد نصره الله أحد اثنين أي: نصره منفردًا إلا من أبي بكر، وهذا معنى قول الشعبي: عاتب الله أهل الأرض جميعًا في هذه الآية غير أبي بكر[٢] انتهى.

وهذا تفسير علماء أهل السنة قاطبة لهذه الآية الدالة على فضل أبي بكر الصديق على جميع الصحابة فضلًا عن سائر الأمة.

وقال جل ذكره: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢].

نزلت هذه الآية الكريمة في أبي بكر الصديق ومن كان معه من الصحابة، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما من حديث هِشَامٍ عن أبيه عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢]، قَالَتْ لِعُرْوَةَ: يَا ابْنَ

---

(١) «النكت والعيون» (٢/ ٣٦٤)، معالم التنزيل (٢/ ٣٥٠).

(٢) زاد المسير (٢/ ٢٦٠). وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٩٠) وتفسير ابن أبي زمنين (٢/ ٢٠٦) وغيرهم.

أُخْتِي، كَانَ أَبَوَاكَ مِنْهُمْ: الزُّبَيْرُ، وَأَبُو بَكْرٍ، لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ المُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: «**مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ**» فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَالزُّبَيْرُ[(١)].

وعن أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»[(٢)].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟[(٣)].

وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ الذي أخرجه البخاري ومسلم أنّ رسُولَ الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ**»[(٤)].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: والمعنى: لو كنت أخص أحدًا بشيء من الدين لخصصت به أبا بكر، ففيه رد على الشيعة القائلين أنه خص عليًّا من الدين والقرآن ما لم يخص أحدًا[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٧) ومسلم (٢٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١).

(٣) صحيح: سنن ابن ماجه (٩٤) والنسائي (٨١١٠) وأحمد في المسند (٢/ ٢٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٤) ومسلم (٢٣٨٢).

(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٠/ ٢٤٧).

قال البدر العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ» استثناء مفرغ ومعناه: لا تبقوا بابًا غير مسدود إلا باب أبي بكر، فاتركوه بغير سد.

قال الخطابي وابن بطال وغيرهما: في هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(١)]، انتهى.

وعن عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» فَعَدَّ رِجَالًا[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ في جزء من حديث طويل أخرجه البخاري: «إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا[(٣)].

وعن عَائِشَةَ، وسُئلت: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَوِ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا[(٤)].

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ، أَبَاكِ، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»[(٥)].

---

(١) عمدة القاري (١١/ ٣٩١).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٢) ومسلم (٢٣٨٤) وغيرهما.
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦١) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه مسلم (٢٣٨٥).
(٥) أخرجه مسلم (٢٣٨٧) وغيره.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض شرحه لهذا الحديث: هذا دليل لأهل السنة، في تقديم أبي بكر ثم عمر للخلافة مع إجماع الصحابة... وأما ما تدّعيه الشيعة من النص على عليٍّ والوصية إليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين، والاتفاق على بطلان دعواهم من زمن عليٍّ وأوّل مَن كذبهم عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: «مَا عِنْدَنا إِلَّا مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ»[١] الحديث، ولو كان عنده نص لذكره[٢].

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولًا لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة[٣] انتهى وغير ذلك من فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والتي لا يتسع المقام لذكرها.

وقوله: «وبعده الفاروق من غير افترا...»:

أي: بعد أبو بكر الصديق الذي يليه في الفضل الفاروق، لقبه بذلك رسول الله ﷺ لأن الله فرق به بين الحق والباطل، إنه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القرشي العدوي كنيته: أبو حفص، والحفص[٤] في اللغة: الشبل ولد الأسد[٥].

شهد له رسول الله ﷺ بالعبقرية والإلهام، وقوة الدين والعلم، حتى إن الشيطان ليفر منه؛ شهد له بأن الله تعالى جعل الحق على لسانه وقلبه، وقد

---

(١) أخرجه البخاري (١١١، ١٨٧٠)، ومسلم (٢٠- ١٣٧٠).
(٢) شرح مسلم للنووي (٨/ ١٦٩).
(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص: ٤٦٧).
(٤) انظر: اللسان (٢/ ٥١١).
(٥) انظر: الإصابة لابن حجر (٢/ ١٣٠٧-١٣٠٨).

وافق رب العالمين في أمور كان يرغب أن ينزل فيها حكم، فنزلت الآيات توافق ما أراد، شهد له النبي ﷺ بالجنة وغير ذلك من فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذكر بعض الأحاديث وأقوال أهل العلم في فضائل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**»(١).

عن عبد الله بن عُمر عَن أبيه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، شَرِبْتُ، يَعْنِي، اللَّبَنَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرِّيِّ يَجْرِي فِي ظُفُرِي أَوْ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ نَاوَلْتُ عُمَرَ**» فَقَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ؟ قَالَ: «**العِلْمَ**»(٢).

وقال ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ**». قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الدِّينَ**»(٣).

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ**»، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟(٤).

---

(١) صحيح: أبي داود (٢٩٦٢) وابن ماجه (١٠٨) ومسند أحمد (٥/ ١٦٥).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨١) ومسلم (٢٣٩١).
(٣) أخرجه البخاري (٢٣) ومسلم (٢٣٩٨)، من حديث أبي سعيد.
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٧٩) ومسلم (٢٣٩٤).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ(١)، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ»(٢).

عن عَبْدِ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَيْنَمَا أَنَا عَلَى بِئْرٍ أَنْزِعُ مِنْهَا، جَاءَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ الدَّلْوَ، فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَاسْتَحَالَتْ فِي يَدِهِ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ، فَنَزَعَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ»(٣).

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: قَالَ عُمَرُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وَآيَةُ الحِجَابِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ، وَاجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ(٤).

وعن نافِعٍ عن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ قَمِيصَهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي عَلَيْهِ فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ بِثَوْبِهِ، فَقَالَ: تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُوَ

---

(١) قال ابن وهب: تفسير محدثون: ملهمون – شرح مسلم للنووي (٨/ ١٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) ومسلم (٢٣٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٦) ومسلم (٢٣٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٢) ومسلم (٢٣٩٩) مختصرًا.

مُنَافِقٌ، وَقَدْ نَهَاكَ اللهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؟ قَالَ: «إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ - أَوْ أَخْبَرَنِي اللهُ - فَقَالَ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، فَقَالَ: سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ»، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة][1].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: قال عمر: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، في مقام إبراهيم، وفي الحجاب وفي أسارى بدر، هذا من أجل مناقب عمر وفضائله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وجاء في هذه الرواية: (وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ)، وفسرها بهذه الثلاث.

وجاء في رواية أخرى في الصحيح: «اجْتَمَعَ نِسَاءُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الغَيْرَةِ»[2]...

وساق الحديث الذي ذكره مسلم، بعد هذا موافقته في منع الصلاة على المنافقين، ونزول الآية بذلك، وجاءت موافقته بتحريم الخمر[3]، فهذه ست، وليس في لفظه ما ينفي زيادة الموافقة، والله أعلم[4].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد عرفت أن في البخاري الموافقة في مقام إبراهيم، والحجاب، والتخيير بين أزواجه.

وقد عرفت أن في مسلم بدله: أسارى بدر، وهذه أربعة، وفيه أيضًا موافقته في منع الصلاة على المنافقين وهذه خمسة... إلى أن قال: ويشهد

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٢) ومسلم (٢٤٠٠).
(٢) أخرجه البخاري (٤٩١٦)، من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) في ثبوت الحديث بعض النزاع بين أهل العلم.
(٤) شرح مسلم للنووي (٨/ ١٨٠).

ما رواه الترمذي مصححًا من حديث ابن عمر: «مَا نَزَلَ بالنَّاسِ أَمْر قَطْ فَقَالُوا فِيه، وقَالَ فِيه عُمَر إلا نَزَلَ فِيه قُرْآن عَلى نَحو مَا قَالَ عُمر...».

وقوله: **(في ثلاث)** قد أسلفنا أنها أكثر من ثلاث وقد أسلفنا أنه لا تنافي بينها[١].

قال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما جعل الله الكريم فيه من الأحوال الشريفة الكريمة، والدليل على ذلك أنه لما علم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موضع عمر من الإسلام، وأن الله عز وجل أعز به الإسلام، وعلم موضعه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلم قدر ما خصه الله الكريم به من الفضائل، فناصح أبو بكر ربه عز وجل في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاستخلف عليهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلم أن الله مسائله عن ذلك، فما آلى جهدًا في النصيحة للمسلمين... إلى أن قال: وصدق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكيف لا يكون عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِي لكَانَ عُمَر»**[٢] وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اقْتَدُوا باللذَيْنِ من بَعْدِي: أبي بَكر وعُمَر»**[٣]... وساق أحاديث أخر[٤].

---

(١) التوضيح شرح الجامع الصحيح (٥/ ٤٠٧، ٤٠٨).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٨٦)، وأحمد (٤/ ١٥٤)، والروياني في المسند (١/ ١٥٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٩٢)، وقال: هذا حديث حسن الإسناد ولم يخرجاه، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢/ ٢٨٣)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٢٧).

(٣) أخرجه الحميدي في مسنده (٤٥٤)، والترمذي (٣٦٦٣)، وأحمد (٥/ ٣٨٥، ٤٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٤٨، ١٠٤٩)، والطحاوي في المشكل (٢/ ٨٣، ٨٤)، والحاكم (٣/ ٧٥)، وصححه بطرقه الألباني في الصحيحة (١٢٣٣).

(٤) الشريعة (٤٥١).

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ في ثنايا كلامه عن إثبات الخلافة للخلفاء الأربعة: ثم خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باستخلاف أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إياه، واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز الله سبحانه- بمكانه في إعلاء الإسلام وإعظام شأنه- وعده[1].

وقوله: «وبعدهُ عثمان فاترك المرا...»

أي: وبعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الفضل عثمان؛ أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، ولي الخلافة بعد عمر باتفاق أهل الشورى[2]، وله من المناقب فهو أفضل الصحابة بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم جميعًا، فقد شهد له رسول الله ﷺ بالشهادة وبالجنة، كان سبَّاقًا إلى أبواب الخير، حفر بئر رومة، وجهز جيش العسرة، وهاجر الهجرتين، له من الحياء والدين ما جعل الملائكة تستحي منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جمع القرآن، وتزوج من بنتي رسول الله ﷺ فسمي ذو النورين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذكر بعض الأحاديث وأقوال أهل العلم في فضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ بَابِ الحَائِطِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَإِذَا عُمَرُ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ يَسْتَأْذِنُ فَسَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ**»،

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٩١).

(٢) انظر الإصابة (٤/ ٣٧٧) وعقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٩٢).

فَإِذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَزَادَ فِيهِ عَاصِمٌ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَاعِدًا فِي مَكَانٍ فِيهِ مَاءٌ، قَدِ انْكَشَفَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ أَوْ رُكْبَتِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عُثْمَانُ غَطَّاهَا» (١).

وَعَن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِي ﷺ صَعِدَ أُحُدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**» (٢).

فضل من هاجر إلى المدينة مع رسول الله ﷺ معلوم بأدلة الكتاب والسنة، فما ظنك بمن هاجر الهجرتين، الهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة؟

عَنْ عُرْوَةَ، أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، قَالاَ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُكَلِّمَ عُثْمَانَ لِأَخِيهِ الوَلِيدِ، فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ، فَقَصَدْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ، قُلْتُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، وَهِيَ نَصِيحَةٌ لَكَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا المَرْءُ - قَالَ مَعْمَرٌ أُرَاهُ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ - فَانْصَرَفْتُ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ إِذْ جَاءَ رَسُولُ عُثْمَانَ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: مَا نَصِيحَتُكَ؟ فَقُلْتُ: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الكِتَابَ، وَكُنْتَ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، فَهَاجَرْتَ الهِجْرَتَيْنِ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَرَأَيْتَ هَدْيَهُ وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي شَأْنِ الوَلِيدِ، قَالَ: أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قُلْتُ: لاَ، وَلَكِنْ خَلَصَ إِلَيَّ مِنْ عِلْمِهِ مَا يَخْلُصُ إِلَى العَذْرَاءِ فِي سِتْرِهَا، قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالحَقِّ، فَكُنْتُ مِمَّنِ اسْتَجَابَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَآمَنْتُ بِمَا بُعِثَ بِهِ،

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٥) ومسلم (٢٤٠٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).

وَهَاجَرْتُ الهِجْرَتَيْنِ، كَمَا قُلْتَ، وَصَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَبَايَعْتُهُ، فَوَاللهِ مَا عَصَيْتُهُ وَلاَ غَشَشْتُهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ مِثْلُهُ، ثُمَّ عُمَرُ مِثْلُهُ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتُ، أَفَلَيْسَ لِي مِنَ الحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنِي عَنْكُمْ؟ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَأْنِ الوَلِيدِ، فَسَنَأْخُذُ فِيهِ بِالحَقِّ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا، فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْلِدَهُ فَجَلَدَهُ ثَمَانِينَ[(١)].

الحياء شعبة من شعب الإيمان كما أخبر نبينا ﷺ فما ظنك بإيمان رجل بلغ حياؤه أن استحت منه الملائكة؟

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقَالَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»[(٢)].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لاَ نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، لاَ نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٩٧).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّة» فَجَهزه عثمان[(١)].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ يَحْفُر بِئْرَ رُومَة فَلَهُ الجنَّة» فحفرها عثمان[(٢)].

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: وخير هذه الأمة بعد وفاة نبيها: أبو بكر وعمر وعثمان، هكذا روي لنا عن ابن عمر، قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ بين أظهرنا: إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان، ويسمع النبي بذلك فلا يُنكره[(٣)(٤)].

قال أبو عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلامه عن عقيدة أهل السنة والجماعة: «ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وأنهم الخلفاء الراشدون الذين ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلافتهم بقوله- فيما رواه سعيد بن جمهان عن سفينة-: «**الخِلَافة بَعْدي ثَلاثُونَ سَنَة**»[(٥)] وبعد انقضاء أيامهم عاد الأمر إلى الملك العضوض، على ما أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري مع الفتح معلقًا بصيغة الجزم (٧/ ٦٥).

(٢) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم- انظر فتح الباري (٧/ ٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٥، ٣٦٩٨) بنحوه، أما عدم إنكار النبي ﷺ فورد في حديث أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١١٩٣) وصححه الألباني في «ظلال الجنة».

(٤) شرح السنة للبربهاري (٥٣).

(٥) **صحيح**: سنن الترمذي (٢٢٢٦) والطيالسي (٥/ ٥١) ومسند أحمد (٥/ ٢٢١)، وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٧٤٧)، وابن حبان كما في «الموارد» (١٥٣٤، ١٥٣٥)، وصححه لشواهده الألباني في الصحيحة (٤٥٩).

(٦) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٨٩، ٢٩٠).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد اتفق عامة أهل السنة- من العلماء والعباد، والأمراء والأجناد- على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثير[1].

وقوله: «فاترك المرا»:

أي اترك الجدال، ولا تخوض مع الخائضين في الباطل الذي لا دليل عليه من الكتاب أو السنة، ولم يُنقل عن أحد من الأئمة، فقد عرفت منزلته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من السنة واتفاق الأئمة المعتبرين.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٦).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٩- وبعدُ فالفَضلُ حَقيقًا فاسْمَعِ مِنِّي نِظامِيْ للبَطِيْنِ الأنزَعِ

١٥٠- مُجَدِّلِ الأبطالِ ماضي العَزمِ مُفَرِّجِ الأوجالِ وافِي الْحَزمِ

١٥١- وَافِي النَّدَى مُبْدِيْ الهُدَى مُردِيْ العِدَى مُجلِيْ الصَّدَى يا وَيلَ مَنْ فِيهِ اعْتَدَى

١٥٢- فحُبُّهُ كَحُبِّهِم حتمًا وَجَب ومَنْ تَعَدَّى أو قَلَى فَقَد كَذَب

الشرح

هذه الأبيات ثناء من صاحب النظم على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقبل أن نشرع في شرح النظم ينبغي أن نذكر شيئا من مناقبه وفضائله.

هو الخليفة الرابع، علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن أول الناس إسلامًا في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فربي في حجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلى غزوة تبوك، فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة: «**أَلا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى**»(١) وزوجه بنته فاطمة.

وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، ولما آخى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه، قال له: «**أنت أخي**»(٢) قاله الحافظ ابن حجر(٣)...

---

(١) سيأتي تخريجه قريبًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤) مرسلًا.

(٣) الإصابة (٢/ ١٢٩٤).

إثبات الخلافة له، وذكر بعض مناقبه رضي الله عنه:

«والأحاديث التي جاءت بذكر مناقبه كثيرة حتى قال الإمام أحمد: لم يُنقل لأحد من الصحابة ما نقل لعليّ، وقال غيره: كان سبب ذلك بغض بني أمية له، فكان كل من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة يثبته، وكلما أرادوا إخماده، وهددوا من حدّثَ بمناقبه، لا يزداد إلا انتشارًا.

وقد ذكر له الرافضة مناقب موضوعة هو غني عنها، وتتبع النسائي ما خُص به من دون الصحابة، فجمع من ذلك شيئًا كثيرًا بأسانيد أكثرها جياد.

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا، وروى عنه من الصحابة ولداه: الحسن والحسين، وابن مسعود، وأبو موسى، وابن عباس، وأبو رافع وابن عمر... وآخرون.

ومن التابعين من المخضرمين، أو من له رؤية: عبد الله بن شداد بن الهاد، وطارق بن شهاب وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام... وآخرون.

وكان أحد الشورى الذين نص عليهم عمر، فعرضها عليه عبد الرحمن ابن عوف وشرط عليه شروطًا امتنع من بعضها، فعدل إلى عثمان فقبلها فولاه، وسلم علي وبايع عثمان، ولم يزل بعد النبي صلى الله عليه وسلم متصديًا لنشر العلم والفتيا»[(١)].

قال أبو عثمان الصابوني رحمه الله في معرض إثباته لخلافة علي رضي الله عنه: ثم خلافة علي رضي الله عنه، ببيعة الصحابة إياه، عرفه ورآه كل منهم رضي الله عنهم أحق الخلق وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه[(٢)].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١٢٩٤، ١٢٩٥).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص (٢٩٢).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في ثنايا ذكره عقيدة أهل السنة: ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن غيره، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما دلت عليه الآثار..

وذلك لأنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله(١).

من مناقب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

شهادة رسول الله ﷺ بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، عَنْ سَلَمَةَ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللهُ فِي صَبَاحِهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ، غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**» فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّايَةَ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ(٢).

وعن سَعْد بن أبي وقَّاص قال: قال رسول الله ﷺ لعلي «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى**»(٣).

وفي حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه الشيخان، قال رسول الله ﷺ

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣، ١٥٤).
(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٢) ومسلم (٢٤٠٧).
(٣) **متفق عليه**: تقدم تخريجه.

لعليّ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ»(١).

تنبيه:

حديث البراء المتقدم، مما تمسك به الشيعة لإثبات الخلافة لعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأنها كانت حقًّا له، لا لأبي بكر ولا عمر، ولا عثمان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جميعًا- وليس في الحديث، ما يدل على ذلك لا بمفهومه، ولا بمنطوقه.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ في معرض شرحه للحديث: مما تعلقت به الروافض والإمامية، وسائر فرق الشيعة وبعض المعتزلة في أن الخلافة كانت حقًا لعلي، واستخلاف النبي – عليه الصلاة والسلام- له بذلك الحديث وأشباهه مما احتجوا به.

ثم اختلفوا بعد في تقديم غيره، فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره، ثم كفر بعضهم عليًّا لأنه لم يقم في طلب حقه، وهؤلاء استحق مذهبنا من أن يرد عليهم، وقد قالوا بأشنع من هذا فيمن هو أفضل مما ذكرنا.

ولا امتراء في كفر القائلين بهذا، لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول، فقد أبطل نقل الشريعة وهدم الإسلام، وأما من عداهم فإنهم لا يسلكون هذا، فأما الإمامية وبعض المعتزلة فتخطئهم، وأما بعض المعتزلة فلا يقول ذلك، لقولها بجواز تقديم المفضول على الفاضل في الإمامة على ما تقدم من الخلاف في ذلك.

وهذا الحديث بكل حال لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه من فضائل عليّ ومنزلته ما لا يحط من منزلة غيره، وليس في قوله هذا دليل على

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٤٢٥١) ومسلم (١٧٨٣).

استخلافه بعده، لأنه إنما قال له حين استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، فقال له ذلك لا استخلافه بعده.

بدليل أن هارون الذي يستشهد به لم يكن خليفة بعد موسى، وإنما مات في حياته وقبل موت موسى بنحو أربعين سنة على ما قال أهل الخبر، إنما استخلفه موسى حين ذهب لمناجاة ربه [(١)] انتهى.

ومن مناقب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نزول قرآن في شأنه:

عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يُقْسِمُ قَسَمًا: إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ [الحج: ١٩] نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةَ، وَعَلِيٍّ، وَعُبَيْدَةَ بْنِ الحَارِثِ، وَعُتْبَةَ، وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ [(٢)].

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: قال مجاهد: سألت ابن عباس فقال: سورة الحج نزلت بمكة سوى ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة في ستة نفر من قريش: ثلاثة مؤمنون، وثلاثة كافرون، فالمؤمنون: عليّ وحمزة وعبيدة، وذكره الباقي مثل ما في الكتاب، فنزلت فيهم ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ إلى تمام ثلاث آيات [(٣)].

من مناقبه أنه شهد بدرًا، وأهل بدر قد غفر الله لهم:

عن أبي إسحاق: «سَأَلَ رَجُلٌ البراء وَأَنَا أَسْمَعُ، قال: أَشَهِدَ عليٌّ بدرًا؟

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٤١١، ٤١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٦٩) ومسلم (٣٠٣٣).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢١/ ٤١).

قال: بَارَزَ وظَاهَرَ»[(١)][(٢)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله في الجواب: قال: بارز وظاهر، فيه حذف تقديره، قال نعم شهد فإنه بارز فيها وظاهر.

قال رسول الله ﷺ في أهل بَدْر: «**وَمَا يُدرِيكَ لَعَلَّ الله أن يَكُونَ قد اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ فقال: اعْمَلُوا مَا شِئْتُم، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم**»[(٣)][(٤)] انتهى.

ذكر صاحب النظم في الأبيات السابقة الثناء على علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد قدمنا شيئًا من فضائله.

قوله: «**وبعد**..» أي بعد عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (فالفضل حقيقًا) أي أن الفضل حقيقة، في الأمر من غير شك لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (فاسمع نظامي هذا) الذي أدرجت في هذه العقيدة التي تبين منهج أهل السنة، فهم مجتمعون على أن عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أفضل الصحابة بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة.

وقوله: «للبطين الأنزع...»:

أي: عظيم البطن، وهذا وصف ليس فيه ذم. وقيل: باطنه عظيم لتضلعه في العلوم والمعارف. (الأنزع) أي: المنحصر شعر رأسه مما فوق الجبين.

(مجدل الأبطال): جدله صرعه، أي: ملقي الأبطال على الأرض جمع بطل وهو الشجاع، وكان قتل من الأبطال عدة، منهم الوليد، ومرحب

---

(١) ظاهر: لبس درعًا على درع- فتح (٨/ ٣٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٧٠).

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٦٤).

(٤) فتح الباري (٨/ ٣٤٨).

وغيرهما (ماضي العزم) إشارة إلى شدة قوته، ومضى في الأمر: نفذ، والعزم: الجد والصبر، (مفرج الأوجال) أي: كاشف الهموم والغموم في المواقف الصعبة، (وافي الحزم) إشارة إلى وفرة عقله وفطنته، والحزم: ضبط الرجل أمره.

وقوله: «وافي الندى مبدي الهدى مُردي العدا..»:

أي كثير السخاء والكرم والعطاء، مظهر العلوم والفهوم والرشاد والدلالة، مهلك أعدائه ومتلفهم.

(مجلي الصدى) مزيل الصدى، أي: العطش، والأولى - جالي - والمراد: كاشف الكرب.

(يا ويل) دعاء بالحزن والهلاك لإنسان في أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (اعتدى) بانتقاصه وهضم حقوقه أو غلا فيه، قاله ابن قاسم.

وقوله: «فحبه كحبهم حتمًا وجب..»:

أي: أن حب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واجب كحب الخلفاء الراشدين، أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم جميعًا؛ لعموم الأدلة الدالة على وجوب محبة المؤمنين عامة والصحابة خاصة، وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أكابر الصحابة فهو رابع الخلفاء الراشدين.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: فكل من كان في قلبه غلٌّ على أحد من الصحابة، ولم

يترحم عليهم جميعهم، فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لأن الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل: المهاجرين، والأنصار، والتابعين[(١)].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظًّا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالتهم والاستغفار لهم[(٢)]، انتهى.

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «**أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**»[(٣)].

وقد تقدم حديث سَلَمة وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ -أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ- غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ**»[(٤)].

فكيف لمؤمن لا يحب من أحبه الله ورسوله، وأحب الله ورسوله، فمحبة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تابعة لمحبة الله ورسوله، لأن كل محبوب لغيره، إلا الله تعالى فهو محبوب لذاته، فمحبة غير الله تابعة لمحبة الله جل في علاه.

وقوله: «ومن تعدى أو قلى فقد كذب»:

أي: من تعدى في حبه وغلا في محبته (أو قلى) أي: أو كرهه وتركه وهجره وهضم حقه الثابت بالنص والإجماع (فقد كذب) أي: فقد كذب

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ٦١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٣).
(٣) أخرجه مسلم (١٣١-٧٨) وغيره.
(٤) **متفق عليه**: تقدم تخريجه.

على الله ورسوله، ورد النص والإجماع، إما بالغلو فيه كما فعل الشيعة الروافض أو بانتقاصه كما فعل الخوارج.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: وكما لبَّس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا علي بن أبي طالب، حمل آخرين على الغلو في حبه فزادوه على الحد، فمنهم من كان يقول: هو الإله، ومنهم من يقول هو خير من الأنبياء(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وأصل الرفض من المنافقين الزنادقة، فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق، وأظهر الغلو في عليّ بدعوى الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له، ولهذا كان مبدؤه من النفاق(٢).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما عليّ فأبغضه وسبه- أو كفره- الخوارجُ، وكثير من بني أمية وشيعتهم الذين قاتلوه وسبوه، فالخوارج تكفر عثمان وعليًّا وسائر أهل الجماعة(٣).

---

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي (١٠١).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٤).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٥).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٣ - وبعدُ فالأفضلُ باقي العَشَرَهْ فأهلُ بَدرٍ ثُمَّ أهلُ الشَّجَرَهْ

١٥٤ - وقيلَ أهلُ أُحُدٍ الْمُقَدَّمَه والأوَّلَ أوْلَى للنُّصوصِ الْمُحكَمَه

١٥٥ - وَعائِشَهْ فِي العِلمِ مَعْ خَديْجَه فِي السَّبْقِ فافهَم نُكْتَةَ النَّتِيجَهْ

الشرح

أي: أن أفضل الصحابة بعد الخلفاء الراشدين (باقي العشرة) الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»(١).

مسألة: هل بشر رسول الله ﷺ أحدًا من الصحابة بالجنة غير هؤلاء العشرة؟ وهل يجوز أن نشهد لأحد بالجنة غير الذين بشرهم النبي ﷺ أنهم من أهل الجنة؟

نعم، لقد بشر النبي ﷺ آخرين بالجنة، غير هؤلاء العشرة الكرام منهم: الحسن والحسين، عمار بن ياسر وآله، وسعد بن معاذ، وبلال، وحارثة بن سراقة، وحارثة بن النعمان، عمرو بن الجموح، أبو الدحداح وغيرهم رضي الله عنهم جميعًا.

(١) صحيح سنن الترمذي (٣٧٤٧)، وأخرجه أبو داود (٤٦٤٩) من حديث سعيد ابن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن النساء: خديجة، وفاطمة، وعائشة، وزوجاته، وأم سليم بنت حرام ابن ملحان (امرأة طلحة) وغيرهن، رضي الله عنهم جميعًا.

ذكر الأحاديث التي جاءت فيها البشارة بالجنة من رسول الله ﷺ لهؤلاء الصحابة الكرام:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحسَنُ والحُسَينُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجنَّة**»[(١)].

عَن أَبي الزُّبَيْرِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِآلِ عَمَّارٍ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فَقَالَ لَهُمْ: «**أَبْشِرُوا آلَ عَمَّارٍ وآلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**»[(٢)].

وعَن أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ جُبَّةُ سُنْدُسٍ وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنهَا فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا**»[(٣)].

وعن جَابِرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سَمِعتُ النبي ﷺ يقول: «**اهْتَزَ العَرشُ لِمَوتِ سَعدِ بن مُعَاذ**»[(٤)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِبِلالٍ عِنْدَ صَلاةِ الفَجْرِ: «**يَا بِلالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٦٢، ٦٤، ٨٢)، والترمذي (٣٧٦٨)، والحاكم (٣/ ١٦٦، ١٦٧) وأبو يعلى (٢/ ٣٩٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢٢٢٥)، وله شواهد كثيرة صححه بها الألباني في الصحيحة (٧٩٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٨٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٨، ٣٨٩)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٢٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٨)، ومسلم (٢٤٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦).

الجَنَّةِ» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ[(١)].

وعن حميد قال: سمعتُ أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ، فقَالَ: «**وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ**»[(٢)].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِمْتُ، فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ**» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَاكَ الْبِرُّ، كَذَاكَ الْبِرُّ**» وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ»[(٣)].

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّهُ حَضَرَ ذَلِكَ قَالَ: أَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ؟ وَكَانَتْ رِجْلُهُ عَرْجَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». فَقَتَلُوهُ يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلًى لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ**». فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٩) ومسلم (٢٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٨٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١٥١، ١٦٧)، وأبو يعلى (٧/ ٣٩٩)، والحاكم (٣/ ٢٠٨)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠١١٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٥٦).

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٩٩)، وابن أبي شيبة في تاريخ المدينة المنورة (١/ ١٢٨ - =

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِفُلَانٍ نَخْلَةً، وَإِنَّمَا أُقِيمُ حَائِطِي بِهَا، فَأْمُرْهُ أَنْ يُعْطِيَنِي حَتَّى أُقِيمَ حَائِطِي بِهَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَعْطِهَا إِيَّاهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ**» فَأَبَى، فَأَتَاهُ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَقَالَ: بِعْنِي نَخْلَتَكَ بِحَائِطِي. قَالَ: فَفَعَلَ. قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدِ ابْتَعْتُ النَّخْلَةَ بِحَائِطِي، فَاجْعَلْهَا لَهُ، وَقَدْ أَعْطَيْتُكَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَمْ مِنْ عَذْقٍ رداح لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ**» -قَالَهَا مِرَارًا- قَالَ: فَأَتَى امْرَأَتَهُ فَقَالَ: يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، اخْرُجِي مِنَ الْحَائِطِ؛ فَإِنِّي قَدْ بِعْتُهُ بِنَخْلَةٍ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَتْ: رَبِحَ الْبَيْعُ -أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا[(١)].

ومن النساء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ[(٢)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ

=

١٢٩)، عن أبي قتادة رضي الله عنه، وله شاهد عند ابن حبان في صحيحه (٧٠٢٤) عن جابر رضي الله عنه، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣١٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن النضر الأنصاري، وهو ثقة، وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٣/ ٢١٦)، وحسنه الألباني في أحكام الجنائز (ص: ١٤٦)، وتحقيقه لفقه السيرة (ص: ٢٦٧).

(١) أخرجه عبد بن حميد في المنتخب (١٣٣٢) وابن حبان في «موارد الظمآن» (٢٢٧١) وأصله عند مسلم (٩٦٥) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٢٠) ومسلم (٢٤٣٢).

خُطُوطٍ، قَالَ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ**»(١).

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ الأَسَدِيِّ، قَالَ: لَمَّا سَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى البَصْرَةِ، بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَدِمَا عَلَيْنَا الكُوفَةَ، فَصَعِدَا المِنْبَرَ، فَكَانَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَوْقَ المِنْبَرِ فِي أَعْلاَهُ، وَقَامَ عَمَّارٌ أَسْفَلَ مِنَ الحَسَنِ، فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَسَمِعْتُ عَمَّارًا، يَقُولُ: «إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى البَصْرَةِ، وَوَاللهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلاَكُمْ؛ لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ»(٢).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُرِيتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ امْرَأَةَ أَبِي طَلْحَةَ، ثُمَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَةً أَمَامِي فَإِذَا بِلَالٌ**»(٣).

وهل يجوز أن نشهد لأحد بالجنة غير الذين بشرهم النبي ﷺ أنهم من أهل الجنة؟

بينَ أهل العلم نزاع في هذه المسألة، فذهب فريق إلى أنه لا يجوز أن نشهد لأحد بالجنة لم يشهد له النبي ﷺ أنه من أهل الجنة، لأنه من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله أو أعلمه لنبيه ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٩٣)، والحاكم (٢/ ٥٩٤)، (٩/ ١٦٠، ١٨٥)، والطحاوي في المشكل (١/ ٥٠)، والطبراني في الكبير (١١٩٢٨)، وصححه لشواهده الألباني في «الصحيحة» (١٥٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٠٠) وغيره.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٥٧) وغيره.

وقال آخرون: يجوز أن نشهد لأهل الصلاح- الذين اتفق المسلمون على أنهم من أهل التقوى- أنهم من أهل الجنة، ومن أظهر ما استدلوا به لقولهم، حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه الشيخان، وفيه أنه قال: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجَبَتْ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «**هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**»(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فمن شهد له النبي بالجنة شهدنا له بالجنة، وأما من لم يشهد له بالجنة، فقد قال طائفة من أهل العلم: لا نشهد له بالجنة، ولا نشهد أن الله يحبه، وقال طائفة: بل من استفشى من بين الناس إيمانه وتقواه، واتفق المسلمون على الثناء عليه، كعمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، وسفيان الثوري، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، وعبد الله ابن المبارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرهم، شهدنا لهم بالجنة، لأن في الصحيح، أن النبي ﷺ مر عليه بجنازة.. وساق الحديث كما تقدم(٢). وهو الراجح عندي للحديث المتقدم، والله أعلم.

وقوله: «فأهل بدر»:

أي أن أهل غزوة بدر أفضل الصحابة بعد العشرة المبشرين بالجنة، وأهل بدر هم الذين قاتلوا مع رسول الله ﷺ مع قلة عددهم والعشرة أيضًا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩) واللفظ للبخاري.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٥١٩).

من أهل بدر، وكانت بدر في رمضان من السنة الثانية من الهجرة[(١)]، وكان النصر للمسلمين فقد استغاث رسول الله ﷺ ربه، فاستجاب له سبحانه وأمده بالملائكة تقاتل معه هو وأصحابه، وقد بشرهم أن الله قد غفر لهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة ليلة من شهر رمضان.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تستجيرون به من عددكم وتطلبون منه الغوث والنصر.

وروي عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٥٥).

مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «**مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**» قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمِ الْفِدَاءَ، لَقَدْ**

عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ » - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ - وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال: ٦٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٩] فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ[١].

﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم ﴾ مرسل إليكم مددًا وردءًا لكم، بألفٍ من الملائكة مردفين[٢].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ**» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القمر: ٤٥][٣].

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: «**مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ**» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ[٤].

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قَالَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا شَاوَرَهُ فِي قَتْلِ حَاطِبِ بن أبي بَلْتَعة: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فقال: اعْمَلُوا مَا شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم**»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) وغيره.

(٢) تفسير البغوي (٢/ ٢٧٢، ٢٧٣) زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ١٩١) وتفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٠، ٢٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٥٢).

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤).

وقوله: «ثم أهل الشجرة..»:

أي في الأفضلية بعد أهل بدر، أهل بيعة الرضوان، الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة بالحديبية.

قال الله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة... وأنهم كانوا ألفًا وأربعمائة، وأن الشجرة كانت سمُرة بأرض الحديبية[(١)].

وَعَنِ البَرَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ، كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، وَالحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَاهَا، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا، فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرِكَابَنَا»[(٢)]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ، ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ، فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**» قَالَ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا، خَيْلُ بَنِي الْخَزْرَجِ، ثُمَّ تَتَامَّ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ، إِلا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ**» فَأَتَيْنَاهُ فَقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٥٠).

يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ، قَالَ وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ»(١).

وقوله: «وقيل أهل أُحد المقدَّمة...»:

أي أن بعض أهل العلم قالوا: أهل غزوة أُحد أفضل من أهل الشجرة، لأن غزوة أحد مقدمة في الزمن، كانت سنة ثلاث (والأول أولى) أي: أن القول الأول بأن أهل بيعة الرضوان أفضل من أهل غزوة أحد، فالفضل ثابت لهم بنص الكتاب والسنة، فأهل الشجرة كُتب لهم الرضوان كما سبق بيانه، أما أهل أحد فقد عاتبهم الله تعالى ثم عفا عنهم قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالتحقيق أن أهل بيعة الرضوان يلون أهل بدر في الأفضلية... لأن الله تعالى قال في أهل بيعة الرضوان ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. وقال في أهل غزوة أحد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران] وفي الآية الأخرى ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٥٢] فوصفهم في الموضعين بالعفو، ووصف أهل البيعة بالرضى، وهو أعلى وأسنى، وأفضل من العفو، وهذا ظاهر، والله تعالى أعلم(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٢-٢٧٨٠).
(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٨٥).

تنبيه: تفضيل نوع على نوع، لا يقتضي تفضيل كل فرد:

المراد بالأفضلية من حيث الجملة، ولا يلزم تفضيل كل فرد مثلًا من المهاجرين على كل فرد من الأنصار، وإنما نقول الصحبة أفضل من غيرها، ولا أحد من غير الصحابة يساوي أحدًا من الصحابة، وكذلك الهجرة وكذلك كل ما امتازت به جملة على غيرها من غير هضم للمفضول من الفضائل والكمالات التي امتاز بها على غيره، من غير تلك الحيثية التي فضله فيها غيره... والله أعلم[(١)].

وقوله:

وَعائِشَـهْ فِـي العِلـمِ مَـعْ خَديْجَـه ... فِـي السَّـبْقِ فـافهَم نُكْتَـةَ النَّتِيجَـهْ

أي: وعائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فهي الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين، وزوج رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة وأحب الناس إلى رسول الله ﷺ[(٢)] فقد جاء بها الملك لرسول الله ﷺ في حَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ قَبْلَ أَنْ يتزوجها ﷺ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُكِ فِي المَنَامِ يَجِيءُ بِكِ المَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَقَالَ لِي: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكِ الثَّوْبَ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَقُلْتُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ**»[(٣)].

فهي من أفضل نساء أهل الأرض، وقد نزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو في لِحَافِهَا رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا[(٤)]، وهذه منقبة اختصت بها دون زوجاته، ولم يتزوج

---

(١) المصدر السابق.

(٢) راجع شرح البيت الثالث والخمسين بعد المائة.

(٣) أخرجه البخاري (٥١٢٥) ومسلم (٢٤٣٨).

(٤) انظر صحيح البخاري حديث (٣٧٧٥).

بكرًا إلا عائشة رضي الله عنها.

وكانت بركة على الأمة كلها فقد كانت سببًا في نزول آية التيمم[(١)]، فهي العابدة الفقيهة العالمة، كان يأتي إليها أكابر الصحابة يسألوها إذا أشكل عليهم أمر من أمور الدين، لكثرة ما تحمله من علم أخذته عن رسول الله ﷺ.

قال الذهبي رحمه الله: مسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين، وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين[(٢)]. انتهى.

وغير ذلك من مناقبها وهي كثيرة.

أما خديجة رضي الله عنها: فهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال، كانت أول امرأة يتزوجها، وكان عُمْر رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة خمسًا وعشرين[(٣)].

قال ابن هشام رحمه الله: تزوجها رسول الله ﷺ ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضي الله عنها، وولدت لرسول الله ﷺ ولده كُلهم -إلا إبراهيم-، وهم: القاسم، وبه كان يُكنى ﷺ، وأما أم إبراهيم فهي مارية القبطية، وأما الطاهر، والطيب، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة -عليهم السلام- كلهم من خديجة رضي الله عنهم جميعًا[(٤)].

---

(١) انظر صحيح البخاري حديث (٣٣٤) ومسلم (٣٦٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٨).

(٣) انظر البداية والنهاية (٢/ ٣٢٥).

(٤) انظر السيرة لابن هشام (١/ ١٢٢) أشرف على تحقيقه شيخنا مصطفى بن العدوي حفظه الله.

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: فولدت لرسول الله ﷺ ولده كُلهم -إلا إبراهيم: القاسم وبه يُكنى رسول الله ﷺ، وقال ابن إسحاق: فأما القاسم والطيب، والطاهر فهلكوا في الجاهلية، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ.

قال ابن هشام رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما إبراهيم فأمه مارية القبطية[1]. انتهى.

«ومات وهو ابن ثمانية عشر شهرًا... وجزم الواقدي بأنه مات يوم الثلاثاء لعشر ليال خلو من شهر ربيع الأول سنة عشر، وقال ابن حزم: مات قبل النبي بثلاثة أشهر»[2].

قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد آمنتْ بالنبي ﷺ وصدقته ونصرته، فهي أفضل نساء النبي ﷺ في السبق إلى الإسلام ومؤازرة الرسول ﷺ، ولذلك قال صاحب النظم (**فافهم**) فهم تحقيق وإذعان (نكتة النتيجة) أي: أثر فائدة الخلاف، والناتج أن خديجة أفضل بحسب السبق والمؤازرة وعائشة بالعلم ومحبة رسول الله ﷺ وتفضيلها على سائر أزواجه، وفي الصحيحين: **«إِنَّ الله بَعثَ إِلَى خَدِيجة بالسَّلاَمِ وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ»**[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: فتح الباري (٣/ ٢٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٢٠) ومسلم (٢٤٣٢) وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعائشة: سلم عليها جبرائيل، على لسان رسول الله ﷺ[1] ولم يتزوج بكرًا غيرها، وقال: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**»[2] وأُنزل في براءتها آيات تتلى إلى يوم القيامة وشهد بأنها من الطيبات، ومناقبها وسائر أزواج النبي ﷺ كثيرة شهيرة، قاله ابن قاسم.

---

(١) يشير إلى حديث عائشة وفيه قالت: قال رسول الله يومًا: «**يا عائشة هذا جبريل يُقْرئك السلام**» فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته تَرَى ما لا أَرَى، تريد رسول الله ﷺ، أخرجه البخاري (٣٧٦٨) ومسلم (٢٤٤٧) وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٦٩) ومسلم (٢٤٣١) وغيرهما من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

فصل

في ذكر الصحابة الكرام وبيان مزاياهم على غيرهم
والتعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل وتقبيح من آذاهم

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٦ - وَلَيْسَ فِي الأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ ... فِي الفَضْلِ وَالمَعْرُوفِ وَالإِصَابَةِ

١٥٧ - فَإِنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا المُخْتَارَا ... وَعَايَنُوا الأَسْرَارَا وَالأَنْوَارَا

١٥٨ - وَجَاهَدُوا فِي اللهِ حَتَّى بَانَا ... دِينُ الهُدَى وَقَدْ سَمَا الأَدْيَانَا

١٥٩ - وَقَدْ أَتَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ ... مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي لِلْغَلِيلِ

١٦٠ - وَفِي الأَحَادِيثِ وَفِي الآثَارِ ... وَفِي كَلامِ القَوْمِ وَالأَشْعَارِ

١٦١ -مَا قَدْ رَبَا مِنْ أَنْ يُحِيطَ نَظْمِي ... عَنْ بَعْضِهِ فَاقْنَعْ وَخُذْ عَنْ عِلْمِي

الشرح

تَقَدَّمَ أَنَّ الصَّحَابِيَّ هو من لقي النَّبِيَّ ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام، صغيرًا كان أو كبيرًا، طالت مُدَّةُ اللِّقَاءِ، أو قَصُرَتْ(١).

فَقَوْلُهُ: «وَلَيْسَ فِي الأُمَّةِ كالصَّحابة...»:

أي: وليس في أُمَّةِ رَسُولِ الله ﷺ كالصَّحابة - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم - (في الفَضْلِ والمَعْرُوفِ)؛ لأنهم أَفْضَلُ الأُمَّةِ المحمَّديَّة، والأمَّة المحمَّديَّة أفضل الأمم بِنَصِّ القرآن؛ قال تعالى ذِكْرُهُ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

(١) راجع إن شئت شرح البيت السابع والأربعين بعد المائة.

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

والمَعْرُوفُ ضِدُّ المُنْكَرِ[1]؛ فَالمَعْرُوفُ يَدْخُلُ فيه كلُّ خيرٍ، كما أنَّ المُنْكَرَ يدخل فيه كلُّ شَرٍّ؛ فالصَّحَابَةُ- رضوانُ الله عليهم- اجْتَمَعَ لَهُمْ مِنْ صِفَاتِ الخير والصَّلاح والتَّقوى والبِرِّ ما لم يجتمع لغيرهم، وهذا بِنَصِّ القُرْآنِ والسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ أَئِمَّةِ العلم.

ذكر بعض فضائل الصحابة من القرآن:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

وقد زكَّى الله عَقَائِدَهُم؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

---

(١) انظر: الصحاح (ص: ٦٩٤).

وقال جلَّ وعلا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر]، وقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾ [الحشر]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

كَتَبَ لهم الرُّضوان- سبحانه وتعالى- من فوق سبع سماوات، وقد عَلِمَ في علمه الأزليِّ الأبديِّ أنَّ هؤلاء الصَّحابة الكرامَ لهم من الصِّفات الَّتي لم يجتمع لِبَشَرٍ غَيْرِهِم إلاَّ للأنبياء، فرضي عنهم، وكتب لهم الرُّضوانَ في آياتٍ تُتْلَى إلى يوم القيامة؛ قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح]، ووَعَدَهُمْ- جلَّ ذِكْرُهُ- بالجنَّة فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

وقد استدلَّ غيرُ واحدٍ من أهلِ العلم بقَوْلِ الله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أنَّ جميع الصَّحابة بدون استثناء من أهل الجنَّة، مقطوع بذلك[(١)].

بل جعل النَّارَ مصيرَ من خَالَفَهم في عقائدهم، وأصول إيمانهم؛ قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) انظر: أحكام القرآن للقرطبي (١٧/ ٢٣٣)، وتفسير السعدي (ص:٨٣٨)، وغيرهما.

نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

قال البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾؛ أي: يُخَالِفُهُ. ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾؛ التَّوحيد والحدود. ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: غير طريق المؤمنين. ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ أي: نَكِلُهُ في الآخِرَةِ إلى ما تولَّى في الدُّنيا ﴿وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾»[(١)].

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلُّ ما في القرآن من خطاب المؤمنين والمتَّقين والمحسنين ومَدْحِهِم والثَّناء عليهم؛ فهم -أي الصَّحابة- أوَّلُ من دخل في ذلك من هذه الأمَّة، وأفضلُ مَنْ دَخَلَ من هذه الأمَّة»[(٢)].

بعض فضائل الصحابة من السنة المطهرة:

سَبَقَ ذِكْرُ بَعْضِ فَضَائِلِ الخَلَفِ وأفرادٍ من الصَّحابة، وها هنا أذكر بعض الأحاديث التي جاء فيها فَضْلُ الصَّحابة جميعًا:

فقد رَوَى البخاريُّ وَمُسْلِمٌ في «صَحِيحَيْهِمَا» من حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَجَبَتْ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ**»»[(٣)].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»[(٤)].

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٢٨٧).

(٢) منهاج السنة (٢/ ٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ**»(١).

بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ بَقَاءَهُ أَمَانٌ لأَصْحَابِهِ، وَبَقَاءُ أَصْحَابِهِ أَمَانٌ لِلأُمَّةِ.

عن أبي بُرْدَةَ، عن أبيه، قال: صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ قُلْنَا: لَوْ جَلَسْنَا حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَهُ الْعِشَاءَ. قَالَ: فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «**مَا زِلْتُمْ هَاهُنَا؟**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا نَجْلِسُ حَتَّى نُصَلِّيَ مَعَكَ الْعِشَاءَ. قَالَ: «**أَحْسَنْتُمْ**». أَوْ: أَصَبْتُمْ.

قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَكَانَ كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ**»(٢).

أخبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّ الله تعالى يفتح بهم البلاد؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ الرَّسُولَ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَغْزُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ الرَّسُولَ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ**»(٣).

أَخْبَرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الأمَّة لا تزال بخير ما دام فيها الصَّحابة، أو من رأى الصَّحابة؛ قال رسولُ الله ﷺ: «**لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَآنِي**

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٧- ٢٥٣١).
(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩٧)، ومسلم (٢٠٨- ٢٥٣٢).

وَصَاحَبَنِي، وَاللهِ لَا تَزَالُونَ بِخَيْرٍ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي وَصَاحَبَ مَنْ صَاحَبَنِي»(١).

شهادة النبي ﷺ بأنَّ من أغضب الصَّحابة فقد أغضب اللّه تعالى:

عن عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَتَى عَلَى سَلْمَانَ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ»، فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا. يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي(٢).

مسألة: حكم من سب الصحابة الكرام:

اعلم أن سبَّ الصَّحابة حرام بالإجماع؛ لأنَّه شقاقٌ لله ورسوله، وقد تنازع أهل العلم في حكم من سبَّ صحابة رسول الله ﷺ فمنهم من قال: فاسقٌ مبتدعٌ. يُضرب، ويُؤدَّب، ومنهم من حكم بكفره.

ومن العلماء من فصَّل في المسألة، فحكم بكفر من طعن في عدالتهم وعقيدتهم؛ لأنَّ في هذا الطَّعن تكذيبًا لله ورسوله؛ لأنَّ الله تعالى زكَّاهم في كتابه، وكتب لهم الرُّضوان، وكذا زكَّاهم رسول الله ﷺ كما ذكرنا أدلَّة ذلك آنفًا.

ومنهم من كفَّر من سبَّ عائشة - رَضِوَاللَّهُعَنْهَا - على وجه الخصوص؛ لأن براءتها نزلت في كتاب الله - عزَّ وجلَّ - ومنهم من كفَّر من سبَّ أبا بكر وعمر، ومن شهد له النبي ﷺ بالجنَّة، ومنهم من قال: من سبَّ الصَّحابة عاصٍ ملعونٌ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٧٦)، كتاب الإيمان.

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لقد خاب وخسر من سَبَّ أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنَّه خَالَفَ الله ورسوله، وَلَحِقَتْهُ اللَّعْنَةُ من الله -عزَّ وجلَّ- وَمِنْ رَسُولِهِ، ومن الملائكة، ومن جميع المؤمنين، ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا- لا فَرِيضَةً ولا تَطَوُّعًا- وهو ذَلِيلٌ في الدُّنيا، وَضِيعُ القَدْرِ، كَثَّرَ الله بهم القبور، وأخلى منهم الدُّورَ»[١].

قال القاضي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَسَبُّ آل بَيْتِهِ وأزواجه وأصحابه ﷺ وَنَقْصُهُم حَرَامٌ، مَلْعُونٌ فَاعِلُه». ثُمَّ ساق جُمْلَةً من الأحاديث الدَّالَّة على مَنَاقِبِ الصَّحابة... إلى أن قال: «وقد اختلف العلماء في هذا؛ فَمَشْهُورُ مَذْهَبِ مالك في ذلك الاجْتِهَادُ والأَدَبُ المُوجِعُ»[٢].

قال مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ شَتَمَ النَّبيَّ ﷺ قُتِلَ، وَمَنْ شَتَمَ أَصْحَابَهُ أُدِّبَ. وقال أيضًا: مَنْ شَتَمَ أَحَدًا من أصحاب النَّبيِّ ﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضَلالٍ وَكُفْرٍ، قُتِلَ، وإن شَتَمَهُمْ بغير هذا مشاتمة النَّاس، نُكِّلَ نَكَالًا شديدًا...».

وروي عن مالك: من سَبَّ أبا بكر، جُلِدَ، ومن سَبَّ عائشة قُتِلَ. قيل له: لم؟ قال: مَنْ رَمَاهَا، فَقَدْ خَالَفَ القُرْآنَ[٣].

قال النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أَنَّ سَبَّ الصَّحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم- حَرَامٌ مِنْ فَوَاحِشِ

---

(١) الشريعة (ص: ٧١٦).

(٢) الشفا (ص: ٤٩٢).

(٣) المصدر السابق.

المحرَّمات؛ سَوَاءٌ من لَبِسَ الفِتَنَ منهم وَغَيْرُهُ؛ لأنَّهم مجتهدون في تلك الحروب، متأوِّلون... ».

وقال القاضي عياض: «وَسَبُّ أَحَدِهِم من معاصي الكبائر». ومذهبنا ومذهب الجمهور أنَّه يُعَزَّرُ، ولا يُقْتَلُ. وقال بَعْضُ المالكيَّة: يُقْتَلُ [(١)].

قال ابن حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اخْتُلِفَ في سَابِّ الصَّحَابِيِّ، فقال عِيَاضٌ: ذهب الجمهور إلى أنه يُعَزَّرُ، وعن بعض المالكية يقتل، وخصَّ بعض الشافعية ذلك بالشيخين، والحسنين، فحكى القاضي حسين في ذلك وجهين، وقوَّاه السُّبْكِيُّ في حَقِّ من كفَّر الشيخين، وكذا من كفَّر من صَرَّحَ النَّبِيُّ ﷺ بإيمانه، أو تبشيره بالجنة، إذا تواتر الخبر بذلك عنه؛ لما تضمَّن من تكذيب رسول الله ﷺ »[(٢)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ- في معرض كلامه عن حكم من سَبَّ الصحابة-:
«أَمَّا مَنِ اقْتَرَنَ بِسَبِّهِ دَعْوَى أَنَّ عَلِيًّا إله، أو أنَّه كان هو النَّبِيَّ، وإنَّما غلط جبرائيل في الرِّسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شَكَّ في كفر من توقف في تكفيره.

وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وَكُتِمَتْ، أو زعم أن له تأويلات باطنة تُسْقِطُ الأعمالَ المشروعة، ونحو ذلك، وهؤلاء يُسَمَّوْنَ القرامطة، والباطنية، ومنهم التَّنَاسُخِيَّةُ، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

وأما من سَبَّهُم سَبًّا لا يقدح في عدالتهم، ولا في دينهم، مثل وصف

(١) شرح مسلم (٨/ ٣٣٤).
(٢) الفتح (٧/ ٤٤).

بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك، فهذا مَحَلُّ الخلاف فيهم؛ لتردد الأمر بين لعن الغيظ، ولعن الاعتقاد.

وأمَّا من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدُّوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضع عشرة نفسًا، أو أنَّهم فسقوا عامَّتهم، فهذا لا ريب أيضًا في كفره؛ لأنه مكذِّب لما نَصَّهُ القرآن في غير موضع؛ من الرِّضا عنهم، بل من يَشُكُّ في كفر مثل هذا، فإن كفره متعيِّن؛ فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران]، وخيرُها هو القرن الأول، ما كان عامتهم كفارًا أو فساقًا، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام...

وبالجملة فمن أصناف السَّابَّة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنه من تردد فيه»[(١)].

الراجح:

أَنَّ من سَبَّ الصَّحابة- رضوان الله عليهم- أو طعن في عدالتهم، أو عقيدتهم، أو ادَّعَى أنَّهم ارتدُّوا بعد موت النَّبيِّ ﷺ أو ما أشبه ذلك، فهو كافر بلا ريب؛ لأسباب:

الأوَّل: أنَّ الطَّعنَ في الصحابة يُعَدُّ تكذيبًا للقرآن الذي جاء فيه في أكثر من موضع تزكية الله تعالى لهم، وقد ذكرتُ آنفًا الآيات الدالة على فضل الصحابة.

---

(١) الصارم المسلول (ص: ٤٣٧).

الثاني: أَنَّ الطَّعْنَ في الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- تكذيب للرَّسول ﷺ الَّذي زكَّاهم، وَشَهِدَ لِكَثِيرٍ منهم بالجنَّة، وقد تَقَدَّمَ بيانُ ذلك بالأحاديث الصَّحيحة الثَّابتة عن النَّبيِّ ﷺ.

الثَّالث: أَنَّ الطَّعْنَ فيهم طَعْنٌ في الدِّينِ كُلِّهِ -الكِتَابِ والسُّنَّة- فلا يَخْفَى على أَحَدٍ أَنَّ الَّذي جَمَعَ القرآنَ هم الصَّحابة الكِرَامُ، وهم الَّذين نَقَلُوا لنا السُّنَّة؛ فَقَدْ رضي الله عنهم، وَاخْتَارَهُمْ لِصُحْبَةِ نبيِّه ﷺ وإقامة دينه وشرعه، وجعلهم ورثته ﷺ مِنْ بَعْدِهِ.

أَمَّا من سَبَّ الصَّحَابَةَ تَغَيُّظًا غير معتقد فَسَادَ دِينِهِم، أو عدالتِهم، فهذا فَاسِقٌ عَاصٍ يؤدَّب، ولا يكفَّر، وهو على خَطَرٍ عَظِيمٍ. وهذا ما اختار شيخُ الإسلام، وغيرُه، والله تعالى أعلم.

وقوله: «والإصابة»:

ذكر صاحب النَّظْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ في أوَّل هذا البيت أن ليس في الأمَّة كالصَّحابة في الفضل والمعروف، وقد تقدَّم شرحُ البيت.

ثمَّ قال في آخر البيت: (والإصابة) أي: إنَّهم أحقُّ النَّاس في الإصابة للأحكام الشَّرعيَّة؛ فهم أقرب النَّاس إلى الصَّواب، فقد تلقَّوا العلم من رسول الله ﷺ ويا لها من منزلة؛ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة].

وقوله:

فَإِنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا الْمُخْتَارَا ... وَعَايَنُوا الأَسْرَارَا وَالأَنْوَارَا

يواصل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الكلام عن فضل الصَّحابة، وأنهم أقرب الناس إلى الصواب، ومعرفة الحق، كما سبق بيانه، مُعَلِّلًا ذلك بأنهم قد شاهدوا

«المختار»؛ أي: رسول الله ﷺ الذي اختاره ربُّ العالمين لتبليغ رسالته للجنِّ والإنس، وجعله خاتم النَّبيِّين، وسيِّد المرسلين، وقد تقدَّم ذكرُ شيء من فضائل نبيِّنا ﷺ.

«وعاينوا»؛ أي: رأوا في صحبتِهم لرسول الله ﷺ.

«الأسرار»؛ أسرار القرآن، فعلموا مُحْكَمَه ومتشابهه، وأسباب نزول آياته، وما فيه من أحكام وأخبار الأمم السابقة، وكذا عاينوا السنة المطهرة، وحفظوا الأحاديث عن رسول الله ﷺ فهم الذين نقلوا لنا الشَّريعة.

«والأنوار»؛ أي: أنوار الوحيَين «الكتاب والسُّنَّة»

قال تعالى ذكرُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء].

وقوله:

وَجَاهَـدُوا فِي اللهِ حَتَّـى بَانَـا دِيـنُ الهُـدَى وَقَـدْ سَـمَا الأَدْيَانَـا

أي أنَّ الصَّحابة -رضي الله عنهم- قد جاهدوا في سبيل الله؛ لنصر دينه، وسنَّة نبيِّه ﷺ ولم يبخلوا بشيء، بل بذلوا الغالي والثَّمين، وضحَّوا بأغلى ما عندهم؛ تركوا الدِّيار والأهل، وهاجروا، وجاهدوا بأموالهم وبأنفسهم، وما ضعفوا، ولا استكانوا، ولا تردَّدوا في نصرة الدِّين.

«حتَّى بانا دينُ الهدى» حتَّى ظهر هذا الدِّين، وانتصر.

«وقد سما الأديانا» أي: علا هذا الدِّين على سائر الأديان، فأيُّ دين غير الإسلام باطل؛ فالإسلام دينُ الحقِّ، ولا يقبل الله تعالى من العباد غيرَه؛

قال الله تعـالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران].

وقوله:

وَقَدْ أَتَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي لِلغَلِيلِ

أي: وقد جاء في محكم التَّنزيل؛ أي: كتاب الله المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. «من فضلهم»؛ أي: من فضل الصَّحابة رضوان الله عليهم «ما يشفي الغليل»؛ أي: المريض، مريض القلب، الشَّاكَّ في فضلهم، الحاقدَ عليهم؛ فقد أثنى - سبحانه وتعالى - عليهم في أكثر من موضع في كتابه، وقد ذكرتُ أدلة ذلك[1].

وقوله:

وَفِي الأَحَادِيثِ وَفِي الآثَارِ وَفِي كَلامِ القَوْمِ وَالأَشْعَارِ

أي: أتى فضل الصَّحابة أيضًا في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ وقد بيَّنَّا ذلك أيضًا.

«وفي الآثار» التي وردت عن الصحابة والتابعين. «وفي كلام القوم»؛ من أئمة العلم والدين، والفقهاء الذين نهجوا نهج الصحابة، ومن تبعهم بإحسان. «والأشعار» أي: الشعر المباح المنضبط بضوابط الشَّرع؛ مثل شعر حسَّان بن ثابت، وغيره، الذي جاء فيه الثَّناء على الصَّحابة بما يرضي الله تعالى.

---

(١) راجع البيت السادس والخمسين بعد المائة.

وقوله:

مَـا قَـدْ رَبَـا مِـنْ أَنْ يُحِـيطَ نَظْمِـي عَنْ بَعْضِهِ فَاقْنَعْ وَخُذْ عَـنْ عِلْمِي

رَبَا الشَّيْءُ يَرْبُو رُبُوًّا وَرِبَاءً؛ زاد، ونما [(١)]؛ يعني: إنه قد قيل من الأشعار ما زاد وعلا «من أن يحيط نظمي» به في هذه الأبيات ويضيق «عن بعضه»، فضلًا أن يحيط بكله «فاقنع وخذ عن علم»؛ أي: اقنع بما أشرت إليه في هذا النظم، وما ذكرتُ من أدلة، خذ ذلك؛ لأنه عن علم ويقين ومعرفة.

---

(١) اللسان (٤/ ٥٤).

قال صاحب النظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٦٢ -وَاحْذَرْ مِنَ الخَوْضِ الَّذِي قَدْ يُزْرِي بِفَضْلِهِمْ مِمَّا جَرَى لَوْ تَدْرِي

١٦٣ - فَإِنَّهُ عَنِ اجْتِهَادٍ قَدْ صَدَرْ فَاسْلَمْ أَذَلَّ اللهُ مَنْ لَهُمُ هَجَرْ

١٦٤ - وَبَعْدَهُمْ فَالتَّابِعُونَ أَحْرَى بِالفَضْلِ ثُمَّ تَابِعُوهُمْ طُرَّا

الشرح

الخَوْضُ لُغَةً: اللَّبْسُ فِي الأَمْرِ. والخوض من الكلام: ما فيه الكذب والباطل، وقد خاض فيه، وفي التَّنزيل العزيز: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨]، وخاض القوم في الحديث: تخاضُّوا؛ أي: تفاوضوا فيه [(١)].

أي: واحذر «من الخوض»؛ أي الكلامَ الَّذي فيه الكذب والباطل. «الذي قد يُزْرِي»؛ أي: يَحُطُّ وينقص من «فَضْلِهِم» أي: فَضْلَ وَقَدْرَ الصَّحابة الكرام «ممَّا جرى»؛ أي: ممَّا وقع بينَهم وشَجَرَ بينهم عن اجتهاد، لا للسَّعي وراء دنيا أو ملك؛ فهم أبعد النَّاس عن هذه الأمور المذمومة، وقد سبق بيان تزكية الله تعالى لهم، وتزكية رسوله ﷺ.

وأيضًا سبق بيان حكم من سَبَّ صحابةَ رسول الله ﷺ فهو من أعظم الذُّنوب على الإطلاق «لو تدري»؛ أي: ليتك تدري شؤمَ الانتقاص والحطِّ من قَدْرِهِم؛ «فإنَّه عَنِ اجْتِهَادٍ قد صَدَرَ»؛ أي أنَّ ما وقع بين الصَّحابة، وما جرى بين عليٍّ ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من قتال، كان عن اجتهاد من كلا الفريقين، لا

---

(١) اللسان (٤/ ٥٤).

أحد منهم كان يقاتل لدنيا، أو خلافة، وسيأتي بيان ذلك.

ومعلوم أنَّ المجتهد إذا أصاب أو أخطأ له أجر؛ قال رسول الله ﷺ: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ، فَلَهُ أجران، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ»(١).

وقوله: «فاسلم أذلَّ الله من لهم هجر»:

أي: احرص على سلامة دينك، مما يَشِينُكَ عند الله، بسبب الخوض فيما شجر بينهم، «أذلَّ الله من لهم هجر» دعاء على كل من طعن في الصَّحابة الكرام، وعاداهم، وهجرهم، ولم يوالهم، كما يفعل الرَّوافض والنَّواصب ومن وافقهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في معرض ذكره أصول أهل السنة والجماعة-:

«ويتبرأون من طريقة الروافض الذين يُبْغِضُونَ الصحابة، ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة.

ويقولون: إن هذه الآثار في مساوئهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغُيِّر عن وجهه الصحيح منه، هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون.

وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ «أنهم خير القرون»[١]، وأن المُدَّ من أحدهم إذا تصدَّق به، كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم[٢]...

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما مَنَّ الله به عليهم من الفضائل، علم يقينًا أنهم خير الخَلْقِ بعد الأنبياء؛ لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصَّفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم، وأكرمها على الله تعالى[٣].

بيان الحق فيما وقع بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

قد سبق بيان فضل الصَّحابة من الكتاب والسُّنَّة، وفضل الخلفاء، وأنَّ رابعَهم عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمَّا معاوية فالأمَّة مجمعة على عَدِّهِ من الصَّحابة؛ فهو بلا شكٍّ داخل في عموم هذه النُّصوص التي جاء فيها الثَّناء من الله ورسوله على الصَّحابة، وذكر فضائلهم ومحاسنهم؛ فمعاوية صحابيٌّ جليل، ومن كُتَّابِ الوحي المنزَّل من ربِّ العالمين على رسولنا الأمين.

قال ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: واتَّفق العلماء على أنَّ معاويةَ أفضلُ ملوك هذه الأمَّة؛ فإنَّ الأربعة قبلَه كانوا خلفاء نبوَّة، وهو أوَّل الملوك، كان ملكُه ملكًا ورحمة، كما جاء في الحديث: «**يَكُونُ المُلْكُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا**

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.
(٢) صحيح: تقدم تخريجه.
(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٥ - ١٥٦) باختصار.

وَرَحْمَةً، ثُمَّ مُلْكًا وَجَبْرِيَّةً، ثُمَّ مُلْكًا عَضُوضًا[(١)]»[(٢)]، وكان في ملكِه من الرَّحمة والحلم والعفو ونفع المسلمين ما يُعْلِمُ أنه كان خيرًا من ملك غيره.

وأمَّا من قبله فكانوا خلفاء نبوَّة؛ فإنه ثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ- أَوْ مُلْكَهُ- مَنْ يَشَاءُ**»[(٣)][(٤)].

وأذكر هنا باختصار ما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما حتى يتبين لك الحق:

إنَّ عثمان بن عفان رضي الله عنه لمَّا قُتِلَ مظلومًا، انعقدت الخلافة على أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه ولم ينقل أحدٌ أنَّ معاوية نازع عليًّا في الخلافة، ولكنَّه خرج يطالب عليًّا أن يقتل قتلة عثمان قصاصًا، ولكنهم قد انتشروا في عسكر المسلمين، وكان عليٌّ كما قال الحافظ ابن حجر[(٥)]: «ينتظر من أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه، فإذا ثبت على أحد بعينه أنه ممن قتل عثمان، اقتصَّ منه، فاختلفوا بحسب ذلك». انتهى كلامه.

وإن كان عليٌّ هو المحقَّ، كما جاءت الأحاديث الدَّالَّة على ذلك، فإن معاوية وإن كان مخطئًا فهو مجتهد.

أمَّا دليل أن عليًّا هو ومن معه أولى بالحق من معاوية وأصحابه، ما أخرجه البخاري في «صحيحه» من حديث أبي سعيد الخُدْرِيِّ، وفيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ،**

---

(١) عضوض؛ أي: يُعَضُّ. اللسان (٦/ ٣٠٠)، والمعنى: يُتَمَسَّكُ بالملك.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٨٤٠٦) بنحوه، وصححه الألباني في الصحيحة (٥).

(٣) صحيح: سنن أبي داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦)، وأحمد (٥/ ٢٢٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٧٧).

(٥) انظر: الفتح (١٣/ ٦١).

وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ»(١).

وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ أيضًا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**»(٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر حديث أبي سعيد الخُدْريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بطُرُقِه: «فهذا الحديث من دلائل النُّبوَّة؛ لأنَّه قد وقع الأمر طبقَ ما أخبر به الرَّسول ﷺ وفيه الحكمُ بإسلام الطَّائفتين، أهل الشَّام، وأهل العراق، لا كما تزعمه فرقة الرَّافضة أهل الجهل والجَور من تكفيرهم أهل الشَّام، وفيه أنَّ أصحابَ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أدنى الطَّائفتين إلى الحقِّ.

وهذا مذهبُ أهلِ السُّنَّة والجماعة؛ أنَّ عَلِيًّا هو المصيبُ، وإن كان معاوية مجتهدًا في قتاله له، وقد أخطأ، وهو مأجور إن شاء الله، ولكن عليًّا هو الإمام المصيب إن شاء الله تعالى، فله أجران، كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ، فَلَهُ أجران، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ**»(٣).

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ- في معرض شرحه لحديث أبي سعيد بطرقه-: «هذه الرِّوايات صريحة في أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان هو المصيبَ المحقَّ، والطَّائفة الأخرى أصحاب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانوا بُغاةً متأوِّلين، وفيه تصريح بأنَّ الطَّائفتين مؤمنون، لا يخرجون بالقتال عن الإيمان، ولا يفسَّقون. وهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٠/ ١٠٦٥).

(٣) **متفق عليه**: تقدم تخريجه قريبًا.

مذهبنا، ومذهب موافقينا[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة، بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله -تعالى- عن المخطئ في الاجتهاد[٢]، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأنَّ المصيبَ يؤجَر أجرين[٣].

قال أبو عثمان الصَّابونيُّ رَحِمَهُ اللهُ- في ثنايا ذكر عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة:

«ويرون الكفَّ عمَّا شجر بين أصحاب رسول الله- صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمَّن عيبًا لهم، ونقصًا فيهم، ويرون التَّرحُّم على جميعهم، والموالاة لكافَّتهم.

وكذلك يرون تعظيمَ قَدْرِ أزواجه- رضي الله عنهن- والدُّعاء لهنَّ، ومعرفة فضلهنَّ، والإقرار بأنَّهنَّ أمَّهات المؤمنين»[٤].

كلام نفيس للآجري يتبين منه العلة في الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ:

قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ: « ينبغي لمن تدبر ما رسمناه من فضائل

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٥٩، ٦٠).

(٢) عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**». صحيح ابن ماجه (٢٠٤٣)، والبيهقي في الكبرى (١١/ ٢٦٣)، والإرواء (٨٢).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٤٢).

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص: ٢٩٤).

أصحاب رسول الله ﷺ وفضائل أهل بيته- رضي الله عنهم أجمعين- أن يحبهم ويترحم عليهم ويستغفر لهم ويتوسل إلى الله الكريم بهم ويشكر الله العظيم إذ وفقه لهذا، ولا يذكر ما شجر بينهم، ولا ينقر عنه، ولا يبحث.

فإن عارضنا جاهل مفتون قد خطئ به عن طريق الرشاد فقال: لم قاتل فلان لفلان ولم قتل فلان لفلان وفلان؟ قيل له: ما بنا وبك إلى ذكر هذا حاجة تنفعنا، ولا اضطررنا إلى علمها.

فإن قال: ولم؟ قيل له: لأنها فتن شاهدها الصحابة - رضي الله عنهم- فكانوا فيها على حسب ما أراهم العلم بها، وكانوا أعلم بتأويلها من غيرهم، وكانوا أهدى سبيلًا ممن جاء بعدهم؛ لأنهم أهل الجنة، عليهم نزل القرآن، وشاهدوا الرسول ﷺ وجاهدوا معه، وشهد لهم الله- عز وجل- بالرضوان والمغفرة والأجر العظيم، وشهد لهم الرسول ﷺ أنهم خير قرن، فكانوا بالله- عز وجل- أعرف، وبرسوله ﷺ وبالقرآن وبالسنة، ومنهم يؤخذ العلم، وفي قولهم نعيش، وبأحكامهم نحكم، وبأدبهم نتأدب، ولهم نتبع، وبهذا أمرنا.

فإن قال: وإيش الذي يضرنا من معرفتنا لما جرى بينهم والبحث عنه؟ قيل له: ما لا شك فيه؛ وذلك أن عقول القوم كانت أكبر من عقولنا، وعقولنا أنقص بكثير، ولا نأمن أن نبحث عما شجر بينهم فنزِلّ عن طريق الحق ونتخلف عما أمرنا فيهم.

فإن قال: وبم أمرنا فيهم؟ قيل: أمرنا بالاستغفار لهم والترحم عليهم والمحبة لهم والاتباع لهم. دل على ذلك الكتاب والسنة وقول أئمة المسلمين، وما بنا حاجة إلى ذكر ما جرى بينهم. قد صحبوا الرسول ﷺ

وصاهرهم وصاهروه، فبالصحبة يغفر الله الكريم لهم، وقد ضمن الله- عز وجل- في كتابه أن لا يخزي منهم واحدًا، وقد ذكر لنا الله تعالى في كتابه أن وصفهم في التوراة والإنجيل؛ فوصفهم بأجمل الوصف ونعتهم بأحسن النعت وأخبرنا مولانا الكريم أنه قد تاب عليهم، وإذا تاب عليهم لم يعذب واحدًا منهم أبدًا ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة].

فإن قال قائل: إنما مرادي من ذلك لأن أكون عالمًا بما جرى بينهم فأكون لم يذهب على ما كانوا فيه؛ لأني أحب ذلك ولا أجهله. قيل له: أنت طالب فتنة؛ لأنك تبحث عما يضرك ولا ينفعك، ولو اشتغلت بإصلاح ما لله - عز وجل- عليك فيما تعبدك به من أداء فرائضه واجتناب محارمه كان أولى بك.

وقيل: ولا سيما في زماننا هذا مع قبح ما قد ظهر فيه من الأهواء الضالة. وقيل له: اشتغالك بمطعمك وملبسك من أين هو؟ أولى بك، وتكسبك لدرهمك من أين هو؟ وفيما تنفقه أولى بك.

وقيل: لا يأمن أن يكون بتنقيرك وبحثك عما شجر بين القوم إلى أن يميل قلبك، فتهوى ما لا يصلح لك أن تهواه، ويلعب بك الشيطان، فتسب وتبغض من أمرك الله بمحبته والاستغفار له وباتباعه، فتزل عن طريق الحق وتسلك طريق الباطل.

فإن قال: فاذكر لنا من الكتاب والسنة وعمن سلف من علماء المسلمين ما يدل على ما قلت؛ لترد نفوسنا عما تهواه من البحث عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم قيل له: قد تقدم ذكرنا لما ذكرته مما فيه بلاغ وحجة لمن عقل»(١).

(١) الشريعة، للآجري (ص: ٧٠٨- ٧٠٩)، طبعة دار الحديث- القاهرة.

وقوله: «وبعدهم، فالتَّابعون أولى بالفضل...»:

أي: وبعد الصَّحابة في الفضل والدين ومكارم الأخلاق وكل الصفات الحميدة، هم التابعون لهم بإحسان؛ فهم (أحرى بالفضل)؛ أي: أجدر وأحقَّ النَّاس بأن يوصَفوا بالفضل من غيرهم. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة]. وقال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١).

فالتَّابعون كان لهم الفضل؛ لكونهم صاحبوا أصحابَ رسول الله ﷺ وتلقَّوا منهم العلمَ الذي أخذوه عن رسول الله ﷺ.

وقوله: «ثمَّ تابعوهم طرًّا»:

أي: إنَّ أَحَقَّ النَّاس بالفضل بعد التَّابعين (تابعوهم)؛ أي: تابعي التَّابعين (طُرًّا)؛ أي: جميعًا(٢)؛ لأنَّهم هم القرن الثَّالث الَّذي أثنى عليه رسول الله ﷺ كما تقدَّم في الحديث.

---

(١) صحيح: تقدم تخريجه.
(٢) اللسان (٥/ ٥٨٢).

فصل

في ذكر كرامات الأولياء وإثباتها

قال المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦٥- وَكُلُّ خَارِقٍ أَتَى عَنْ صَالِحِ ... مِنْ تَابِعٍ لِشَرْعِنَا وَنَاصِحِ

١٦٦- فَإِنَّهَا مِنَ الكَرَامَاتِ الَّتِي ... بِهَا نَقُولُ فَاقْفُ لِلأَدِلَّةِ

١٦٧- وَمَنْ نَفَاهَا مِنْ ذَوِي الضَّلالِ ... فَقَدْ أَتَى فِي ذَاكَ بِالمُحَالِ

١٦٨- لِأَنَّهَا شَهِيرَةٌ وَلَمْ تَزَلْ ... فِي كُلِّ عَصْرٍ يَا شَقَا أَهْلِ الزَّلَلْ

الشرح

انتقل المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بعد الانتهاء من ذكر فضائل الصَّحابة والتَّابعين وتابعي التابعين، إلى ذكر أصل من أصول أهل السُّنَّة والجماعة، ألا وهو ذكرُ كرامات الأولياء.

قال: «وكلُّ خارق...»:

أي: كلَّ خارق للعادة. مرادُه بذلك الكرامة؛ وهي أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة؛ فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح استدراج، وما قرن بدعوى النبوة معجزة[(١)]، ولذلك قال المصنف: «أتى عن صالحٍ»؛ لأنَّ الطَّالح والدجَّال والمشعوذ ما يجري على أيديهم من أمور الدجل والشعوذة فتنة، وليست كرامة.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٨١)، وانظر: التعريفات، للجرجاني (ص: ٢٣٥).

فالحاصل أنَّ الأمر الخارق للعادة لا يخلو من ثلاثة أحوال:

أحدها: الآيات أو المعجزات التي تجري على يد الأنبياء، يظهرها الله تعالى لتكون تأييدًا لهم في دعوتهم. وقد سبق بيان معجزات الأنبياء.

الثاني: الكرامة يمن بها الله على أوليائه؛ إكرامًا لهم.

الثالث: ما يجري على يد الدَّجَّالين من أمور خارقة للعادة تكون من مساعدة الشَّياطين لهم، كما يظهر هذا عندَ بعض السَّحرة والمشعوذين؛ فالمعجزة للأنبياء، والكرامة للأولياء، والشَّعوذة للأشقياء.

مبحث في كرامات الأولياء والفرق بينها وبين الأحوال الشيطانية:

ابتداءً لا بُدَّ أن نعرف مَنْ هم أولياء الله، ومن هم أولياء الشَّيطان؛ حتَّى نستطيع أن نفرق بين أحوال كلا الفريقين.

أولياء الرحمن هم المؤمنون المتقون، جاءت صفتهم في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

فَالوَلِيُّ هو المؤمن التَّقيُّ، ومن المعلوم أن أعلى طرق تفسير القرآن أن يُفَسَّرَ القرآن بالقرآن، وقد سبق بيان ذلك[(١)]، وذكر أنواع الولاية[(٢)].

وفي الحديث القدسي الذي رواه النبي ﷺ عن رب العزة قال: «إِنَّ اللهَ قَالَ: **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا**

---

(١) راجع تفسير الطبري (١١/ ١٣٢)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٢).

(٢) راجع إن شئت شرح البيت الثالث والخمسين.

أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١).

أما أولياء الشيطان: فقد ذكر الله تعالى أولياء الشَّيطان، فقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل]، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء]، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف]، وقال جلَّ جلاله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، وغير ذلك من الآيات.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ - في ثنايا تفريقه بين أولياء الرحمن وأولياء الشَّيطان، وبعد أن ذكر جملة من الآيات والأحاديث -: «ومن ادَّعى محبَّة الله، ولم يتَّبع الرَّسول ﷺ فليس من أولياء الله، وإن كان كثير من النَّاس يظنُّون في أنفسهم، أو في غيرهم، أنَّهم من أولياء الله، ولا يكون من أولياء الله؛ فاليهود والنَّصارى يَدَّعُونَ أنهم أولياء الله وأحباؤه؛ قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١١٢﴾ [البقرة].

وكان مشركو العرب يدعون أنهم أهل الله؛ لسكناهم مكة، ومجاورتهم البيت، وكانوا يستكبرون به على غيرهم، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ٦٦ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ٦٧﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال]. فبيَّنَ- سبحانه- أنَّ المشركين ليسوا أولياءه، ولا أولياء بيته، إنما أولياؤه المتقون.

وثبت في «الصحيحين» عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول جهارًا من غير سر: «إِنَّ آلَ فُلَانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ- يَعْنِي طَائِفَةً مِنْ أَقَارِبِهِ- إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ، وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»(١). وهذا مُوافِقٌ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم]. وصالح المؤمنين هو من كان صالحًا من المؤمنين؛ وهم المؤمنون المتَّقون أولياء الله(٢).

وقال في موضع آخر رَحِمَهُ اللهُ: «وقد اتَّفق أهل المعرفة والتَّحقيق أنَّ الرجل لو طار في الهواء، أو مشى على الماء، لم يُتَّبَعْ إلاَّ أن يكون موافقًا لأمر الله ورسوله، ومن رأى من رَجُل مُكَاشَفَةً أو تأثيرًا فاتبعه في خلاف الكتاب والسُّنَّة، كان من جنس أتباع الدَّجَّال؛ فإنَّ الدَّجَّال يقول للسَّماء: أمطري. فتمطر، ويقول للأرض: أنبتي. فتنبت، ويقول للخربة: أخرجي كنوزك. فتخرج معه كنوز الذَّهب والفضَّة. ويقتل رجلًا، ثم يأمر أن يقوم، فيقوم، وهو مع هذا كافر، ملعون، عدو لله...

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ١٦٣- ١٦٤).

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تَقومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ دَجَّالُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**»[(١)]، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء].

ومن لم يفرِّق بين الأحوال الشَّيطانيَّة والأحوال الرَّحمانيَّة، كان بمنزلة من سوَّى بين محمَّد رسول الله، وبين مسيلمة الكذَّاب؛ فإنَّ مسيلمة كان له شيطان يَنْزِلُ عليه، ويوحي إليه.

ومن علامات هؤلاء أنَّ الأحوال إذا تنزَّلت عليهم وَقْتَ سَمَاعِ المُكَاءِ والتَّصدية، أُزْبِدُوا وأُرْعِدُوا كالمصروع، وتكلَّموا بكلام لا يُفْقَهُ معناه؛ فإنَّ الشَّياطين تتكلَّم على ألسنتهم، كما تتكلَّم على لسان المصروع.

والأصل في هذا الباب أن يعلم الرَّجل أنَّ أولياء الله هم الَّذين نَعَتَهُمُ اللهُ في كِتَابِهِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]؛ فكلُّ مَنْ كَانَ مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا». وساق الحديث القدسيَّ كما تقدم[(٢)]. انتهى.

فالحاصل أنَّ الكرامة لا تكون إلَّا لأولياء الله، العارفين بالله، وبأسمائه، وبصفاته، الخاشعين، الصَّادقين، المخلصين، الحافظين لحدود الله، والمعظِّمين أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، المواظِبينَ على فعل الواجبات والمستحبَّات، أفعالُهم وأقوالُهم منضبطة بالكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمَّة.

---

(١) أخرجه مسلم (٧) من حديث أبي هريرة.
(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣١٤- ٣١٦) باختصار.

الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة على ثبوت كرامات الأولياء:

من كرامات الأولياء التي جاءت في القرآن:

قصة أصحاب الكهف: الذين ناموا، وبقُوا أحياء أكثر من ثلاثمائة سَنَةً؛
قال اللهُ تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا
﴿٩﴾ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا
رَشَدٗا ﴿١٠﴾ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ
لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ﴿١٢﴾ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ
ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ
قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ
أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ
إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى
ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ
وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن
تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ
ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا
وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ
كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ
مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ

يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ
أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ
بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ
لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ
سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ
أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر
رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي
كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف].

وقصّة مريم: عندما اعْتَزَلَتْ الأهلَ والنّاس، واتّخذت مكانًا للتّعبُّد، فكانت صالحةً قانتةً لله تعالى، حافظةً لفرجها، فلمّا كانت كذلك، رزقها الله تعالى من غير أسباب، وبغير حساب؛ قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].

وَرُزِقَتْ عيسى عليه السَّلام -وهو من أُولي العَزْم من الرُّسل- بغير أَب؛ فقد أرسل الله تعالى جبريل -عليه السَّلام- فنفخ فيها من روح الله -عزَّ وجلَّ- أي: روحًا من عند الله، فكان عيسى؛ قال تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم]، وقال: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران].

وقصَّة أصحاب البقرة: لَمَّا قُتِلَ رجل من بني إسرائيل، واختلفوا فيمن قتله، فأمر الله- تعالى- موسى أن يأمرهم أن يذبحوا بقرة، ويضربوه ببعضها، ففعلوا، فَحَيِيَ بإذن الله، وَأَخْبَرَ عن الرَّجل الَّذي قَتَلَهُ.

ولا شكَّ أنَّها كرامة لهؤلاء النَّاس؛ قال جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة].

والرَّجل الَّذي مَرَّ على قرية وقد بَادَ أَهْلُها، وَسَقَطَتْ بيوتُها، ولم يَبْقَ منها شيء حَيٌّ، فَلَمَّا تعجَّب كيف يُحْيِي الله هذه القرية بعد أن أَفْنَى أهلَها وسقطت بيوتُها، أماته الله تعالى، ثمَّ بَعَثَهُ بعد مائة عام، ولا شكَّ أنَّ هذه كرامة لهذا الرَّجل؛ فقد ثَبَتَ عندَه اليقينُ على البعث، وقُدْرَةُ الله تعالى على إحياء الموتى؛ قال تبارك وتعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة]، وغير ذلك من الآيات الدَّالَّة على كرامات الأولياء.

ومن السنة:

إِضَاءَةُ نُورٍ بَيْنَ يَدَيْ أُسَيْدِ بن حُضَيْرٍ وعبَّاد بن بِشْرٍ رضي الله عنهما في لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ؛ فعن أَنَسٍ رضي الله عنه أنَّ رجلين خرجا من عند النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، وإذا نُورٌ بَيْنَ أيديهما حتَّى تفرَّقا، فتفرَّق النُّور معهما.

وقال مَعْمَرٌ، عن ثَابِتٍ، عن أَنَس: إنه أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، وَرَجُلٌ من الأنصار.

وقال حَمَّادٌ: أخبر ثَابِتٌ، عن أَنَسٍ، أنَّهما كانا أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ عند النَّبيِّ ﷺ (١).

وَأُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بينما كان يقرأ القرآن، نَزَلَتِ الملائكةُ من السَّماء في الظُّلَّة، ودَنَتْ منه تَسْمَعُهُ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا. قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا.

قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ**».

قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ**».

قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ**». قَالَ: فَانْصَرَفْتُ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ**»(٢).

وقصَّةُ أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا ذَهَبَ بثلاثة أضياف معه إلى بيته،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠٥).

(٢) أخرجه البخاري معلَّقًا (٥٠١٨)، وَوَصَلَهُ مسلم (٧٩٦)، واللفظ له.

ودعا بطعام، فأكلوا وشَبِعُوا، فكانوا لا يرفعون لُقْمَةً إلاَّ رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ منها؛ فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: جاءَ أَبُو بَكْرٍ بِضَيْفٍ لَهُ- أَوْ بِأَضْيَافٍ لَهُ- فَأَمْسَى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا جاءَ، قَالَتْ لَهُ أُمِّي: احْتَبَسْتَ عَنْ ضَيْفِكَ - أَوْ عَنْ أَضْيَافِكَ - اللَّيْلَةَ؟!

قَالَ: مَا عَشَّيْتِهِمْ؟ فَقَالَتْ: عَرَضْنَا عَلَيْهِ - أَوْ عَلَيْهِمْ - فَأَبَوْا - أَوْ فَأَبَى - فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ، فَسَبَّ وَجَدَّعَ، وَحَلَفَ لاَ يَطْعَمُهُ، فَاخْتَبَأْتُ أَنَا، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ، فَحَلَفَتِ المَرْأَةُ لاَ تَطْعَمُهُ حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ- أَوِ الأَضْيَافُ- أَنْ لاَ يَطْعَمَهُ- أَوْ يَطْعَمُوهُ- حَتَّى يَطْعَمَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَأَنَّ هَذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ.

فَدَعَا بِالطَّعَامِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا، فَجَعَلُوا لاَ يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: «وَقُرَّةِ عَيْنِي، إِنَّهَا الآنَ لَأَكْثَرُ قَبْلَ أَنْ نَأْكُلَ». فَأَكَلُوا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا[1].

وَعُمَرُ بنُ الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا أَرْسَلَ جيشًا، أَمَّرَ عليهم رجلًا يسمَّى «سَارِيَةَ» فَبَيْنَما عُمَرُ يَخْطُبُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصِيحُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: يَا سَارِيَةُ، الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ. قَالَ: فَقَدِمَ رَسُولُ الْجَيْشِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا، وَإِنَّ الصَّائِحَ لَيَصِيحُ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ. فَشَدَدْنَا ظُهُورَنَا بِالْجَبَلِ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ. فَقِيلَ لِعُمَرَ: إِنَّكَ كُنْتَ تَصِيحُ بِذَلِكَ[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٤١)، ومسلم (٢٠٥٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البيهقي في الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (١/ ٣١٤)، باب القول في كرامات الأولياء، وفي «دلائل النبوة» (٦/ ٣٧٠) وحسنه الألباني في الصحيحة (١١١٠).

وخُبَيْبُ بنُ عَدِيٍّ رضي الله عنه كان أسيرًا عند المشركين بمكَّة المكرَّمة، فكان يؤتى بِعِنَبٍ، وليس في مكَّة عِنَبَةٌ؛ فقد أَخْرَجَ البخاريُّ في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ بعضَ بنات الحارث- وكان خُبَيْبٌ عندَهم أسيرًا- قَالَتْ: وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْبًا(١).

وعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه قد قَتَلَ رجلًا من قريش ثم قُتِلَ، فتلمَّسُوا جَسَدَه، فلم يَقْدِرُوا عليه؛ ففي «صحيح البخاريِّ» من حديث أبي هريرة المتقدِّم، فيه: «**وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ، لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا**»(٢).

وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه دَعَا على أَرْوَى بِنْتِ الحَكَمِ لَمَّا كَذَبَتْ وادَّعَتْ عليه أنَّه أخذ مِنْ أَرْضِهَا، فَقَالَ: «اللهمَّ إن كانت كاذبة، فعمِّ بَصَرَهَا، واقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا». قال: فما ماتت حتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثمَّ بَيْنَا هي تمشي في أرضها، إذ وقعت في حُفْرَةٍ فماتت(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ**

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٩٨٩).

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٠٤٥، ٣٩٨٩، ٤٠٨٦، ٧٤٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٣٩- ١٦١٠) من حديث هشام بن عروة، عن أبيه.

فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ، فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ، قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيْجٍ، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ، فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ». قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فَمِهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا، قَالَ: «وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ، فَقَالَتْ: حَلْقَى مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ:

اللهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَقُلْتَ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتَ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا»[(١)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ إِذْ سَمِعَ رَعْدًا فِي سَحَابٍ، فَسَمِعَ فِيهِ كَلَامًا: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ بِاسْمِهِ، فَجَاءَ ذَلِكَ السَّحَابُ إِلَى حَرَّةٍ فَأَفْرَغَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى ذِنَابِ شَرْجٍ، فَانْتَهَى إِلَى شَرْجَةٍ، فَاسْتَوْعَبَتِ الْمَاءَ، وَمَشَى الرَّجُلُ مَعَ السَّحَابَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَجُلٍ قَائِمٍ فِي حَدِيقَتِهِ يَسْقِيهَا، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: وَلِمَ تَسْأَلُ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ فِي سَحَابٍ هَذَا مَاؤُهُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ بِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا إِذَا صَرَمْتَهَا؟ قَالَ: أَمَا إِذْ قُلْتَ ذَلِكَ، فَإِنِّي أَجْعَلُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَثْلَاثٍ: أَجْعَلُ ثُلُثًا لِي وَلِأَهْلِي، وَأَرُدُّ ثُلُثًا فِيهَا، وَأَجْعَلُ ثُلُثًا فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ»[(٢)].

وحديث غلام الأخدود[(٣)]، وحديث الثلاثة أصحاب الغار[(٤)] وغيرها الكثير. وغير ذلك من الكرامات التي تجري على أيدي أولياء الله، من غير دَجلٍ، ولا شَعْوَذَةٍ، ولا سِحْرٍ، ولا كهَّانٍ؛ فهؤلاء هم الأولياء حقًّا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٠٦)، ومسلم (٨/ ٢٥٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٥/ ٢٩٨٤).

(٣) انظر صحيح مسلم (٣٠٠٥).

(٤) انظر صحيح البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

أقوال أهل العلم:

قال ابن البَنَّا الحَنْبَلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأمَّا القَدَرِيَّةُ والمعتزلة وأنواعهم، فينكرون الصِّراط، والميزان، والكرسيَّ، وفَزَعَ يوم القيامة، ونعيم القبر وعذابه... إلى أن قال: وأنكروا كرامات الأولياء[(١)].

قال المتولِّي أبو سعيد النَّيسابوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأنكرت المعتزلة كرامات الأولياء بالكلِّيَّة، والدَّليل على ثبوتها قصَّة أصحاب الكهف، وما كانوا أنبياء، والدَّليل على قصَّة مريم -عليها السَّلام- فإنَّها خُصَّتْ بكرامات، فمن ذلك أنَّ زكريَّا كان يجد عندَها في الشِّتاء فاكهة الصَّيف، وفي الصَّيف فاكهة الشِّتاء، ومن ذلك حديث أمِّ موسى وما أُلْهِمَتْ، والقصَّة ظاهرة في القرآن، فعلم من ذلك جواز الكرامة للأولياء بخرق العادة، والدَّليل عليه أنَّ الأصول الخارقة للعادة مقدورة من الله تعالى، وليست تُستقبح عقلًا، وليس فيها قدح في المعجزات[(٢)].

قال ابن العربيِّ المالكيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا قول في كرامات الأولياء، وهي أصل الدين، وعمدة من عمد المسلمين، لا ينكرها إلا جاهل، اتفق عليها العلماء[(٣)].

قال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فسبحان الله العظيم؛ فما ينكر كرامات الأولياء إلا جاهل[(٤)].

---

(١) المختار في أصول السنة، لابن البنا الحنبلي (ص: ٩٩).
(٢) الغنية في أصول الدين (ص: ١٥٢) باختصار.
(٣) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، لابن العربي (ص: ٣٧).
(٤) العلو للعلي الغفار، للذهبي (ص: ٦٩).

وقوله: «فإنَّها من الكرامات التي بها نقول...»:

أي: هذه الكرامات التي تظهر على أيدي الأولياء، هي التي يقرها ويقول بها أهل السنة والجماعة.

«فَاقْفُ الأدلَّة»؛ أي: إنَّنا لم نُثْبِتِ الكرامات إلا بعد أن تواترت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأئمَّة المعتبرين؛ فمسائل الاعتقاد ليس فيها اجتهاد.

وقوله: «ومن نفاها من ذوي الضلال»:

أي: من نفى كرامات الأولياء من أصحاب الضَّلال الذين ينفونها؛ مثل المعتزلة ومن وافقهم.

«فقد أتى في ذاك بالمحال»:

أي: بشيء محال؛ لأنَّ الكرامات ثابتة بأدلة الكتاب والسنة كما تقدَّم، ولا يَرُدُّ الأدلَّة الصَّحيحة الصَّريحة إلاَّ ضالٌّ مضلٌّ.

«لأنَّها شهيرة ولم تزل في كلِّ عصر»:

أي: إنَّها مشهورة معروفة عند أهل العلم، وما زالت ولا تزال موجودة في كلِّ عصر من الأعصار، ولذلك قال: «يا شقا أهل الزَّلل». فلا شكَّ أنَّ أهل الزَّيغ والضَّلال في شقاء في الدُّنيا؛ لأنَّهم يتخبَّطون في عقائدهم، وخسران مبين في الآخرة؛ فهم حقًّا في شقاء: دنيا وآخرة؛ لانحرافهم عن الصراط المستقيم.

مسألة: لا يجوز تفضيل الأولياء على الأنبياء:

زعم جَهَلَةُ المتصوِّفة وأتباعهم أنَّ الوليَّ أفضل من النَّبيِّ، ولا يخفى ما في هذا القول من الضلال، ومخالفة العقل، وأدلة النَّقل، من الكتاب والسُّنَّة

والإجماع على أنَّ الأنبياء أفضل البشر، وأفضل الأنبياء نبيُّنا ﷺ بالنَّصِّ والإجماع.

وقد ذكر شيخ الإسلام وغيره من المحقِّقين أنَّ أوَّلَ من تكلَّم بمسألة تفضيل الوليِّ على النَّبيِّ أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ، وهو من العبَّاد المشاهير، المتوفَّى سنة (٢٤٦هـ)، وكانت عبارته حَذِرَةً، وَلَمَّا استنكر العلماء ذلك، أخرجه العلماء من دمشق، ثمَّ لَمَّا شاعت هذه المسألة وتكلَّم عنها أهل العلم، انطفأت بعض الوقت، ولم يجرؤ أحد أن يقولها، حتى جاء الحكيم التِّرمذيُّ- وهو معاصر لابن أبي الحواريِّ- تقريبًا، فكتب في هذه المسألة في كتاباته ومؤلَّفاته، وأشار إشارة صرَّح فيها بختم الولاية، وأن الولاية تُخْتَمُ كما تختم النُّبوَّة[(١)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد اتَّفق سلف الأمَّة وأئمَّتها وسائر أولياء الله تعالى، على أنَّ الأنبياء أفضلُ من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتَّب اللهُ عبادَه السُّعَدَاءَ المنعَم عليهم «أربع مراتب»، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء].

ثمَّ ساق جملة من الأحاديث الدَّالَّة على أن أفضل البشر بعد الأنبياء الصحابة، وذكر أحاديث تدل على التفاضل بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل[(٢)].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٢٣)، وشرح الطحاوية لناصر العقل (١٠٠/ ٣) الكتاب مرقم آليًّا، رقم الجزء هو رقم الدرس.

(٢) راجع- إن شئت- شرح الأبيات من البيت السابع والأربعين بعد المائة، إلى البيت التاسع والخمسين بعد المائة.

إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأفضل أولياء الله تعالى أعظمهم معرفة بما جاء به الرَّسول ﷺ واتِّباعًا له، كالصَّحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه، وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به، وعملًا به؛ فهو أفضل أولياء الله، إذ كانت أمة محمد ﷺ أفضل الأمم، وأفضلها أصحاب محمَّد ﷺ وأفضلهم أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد ظنَّ غالطهم أنَّ «خاتم الأولياء» أفضل؛ قياسًا على خاتم الأنبياء، ولم يتكلَّم أحد من المشايخ المتقدِّمين بخاتم الأولياء إلَّا محمَّد بن علي الحكيم الترمذي؛ فإنَّه صنَّف مصنفًا غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد أنه خاتم الأولياء.

ومنهم من يدَّعي أنَّ خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأنَّ الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته، كما يزعم ابنُ العربيِّ صاحب كتاب «الفتوحات المكِّيَّة» وكتاب «الفصوص» فخالف الشَّرع، والعقل، مع مخالفته جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه، كما يقال لمن قال: فخرَّ عليهم السَّقف من تحتهم، لا عقل، ولا قرآن...

ثمَّ ساق جملة من الأدلة على أن نبيَّنا ﷺ أفضل البشر؛ قال: وادعى أنَّ من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمَّد ﷺ من له طريق إلى الله، لا يحتاج فيه إلى محمد؛ فهذا كافر ملحد، وإذا قال: «أنا محتاج إلى محمَّد في علم الظَّاهر دون علم الباطن»، أو في علم الشَّريعة دون علم الحقيقة، فهو شرٌّ من اليهود والنَّصارى الَّذين قالوا: إنَّ محمَّدًا رسول إلى الأمِّيِّين دون أهل الكتاب.

فإنَّ أولئك آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، فكانوا كفَّارًا بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: إنَّ محمَّدًا بُعِثَ بعلم الظاهر، دون علم الباطن. آمن ببعض ما جاء به، وكفر ببعض، فهو كافر، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها، هو علم بحقائق الإيمان الباطن، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظَّاهرة.

فإذا ادَّعى المدَّعي أنَّ محمدًا ﷺ إنَّما عَلِمَ هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسُّنَّة، فقد ادَّعى أنَّ بعض الذي آمن به ممَّا جاء به الرَّسول دون البعض الآخر، وهذا شرٌّ ممَّن يقول: أومن ببعض، وأكفر ببعض. ولا يدَّعي أنَّ هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين.

وهؤلاء الملاحدة يدَّعون أنَّ «الولاية» أفضل من النُّبوَّة، ويلبِّسون على النَّاس، فيقولون: ولايته أفضل من نبوَّته. وينشدون:

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ   فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الوَلِيِّ

ويقولون: نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته. وهذا من أعظم ضلالهم؛ فإنَّ ولاية محمَّد لم يماثله فيها أحد؛ لا إبراهيم، ولا موسى، فضلًا عن أن يماثله هؤلاء الملحدون[1].

قال الطَّحاويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا نفضِّل أحدًا من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء- عليهم السَّلام- ونقول: نبيٌّ واحد أفضل من جميع الأولياء[2].

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٢١- ٢٢٦).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن ابن أبي العز (ص: ٤٩٠).

قال ابنُ أبي العِزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يشير الشَّيخ- رحمه الله تعالى- إلى الرَّدِّ على الاتِّحاديَّة، وجَهَلَةِ المتصوِّفة، وإلاَّ فأهل الاستقامة يؤمنون بمتابعة العلم، ومتابعة الشَّرع؛ فقد أوجب الله على الخَلْقِ كلِّهم متابعة الرُّسل؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

وقال أبو عثمان النَّيسابوريُّ: من أمَّر السُّنَّة على نفسه قولًا وعملًا وفعلًا، نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة.

وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئًا من السُّنَّة إلاَّ لِكِبْرٍ في نفسه.

والأمر كما قال؛ فإنَّه إذا لم يكن متَّبعًا للأمر الَّذي جاء به الرَّسول، ما كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون متبعًا لهواه، بغير هدًى من الله، وهذا غِشُّ النَّفس، وهو من الكِبْرِ؛ فإنَّه شعبة من قول الَّذين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام].

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برئاسته واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء، من غير اتباع لطريقهم، ومنهم من يظن أنه صار أفضل من الأنبياء.

ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدَّعي لنفسه أنه خاتم الأولياء، ويكون ذلك العلم هو

حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أَظْهَرَ الإنكارَ بالكلِّيَّة، لكن كان فرعون في الباطن أَعْرَفَ بالله منهم؛ فإنَّه كان مثبتًا للصَّانع، وهؤلاء ظنُّوا أنَّ الوجود المخلوق هو الوجود الخالق، كابن عربيٍّ، وأمثاله.

وهو لَمَّا رأى أنَّ الشَّرعَ الظَّاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النُّبوَّة خُتِمَتْ، لكن الولاية لم تختم، وادَّعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة، وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها...

وهذا قلب للشريعة؛ فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس]، والنبوة أَخَصُّ من الولاية، والرسالة أخصُّ من الولاية، والرِّسالة أخصُّ من النُّبوَّة، كما تقدَّم التَّنبيه على ذلك.

وقال ابن عَرَبِيٍّ أيضًا في فصوصه: «وَلَمَّا مثَّل النَّبيُّ ﷺ النُّبوَّة بالحائط من اللبن، فرآها قد كملت إلَّا موضع لَبِنَةٍ، فكان هو ﷺ موضع اللَّبِنَةِ، وأمَّا خاتم الأولياء، فلا بدَّ له من هذه الرُّؤيا، فيرى ما مثَّله النَّبيُّ ﷺ ويرى نفسه في الحائط في موضع لَبِنَتَيْنِ، ويرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللَّبِنَتَيْنِ، فيكمل الحائط.

والسَّبب الموجب لكونه يراها لَبِنَتَيْنِ، أنَّ الحائط لَبِنَةٌ من فضَّة، وَلَبِنَةٌ من ذَهَبٍ، واللَّبِنَةُ الفضَّة هي ظاهره، وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السِّرِّ ما هو في الصُّورة الظَّاهرة متَّبع فيه؛ لأنَّه يرى الأمر على ما هو عليه؛ فلا بدَّ أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن؛ فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي إليه؛ إلى الرسول».

قال: «فإن فهمت ما أشرنا إليه، فقد حصل لك العلم النافع».

فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب، وللرسول بلبنة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسول؟ تلك أمانيهم؛ ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

وكيف يخفى كُفْرُ مَنْ هذا كلامُه؟ وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يَخْفَى منه الكفر، ومنه ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى ناقد جيد؛ ليُظهر زيفه؛ فإنَّ من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصر.

وكُفْرُ ابن العربيِّ وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة اتحادية في الدَّرْكِ الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين؛ لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النَّبيِّ ﷺ ويُبْطِنُونَ الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين؛ لِمَا يظهر منهم، فلو أنَّه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر، لأجري عليه حكم المرتدِّ(١).

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٤٩٠- ٤٩٢).

فصل

في المفاضلة بين البشر والملائكة

١٦٩- وَعِنْدَنَا تَفْضِيلُ أَعْيَانِ البَشَرْ عَلَى مَلاكِ رَبِّنَا كَمَا اشْتُهِرْ

١٧٠- قَالَ وَمَنْ قَالَ سِوَى هَذَا افترى وَقَدْ تَعَدَّى فِي المَقَالِ وَاجْتَرَا

الشرح

انتقل المؤلِّف إلى موضوع المفاضلة بين البشر والملائكة؛ قال: «وعندنا»؛ أي: عند أهل السنة والجماعة «تفضيل أعيان البشر» أي: طوائف من البشر، وليس كل البشر؛ فالمراد بالأعيان هنا الأنبياء والأولياء، والأنبياء أفضل من الأولياء بلا ريب.

«على ملاك ربِّنا»

أي: على الملائكة المكرمين. «كما اشتهر» من مذهب أحمد.

«قال» الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

«ومن قال سوى هذا» وأي إنسان قال بلسانه أو اعتقد بِجَنَانِهِ غير هذا القول بتفضيل بني آدم على الملائكة. «قد افترى» أي: بما يشعر بالافتراء.

«وقد تعدَّى»

أي: تجاوز الحدَّ المنقول والثَّابت عن رسول الله[1] والسَّلف الفحول.

«في المقال» الذي اعتمد.

(١) لم يرو حديث صحيح عن رسول الله ﷺ ذكر فيه تفضيل البشر على الملائكة.

«واجترا» أي: افتات على الشَّارع بالاعتقاد الذي اعتقده.

مسألة: هل الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة كما قرر ذلك صاحب النظم؟

بين أهل العلم خلاف في المسألة؛ فذهب فريق إلى أن الصالحين من بني آدم أفضل من الملائكة، ومما احتجوا به سجود الملائكة لآدم عليه السلام؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

وهذا ما ذهب إليه المنتسبون من السُّنَّة من أصحاب الأئمَّة الأربعة، وابن تيمية، وابن القيِّم، وغيرهم.

وذهب فريق إلى أنَّ الملائكة أفضل؛ لأنَّهم لا يعصون الله، وهم عبادُه المكرَمون؛ قال تعالى ذكره: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء]، وهو قول بعض أهل السُّنَّة، وبعض الصُّوفيَّة، والمعتزلة(١).

والقول الثالث: التَّوَقُّفُ، وعدم الدُّخول في هذا، وهو مذهب أبي حنيفة، وغيره(٢).

---

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٨٢).

(٢) المصدر السابق.

قال ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا سئل عن صالحي بني آدم والملائكة، أيُّهما أفضل؟

فأجاب: بأنَّ صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النَّهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية؛ فإنَّ الملائكة الآن في الرَّفيق الأعلى منزَّهون عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرَّبِّ، ولا رَيْبَ أنَّ هذه الأحوال أكمل من أحوال البشر. وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة، فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة.

قال ابن القيِّم: وبهذا التَّفضيل يتبيَّن سِرُّ التَّفضيل، وتتَّفق أدلَّة الفريقين، ويصالح كلٌّ منهم على حقِّه(١).

وسئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن المطيعين من أمة محمد ﷺ: هل هم أفضل من الملائكة؟

فأجاب:

قد ثبت عن عبد الله بن عمرو أنه قال: «إن الملائكة قالت: يا رب جعلت بني آدم يأكلون، ويشربون، ويتمتَّعون، فاجعل لنا الآخرة، كما جعلت لهم الدنيا، قال: لا أفعل ثم أعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا فقال: وعزتي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان»، ذكره عثمان ابن سعيد الدارمي، ورواه عبدالله بن أحمد في كتاب السنن عن النبي ﷺ

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٤).

مرسلًا[١].

وعن عبد الله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمد، فقيل له ولا جبريل ولا ميكائيل؟ فقال للسائل: أتدري ما جبريل وما ميكائيل؟ إنما جبريل وميكائيل خلق مسخر كالشمس والقمر، وما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمد ﷺ، وما علمت أحد من الصحابة ما يخالف ذلك.

وهذا هو المشهور عند المنتسبين إلى السُّنَّة من أصحاب الأئمَّة الأربعة وغيرهم، وهو أن الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة[٢].

قال اللالَكائِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: ما دَلَّ من كتاب الله وسنَّةِ نَبِيِّه ﷺ في أنَّ بني آدم خَيْرٌ من الملائكة.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦١٧٣)، عن ابن عمرو مرفوعًا، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٨٢): في إسناده طلحة بن زيد وهو كذاب.

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٤).

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

قال: وروي ذلك من التَّابعين عن عمر بن عبد العزيز ومحمَّد بن كعب القرظيِّ.

أخبرنا محمد بن علي بن محمد العطار، قال: نا عبيد الله بن محمد بن عبيد الله المكتب، قال: نا إبراهيم بن عبد الله بن أيوب، قال: نا صالح بن مالك، قال: نا أبو معشر، قال: نا محمد بن كعب القرظي، قال: «كنا جلوسًا عند عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخناصرة، وعنده أمية، وعمرو بن سعيد بن العاص، وعراك بن مالك الغفاري، فتماروا، فقال عمر بن عبد العزيز: ما أحد أكرم على الله من بني آدم، فقال عراك بن مالك: ما أحد أكرم على الله من الملائكة، قال الله عز وجل: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء]، وما خدع إبليس آدم عليه السلام إلا بالملائكة، فقال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف]، فالملائكة أمناء الله ورسله وخزنة الدار في الجنة والنار، قال: فقال عمر رَحِمَهُ اللَّهُ: فما تقول أنت يا أبا حمزة؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، خلق الله آدم بيده، وأمر ملائكته أن يسجدوا له، وجعل من ذريته أنبياء ورسلًا، وجعل من ذريته من تزوره

الملائكة، قال الله عز وجل: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد]، وأما قولك يا أمير المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [البينة]، ليس هذا لبني آدم خاصة، قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧]، والملائكة يؤمنون، وقال في سورة الجن: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ [الجن]، ثم جمع الخلائق كلهم فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [البينة]، فهم خير الملإ في الجن والإنس»[١].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧/ ٤٣-٤٤)، أثر رقم (٢٣١٨).

الباب السادس
في ذكر الإمامة ومتعلقاتها

أحمر أسود (٨٢٦)

قال النَّاظم رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧١- وَلا غِنَـى لأُمَّـةِ الإِسْـلامِ فِـي كُـلِّ عَصْـرٍ كَـانَ عَـنْ إِمَـامِ

١٧٢- يَذُبُّ عَنْهَا كُلَّ ذِي جُحُودِ وَيَعْتَنِـي بِـالغَزْوِ وَالحُـدُودِ

الشرح

ما أشدُّ احتياج الأمَّة في هذا الزَّمان لمعرفة الإمامة ومتعلقاتها! فَحَرِيٌّ بكلِّ مسلم عاقل يبتغي بعمله وجه الله والدَّار الآخرة، أن يتعلَّم هذا الباب جيدًا قبل أن يلقِي بنفسه إلى التَّهْلُكَةِ، ويقع في شراك الخوارج الَّذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(١).

وفي رواية: «لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»(٢).

وقال ﷺ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٣).

وهذه الأحاديث من أعلام النبوة، فلم يكن على عهد رسول الله من يقتل المسلمين بحجة أنهم كفروا بعد إسلامهم، أما الآن فهذا ظاهر جليٌّ

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٤٣- ١٠٦٦)، واللفظ له من رواية أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٤٤- ١٠٦٦)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٥٤- ١٠٦٦) من رواية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

في طوائف يدَّعون لأنفسهم أنَّهم على الحقِّ، وأنَّهم أصحاب الإسلام الصَّحيح.

فلا تتعجَّل أيُّها المسلم وتسمع وتطع لهم قبل أن تدرس فقه الإمامة وفقه الجهاد على يد أحد العلماء المشهود لهم بأنهم من أهل السُّنَّة والجماعة، أو ترجع إلى كتب الفقه، وتبحث عن هذه المسألة في كتب أئمَّة أهل السُّنَّة، كمالك والشَّافعيِّ وأحمد وشيخ الإسلام وغيرهم.

فإن قال لك من تتلقَّى منه العلم خلاف ما جاء عن السَّلف، فلا تسمع له، ولا تطعه، وَانْأَ بنفسك عن هذا المستنقع الذي نهايته قتل المسلمين، ودخولك النَّار؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

أيضًا لا بدَّ أن نعرف من هو الإمام، وبِمَ تثبت الإمامة؟ وما هو حقُّ الإمام على الرَّعيَّة وحقُّ الرَّعيَّة على الإمام؟ وهل يجب طاعة الإمام في كلِّ ما يأمر به أم إنَّ المسألة فيها تفصيل؟ وإذا كان الإمام ظالمًا كيف نتعامل معه؟ وهل يجوز الخروج عليه؟ إلى غير ذلك.

فالجهاد ثلاثة ضروب:

الأول: أن يأمر الإمام الجيش بالجهاد ضدَّ العدوِّ الكافر، فله السَّمع والطَّاعة.

الثاني: جهاد دفع؛ إذا هاجم العدو المسلمين في ديارهم، فلهم جميعًا أن يخرجوا للدِّفاع عن دينهم وأرضهم وأعراضهم، وفي تلك الحال يكون فَرْضَ عَيْنٍ على الجميع، حتَّى النِّساء.

الثالث: جهاد فتنة؛ وهو خروج المسلمين لقتال العدوِّ، من غير تجهيز جيش، أو عدِّ العدَّة، وهذا لا يجوز؛ لأنَّ فيه دمار البلاد والعباد، وسلب الأموال، وانتهاك الأعراض، وإلحاق الهزيمة بالمسلمين.

وكلُّ هذه المسائل مبسوطة في كتب الفقه، وسنذكر هنا ما يتعلق بالعقيدة؛ فالمقصود أن نعلم أهمِّيَّة هذه المسألة، ونعتني بها جيدًا، ويتعلمها شباب المسلمين؛ حتَّى تسلم عقيدتُهم من فكر الخوارج الضَّالِّين.

من هم الخوارج؟

سبق ذكر عقيدة الخوارج في غير موضع[(١)]؛ فباختصار «كلُّ من خرج على الإمام الحقِّ الَّذي اتَّفقت الجماعة عليه يسمَّى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيَّام الصَّحابة على الأئمَّة الرَّاشدين، أو كان بعدهم على التَّابعين بإحسان والأئمَّة في كلِّ زمان...

والوعيديَّة داخلة في الخوارج، وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة، وتخليده في النَّار[(٢)].

قوله:

وَلا غِنَى لأُمَّةِ الإِسْلامِ ... فِي كُلِّ عَصْرٍ كَانَ عَنْ إِمَامِ

هذا حقٌّ؛ فلا يمكن لأمَّة الإسلام - ولا غيرها من الأمم - الاستغناء عن

---

(١) راجع - إن شئت - كتابي «عقائد الفرق الضالة وعقيدة الفرقة الناجية» وكذا كتابي «الدرر البهية».

(٢) انظر: الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ١٢٩).

إمام يرعى مصالحها وشئونها، ويقودها إلى ما فيه مصلحة العباد، وصلاح البلاد؛ بأن يقودها بكتاب الله وسُنَّةِ نبيِّه ﷺ كي يتحقَّق للشُّعوب الأمنُ والأمانُ والرَّخاءُ والاستقرارُ؛ فلا بدَّ من إمام يأخذ على يد الظَّالم، ويمنع النَّاس من التَّعدِّي على بعضهم البعض؛ قال تعالى في إبراهيم عليه السَّلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

وعلى الرعية أن تطيع ولاة الأمور حيث أمروهم بما جاء في الكتاب والسُّنة، فإذا أمروا بِمعصيةٍ، فلا سمع ولا طاعة، ولا نخرج عليهم بالسِّلاح، ولا بالتَّحريض بالكلام، لكن نصبر ونحتسب كما أمرنا رسول الله ﷺ.

فعلى كلِّ مسلم أن يحتسب طاعة ولي الأمر في المعروف، أنها امتثال لأمر الله ورسوله ﷺ يبتغي بذلك الأجر من الله، ويحتسب تجرُّعه ظلم الحاكم- إن كان ظالمًا- عند الله، يحتسب أنه لم يخرج عليه إلَّا امتثالًا لأمر رسول الله ﷺ لا لشخص الحاكم، ولا مداهنةً له، ولا لتقلُّد منصب أو غير ذلك من المصالح الدُّنيويَّة؛ فلا يبيع دينه بعرض من عروض الدُّنيا الزَّائلة، ويعلم أنَّ الله رقيب ومطَّلع على السَّرائر؛ فلو خدع النَّاس أجمعين، ما استطاع أن يفعل ذلك مع ربِّ العالمين العليم الخبير.

وقوله: «ويذب عنها كل ذي جحود..»

أي: يدفع عن أمة الإسلام الجبابرة والأكاسرة من الجاحدين الكافرين، وكل صاحب جحود- أو غيره- يريد بأهل الإسلام سوءًا.

وقوله: «ويعتني بالغزو..»

هذا من مهامِّ الإمام؛ أن يطرد الكفَّار من بلاد المسلمين، ويمنعهم من

الاعتداء على البلاد؛ بأن يجهِّز لهم الجيش، ويُعِدَّ لهم العُدَّة، ولا يسمح لهم بغزو بلاد المسلمين، بل يغزوهم ويقاتلهم؛ ليجعل كلمة الله هي العليا.

مهام الإمام:

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ- في معرض ذكره مهام الخليفة ومسئولياته-:

«والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء:

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتدعٌ أو زاغ ذو شبهةٍ عنه، أوضح له الحجة، وبين له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروسًا من خللٍ، والأمة ممنوعةً من زللٍ.

الثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة، فلا يتعدى ظالمٌ، ولا يضعف مظلومٌ.

الثالث: حماية البيضة والذب عن الحريم؛ ليتصرف الناس في المعايش، وينتشروا في الأسفار آمنين من تغريرٍ بنفسٍ أو مالٍ.

والرابع: إقامة الحدود؛ لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلافٍ واستهلاكٍ.

والخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظفر الأعداء بغرةٍ ينتهكون فيها محرمًا، أو يسفكون فيها لمسلمٍ أو معاهدٍ دمًا.

والسادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة؛ ليقام بحق الله تعالى في إظهاره على الدين كله.

والسابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصًّا واجتهادًا من غير خوفٍ ولا عسفٍ.

والثامن: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرفٍ ولا تقتيرٍ، ودفعه في وقتٍ لا تقديم فيه ولا تأخير.

التاسع: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال؛ لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطةً، والأموال بالأمناء محفوظةً.

العاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفح الأحوال؛ لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلًا بلذةٍ أو عبادةٍ، فقد يخون الأمين ويغش الناصح، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص: ٢٦].

فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة ولا عذره في الاتباع حتى وصفه بالضلال، وهذا وإن كان مستحقًّا عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة، فهو من حقوق السياسة لكل مسترعٍ، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١).

قال ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا نظرنا في واقعنا اليوم، فإنَّنا سنجد أنَّ مسألة غزو الكفَّار محوَّة من القاموس، اللهم إلَّا ما يقع مدافعة، ومع ذلك فإنَّ ما

---

(١) الأحكام السلطانية، للماوردي، (ص: ٣٨، ٣٩) ط. مكتبة التوفيقية. وانظر: الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلى (ص: ٢٧، ٢٨)، دار الكتب العلمية.

يقع مدافعة لا يكاد تجد فيه من يساعد هؤلاء المدافعين إلاَّ النَّادر من أفراد الشُّعوب، أمَّا الحكومات الإسلاميَّة فإنَّها مع الأسف- ونقولها بكلِّ مرارة- لا تساعد على الأقلِّ مساعدة ظاهرة في الدِّفاع عن المسلمين، والأحداث لا تحتاج أن أفصِّلها؛ لأنَّها منشورة مشهودة.

إذن فلا بدَّ من مقاتلة الكفَّار؛ قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال]. وهذا فرضُ كفاية، ومعلوم أنَّ فرض الكفاية يحتاج إلى شرط، وهو القدرة، فبالنِّسبة للشُّعوب لا قُدْرَةَ لهم، وبالنِّسبة للحكومات فالله حسيبهم؛ منهم من يقتدر، ومنهم من لا يقتدر، وفي ظنِّي أنَّ كلَّ واحد منهم يقتدر بالنِّسبة للمضايقات الدِّبلوماسيَّة»[(١)].

وقوله: «والحدود»:

الحدُّ لغةً: المنع والفصل بين الشَّيئين؛ فكأنَّ حدودَ الشَّرع فصلت بين الحلال والحرام؛ فمنها ما لا يقرب، كالفواحش المحرَّمة.

ومنه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة]، ومنه ما لا يتعدَّى، كالمواريث المعيَّنة، وتزويج الأربع، ومنه قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة][(٢)].

وشرعًا: عقوبة مقدَّرة شرعًا في معصية؛ من زنا، وقذف، وشرب، وقطع طريق، وسرقة، وإنَّما شرع الحدُّ ليمتنع من الوقوع في مثلها؛ أي: المعصية[(٣)].

---

(١) شرح السفارينية (ص: ٦٦٦، ٦٦٧).

(٢) لسان العرب (٢/ ٣٥٣).

(٣) مطالب أولي النهى، للسيوطي (٨/ ٤٣٥).

وجوب إقامة الحدود:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**»(١).

وفي رواية: «... **أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»(٢).

فإقامة الحدود من واجبات الإمام ومهامِّه الَّتي ينبغي ألاَّ يُفَرَّطَ فيها، وقد سَبَقَ بَيَانُ ذلك آنِفًا في «ثانيًا ذكر مهامِّ الخليفة ومسئوليَّاته».

الفوائد التي تعود على الأمة وعلى الجاني من إقامة الحدود:

اعلم أنَّ الشَّرعَ لم يأمر بشيء إلَّا وفيه مصلحة كاملة، أو راجحة، ولم يَنْهَ عن شيء إلَّا وفيه ضرر كامل أو راجح.

فالله- جلَّ ثناؤه- أمر بإقامة الحدِّ على الجاني؛ لما فيه من مصلحة لأمَّة الإسلام؛ من زَجْرِ من تحدِّثه نفسُه بارتكاب الجرائم والفواحش، إذا ما شاهد إقامة الحدِّ على مثله، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة].

كيف يكون في القتل حياة؟

لأنَّ المقتولَ واحد هو الجاني، وبقتله ينكفُّ المجرم، ويخاف أن يُقَامَ عليه الحَدُّ، فتزهق رُوحه، ويعيَّر أهلُه، وتلحق بهم الفضيحة، فيتيقَّنَ أنَّ القتلَ سَبَبُ خسرانِه الدُّنيا والآخرة، فينكفَّ عن القتل، ومن هذا حياة النُّفوس.

---

(١) صحيح: سنن الترمذي (٤٩٠٤)، وابن ماجه (٢٥٣٨)، وأحمد (٢/ ٣٦٢).

(٢) رواه النسائي (٤٩٠٥)، موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه.

المصلحة العائدة على الجاني من إقامة الحد عليه:

اعلم أنَّ إقامة الحدِّ على الجاني كفارة لـه في الـدنيا، فـلا يعاقبـه الله على فعله الذي استوجب له الحدَّ؛ فعن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: «**تُبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**»، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ[(١)].

قال القاضي عياض رحمه الله: أكثر العلماء ذهبوا إلى أنَّ الحدودَ كفَّارة؛ أخذًا بهذا الحديث، ومنهم من وقفه؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**لَا أَدْرِي الْحُدُود كَفَّارَة لِأَهْلِهَا أَمْ لَا**»[(٢)]، ولكن حديثَ عبادة أصحُّ إسنادًا، ولا تعارضَ بين الحديثين؛ فقد يمكن أن يكون حديثُ أبي هريرة قبلَ حديث عبادة؛ إذ لم يعلم أوَّلًا، حتَّى أعلمه الله تعالى أخيرًا[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٤)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) **ضعيف**: أخرجه البزار (١٥٤٢ و١٥٤٣ - كشف الأستار)، والحاكم (١/ ٣٦) و(٢/ ١٤، ٤٥٠)، والبيهقي (٨/ ٣٢٩).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥/ ٥٥٠)، وانظر شرح مسلم للنووي (١١/ ٢٢٤).

ثمَّ قال النَّاظمُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧٣- وَفِعْلُ مَعْرُوفٍ وَتَرْكُ نُكْرِ وَنَصْرُ مَظْلُومٍ وَقَمْعُ كُفْرِ

الشرح

وهذا أيضًا من واجبات الإمام، القيام بالأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والإمام تارة يتولى هذا بنفسه، كما كان يفعل الخلفاء من الصَّحابة- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- ومن بعدهم، وتارة يولِّي من ينوب عنه، وسيأتي في ثنايا نظم المصنِّف الكلام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقوله: «ونصر مظلوم»:

وكذلك من مهامِّ الإمام الأخذ على يد الظالم، ونصر المظلوم، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «**تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ**»(١).

وعن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ، فَذَكَرَ: عِيَادَةَ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعَ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتَ العَاطِسِ، وَرَدَّ السَّلَامِ، وَنَصْرَ المَظْلُومِ، وَإِجَابَةَ الدَّاعِي، وَإِبْرَارَ المُقْسِمِ(٢).

فنصر المسلم واجب على المسلمين عامة- كلٌّ بِحَسَبِ قدرته، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة]- وعلى الإمام خاصَّة؛ فهو من مسئولياته ومهامِّه؛ فليس لكلِّ فرد من الأمَّة القدرة على رفع الظُّلم، ونصر المظلوم، وَلَمَّا كان للإمام هذه القدرة- لأنَّه السُّلطة العليا في الدَّولة- وَجَبَ عليه نصر المظلومين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٥)، ومسلم (٢٠٦٦)، واللفظ للبخاري.

وقوله: «وقمع كفر»:

أي: على الإمام أن يقمع الكفر وأهله، ويمنع الكافر من أن يظهر عقيدتَه الفاسدة بين المسلمين، وقد اشترط عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على أهل الذِّمَّة شروطًا تدلُّ على هذا المعنى، قد ذكرها الأئمَّة الحفَّاظ(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ- بعد أن ذكر شروط عمر بن الخطَّاب-: وهذه الشُّروط ذكرها أئمَّة العلماء من أهل المذاهب المتبوعة وغيرها في كتبهم واعتمدوها؛ فقد ذكروا أنَّ على الإمام أن يُلزم أهل الذِّمَّة بالتَّميُّز عن المسلمين لِبَاسَهُمْ وَشُعُورَهم وَكُنَاهُم وركوبَهم؛ بأن يلبسوا أثوابًا تخالف ثِيَابَ المسلمين... إلى أن قال: وهذه الشُّروط ما زال يجدِّدها عليهم من وفَّقه الله تعالى من ولاة أمور المسلمين، كما جدَّد عمر بن عبد العزيز...(٢).

فعلى الإمام أن يتبع هؤلاء الأكابر الَّذين لم يكونوا يخافون في الله أحدًا، وليعلم أنه سيسأله الله تعالى يوم القيامة عن رعيَّته؛ فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: «**وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير لقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة] (٢/ ٤٢٣)، و«أحكام أهل الذمة» لابن القيم.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٥٤) باختصار.

(٣) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

ثمَّ قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧٤ - وَأَخْذُ مَالِ الفَيْءِ وَالخَرَاجِ   وَنَحْـوُهُ وَالصَّـرْفُ فِـي مِنْهَـاجٍ

الشرح

معنى الفيء: هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفَّار من غير حرب ولا جهاد. وأصل الفيء الجهاد، كأن كان في الأصل لهم، فرجع إليهم، ومنه قيل للظِّلِّ الذي يكون بعد الزوال فيء؛ لأنه يرجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق(١).

والفرق بين الفيء والغنيمة أنَّ الغنيمة ما تحصَّل للمسلمين بالقتال والحرب؛ قال تعالى: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾ [الأنفال].

والفيءُ ما يحصل بغير قتال ولا حرب؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر].

قال ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: فأمَّا الغنيمة فهي المال المأخوذ من الكفَّار بالقتال،

---

(١) اللسان (٧/ ٢٠١).

ذكرها الله في سورة الأنفال الَّتي أنزلها الله في غزوة بدر، وسمَّاها أنفالًا؛ لأنَّها زيادة في أموال المسلمين، فقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال]... وساق أدلَّة أخر[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في معرض ذكره الفيء -: وسمِّي فيئًا؛ لأنَّ الله أفاءه على المسلمين - أي ردَّه عليهم - من الكفَّار[(٢)].

وهذا قولُ جماهير المفسِّرين، منهم ابنُ جرير، وابنُ كثير، والقرطبيُّ، والشِّنقيطيُّ، وغيرهم.

قسمة الغنائم:

قال تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال]. وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ غَنَائِمِكُمْ، وَإِنَّهُ لَيْسَ لِي فِيهَا إِلَّا نَصِيبِي مَعَكُمْ إِلَّا الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ، وَأَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ وَأَصْغَرَ، وَلَا تَغُلُّوا؛ فَإِنَّ الْغُلُولَ نَارٌ وَعَارٌ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَجَاهِدُوا النَّاسَ فِي اللهِ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ، وَلَا تُبَالُوا فِي اللهِ لَوْمَةَ

(١) السياسة الشرعية، لابن تيمية (ص: ٩٩).
(٢) المصدر السابق (ص: ١٢٠).

لَائِمٍ، وَأَقِيمُوا حُدُودَ اللهِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ عَظِيمٌ يُنَجِّي اللهُ بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ»(١).

قال ابن رشد رَحِمَهُ اللهُ: اتَّفق المسلمون على أنَّ الغنيمة الَّتي تؤخَذ قَسْرًا من أيدي العدوِّ - ما عدا الأرضين - أنَّ خمسَها للإمام، وأربعة أخماسها للَّذين غنموا. واختلفوا في الخمس على أربعة مذاهب مشهورة(٢). انتهى. والغنائم وأحكامها ومصرفها مذكور في باب الجهاد في كتب الفقه، والمقام هنا يضيق لذكرها.

كيف يقسم الإمام الفيء؟

عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا لَمْ يُوجِفِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ، وَلَا رِكَابٍ، «فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَاصَّةً، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِ، ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللهِ»(٣).

قال ابن رشد رَحِمَهُ اللهُ: واختلف الناس في الجهة التي يصرف إليها، فقال قوم: إن الفيء لجميع المسلمين؛ الفقير والغني، وإن الإمام يعطي منه للمقاتلة وللحكام وللولاة، وينفق منه في النوائب التي تنوب المسلمين، كبناء القناطر، وإصلاح المساجد، وغير ذلك، ولا يخمس في شيء منه، وبه

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٦)، وحسن إسناده الحافظ في «الفتح» (٦/ ٢٧٧)، وانظر: الصحيحة (٩٨٥، ١٩٧٣).
(٢) بداية المجتهد (١/ ٤٧٨).
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٠٤)، ومسلم (١٧٥٧)، وغيرهما.

قال الجمهور، وهو قول أبي بكر وعمر[(١)].

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: بل فيه الخمس، والخمس مقسوم على الأصناف الذين ذكروا في آية الغنائم، وهم الأصناف الذين ذكروا في الخمس بعينه من الغنيمة، وإن الباقي هو مصروف إلى اجتهاد الإمام، ينفق منه على نفسه، وعلى عياله، ومن رأى[(٢)].

«وفرَّق الجمهورُ بين الغنيمة وبين الفيء، فقالوا: الخمسُ موضوع فيما عيَّنه الله تعالى من الأصناف المسمَّين في آية الخمس من سورة الأنفال، لا يتعدَّى به إلى غيرهم.

وأمَّا الفيء فهو الذي يرجع في تصرُّفه إلى رأي الإمام بحسب المصلحة، واحتجُّوا بقول عمر: فكانت خاصَّة لرسول الله ﷺ»[(٣)].

وقوله: «والخراج»:

الخَرَاجُ لُغَةً: قال الزَّجَّاج: الخَرْجُ المصدر، والخراج اسم لما يُخْرَجُ. والخراج: غَلَّةُ العبد والأمة. والخَرْجُ والخراج: الإتاوة تؤخذ من أموال النَّاس[(٤)].

وَشَرْعًا: قال الماورديُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وأمَّا الخراج فهو ما وُضِعَ على رقاب الأرض من حقوق تؤدَّى عنها، وفيه من نصِّ الكتاب بيِّنة خالفت نصَّ

---

(١) بداية المجتهد (١/ ٤٩٣).

(٢) المصدر السابق. وانظر: روضة الطالبين، للنووي (٥/ ٣١٧)، والأحكام السلطانية، للماوردي (ص: ٢٢٦- ٢٢٨).

(٣) عون المعبود (٨/ ١٣٢).

(٤) اللسان (٣/ ٥٤)، مادة (خرج).

الجزية، فلذلك كان موقوفًا على اجتهاد الأئمَّة؛ قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ [المؤمنون]، وفي قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ وجهان: أحدهما: أجرًا، والثَّاني: نفعًا.

وفي قوله: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ وجهان: أحدهما: فرزق ربِّك في الدُّنيا خير منه- وهذا قول الكلبيِّ- والثَّاني: فأجرُ ربِّك في الآخرة خير منه. وهذا قول الكلبيِّ أيضًا...

قال أبو عمرو بن العلاء: والفرق بين الخرج والخراج أنَّ الخرج من الرِّقاب، والخراج من الأرض»[1]. انتهى.

فالمعنى أنَّ الإمام يعتني بأخذ مال الخراج، فيصرفه في جلب مصالح المسلمين، ودفع ما فيه ضرر عليهم وعلى بلدهم، وهذا من مهمَّات الإمام.

وقوله: «ونحوه والصَّرف في منهاج»:

أي أنَّ الإمام يعتني بصرف المال- سواء كان من مال الفيء أو الخراج ونحوه- في «منهاج». والمنهاج الطريق؛ أي أنَّه ينفق هذه الأموال بطريقة يحقِّق بها مصالح المسلمين الَّذين ولَّاه الله عليهم، ولا يستأثر بالمال لنفسه وأهله، وليعلم أنها أمانة سيسأل عنها يوم القيامة؛ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ لَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

(١) الأحكام السلطانية (ص: ٢٥٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣١١٨).

وقال المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧٥ - وَنَصْبُهُ بِالنَّصِّ وَالإِجْمَاعِ وَقَهْرُهُ فَحُلَّ عَنِ الخِدَاعِ

الشرح

بعد أن انتهى المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ من أهميَّة نصب إمام للأمَّة في كلِّ عصر، وأنَّها مسألة غاية في الأهميَّة، وبيَّن مهمَّات وواجبات الإمام، انتقل لبيان أمر من الأهميَّة بمكان؛ ألا وهو الأمور التي ينصَّب بها الإمام؛ وهي كما ذكرها: النَّصُّ، الإجماع، القهر، وقد زلَّت في هذه المسألة أقدام أقوام ظنُّوا أنَّهم على الحقِّ، وليس الأمر كما ظنوا.

وقد ذكر أئمَّة الفقه والحديث من السَّلف والخَلَف في هذه المسألة في كتبهم؛ لأهميَّتها، وتوقُّف صلاح البلاد والعباد عليها.

قال الإمام النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وتنعقد الإمامة بثلاثة طرق:

أحدها: البيعة: كما بايعت الصَّحابة أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفي العدد الَّذي تنعقد الإمامة ببيعتهم ستَّة أوجه...». وقد ذكرها ثمَّ قال: «والسَّادس هو الأصحُّ؛ أنَّ المعتبر بيعة أهل الحلِّ والعقد من العلماء والرُّؤساء وسائر وجوه النَّاس الَّذين يتيسَّر حضورُهم، ولا يشترط اتِّفاق أهل الحلِّ والعقد في سائر البلاد والأصقاع.

الطَّريق الثَّاني: استخلاف الإمام مَنْ قَبل، وعهده إليه، كما عهد أبو بكر إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وانعقد الإجماع على جوازه.

والاستخلاف أن يعقد له في حياته الخلافة بعده، فإن أوصى له بالإمامة فوجهان حكاهما البغويُّ، ولو جعل الأمر شورى بين اثنين فصاعدًا بعده،

كان كالاستخلاف، إلاَّ أن المستخلف غير متعيِّن، فيتشاورون، ويتَّفقون على أحدهم، كما جعل عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ الأمر شورى بين ستَّة، فاتَّفقوا على عثمان...

أمَّا الطريق الثالث: فهو القهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام، فتصدَّى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلاف ولا بيعة، وقهر النَّاس بشوكته وجنوده، انعقدت خلافته؛ لينتظم شمل المسلمين، فإن لم يكن جامعًا للشرائط؛ بأن كان فاسقًا أو جاهلًا فوجهان: أصحُّهما: انعقادها؛ لما ذكرناه، وإن كان عاصيًا بفعله»(١).

«فهذه هي الطُّرُقُ الَّتي يكون بها الإمام إمامًا، وهي ثلاثة: النَّصُّ، والإجماع، والقهر. وإذا قلنا: إنَّ الخلافةَ تثبت بواحد من هذه الطُّرق الثلاث، فيعني ذلك أنَّه لا يجوز الخروج على من كان إمامًا بواحدٍ منها أبدًا.

ولهذا قال المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَحُلَّ عن الخداع»؛ يعني: لا تخادع، ولا تخن. إذا ثبتت الإمامة بواحدة من هذه الطُّرُق، فالإمامة ثابتة بها»(٢).

(١) روضة الطالبين (٧/ ٢٦٣)، وما بعدها، باختصار.

(٢) انظر: شرح السفارينية، لابن عثيمين (ص: ٦٨٤).

قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٧٦- وَشَرْطُهُ الإِسْلامُ وَالحُرِّيَّة عَدَالَـةٌ سَـمْعٍ مَـعَ الدَّرِيَّـة
١٧٧- وَأَنْ يَكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَالِمًا مُكَلَّفًـا ذَا خِبْـرَةٍ وَحَاكِمًـا

الشرح

بعدما ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الطرق التي ينصَّب بها الإمام، انتقل إلى بيان الشروط التي يجب أن تكون في الإمام ليكون إمامًا في المسلمين.

قال: «وشرطه الإسلام»:

الشَّرط الأوَّل من شروط الإمام أن يكون مسلمًا؛ لقول الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع العلماء على أنَّ الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنَّه لو طرأ عليه الكفر، انعزل، وكذا لو ترك إقامة الصَّلاة والدُّعاء إليها[(١)].

وقوله: «والحرِّيَّة»:

الحرِّيَّة شرط من شروط الإمامة، لا تنعقد الإمامة بغيرها؛ لأنَّ المملوكَ لا يملك التَّصرُّف في شيء، فكيف يقوم بواجبات الإمام الَّتي ذكرناها؟

وقوله: «عدالة»:

لأنَّ الخليفة قائم على أحوال وأموال المسلمين، مستأمَن عليها، فلا بدَّ

---

(١) مسلم، بشرح النووي (٦/ ٤٧٠).

أن تتوافر فيه العدالة، وهذا الشَّرط عند القدرة على اختيار الخليفة.

قال القاضي أبو يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ -في ثنايا ذكره شروط الإمامة-: «أن يكون على صفة من يصلح أن يكون قاضيًا: من الحرِّيَّة، والبلوغ، والعقل، والعلم، والعدالة»[1].

قال الماورديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأمَّا أهل الإمامة فالشُّروط المعتبَرَة فيهم سبعة، أحدُها العدالة على شروطها الجامعة[2].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا لم يكن مستقيمًا في دينه، فإنَّه لا يجوز أن يولَّى، وهذا الشَّرط شرط للابتداء؛ أي: العدالة شرط للابتداء؛ بمعنى أنَّنا لا نولِّيه وهو غير عدل إذا كان الأمر باختيارنا، أمَّا من ملك وصار خليفة، فإنَّ العدالة ليست شرطًا فيه، ولهذا أذعن المسلمون للخلفاء ذوي الفسق والفجور، مع فسقهم، وفجورهم، وخلاعة بعضهم، وانحراف بعضهم في الدِّين؛ أنه انحراف لا يصل إلى الكفر[3].

وقوله: «سمع مع الدَّريَّة»:

هذان شرطان من شروط الإمام للابتداء: السَّمع؛ ليصلح أن يباشر مهمَّات الإمام (مع الدَّريَّة)؛ أي يكون ذا خبرة بأمور السِّياسة والحكم؛ كي لا يلعب به من حوله من الوزراء ومن دونهم.

قال الإمام النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ -في معرض ذكره شروط الإمامة-: شجاعًا، ذا

---

(١) الأحكام السلطانية، لأبي يعلى (ص: ٢٠).

(٢) الأحكام السلطانية، للماوردي (١/ ١٧).

(٣) شرح السفارينية (ص: ٦٨٦).

رأي، وسمع، وبصر، ونطق(١).

قال أبو يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ: وأمَّا الصُّمُّ والخُرْسُ فيُمنعان ابتداء عقد الإمامة؛ لأنَّهما يؤثِّران في التَّدبير، والعمل، كما يؤثِّر العمى، وأمَّا في الاستدامة فقد قيل: لا يخرج بهما من الإمامة؛ لقيام الإشارة مقامهما. فراعينا في ابتدائها سلامة كاملة، وفي الخروج نقصًا كاملًا(٢).

وقوله: «أن يكون من قريش...»:

وكذا من شروط الإمامة عند اختيار الخليفة أن يكون من قريش؛ لما جاء في «الصَّحيحين» من حديث ابن عمر أنَّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ مِنْ قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمُ اثْنَانِ»(٣).

قال الإمامُ النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ- في معرض شرح الحديث المتقدِّم: هذه الأحاديث وأشباهها دَلِيلٌ ظاهر أنَّ الخلافةَ مُخْتَصَّةٌ بقريش، لا يجوز عقدُها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصَّحابة، فكذلك بعدهم، ومن خَالَفَ فيه من أهل البِدَعِ، أو عرَّض بِخِلافٍ من غَيْرِهِم، فهو مَحْجُوجٌ بإجماع الصَّحابة والتَّابعين، فمن بعدهم، بالأحاديث الصَّحيحة(٤).

قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: اشتراط كونه قرشيًّا هو مذهب العلماء كافَّة. قال: وقد احتجَّ به أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على الأنصار يوم السَّقيفة، فلم ينكر أحد.

---

(١) المنهاج، للنووي (ص: ٤٢٥).
(٢) الأحكام السلطانية، لأبي يعلى (ص: ٢١).
(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٠)، ومسلم (١٨٢٠).
(٤) شرح مسلم، للنووي (٦/ ٤٤٢).

قال القاضي: وقد عدَّها العلماءُ من مسائل الإجماع، ولم يُنْقَلْ عن أحد من السَّلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرناه، وكذلك من بَعْدَهُم في جميع الأعصار.

قال: ولا اعتدادَ بِقَوْلِ النظَّام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنَّه يجوز كونه من غير قريش، ولا بسخافة ضرار بن عمرو[(١)] في قوله: إنَّ غير القريشي من النَّبْطِ وغيرهم يقدَّم على القرشيِّ؛ لِهَوَان خلعه إن عرض منه الأمر. وهذا الَّذي قاله من باطل القول، وزُخْرُفِه، مع ما هو عليه من مخالَفة إجماع المسلمين، والله أعلم[(٢)].

وقوله «عَالِمًا»:

ومن شروط الإمام أن يكون عَالِمًا بأحكام الشَّرع؛ لأنَّه مَأْمُورٌ بالحكم بما أنزل الله، فإن لم يَكُنْ عالمًا بأحكامه، سيكون مقلِّدًا، والتَّقليد نَقْصٌ.

قال الماوردِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في معرض ذِكْرِهِ شروطَ الخِلافة: «والثَّاني العلم المؤدِّي إلى الاجتهاد في النَّوازل والأحكام»[(٣)].

---

(١) ضرار بن عمرو هو من رءوس المعتزلة، بل وشيخ الضرارية، قال حنبل: دخلت على ضرار ببغداد، وكان مشوهًا وبه فالج، وكان معتزليًّا فأنكر الجنة والنار، وقال: اختلف فيها؛ هل خلقتا بعد أم لا. فوثب عليه أصحاب الحديث، فضربوه، وقال أحمد بن حنبل: إنكار وجودهما كفر. قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (غافر: ٤٦) قال أحمد: فهرب. قالوا: أخفاه يحيى بن خالد حتى مات - سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٥- ٥٤٦).

(٢) مسلم، بشرح النووي (٦/ ٤٤٢).

(٣) الأحكام السلطانية (ص: ١٨).

وقوله «مكلَّفًا ذا خبرة وحاكمًا»:

هذه ثلاثة شروط أخرى لتولِّي الإمامة: أن يكون مكلَّفًا؛ أي: بالغًا عاقلًا؛ لقول رسول الله ﷺ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ المَعْتُوهِ حَتَّى يَبْرَأَ**»[(١)].

وكذا له خبرة بكيفيَّة إدارة الدَّولة من النَّاحية السِّياسيَّة والاقتصاديَّة وغيرها من الأمور الَّتي هي من مهمَّات الإمام، كما سبق بيان ذلك.

ومن الشُّروط أيضًا أن يكون هو الحاكم، وليس كما هو حاصل في بعض البلاد، رئيس الدَّولة ليس له صلاحيَّات إلَّا القليل، ورئيس الوزراء أو غيره هو الَّذي يحكم على الحقيقة؛ لأنَّه المسئول أمام الله عن سياسة الرَّعيَّة، وتدبير شئون البلاد.

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل: شرط الإمام كونه مسلمًا، مكلَّفًا، حرًّا، ذكرًا[(٢)]، قرشيًّا، مجتهدًا، شجاعًا، ذا رأي، وسمع، وبصر، ونطق»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٤٠٢)، والنسائي (٧٣٠٧)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٩٧).

(٢) شرط الذكورة؛ لقول رسول الله ﷺ لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى؛ قال: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**». أخرجه البخاري (٤٤٢٥).

(٣) المنهاج، للنووي (ص: ٤٢٥).

ثمَّ قال المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧٨- فَكُنْ مُطِيعًا أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرْ مَا لَمْ يَكُنْ مُنْكَرًا فَيُحْذَرْ

الشرح

بعد أن ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ ما على الإمام من واجبات ومسئوليَّات، ذكر هنا واجب الرَّعيَّة نحو إمامِها، وهو السَّمع والطَّاعة «فيما أمر»؛ أي: كلَّ ما يأمر به الإمام رعيَّتَه؛ لأنَّ «ما» من الأسماء الموصولة، وهي تفيد العموم.

وقوله: «ما لم يكن منكرًا»:

أي أنَّ الإمام إذا أمر بمنكر فلا سمع ولا طاعة، والمنكر يشمل فعل معصية، أو ترك واجب؛ كشرب خمر، أو أخذ مال رِبَوِيٍّ، أو ما شابه ذلك؛ فلا يُسْمَعُ له، ولا يُطَاعُ، وكذا إن أمر بترك واجب؛ كترك الصَّلاة، أو الزَّكاة، والحجِّ، أو غير ذلك من الواجبات؛ فلا سمع، ولا طاعة؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء].

قال ابْنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ -في ثنايا شرح الآية-: «ولم يَعُدَّ الفعلَ في طاعة وَلِيِّ الأمر، بل جَعَلَهَا ضمنًا وتبعًا لطاعة الرَّسول؛ فإنَّهم إنَّما يطاعون تبعًا لطاعة الرسول إذا أمروا بما أمر به، ونهوا عما نهى عنه، ولا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، وينهون عنه»[(١)].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ**

---

(١) بدائع التفسير (٢/ ٢٤).

اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ[(١)] زَبِيبَةٌ[(٢)]».

وعن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»[(٣)].

---

(١) إنما شبه رأس الحبشي بالزبيبة؛ لتجمعها، ولكون شعره أسود، وهذا تمثيل في الحقارة وبشاعة الصورة وعدم الاعتداد بها. الفتح (١٣/ ١٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

فصل

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٧٩-وَاعْلَمْ بِأَنَّ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ مَعَا فَرْضًا كِفَايَةٍ عَلَى مَنْ قَدْ وَعَى

١٨٠- وَإِنْ يَكُنْ ذَا وَاحِدًا تَعَيَّنَا عَلَيْهِ لَكِنْ شَرْطُهُ أَنْ يَأْمَنَا

الشرح

انتقل المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأهمية الكلام صدر الكلام بـ «اعلم» وقد سبق بيان أن الكلام إذا بدأ بـ «اعلم» فإن الكلام له من الأهميَّة.

والمعروف اسم جامع لكل ما يحبُّه الله ويرضاه، والمنكر اسم جامع لكلِّ ما يُبْغِضُهُ الله تعالى.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اسم المعروف والمنكر إذا أُطْلِقَ كما في قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف]، وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة]، يدخل في المعروف كلُّ خير، وفي المنكر كلُّ شَرٍّ(١).

ومن فضائل هذه الأمَّة الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وقد لعن الله

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٦١).

بعضًا من الأمم السَّابقة؛ لتركهم الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر؛ قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة].

وأثنى - سبحانه وتعالى - على هذه الأمَّة؛ قال: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران].

قال ابن كثير في شرح الآية: «يخبر تعالى عن هذه الأمَّة المحمَّديَّة بأنَّهم خير الأمم، فقال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاَسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ»[1].

والمعنى أنَّهم خيرُ الأمم، وأنفع النَّاس للنَّاس، ولهذا قال: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾. والصَّحيح أنَّ هذه الآية عامَّة في جميع الأمَّة؛ كلُّ قَرْنٍ بِحَسَبِهِ، وخير قرونهم الَّذين بُعِثَ فيهم رسول الله ﷺ ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم[2]، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: خيارًا ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال رسول الله ﷺ: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً. أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٧).

(٢) انظر: البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

اللهِ»[(١)]، وإنما حازت هذه الأمَّة قَصْبَ السَّبق إلى الخيرات بنبيِّها محمَّد؛ فإنَّه أَشْرَفُ خَلْقِ الله، وَأَكْرَمُ الرُّسل على الله[(٢)]. انتهى.

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران]. «فَخَصَّ هؤلاء بالفلاح دون من عداهم، والدَّاعون إلى الخير هم الدَّاعون إلى كتاب الله وسنَّة رسوله، لا الدَّاعون إلى رأي فلان وفلان»[(٣)].

وقوله:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الأَمْرَ وَالنَّهْيَ مَعَا ... فَرْضًا كِفَايَةٍ عَلَى مَنْ قَدْ وَعَى

أي: اعلم أيُّها المخاطب «بأنَّ الأمر والنَّهي معًا»؛ أي: الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر «معًا»؛ أي: كلاهما «فرضا كفاية» وفرض الكفاية- كما عرَّفه أهل العلم- إذا قام به البعض، سقط عن الآخرين، وإذا تركه الكلُّ، أَثِمَ الجميع[(٤)].

وقوله: «على من قد وعى»:

أي: على كلِّ مسلم مكلَّف «قد وعى»؛ يعني: علم حكم الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر؛ تعيُّنًا عليه؛ أي: أصبح فَرْضَ عين عليه، وكذلك على الجماعة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٤٤٧)، والترمذي (٣٠٠١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٨).

(٣) بدائع التفسير، لابن القيم (١/ ٥٠٨).

(٤) انظر: شرح مسلم، للنووي (١/ ٢٩٩)، كتاب الإيمان، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨/ ١٢٦)، وغيرهما.

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض شرحه حديث «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ...»[(١)]: «ولا يختصُّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر بأصحاب الولاية، بل ذلك ثابت لآحاد المسلمين، وإنَّما يأمر وينهى من كان عالمًا بما يأمر به وينهى عنه، فإن كان من الأمور الظَّاهرة، مثل: الصَّلاة والصَّوم والزِّنا وشرب الخمر ونحو ذلك، فكلُّ المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال وما يتعلَّق بالاجتهاد ولم يكن للعوامِّ فيه مدخل، فليس لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء»[(٢)].

وقوله: « وَإِنْ يَكُنْ ذَا وَاحِدًا تَعَيَّنَا عَلَيْهِ»:

يعني أنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر قد يكون فرض عين على أحد من النَّاس، إذا كان هو وحدَه الَّذي له السُّلطة في إزالة المنكر، أو ليس لغيره قدرة على إزالة هذا المنكر.

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّه قد يتعيَّن، كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلَّا هو، أو لا يتمكَّن من إزالته إلَّا هو، وكمن يرى زوجته أو غلامه على منكر، أو تقصير في معروف[(٣)].

قوله: «... لكن شرطه أن يأمنا»:

أي: شرط وجوب الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر - سواء كان فرض عين أو فرض كفاية - «أن يأمنا» على نفسه أن يلحق بها ضرر أو أذًى

---

(١) سيأتي تخريج الحديث قريبًا إن شاء الله.
(٢) شرح الأربعين النووية (ص: ٢١٤).
(٣) شرح مسلم، للنووي (١/ ٢٩٩).

أكبر ممَّا يحصل بإنكار المنكر، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة]، وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن]، وقال ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»[1]، وقال ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[2].

وأيضًا جعل ﷺ تغيُّر المنكر على مراتب؛ لاختلاف وتفاوت قدرات النَّاس في إنكار المنكر؛ فقد تكون لإنسان القدرة أن ينكر بلسانه، وليس عنده قدرة أن ينكر بيده، وقد ينكر آخر بقلبه، ولا يستطيع الإنكار باللِّسان، وهكذا.

وأيضًا اختلاف أحوال الَّذين ينكر عليهم، وأمَّا الإنكار بالقلب فلا يسقط عن أحد؛ فعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[3]، قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا، ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ»[4].

قال ابن رجب رحمه الله بعد أن ذكر جُمْلَةً من الأحاديث: «فَدَلَّتْ هذه الأحاديث كلُّها على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وإنَّ إنكاره بالقلب لا بدَّ منه[5]؛ فمن لم ينكر قلبه المنكر، دلَّ على ذهاب الإيمان من

---

(١) أخرجه الدارقطني (٣/ ٧٧)، (٤/ ٢٢٨)، وابن ماجه (٢٣٤٠، ٢٣٤١) من حديث عبادة بن الصامت. وانظر: صحيح الجامع (٧٣٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٤٩).

(٤) صحيح: سنن أبي داود (٤٣٣٨)، وابن حبان في صحيحه (٣٠٤، ٣٠٥).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٧).

قلبه... وأمَّا الإنكار باللِّسان واليد فإنما يجب بحسب الطَّاقة.

وقال ابن مسعود: يوشك من عاش منكم أن يرى منكرًا لا يستطيع له غير أن يُعْلِمَ الله من قلبه أنَّه له كاره»(١).

لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه:

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء: ولا يسقط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر لكونه لا يُقْبَلُ في ظنِّه، بل يجب عليه فعلُه؛ قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات]، وقد تقدَّم أنَّ عليه أن يأمر وينهى، وليس عليه القبول؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور](٢).

ولا يسقط الأمر بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر عن من كان متلبِّسًا بما ينهى عنه؛ قال العلماء: ولا يشترط في الآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر أن يكون كامل الحال، ممتثلًا ما يؤمَر به، مجتنبًا ما يُنْهَى عنه، بل عليه الأمر، وإن كان مرتكبًا خِلافَ ذلك؛ لأنَّه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخذ بأحدهما، لا يسقط عنه الآخر(٣). انتهى.

مثال ذلك: إنسان يغتاب ويمشي بين النَّاس بالنَّميمة، هذا مرتكب ذنبًا

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (ص: ٥٥٥، ٥٥٦). وانظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٣١).

(٢) شرح الأربعين النووية (ص: ٢١٤)، وانظر: شرح مسلم، للنووي (١/ ٢٩٩).

(٣) المصدر السابق.

عظيمًا، وعليه أن يتوب ويعود إلى الله، لكنَّ هذا الذَّنب لا يسقط عنه، ويجب النَّهيُ عن المنكر؛ فإذا رأى من يغتاب أو يمشي بين النَّاس بالنَّميمة، وجب عليه أن ينهاه؛ فارتكاب المحظور لا يمنع من فعل المأمور، وهو مأمور بالنَّهي عن المنكر، والنَّهي يشمل نفسَه وغيرَه.

فإذا ظلَّ مقيمًا على المعاصي، وقع تحت ذمِّ الله ورسوله لمن هذا حاله؛ قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة]، وقال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ»(١).

خلاصة ما ذكره أهل العلم في المسائل التي تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ممَّا تَقَدَّمَ من كلام المؤلِّف وأقوال أهل العلم نخلص بالآتي:

أوَّلًا: مشروعيَّة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وأنه واجب بالكتاب والسُّنَّة والإجماع. وقد تقدَّم بيانُ أدلَّة ذلك.

قال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأمَّا قوله ﷺ: «فَلْيُغَيِّرْهُ» فهو أمر إيجاب بإجماع الأمَّة، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمَّة(٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شرح مسلم (١/ ٢٩٩).

ثانيًا: حكمه:

فرض كفاية؛ إذا قام به بعض النَّاس، سقط الحَرَجُ عن الباقين، وإذا تركه الجميع، أَثِمَ كُلُّ من تمكَّن منه بلا عذر ولا خوف(١).

ثالثًا: شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- العلم:

ويشمل العلم بما يأمر به وينهى عنه، والعلم بحال من يأمره وينهاه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلامه عن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والعمل الصَّالح: «فإنَّ القصد والعمل إن لم يكن بعلم، كان جهلًا وضلالًا واتِّباعًا للهَوَى كما تقدَّم، وهذا هو الفرق بين أهل الجاهليَّة وأهل الإسلام؛ فلا بدَّ من العلم بالمعروف والمنكر، والتَّمييز بينهما، ولا بدَّ من العلم بحال المأمور والمنهيِّ»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: «وممَّا يجب أن يُعْلَمَ أنَّ الَّذي يريد أن ينكر على النَّاس، ليس له أن ينكر إلاَّ بحجَّة وبيان؛ إذ ليس لأحد أن يلزم أحدًا بشيء، ولا يحظر على أحد شيئًا بلا حجَّة خاصَّة، إلَّا رسول الله ﷺ المبلِّغ عن الله الَّذي أوجب على الخَلْقِ طاعتَه فيما أدركته عقولهم، وما لم تدركه.. »(٣).

فأوَّل درجات الإنكار أن يكون المُنْكِرُ عالمًا بما ينكره، وما يقدر النَّاس عليه؛ فليس لأحد من خلق الله- كائنًا من كان- أن يبطل قولًا، أو يُحَرِّمَ فعلًا،

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٣٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٤٥).

إلَّا بسلطان الحجَّة، وإلَّا كان ممَّن قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [غافر]، ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر].

٢- القدرة:

من شروط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر أن يكون الآمرُ بالمعروف والنَّاهي عن المنكر لديه قدرة على التَّغيُّر، وقد سبق بيان ذلك آنفًا.

٣- أن تكون المصلحة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر راجحة:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاعدة العامَّة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسَّيِّئات، أو تزاحمت، فإنَّه يجب ترجيح الرَّاجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد؛ فإنَّ الأمر بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر وإن كان متضمِّنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأمورًا به، بل يكون محرَّمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، ولكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة»(١).

٤- الرِّفق:

«ينبغي للآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر أن يَرْفُقَ؛ ليكون أقرب إلى

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٩).

تحصيل المطلوب؛ فقد قال الإمام الشَّافعيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من وعظ أخاه سرًّا، فقد نصحه، وزانه، ومن وعظه عَلانِيَةً، فقد فضحه، وشانه»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[(٢)]، وقال ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»[(٣)].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «النَّاس محتاجون إلى مُدَارَاةٍ وَرِفْقِ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر بلا غلظة، إلاَّ رجلًا معلنًا بالفسق؛ فلا حرمة له؛ قال: وكان أصحاب ابن مسعود إذا مرُّوا بِقَوْمٍ يَرَوْنَ منهم ما يكرهون، يقولون: مهلًا مهلًا رحمكم الله.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: يَأْمُرُ بِالرِّفْقِ وَالْخُضُوعِ، فَإِنْ أَسْمَعُوهُ مَا يَكْرَهُ، لَا يَغْضَبُ، فَيَكُونُ يُرِيدُ يَنْتَصِرُ لِنَفْسِهِ[(٤)].

٥- الصبر:

وسيأتي في شرح البيت التالي.

رابعًا: لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه:

وقد تقدم بيان ذلك آنفًا.

---

(١) شرح مسلم، للنووي (١/ ٣٠١).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من رواية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٣) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢٥٩٣) من رواية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٤) انظر: جامع العلوم والحكم (ص: ٥٦٤).

خامسًا: لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن من كان متلبِّسًا به:

تقدَّم آنفًا.

سادسًا: أن يرى المنكر:

فلا يكفي في إزالة المنكر أن يظنَّ أنَّه منكر؛ فلا بدَّ من اليقين.

قال ابنُ رجب الحنبليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله ﷺ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا» يَدُلُّ على أنَّ الإنكار متعلِّق بالرؤية؛ فلو كان مستورًا فلم يَرَه ولكن علم به، فالمنصوص عن أحمد في أكثر الروايات أنه لا يعرض له، وأنه لا يفتش على ما استراب به. وعنه رواية أخرى؛ أنه يكشف المغطى إذا تحقَّقه، ولو سمع صوت غناء محرَّم أو آلات الملاهي وعلم المكان الذي هي فيه، فإنَّه ينكرها؛ لأنَّه قد تحقَّق المنكر، وعلم موضعَه، فهو كما رآه. نصَّ عليه أحمد»[١].

وقال القاضي أبو يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ: إن كان في المنكر الَّذي غلب على ظنِّه الاستسرار بإخبار ثقة عنه انتهاك حرمة يفوت استدراكها كالزِّنا، والقتل، جاز التَّجسُّس والإقدام على الكشف والبحث؛ حذرًا من فوات ما لا يستدرَك من انتهاك، وإن كان دون ذلك في الرُّتبة، لم يَجُزِ التَّجَسُّسُ عليه، ولا الكشف عنه[٢].

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (ص:٦٤٥).

(٢) المصدر السابق.

ثمَّ قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨١- فَاصْبِرْ وَزِلْ بِاليَدِ وَاللِّسَانِ ... لِمُنْكَـرٍ وَاحْـذَرْ مِـنَ النُّقْصَـانْ
١٨٢-وَمَنْ نَهَى عَمَّا لَهُ قَدِ ارْتَكَبْ ... فَقَـدْ أَتَـى بِمَـا يَقْتَضِـي العَجَـبْ
١٨٣- فَلَـوْ بَـدَا بِنَفْسِـهِ فَـذَادَهَا ... عَـنْ غَيِّهَـا لَكَـانَ قَـدْ أَفَادَهَـا

الشرح

الصَّبر لُغَةً: قال ابن سيده: صَبَرَهُ عن الشيء يصبره صبرًا: حبسه... وأصل الصَّبر الحبس، وكلُّ من حَبَسَ شيئًا فقد صبره[(١)].

وقال الجَوْهَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّبر حبس النَّفس عن الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرًا[(٢)].

وشرعًا: أن يصبر على أداء الطَّاعات، ويصبر عن المعاصي فلا يأتيها، ويصبر على أقدار الله إذا جاءت على غير مراد النَّفس، فلا يجزع، ولا يهلع، لكن يصبر ويحتسب.

وقوله: «فاصبر وزل باليد واللِّسان»:

أي: من قام بواجب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، يلزمه أن يتحلَّى بصفة الصَّبر؛ فيصبر، ولا يملُّ من تكراره وكثرة النُّصح للغير- إذا لم يستجب العاصي لنصيحته- ولا يغضب، ولا ينتصر لنفسه عند الخلاف، بل يسعى لنصر الحقِّ، ويصبر على الأذى ممَّن يدعوهم إلى

(١) اللسان (٥/ ٢٦٧)، مادة «صبر».
(٢) الصحاح (ص: ٥٨٧).

الحقِّ، ويعلم أنَّ واجبه هو هداية الإرشاد والبيان؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية].

أمَّا هداية التَّوفيق فهي بيد الله- جلَّ جلاله- ولم يُكلَّف بها أحد من البشر وإن كانوا أنبياء؛ قال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص]. وقد سبق بيان أنواع الهداية.

فلا بدَّ من الصَّبر للآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر؛ قال تعالى حكايةً عن قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان].

وقال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(١)، وغير ذلك من الأدلَّة.

وقوله: «وَزِلْ بِاليَدِ واللِّسَانِ»:

إزالة المنكر باليد أعلى درجات الإنكار، كما تقدَّم في حديث أبي سعيد الخدريِّ عن رسول الله ﷺ لكن يشترط على من يقوم بالأمر بالمعروف

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩، ٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

والنَّهي عن المنكر أن يعلم فقه المسألة، وشروط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر كما تقدَّم من أقوال أهل العلم؛ لئلاَّ تنتشر الفوضى، وتقع منكرات أعظم ممَّا أراد إزالتها؛ لقلَّة فقه وعلم.

وقوله: «وباللِّسان»:

أي: إن لم يستطع التَّغيير باليد، فغيِّر المنكر باللِّسان، تارة بالتَّرغيب في الثَّواب الَّذي يناله من ترك المعصية لله، وتارة أخرى بالتَّرهيب من انتهاك حرمات الله، والتَّذكير بأنَّه- سبحانه- غفور رحيم، وهو أيضًا شديد العقاب وذو عذاب أليم؛ قال تعالى: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر]، وقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج]، وغير ذلك من الآيات، وكلُّ ذلك بضوابط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر الَّتي ذكرناها آنفًا.

قال ابنُ رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: واعلم أنَّ الأمرَ بالمعروف والنَّهي عن المنكر تارةً يحمل عليه رجاء ثوابه، وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النَّصيحة للمؤمنين والرَّحمة لهم، ورجاء إنقاذهم ممَّا أوقعوا أنفسَهم فيه من التَّعرُّض لغضب الله وعقوبته في الدُّنيا والآخرة.

وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبَّته، وأنَّه أهل أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يُكْفَرُ، وإن يُفْتَدَى من انتهاك محارمه بالنُّفوس والأموال، كما قال بعض السَّلَف: وددتُ أنَّ الخلق كلهم

أطاعوا الله، وإن لحمي قرض بالمقاريض...»[١].

وقوله: «... واحذر من النُّقصان»:

يعني أنَّ الإنكار بالقلب نقصان؛ لأنَّه أضعف الإيمان، كما جاء في الحديث: «**فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[٢]. فحقَّ على من كان له القدرة على التَّغيير باليد أو اللِّسان بالضَّوابط الَّتي وضعها العلماء كما تقدَّم، أن لا يكتفي بالإنكار بالقلب؛ لأنَّ ذلك نقصان وتفريط في حقِّ الله عليه.

قال الإمام النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أنَّ هذا الباب - أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - قد ضُيِّعَ أكثرُه من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلَّا رسوم قليلة جدًّا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عمَّ العقابُ الصَّالحَ والطَّالحَ، وإذا لم يأخذوا على يد الظَّالم، أوشك أن يعمَّهم الله تعالى بعقابه؛ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

فينبغي لطالب الآخرة السَّاعي في تحصيل رضا الله - عزَّ وجلَّ - أن يعتني بهذا الباب؛ فإنَّ نفعه عظيم، لا سيَّما وقد ذهب معظمُه، ويخلص نيَّته، ولا يهادن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته؛ فإنَّ الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ

---

(١) جامع العلوم والحكم (ص: ٥٦٤).
(٢) المصدر السابق.

تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران]... إلى أن قال: واعلم أنَّ الأجر على قدر النَّصب، ولا يتاركه أيضًا لصداقته ومودَّته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه...

وأمَّا صفة النَّهي ومراتبه فقد قال النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث الصَّحيح: «فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»؛ فقوله ﷺ: «فَبِقَلْبِهِ» معناه: فليكرهه بقلبه، وليس ذلك بِإِزَالَةٍ وتَغْيِيرٍ منه للمنكر، ولكنَّه هو الَّذي في وُسْعِهِ.

وقوله ﷺ: «وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» معناه- والله أعلم- أقلُّه ثمرة»[(١)].

وقوله:

وَمَنْ نَهَى عَمَّا لَهُ قَدِ ارْتَكَبْ فَقَدْ أَتَى بِمَا يَقْتَضِي العَجَبْ

يعني أنَّ بعضَ النَّاس يَنْهَى عن ارتكاب الذُّنوب وهو مقيم على معاصي الله، وقد ينهى عن الكذب وهو يكذب، أو ينهى عن أخذ أموال النَّاس بالباطل وهو كذلك، إلى غير ذلك؛ فالذي تلك حالته ينهى النَّاس، ولا ينهى نفسه.

«فقد أتى بما يقتضي العجب»

أي: فعل شيئًا يحكم عليه بأنَّه عجيب؛ لأنَّ قوله خَالفَ فِعْلَهُ؛ قال تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا

(١) مسلم بشرح النووي (١/ ٣٠٠، ٣٠١) باختصار.

تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف]، وقد سبق بيانُ أدلَّة ذَمِّ من خَالَفَ قولُه فِعْلَهُ.

وقوله:

فَلَـــوْ بَـــدَا بِنَفْسِـــهِ فَـــذَادَهَا عَـــنْ غَيِّهَـــا لَكَـــانَ قَـــدْ أَفَادَهَـــا

أي: لو بدأ من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بنفسه «فذادها» أي: ردَّها «عن غَيِّهَا»؛ عن ضَلالِهَا- لأنَّ مرتكب المعصية قد ضلَّ سواء السَّبيل وخرج من حزب الرَّحمن إلى حزب الشَّيطان- «لكان قد أفادها»؛ أي: جَلَبَ لها الخير؛ بطاعة الله تعالى، والبعد عن معصيته، ونجّاها من النَّار؛ فبهذا كلِّه يكون قد أفادها.

الخاتمة

أحمر أسود (٨٧٠)

الخاتمة

قال المصنف رحمه الله:

١٨٤ - مَـدَارِكُ العُلُـومِ فِـي العَيَـانِ ... مَحْصُـورَةٌ فِـي الحَـدِّ وَالبُرْهَـانِ

١٨٥ - وَقَالَ قَوْمٌ عِنْدَ أَصْحَابِ النَّظَرِ ... حُسْـنٌ وَإِخْبَـارٌ صَـحِيحٍ وَالنَّظَـرِ

١٨٦ - فَالحَدُّ وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ عِلْمٍ ... وَصْـفٌ مُحِـيطٌ كَاشِـفٌ فَـافْتَهِمُ

١٨٧ - وَشَرْطُهُ طَرْدٌ وَعَكْسٌ وَهوَ إِنْ ... أَنْبَـا عَـنِ الـذَّوَاتِ فَالتَّـامَّ اسْـتَبِنْ

١٨٨ - وَإِنْ يَكُنْ بِالجِنْسِ ثُمَّ الخَاصَّةِ ... فَـذَاكَ رَسْـمٌ فَـافْهَمِ المَخَاصَّـةْ

١٨٩ - وَكُلُّ مَعْلُومٍ بِحِسٍّ وَحِجَا ... فَنُكْـرُهُ جَهْـلٌ قَبِـيحٌ فِـي الهِجَـا

١٩٠ - فَـإِنْ يَقُـمْ بِنَفْسِـهِ فَجَـوْهَرٌ ... أَوْ لا فَــذَاكَ عَــرَضٌ مُفْتَقَــرٌ

١٩١ - وَالجِسْمُ مَا أُلِّفَ مِنْ جُزْأَيْنِ ... فَصَـاعِدًا فَـاتْرُكْ حَـدِيثَ المَـيْنِ

١٩٢ - وَمُسْتَحِيلُ الذَّاتِ غَيْرُ مُمْكِنِ ... وَضِـدُّهُ مَـا جَـازَ فَاسْـمَعْ زَكَنِـي

١٩٣ - وَالضِّـدُّ وَالخِـلافُ وَالـنَّقْضُ ... وَالمِثْـلُ وَالغَيْـرَانِ مُسْـتَفِيضٌ

١٩٤ - وَكُـلُّ هَـذَا عِلْمُـهُ مُحَقَّـقْ ... فَلَـمْ نُطِـلْ بِـهِ وَلَـمْ نُنَمِّـقْ

الشرح

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ في خاتمة النَّظم أبياتًا وقواعد عن علم المنطق والكلام، أنَّه لا مصلحة فيه، ولا فائدة منه؛ فَعِلْمُ المنطق والفلسفة وما أشبه ذلك لم يظهر في القرون الأولى المفضَّلة، ولا علمه الصَّحابة ولا التَّابعون لهم بإحسان، فلسنا في حاجة إلى شرح هذه الأبيات وبيان قواعد علم

المنطق؛ فالضَّررُ من معرفة هذا العلم أكيد، والنَّفع يكاد يكون منعدمًا.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في معرض ذَمِّ علم المنطق-: «إذ ليس في القرون الثَّلاثة من هذه الأمَّة- الَّتي هي خير أمَّة أخرجت للنَّاس وأفضلها القرون الثَّلاثة- من كان يَلْتَفِتُ إلى المنطق، أو يعرِّج عليه، مع أنَّهم في تحقيق العلوم وكمالها بالغاية الَّتي لا يدرك أحد شَأْوَهَا كانوا أعمق النَّاس علمًا، وأقلَّهم تكلُّفًا، وأبرَّهم قلوبًا، ولا يوجد لغيرهم كلام فيما تكلَّموا فيه، إلاَّ وجدت بين الكلامين من الفرق أعظم ممَّا بين القدم والفرق.

بل الَّذي وجدناه بالاستقراء أنَّ من المعلوم أنَّ الخائضين في العلوم من أهل هذه الصِّناعة أكثر النَّاس شكًّا واضطرابًا، وأقلُّهم علمًا وتحقيقًا، وأبعدُهم عن تحقيق علم موزون، وإن كان فيهم من قد يحقِّق شيئًا من العلم، فذلك لصحَّة المادَّة، والأدلَّة الَّتي ينظر فيها، وصحَّة ذهنه وإدراكه، لا لأجل المنطق، بل إدخال صناعة المنطق في العلوم الصَّحيحة يطوِّل العبارة، ويُبْعِدُ الإشارة، ويجعل القريب من العلم بعيدًا، واليسير منه عسيرًا.

ولهذا تجد من أدخله في الخلاف والكلام وأصول الفقه وغير ذلك، لم يفد إلَّا كثرة الكلام والتَّشقيق، مع قلَّة العلم والتَّحقيق.

فعلم أنَّه من أعظم حشو الكلام، وأبعد الأشياء عن طريقة ذوي الأحلام»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين سئل: ما تقولون في المنطق؟ وهل من قال «إنَّه فرض

---

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٣، ٢٤).

كفاية» مُصِيبٌ أم مخطئ؟ فأجاب: «الحمد لله، أمَّا المنطق فمن قال: «إنَّه فرض كفاية» وأنَّ من ليس له به خبرة فليس له ثقة بشيء من علومه، فهذا القول في غاية الفساد من وجوه كثيرة التِّعداد، مشتمل على أمور فاسدة، ودعاوى باطلة كثيرة لا يتَّسع هذا الموضع لاستقصائها.

بل الواقع - قديمًا وحديثًا - أنَّك لا تجد من يلزم نفسَه أن ينظر في علومه به ويناظر به، إلَّا وهو فاسد النَّظر والمناظَرة، كثير العجز عن تحقيق علمه وبيانه...

ومن المعلوم أنَّ القولَ بوجوبه قَوْلُ غُلاتِهِ وجُهَّالِ أصحابه، ونفس الحذاق منهم لا يلتزمون قوانينه في كلِّ علومهم، بل يُعْرِضُونَ عنها؛ إمَّا لطولها، وإمَّا لعدم فائدتها، وإمَّا لفسادها...»[(١)].

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٥، ٦) باختصار.

ثمَّ قال النَّاظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٩٥- وَالحَمْـدُ للهِ عَلَـى التَّوْفِيـقِ لِمَـنْهَجِ الحَـقِّ عَلَـى التَّحْقِيـقِ

١٩٦- مُسَـلِّمًا لِمُقْتَضَـى الحَـدِيثِ وَالـنَّصِّ فِـي القَـدِيمِ وَالحَـدِيثِ

١٩٧- لا أَعْتَنِي بِقَـوْلِ غَيْـرِ السَّـلَفِ مُوَافِقًـا أَئِمَّتِـي وَسَـلَفِي

الشرح

تَقَدَّمَ عند شرح البيت الأول معنى الحمد، والفرق بينه وبين الشُّكر «على التَّوفيق» وممَّا لا خِلافَ فِيهِ بَيْنَ العُقَلاءِ أَنَّ التَّوْفِيقَ ألَّا يَكِلَكَ الله تعالى لنفسك، والخذلان أن يخلِّي بينك وبين نفسك، وقد عَلَّمَنَا رسول الله ﷺ أن نقول حين نصبح وحين نمسي: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**»[(١)].

وقوله: «لمنهج الحقِّ على التَّحقيق»

أي: منهج أهل السُّنَّة والجماعة؛ فقد أخبرنا نبيُّنا ﷺ «**أَنَّ هَذِهِ المِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَهِيَ الجَمَاعَةُ**»[(٢)].

فَكُلُّ من وُفِّقَ للسَّير على نهج أهل السُّنَّة والجماعة، فَلْيَحْمَدِ اللهَ ويسأله الثَّبات على الحقِّ «على التَّحقيق»؛ فكلُّ من حاول الوصول إلى الحقِّ بِتَجَرُّدٍ وَعَدَمِ اتِّبَاعِ الهوى، حَتْمًا سيصل إلى الحقِّ، وهو منهج أهل السُّنَّة.

---

(١) صحيح: سنن النسائي (١٠٣٣٠)، والحاكم (٢٠٠٠)، وغيرهما.

(٢) سبق تخريجه.

وقوله: «مُسَلِّمًا لمقتضى الحديث...»:

أي: أحمد الله على أن وَفَّقَنِي لمنهج أهل السُّنَّة حَالَ كوني مسلِّمًا؛ «لمقتضى الحديث»؛ أي: لما يقتضيه الحديث، وقد ثبت أنَّه عن رسول الله ﷺ بأسانيد صحيحة.

وقوله: «والنَّصِّ في القديم والحديث»:

والنَّصُّ؛ أي: النَّصَّ القرآنيَّ. «في القديم والحديث»؛ أي أنَّ هذا هو اعتقادي في أوَّل أمري وآخره، وهو ما وافق اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة. وقوله من باب التَّحَدُّثِ بنعمة الله تعالى، لا من باب الفَخْرِ.

وقوله: «لا أعتني بغير قول السَّلف...»:

أي: لا أقول إلَّا بقول السَّلف الصَّالح، ومن المعلوم أنَّ أَفْضَلَ السَّلَفِ هم القرون الأولى، وأفضلهم القرن الأوَّل، وهم الصَّحابة، وقد سبقت المسألةُ وَبَيَانُ قدر الصَّحابة -رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ- فقول السَّلف هو المعوَّل عليه؛ لأنَّ عقيدتَهم مبنيَّة على ما جاء في الكتاب والسُّنَّة وَفَهْمِ سلف الأمَّة من الصَّحابة ومن بعدهم.

وقوله: «موافقًا أئمَّتي وسلفي...»:

أي أنَّه ليس مبتدعًا فيما أعتقده، وإنَّما هو سائر على نهج السَّلف الصَّالح من الصَّحابة ومن تبعهم بإحسان، عامل بوصيَّة رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٤٢).

ثمَّ قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩٨- وَلَسْتُ فِي قَوْلِي بِذَا مُقَلِّدًا إِلاَّ النَّبِيَّ المُصْطَفَى مُبْدِي الهُدَى

١٩٩- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا قَطْرٌ نَزَلْ وَمَا تَعَانَى ذِكْرُهُ مِنَ الأَزَلْ

٢٠٠- وَمَا انْجَلَى بِهَدْيِهِ الدَّيْجُورْ وَرَاقَتِ الأَوْقَاتُ وَالدُّهُورْ

الشرح

أي أنَّ ما أقوله من أمور الاعتقاد، لم أقلِّد فيه أحدًا، إنَّما أُقَلِّدُ النَّبيَّ ﷺ المصطفى.

هل يجوز أن نقول: نحن نقلِّد نبيِّنا ﷺ ؟

بَيْنَ أهل العلم نزاع في جواز ذلك، والأولى أن نقول: نحن نتَّبع النَّبيَّ ﷺ؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]، ولأنَّ التَّقْلِيدَ يكون بغير دليل ولا برهان، أمَّا اتِّباعنا لرسول الله ﷺ فكان بالدَّليل والبرهان، وقد ثبت لنا بالدليل أنه رسول الله ﷺ وأنه خاتم النَّبيِّين، وأنَّ القرآن كلام الله، نزل عليه بواسطة جبريل- عليه السَّلام- إلى غير ذلك من أمور الدِّين، وكلُّ ذلك بالأدلَّة والبراهين.

وقوله: «مبدي الهدى»:

أي أنَّه ﷺ هو الَّذي أظهر الهدى، وهو الطريق المستقيم الموصِّل إلى رضا ربِّ العالمين؛ قال تبارك ذكره: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى].

وقوله: «صلَّى عليه الله...»:

الصَّلاة من الله على النَّبيِّ ﷺ ثَنَاءٌ عليه في الملأ الأعلى، وهذا الرَّاجح من أقوال أهل العلم، وقد سبق بيان ذلك[1].

وقوله: «ما قَطْرٌ نَزَلَ»:

أي: مُدَّةَ دَوَامِ نُزُولِ المطر، وهذا مِنَ العلم الَّذي لا يعلمه إلَّا الله ربُّ العالمين، والمقصود أنَّ الله تعالى صلَّى على النَّبيِّ ﷺ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً، لا يعلم عددها إلاَّ الله، كما لا يعلم مدة دوام نزول المطر إلَّا الله تعالى.

وقوله: «وما تعانى ذكره من الأزَل»:

أي: و ﷺ ما تعانى المُعْتَنُون ذكرَه في كلِّ الأعصار الماضية؛ فإنه لم يَخْلُ عصر من العصور، ولا زمن من الأزمنة من ذكر نبيِّنا ﷺ والتَّحدُّث عمَّا جاء به من الشَّريعة المطهَّرة.

وقوله: «وما انجلى بهديه الدَّيجور»:

الدَّيجور: الظُّلمة[2]؛ يعني أنَّ الظَّلام انكشف بهَدْيِه؛ فقد جاء بالهدى ودين الحق، فأخرج النَّاس من الظُّلمات إلى النور.

وقوله: «وراقت الأوقات والدُّهور»:

الدُّهور: جمع «دهر»، وهو اسم للزَّمان الطَّويل؛ يعني أنَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد كثرة الصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ.

---

(١) راجع إن شئت شرح البيت الرابع.
(٢) اللسان (٣/ ٢٩٩).

ثمَّ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٢٠١- وَآلِـهِ وَصَـحْبِهِ أَهْـلِ الوَفَـا　　مَعَـادِنِ التَّقْـوَى وَيَنْبُـوعِ الصَّـفَا

٢٠٢- وَتَـــابعٍ وَتَـــابعٍ لِلتَّـــابعِ　　خَيْـرِ الـوَرَى حَقًّـا بِـنَصِّ الشَّـارِعِ

الشرح

بعد أن صلَّى على النَّبيِّ ﷺ قال: «وآلِه»؛ أي: آل النَّبيِّ ﷺ. وقد تقدَّم ذِكْرُ خلاف العلماء في تحديد الآل[1].

«وَصَحْبِه» أي: أصحابه رضوان الله عليهم «أهل الوفا» أي: الَّذين وفَّوا بما عاهدوا الله ورسوله عليه؛ فهم أنقى وأطهر وأفضل البشر بعد الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- رضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ.

وقوله: «معادن التَّقوى»:

«معادن» جمع «معدن»، وَعَدَنَ فُلانٌ بالمكان، يَعْدِنُ، وَيَعْدُنُ، عَدْنًا وَعُدُونًا؛ أقام. وجنَّات عدن منه؛ أي: جنَّات إقامة لمكان الخلد. ومعدن الذَّهب والفضَّة سمِّي معدنًا لإنبات الله فيه جوهرَهما، وإثباته إيَّاه في الأرض حتَّى عدن؛ أي: ثَبَتَ[2].

يعني: وَأَجْدَرُ الخَلْقِ بالإقامة في جنَّات النَّعيم بعد النَّبيِّ ﷺ هم الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) راجع- إن شئت- شرح البيت الخامس.

(٢) اللسان (٦/ ١٢٩)، مادة «عدن».

وقوله: «وينبوع الصَّفا»:

نبع الماء ينبَع وينبُع نَبْعًا ونُبُوعًا: خرج من العَيْنِ، والينْبُوعُ: عَيْنُ الماء، ومنه قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنبُوعًا ۝٩٠﴾ [الإسراء][1]، والصَّفا ضِدُّ الكُدْرَةِ؛ يعني أنَّ الصَّحابةَ الكرام يَنْبُوعُ الخير الصَّافي الخالص من الشَّوائب والكَدَر.

وقوله: «وتابع وتابع للتابع»:

أي: وصلَّى الله على كلِّ من تَابَعَهُم، وكذا تابع للتَّابع على منهجهم، منهج أهل السُّنَّة والجماعة.

وقوله: «خير الوَرَى حقًّا بنصِّ الشَّارع»:

أي: أفضل النَّاس حقًّا «بنصِّ الشَّارع»؛ أي أنَّ هذه الخيريَّة مَنْصُوصٌ عليها، بدليل قول رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[2].

---

(١) الصحاح، للجوهري (ص: ١٠١٦).

(٢) صحيح: تقدم تخريجه.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠٣- وَرَحْمَـةُ اللهِ مَـعَ الرُّضْـوَانِ وَالبِـرِّ وَالتَّكْـرِيمِ وَالإِحْسَـانِ

٢٠٤- نُهْدِي مَعَ التَّبْجِيلِ وَالإِنْعَامِ مِنِّـي لِمَثْـوَى عِصْـمَةِ الإِسْـلامِ

٢٠٥- أئِمَّـةِ الـدِّينِ هُـداةِ الأُمَّـةِ أهـلِ التُّقَـى مِـنْ سـائِرِ الأئِمَّـةِ

٢٠٦- لا سِـيَّما أَحْمَـدُ والنُّعمـانُ ومالِـكٌ مُحَمَّـدُ الصِّـنوانُ

٢٠٧-مـن لَازمٍ لكـل أَرْبَـاب الْعَمَـل تَقْلِيـد حَبْـر مِـنْهُم فاسْـمَعْ تخَـلّ

الشرح

أي: ورحمة الله تعالى والرُّضوان منه- سبحانه- على هؤلاء الأَطْهَارِ الأخيار. «والبر» أي: الإحسان «والتَّكريم» لهم من الله تعالى بفضله وجودِه «والإحسان» إليهم من الله جَلَّ في علاه؛ لأنَّ الجزاء من جنس العمل، فكما أحسنوا في أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم، أحسن الله تعالى إليهم «جَزَاءً وِفَاقًا».

وقوله: «نهدي مع التَّبجيل والإنعام»:

أي: تُهْدِي هذه الأمور «مع التَّبجيل»؛ أي: التَّعظيم والتَّكريم «والإنعام» أي: الإفضال؛ لأنَّ النِّعْمَةَ هي الفَضْلُ.

وقوله: «مِنِّي لمثوى عصمة الإسلام»:

أي: أسأل الله أن يستجيب ويتقبَّل مِنِّي دعائي «لمثوى عصمة الإسلام»؛ أي: الَّذين كانوا سببًا في عصمة الإسلام من البِدَعِ والأهواء،

وهم الآن في قبورِهم، وهؤلاء هم العلماء من أهل السُّنَّة من التَّابعين الَّذين ساروا على نَهْجِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ.

وقوله: «لا سيَّما أحمد ومالك محمَّد الصِّنوان»:

أي: أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ وقد أفرد المصنِّف عدَّة أبيات في صدر المنظومة في الثَّناء على الإمام أحمد «والنُّعمان» يعني: الإمام أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ «ومالك» يعني الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة «ومحمَّد» يعني الإمام الشَّافعيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ «الصِّنوان»؛ أي: القرابة للنَّبيِّ ﷺ؛ فهو محمَّد بن إدريس بن العبَّاس المطَّلبيُّ الشَّافعيُّ، يجتمع نَسَبُهُ مع رسول الله ﷺ في عَبْدِ مَنَافٍ[1].

وقد خصَّ النَّاظم هؤلاء الأئمَّة الأربعة بالذِّكر - والله أعلم - لشهرتهم ومكانتهم عند أمَّة الإسلام، فلا يكاد يختلف عليهم أحد أنَّهم من أكابر الأئمَّة.

وقوله:

مِنْ لازِمٍ لِكُلِّ أَرْبَابِ العَمَلْ … تَقْلِيدُ حَبْرٍ مِنْهُمْ فَاسْمَعْ تُخَلّ

يعني أنَّه يلزم لكلِّ إنسان يعمل أن يقلِّد واحدًا من هؤلاء الأربعة، فهذا معنى كلام المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ. وهذا قَوْلٌ ضعيف جدًّا؛ لأنَّ مقتضاه أنَّه لا يجوز العملُ بِقَوْلٍ خَارِجٍ عن أقوال هؤلاء الأربعة - رحمهم الله - والأَمْرُ ليس كذلك، ولا يَلْزَمُ اتِّباع أحد على كلِّ حال إلَّا رسول الله ﷺ فهو الَّذي يلزم اتِّباعُ قَوْلِهِ على كلِّ حال، أمَّا هؤلاء الأربعة - رحمهم الله - فإنَّه لا يَلْزَمُنَا أن نأخذ بقولهم، ولنا أن نخرج عن أقوالهم.

(١) شرح السفارينية، لابن مانع.

ولكن لا شكَّ أنَّهم إذا أطبقوا على شيء، فإنَّه أَقْرَبُ إلى الصَّواب، والخُرُوجُ عنه يحتاج إلى تَأَنٍّ. وهذه قاعدة ينبغي أن تُعْرَفَ؛ وهي أنَّك إذا رأيتَ الجمهورَ على قول فلان، لا تخرج عنه إلَّا بعد التَّأَنِّي والتَّرَيُّثِ والنَّظَرِ في الأدلَّة والتَّدبر فيها؛ لأنَّ قولَ الجمهور لا يُسْتَهان به، وقول الجمهور أقرب للحقِّ من قول الواحد، فلا تفرح أن تجد قولًا غريبًا تخرج به أمام النَّاس، ليصدق قول النَّاس عليك: خَالِفْ تُعْرَفْ. وبعض النَّاس يقول: خَالِفْ تُذْكَرْ. بل كُنْ مع الجماعة، لكن إذا بان أنَّ الحقَّ في خلاف قول الجمهور، فالواجب عليك اتِّباع الحقِّ، فيكون كلام المؤلف محتملًا للنَّظر.

«تُخَلّ»: أي: تخلَّى من اللَّوم[1].

(١) شرح السفارينية، لابن عثيمين.

ثم قال المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠٨- وَمَنْ نَحَا لِسُبُلِهِمْ مِنَ الوَرَى مَـا دَارَتِ الأَفْـلاكُ أَوْ نَجْـمٌ سَـرَى

٢٠٩- هَدِيَّةٌ مِنِّي لأَرْبَابِ السَّلَفِ مُجَانِبًا لِلخَوْضِ مِنْ أَهْلِ الخَلَفِ

٢١٠- خُذْهَا هُدِيتَ وَاقْتَفِ نِظَامِي تَفُـزْ بِمَـا أَمَّلْـتَ وَالسَّـلام

الشرح

أي: من قصد واتجه «لسبلهم» جمع «سبيل»؛ وهو الطريق الواضح «من الورى» أي: من سائر الخلق «ما دارت الأفلاك» أي: مدة دوران الأفلاك «أو نجمٌ سرى» ومدة دوام سريان النجوم «هدية مني لأرباب السلف» أي: السلف الصالح «مجانبًا الخوض من أهل الخلف»؛ أي أن هذه العقيدة التي نظمها في أبيات بين فيها اعتقاده- وهي عقيدة السلف- قد تجنب فيها أقوال أهل البدع من الخلف الذين لم يتبعوا السلف في مسائل الاعتقاد.

وقولها: «خذها هديت واقتف نظامي»:

أي: خذ هذه العقيدة، واعمل بها «هديت» إلى الاعتقاد الصحيح «واقتف» أي: واتبع «نظامي» أي: منظومي فيها.

قوله: «تفز بما أملت والسلام»:

أي: إنك إن فعلت ذلك، تفز وتظفر بالذي أملت من الخير «والسلام» أي: وتفوز بالسلام والأمان من الغلط واللغط والبدع، وكل ما يفسد الاعتقاد.

تم بحمد الله ومنه

أحمر أسود (٨٨٤)

الفهرس

الفِهْرِسُ

الباب الرابع: في ذكر البرزخ والقبور، والحشر، والنشور

مبحث هام: في الإيمان بالسؤال في القبر وعذاب القبر ونعيمه ٤٩٤
ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة على فتنة القبر........... ٤٩٤
الشهيد يُجار من فتنة القبر.................................... ٥٠٠
مسألة: ما اسم الملكين اللذين يسألان العبد في قبره؟ وأقوال السلف في ثبوت عذاب القبر.. ٥٠٠
هل عذاب القبر هو عذاب البرزخ؟.................................. ٥٠٣
مسألة: هل عذاب القبر ونعيمه للروح فقط أم للروح والجسد معًا؟ .. ٥٠٤
مسائل تتعلق بفتنة القبر اختلف فيها العلماء ٥٠٥
وقد اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة ٥٠٦
أقسام الروح ٥١٥
مسألة: هل النبي ﷺ سيد ولد آدم فقط أم سيد الخلق أجمعين؟ ٥١٩
فصل: في أشراط الساعة وعلامتها الدالة على اقترابها ومجيئها ٥٢٠
المبحث الأول: أشراط الساعة.................................. ٥٢١
أولاً: ذكر جملة من أشراط الساعة الصغرى ٥٢٢

ست خِلالٍ بين يدي الساعة، منها موت النبي ﷺ.................... ٥٢٢
قتال اليهود ٥٢٤
كثرة القتل وتمني الموت ٥٢٥
ادعاء النبوة ٥٢٥
بعثة النبي ﷺ وموته.. ٥٢٥
غربة الإسلام ٥٢٥
قلة العلم وفشو الجهل وموت العلماء............................... ٥٢٦
استحلال الحرام، وتسميته بغير اسمه ٥٢٦
قلة الرجال وكثرة النساء وظهور الزنا وكثرة التبرج................. ٥٢٨
تغير أحوال الناس ورفع الأمانة ٥٢٩
تقارب الزمان... ٥٣٠
تباهي الناس في المساجد.. ٥٣٠
انحسار الفرات عن كنز من ذهب ٥٣٠
تقارب الأسواق ٥٣١
المبحث الثاني: خروج المهدي ٥٣٢
المبحث الثالث: أشراط الساعة الكبرى ٥٣٥
خروج الدجال وبيان صفته... ٥٣٧
ذكر بعض الأحاديث التي جاء فيها صفات الدجال ٥٣٧

مدة مكثه في الأرض ٥٤١

الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة ٥٤١

أكثر أتباع الدجال اليهود والنساء ٥٤١

من حفظ أول سورة الكهف كان له حرزًا من الدجال ٥٤٢

التعوذ من فتنة الدجال ٥٤٢

نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان............................ ٥٤٣

ذكر الأدلة من القرآن على نزول عيسى عليه السلام................ ٥٤٣

ذكر الأحاديث التي جاءت في نزول عيسى عليه السلام ٥٤٦

عيسى عليه السلام يقتل الدجال................................ ٥٤٨

خروج يأجوج ومأجوج... ٥٤٩

طلوع الشمس من مغربها.. ٥٥١

أي علامة من العلامات إذا ظهرت انقطعت التوبة؟................ ٥٥٢

الخسوفات الثلاثة ٥٥٣

خروج الدابة.. ٥٥٤

الدخان ٥٥٥

نار تخرج وتحشر الناس من المشرق إلى المغرب.................... ٥٥٥

قيام الساعة على شرار الخلق، وحتى لا يقال في الأرض: الله الله ٥٦١

دفع توهم قد يقع ٥٦٢

قيامة الساعة بغتة ٥٦٣

فصل: في أمر المعاد ٥٦٤

مسألة: أصناف الناس الذين أنكروا البعث ٥٦٩

من نوقش الحساب عذب ٥٧٢

مسألة: هل الأعمال هي التي توزن أو صحائف الأعمال، أو صاحب الأعمال؟ ٥٧٨

القنطرة والقصاص ٥٨٥

بعض الأحاديث التي جاءت في الحوض، وصفته، وحرمان أقوام من الشرب منه ٥٨٧

مسألة: هل الكوثر هو حوض النبي ﷺ؟ ٥٩١

هل لكل نبي حوض؟ ٥٩٣

والشفاعة عند الله تعالى تكون بشرطين ٥٩٤

ذكر الأحاديث التي جاءت فيها الشفاعة ٥٩٥

شفاعة الشهيد لأقاربه ٥٩٧

النوع الأول: الشفاعة العظمى ٥٩٩

النوع الثاني: شفاعتهُ أن يؤذن للمؤمنين بدخول الجنة ٦٠١

النوع الثالث: شفاعته في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ٦٠٢

النوع الرابع: تخفيف العذاب عن بعض الناس ٦٠٢

النوع الخامس: شفاعته لأهل الكبائر من أمته ٦٠٢

ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس ٦٠٣

اختلف الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال........................ ٦٠٤

الشفاعة عند المخلوقين ٦٠٥

مبحث: عن الشيطان والجن والعفريت............................ ٦٠٩

إمكان رؤية الإنس الجن، والجمع بين أحاديث الباب والآية......... ٦١٣

هل يمكن للإنس رؤية الجن على صورهم التي خلقوا عليها؟ ٦١٥

اختصاص النبوة بالإنس دون الجن ٦٢١

مبحث: في الجنة والنار.................................... ٦٢٣

الدليل على وجود الجنة والنار ٦٢٣

الدليل على أن الجنة والنار باقيتان لا يفنيان، وأن أهل الجنة خالدين فيها أبدًا، وأهل النار- وهم الكفار- خالدين فيها أبدًا ٦٢٦

الأدلة من الكتاب والسنة على أن من مات من المسلمين على الكبائر لا يخلد في النار، لأنه لم يخرج من دائرة الإسلام ٦٣١

مبحث: حكم من مات من أطفال المشركين والمسلمين ومن مات في الفَتْرَة.. ٦٣٧

حكم من مات من أطفال المسلمين ٦٤١

حكم من مات من أهل الفَتْرَة.................................. ٦٤٣

حكم أصحاب الأعراف في الآخرة ٦٥٠

ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على التصريح بنظر المؤمنين لربهم يوم القيامة ٦٥٣

أقوال العلماء في رؤية الكفار لله تعالى يوم القيامة ٦٥٧

الباب الخامس: في ذكر النبوة ومتعلقاتها

شروط النبوة... ٦٦٤

فصل: في التنبيه على بعض خصائصه وهي كثيرة جدًّا............... ٦٧١

فائدة ٦٧٣

المبحث الأول: إثبات أن الإسراء والمعراج وقعا مرة واحدة في ليلة واحدة في اليقظة بروح وجسد النبي ﷺ ٦٧٧

المبحث الثاني: هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج؟ ٦٨٠

أقوال أهل العلم في المسألة ٦٨٣

المبحث الثالث: متى كان الإسراء والمعراج؟ ٦٩٢

وهل يشرع الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج إن صح تعيين تاريخها؟ ... ٦٩٢

وهل رأى النبي ﷺ الجنة والنار ليلة الإسراء والمعراج؟ ٦٩٤

فصل: في التنبيه على بعض معجزاته ٦٩٧

مبحث: الفرق بين معجزات الأنبياء والسحر ٦٩٨

فصل: في ذكر فضيلة نبينا وأُولي العزم وغيرهم من النبيين والمرسلين ... ٧١٠

مبحث: كيف نجمع بين مفاضلة الله عز وجل بين الأنبياء عليهم السلام وبين نهي النبي ﷺ عن المفاضلة بينهم؟ ٧١٤
فصل: فيما يجب للأنبياء وما يجوز عليهم وما يستحيل في حقهم ٧٢٠
مسألة: هل الأنبياء أحياء في قبورهم؟ ٧٣٠
ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة ٧٣٠
فصل: في ذكر فضائل بعض الصحابة الكرام ٧٣٥
ذكر الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأئمة على أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفضل هذه الأمة بعد النبي ﷺ ٧٣٨
ذكر بعض الأحاديث وأقوال أهل العلم في فضائل عمر رضي الله عنه ٧٤٣
ذكر بعض الأحاديث وأقوال أهل العلم في فضائل عثمان رضي الله عنه ٧٤٧
إثبات الخلافة له، وذكر بعض مناقبه رضي الله عنه ٧٥٣
من مناقب علي رضي الله عنه ٧٥٤
ومن مناقب علي رضي الله عنه نزول قرآن في شأنه ٧٥٦
من مناقبه أنه شهد بدرًا، وأهل بدر قد غفر الله لهم ٧٥٦
مسألة: هل بشر رسول الله ﷺ أحدًا من الصحابة بالجنة غير هؤلاء العشرة؟ وهل يجوز أن نشهد لأحد بالجنة غير الذين بشرهم النبي ﷺ أنهم من أهل الجنة؟ ٧٦٥
تنبيه: تفضيل نوع على نوع، لا يقتضي تفضيل كل فرد ٧٧٢

فصل: في بيان مزايا الصحابة على غيرهم والتعريف بما يجب لهم من المحبة والتبجيل وتقبيح من آذاهم ٧٧٦
شهادة النبي ﷺ بأنَّ من أغضب الصَّحابة فقد أغضب الله تعالى ٧٨١
مسألة: حكم من سب الصحابة الكرام ٧٨١
أقوال أهل العلم في المسألة ٧٨٢
الراجح ٧٨٤
بيان الحق فيما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ٧٩١
كلام نفيس للآجري يتبين منه العلة في الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ ٧٩٤
فصل: في ذكر كرامات الأولياء وإثباتها ٧٩٨
مبحث في كرامات الأولياء والفرق بينها وبين الأحوال الشيطانية ٧٩٩
الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة على ثبوت كرامات الأولياء . ٨٠٣
من كرامات الأولياء التي جاءت في القرآن ٨٠٣
ومن السنة ٨٠٥
أقوال أهل العلم ٨١١
لا يجوز تفضيل الأولياء على الأنبياء ٨١٢
مسألة: هل الأنبياء والأولياء أفضل من الملائكة كما قرر ذلك صاحب النظم؟ ٨٢٠

الباب السادس: في ذكر الإمامة ومتعلقاتها

فالجهاد ثلاثة ضروب ٨٢٧
من هم الخوارج؟ ٨٢٩
مهام الإمام ٨٣١
وجوب إقامة الحدود ٨٣٤
الفوائد التي تعود على الأمة وعلى الجاني من إقامة الحدود ٨٣٤
كيف يكون في القتل حياة؟ ٨٣٤
المصلحة العائدة على الجاني من إقامة الحد عليه ٨٣٥
قسمة الغنائم ٨٣٩
كيف يقسم الإمام الفيء؟ ٨٤٠
فصل: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٨٥٢
لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه ... ٨٥٧
أوَّلا: مشروعيَّة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وأنه واجب بالكتاب والسُّنَّة والإجماع. وقد تقدَّم بيانُ أدلَّة ذلك ٨٥٨
ثانيًا: حكمه ٨٥٩
ثالثًا: شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٨٥٩
رابعًا: لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه ٨٦١

خامسًا: لا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن من كان متلبِّسًا به.. ٨٦٢

سادسًا: أن يرى المنكر...................................... ٨٦٢

الخاتمة ٨٧١

هل يجوز أن نقول: نحن نقلِّد نبيَّنا ﷺ؟............................. ٨٧٦

الفهرس ٨٨٦

من إصدارات المؤلفة

- الفقه الميسر (٦ أجزاء) - مكتبة مكة - القاهرة - طنطا (ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).

- أمراض القلوب - خمس وثلاثون مرضًا من أمراض القلوب وطرق علاجها - مكتبة مكة - القاهرة (ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).

- التعليقات الجلية على العقيدة السفارينية - للإمام السفاريني (٢ جزء)- دار الآثار - القاهرة (ت: ٠٢٢٥١٢٥١٨٤).

- بداية الهداية لمعرفة أصول الإيمان - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢).

- الفتوحات الربانية في تفسير أسماء الله الحسنى - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢).

- عقائد الفرق الضالة وعقيدة الفرقة الناجية - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢).

- الدرر البهية - بيان التوحيد الصحيح من الكتاب والسنة - مكتبة/ دار ابن الجوزي بالقاهرة (ت: ٠٢٢٥٠٦١٦٢١ - ٠٢٢٥٠٦١٦٢٠).

- المحجة البيضاء في بيان أهمية التمسك بالسنة وبيان البدع وأنواعها - دار ابن الجوزي القاهرة (ت: ٠٢٢٥٠٦١٦٢١ - ٠٢٢٥٠٦١٦٢٠).

- محمد رسول الله ﷺ كأنك تراه - دار ابن الجوزي القاهرة (ت: ٠٢٢٥٠٦١٦٢١ - ٠٢٢٥٠٦١٦٢٠).

- بيان قدر الصحابة عند الله العظيم وضلال الشيعة الخاسرين - مكتبة آل ياسر - القاهرة (ت: ٠١١١٢٤٥٨٤٤٤).

الموقع الرسمي لأم تميم

www.omtameem.com

https://www.facebook.com/Om.Tameem.Dr.Azza.Mohamed